

مللج والذمر

فـ القرائـ الكرىمـ

دراسة موضوعية

تبحث في بلاغية وأسايب المذم العقائري ومدى الشخصيات
والذم العقائري ودم الشخصيات في القرائت الكرىم

تأليف

الركتور معه توفيقه دهام الحياي

الدررس في طية الإمام الأعظم - نينوى

Title: AL-MADH WAL-DAMM FI AL-QUR'ĀN AL-KARĪM
(Praising and dispraising used in the Holy Qur'ān)

Author: Dr. Ma'n Tawfiq Dahām Al-Hayālī

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 504

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: المدح والذم في القرآن الكريم
المؤلف: الدكتور معن توفيق دحام الحيايلى
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 504
سنة الطباعة: 2006 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى



منشورات محمد رياض بيروت



بيروت
بشكان
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
جزراً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م. ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد رياض بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - بشكان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحري، نياية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (٩٦١ ١)

فرع عرمون، القبعة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ٩٦١ ٥٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢
فاكس: ٩٦١ ٥٨٠٤٨١٣
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

الحمد لله قبل كل شيء وبعد كل شيء والصلاة والسلام على إمام الحامدين
وقدوة الشاكرين سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أهل التقى
والنقاء ذوي السيرة المحمودة والأخلاق العطرة إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن القرآن الكريم منذ نزوله جاء ليؤكد عظمة الخالق وقدرته لينشر في النفوس
نور العقيدة الإسلامية التي ينشأ منها العمل الصالح والسلوك السليم في توطيد العلاقات
وبناء المجتمعات التي تبرز الصفات الخيرية في الشخصية الإنسانية ، ولما في القرآن الكريم
من قوة في التعبير وبلاغة في الأسلوب تأسر القلوب وتشد النفوس إليه إعجازاً ، فقد كان
من أول الأسباب الداعية إلى تسجيل موضوع أطروحتي في الرحلة البلاغية مع كتاب
العربية الأكبر لأن يكون عملاً زاهراً في رياض الحياة وقبولاً للنجاة من الأهوال في
الآخرة ، فجاء العنوان بـ (المدح والذم في القرآن الكريم - دراسة موضوعية) وذلك
لسببين :

الأول : رغبتني الشديدة في دراسة النص القرآني والبحث عن جماليات التعبير فيه

وروائعه .

الثاني : رغبتني في إكمال مرحلة البحث في الدرس البلاغي في موضوع يبحث

بلاغية النص والنص البلاغي المعجز ، ومن بين المواضيع التي تمت مناقشتها جاء
موضوع (المدح والذم) عنواناً للأطروحة وذلك لأهميته في تقويم الإنسان والبناء الفكري
السليم وتوجيهه نحو معطيات الإيمان والعبودية ، وفيصلاً للشخصية المؤمنة من الكافرة ،
فكان التوجه نحو بلاغة السياق وما يرشحه من تواسج الفنون البلاغية وفق نظرية النظم
للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) مؤسس نظرية النظم في توحي معاني النحو
وبناء العمل البلاغي انطلاقاً من نظريته لتأصيل معاني المدح والذم السياقية وما يتبعها من

المعنى الثاني في ظلال جمالية المفردة القرآنية في وظيفتها البلاغية في إيصال المعنى بقوة التأثير والامتاع اقراراً لمبدأ الثواب والعقاب ، وقد اعتمد البحث في خطته على تهيد وأربعة فصول ، تناولنا في التهيد (المدح والذم في العربية) بينا الدرس اللغوي والنحوي والبلاغي وبيانا لقاعدة المدح والذم بوصف المتكلم والمخاطب إقراراً للصفة فيه وقد بيناه في (المثلث الخطابي) ، فجاء المدح والذم لغةً واصطلاحاً ، والمدح والذم عند النحاة قديماً وحديثاً وعرضنا لأهم المسائل النحوية فيه وصولاً إلى الدرس البلاغي الذي يعد المدح والذم من الأساليب الانشائية غير الطليية ولم نجد دراسةً للموضوع في كتبهم إلا أن الموضوع في معناه له فنون أخرى في علم البديع تدل على المدح كما بيناها ، وقد ورد المدح والذم في القرآن الكريم ليكشف عن الأسلوب القياسي المشهور بـ (نعم وبئس) ودلالاتهما في النص القرآني وما يلحقهما ، ثم جعلنا لها جدولاً بينا مواضع الآيات وشواهدا ، وأما الأسلوب السياقي في بلاغة الحركة والحرف والكلمة في تنوع العبارة الدالة على المدح والذم فقد كانت مفتاحاً للموضوعات بعدها في تقابل الثنائي فقد اعتمدنا عليها في دراسة النص القرآني للكشف عن الأساليب البلاغية تهيداً للفصول بعده .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان (بلاغية المدح العقائدي) قدمنا له بتوطئة لمفهوم العنوان وعللة انتقاء المباحث الأربعة ، جاء المبحث الأول بعنوان (أساليب الثناء على الله عز وجل) تمثل في مطلع السور وحسن ختامها بالحمدلة ، وفي التذييل بالأسماء الحسنی في تنوع الاقتران في الفاصلة القرآنية وأسلوب القصر في كلمة التوحيد بـ (لا إله إلا الله) وبلاغة الوحدة الموضوعية في سورة الإخلاص ، وهذه النماذج جامعة لمعاني الثناء والتمجيد لله عز وجل كما كشفت عنها الأساليب البلاغية .

أما المبحث الثاني فجاء في (أساليب مدح الأنبياء والمرسلين) لبيان مكاتبتهم في الدعوة والاصطفاء ، قدمنا لخالصة أساليب مدح الأنبياء والمرسلين ، وأنواع المادح لهم والوقوف عند الدروس والعبر منها ، والنكت البلاغية وصولاً لمفهوم (تأكيد المدح بما يشبه الذم) ، ولمكانة أولي العزم من الرسل جعلناهم نماذج للدراسة والتحليل لبيان صفات الاقتداء بهم ، وأهم الخصائص الأسلوبية في المدح .

وقد تضمن بعثة الأنبياء والمرسلين وإنزال الكتب السماوية وأكثر الكتب ذكراً هي (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) لما خصها الله عز وجل بالصفات الجليلة التربوية فجاء عنوان المبحث الثالث بعنوان (أساليب مدح الكتب السماوية) وقد كشف السياق عن الصفات المشتركة بينها في الهداية والإرشاد وانتقينا منها نماذج للتحليل مع أفضلية خاتم الكتب السماوية وهو القرآن الكريم ، تخصيصاً بـ (القرآن - الكتاب - الذكر - الفرقان) لذا كانت موطن الدراسة والتحليل .

أما المبحث الرابع فهو (أساليب مدح الملائكة) الذي تميز في المدح العام في الصفات لبيان أثر العبودية في الاستجابة والطاعة لله عز وجل عبرة للمؤمنين والمدح الخاص الذي تمثل في أمين وحي السماء جبريل (عليه السلام) لما خصه الله عز وجل من آيات الذكر الحكيم لذا كانت مدار الدراسة والتحليل .

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان (بلاغية مدح الشخصيات) قدمنا له بتوطئة ، ولكثرتها في النص القرآني وتوزعها على مر الزمان واختلاف العصور لذا جمعناها في (ثلاثة) مباحث، كان الأول موسوماً بـ (أساليب مدح شخصيات الأمم الماضية) اعتمدنا على شخصيات رجالية ونسائية ، قدمنا لها بمفهوم يبين عنوانها مع بيان خصائصها الأسلوبية والبلاغية ثم انتقينا منها نماذج للتحليل ، ومن الإنصاف في بديع النظم القرآني ذكر محاسن أهل الكتاب كما صرحت آيات الذكر الحكيم في المبحث الثاني (أساليب مدح أهل الكتاب) تضمنت قوم موسى عليه السلام والنصارى والحواريين ، فكانت موطن التحليل البلاغي ، ولمكانة الأمة المحمدية التي حملت رسالة القرآن فقد جاءت آيات الثناء عليهم من الله عز وجل في بلاغة التصريح والتضمين في أغلب الآيات القرآنية تمثلت في المبحث الثالث (أساليب مدح الأمة المحمدية) قدمنا لها بتوطئة تكشف عن فضيلة الأمة ومكانتها عند الله عز وجل وما جمعته من الصفات الأخلاقية الحسنة ، وأجل الثناء والمدح لهم تمثل في ذكرهم في الكتب السماوية المتقدمة وهي التوراة والإنجيل ، والتصريح بذكرهم في القرآن الكريم ثم تم انتقاء النماذج لبيان قوة الصفات فيهم ، ولكون مدح الشخصية يتبعه الصفات القيادية الحسنة والأخلاق الإيمانية التي تبدو في سلوك الإنسان فقد جمعناها في المبحث الرابع في (أساليب المدح العام) لتشمل مدح المكان

والصفات العامة وما يتبعها من الصفات التي ينالها العبد المحبة الإلهية التي بها سعادة الدنيا والآخرة ، ثم جعلنا ملحقاتاً في نهاية كل مبحث بينا فيه الأساليب البلاغية التي يرشحها السياق حسب ما يقتضيه المقام في أداء المعنى المدحي ، واتبعنا كل آية تم انتقاؤها في كل المباحث بمخطط بياني يبين المعاني الأدبية التي يكشف عنها السياق حسب ما يقتضيه التعبير القرآني .

أما ما يقابله من أسلوب الذم فقد جعلناه في فصلين جاء الفصل الثالث بعنوان (بلاغية الذم العقائدي) قدمنا له بتوطئة تبين المفهوم وتؤسس لمباحث الدراسة والتحليل فيه وهي (ثلاثة) مباحث ، جاء المبحث الأول بعنوان (أساليب ذم الكفار والمشركين) قدمنا لمفهوم ذم الكفار حسب الآيات القرآنية الواردة في المعجم المفهرس مع تنوع صيغها وكذلك ذم المشركين في القرآن الكريم واتبعناه بزم الملحد وذم الجاهل ثم تم انتقاء نماذج للدرس البلاغي تجمع بين الكفار والمشركين ، وكان للجانب التحليلي دوره في إبراز الصفات الذميمة التي تكشف عن سلوكهم وأفعالهم وتشبيهم بالحيوان وهذا غاية الذم لهم .

أما المبحث الثاني فهو (أساليب ذم المنافقين) وذلك لخطورتهم وسوء نواياهم فقد ورد ذكرهم في سور قرآنية كثيرة قدمنا لها بتوطئة تكشف عن بدیع النظم في بيان أساليبهم وحيلهم ، وكان من بين السور القرآنية التي أطنبت في ذمهم سورتا (التوبة والمنافقون) فتناولنا (سورة التوبة) حسب تسلسل الآيات فيها لبيان الصفات الذميمة من خلال الأساليب البلاغية فيها، أما (سورة المنافقون) فكان التركيز أكثر لدلالة العنوان على الذم وما تضمنته السورة من الأساليب البلاغية التي تفضحهم .

أما المبحث الثالث فكان بعنوان (أساليب ذم أهل الكتاب) تنوعت معها الألفاظ القرآنية التي أبرزها السياق في طرائق ذمهم منها الذم العام (أهل الكتاب) ، والذم الخاص لعلمائهم بقوله (أوتوا الكتاب) ، وذم اليهود (بنو إسرائيل) وذم النصارى بقولهم (أنا نصارى) والتي تكشف عن نواياهم وسلوكهم مع المؤمنين لذا جعلناها موطن الدراسة والتحليل .

أما خاتمة الفصول فكانت بعنوان (بلاغية ذم الشخصيات) وكما ورد مدح

للشخصيات فقد قابله في الموازنة القرآنية ذم لها أهم ما يميزها في النظم القرآني اعتمادها على مبحثين ، الأول (أساليب ذم شخصيات في الأمم الماضية) وقدمنا لها بما يبين كل الشخصيات التي وردت اعتماداً على الجرد النظري وبيننا أهم خصائصها الذميمة على اختلاف العصور إلا أنه يجمعها ذم العقيدة ، أما المبحث الثاني فكان بعنوان (أساليب ذم شخصيات ضد الدعوة الإسلامية) ولم يرد منها تصريحاً بالكنية إلا أبو لهب تمثل في سورة قرآنية كانت نموذجاً للدراسة ، وتعرضاً بأبي جهل والأخنس وغيرهم في آيات أخرى قدمنا لها قبل الدراسة والتحليل ، ومما يتبع ذم الشخصيات الصفات العامة وأساليب أخرى جمعناها في المبحث الثالث الذي كان بعنوان (أساليب الذم العام) ثم ختمنا كل مبحث بملحق يكشف عن الأساليب البلاغية ودقة التعبير القرآني وأسواره البلاغية في تشخيص الأمراض الإجتماعية التي تتبع من الذم العقائدي وقد جعلنا في نهاية كل آية مخططاً يكشف عن الصفات الذميمة فيها ، ثم انتهى مطاف البحث بخاتمة عرضنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج ، أما مصادر البحث ومراجعته فكانت دائرةً حول كتب التفسير أهمها : الكشف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) والتفسير الكبير للرازي (ت ٦٠٦هـ) والتحرير والتنوير لابن عاشور (ت ١٩٧٢م) وفي ظلال القرآن لسيد قطب (ت ١٩٦٦م) فضلاً عن كتب اللغة والبلاغة والدراسات القرآنية التي كان لها أثرها في بلاغة السياق وقد اعتمد البحث على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي في بيان الأرقام العددية مدحاً وذمماً ، وقد اطلع البحث على رسالتين جامعتين للمجستير :

الأولى : بعنوان (ألفاظ المدح والذم في القرآن الكريم - دراسة دلالية) مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م ، ومن تذييل العنوان نجد دراستها في الألفاظ الدلالية ، قام الباحث بترتيبها حسب المعجم العربي للترتيب الهجائي .

الثانية : بعنوان (الأساليب الانشائية غير الطلبيه في أحاديث رياض الصالحين للسنوي) وهي مقدمة إلى كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢م ، وهي تختص في دراسة الحديث النبوي الشريف ، كما هو مبين من عنوانها .

ولا بد من إرجاع الفضل إلى أهله فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم شكري وخالص دعائي إلى الأستاذة المشرفة د. هناء محمود شهاب على الجهود العلمية والمعرفية

التي رفدت بها الرسالة والمناقشة البلاغية في الجانب التحليلي والتشجيع المعنوي في إبداء الأفكار فكان لها أثرها الطيب البالغ فجزاها الله عني خير الجزاء وأدام عليها العفو والعافية دوام الليل والنهار ، وكذلك شكري واعتزازي لاساتذتي في قسم اللغة العربية جميعاً على ما كان لهم من أثر طيب في البناء المعرفي والبناء الإنساني والفكري والتوجيه الذي دعاني إلى مواصلة الرحلة العلمية، أخص منهم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني على ما بدا منه من تشجيع بدء في تسجيل الموضوع والبحث فيه فجزاه الله خير الجزاء ، وفضيلة الدكتور أحمد فتحي رمضان الذي زادني رغبةً في البحث البلاغي والدراسات القرآنية منذ قبولي طالباً في الكلية للعام ١٩٩٠ م ، فجزاه الله عني خير الجزاء وأدام عليه العفو والعافية ، ختاماً نسأل الله عز وجل ان يتقبل منا ما قدمناه وان يجعله خالصاً لوجهه الكريم وان ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولست أدعي الكمال في البحث فالكمال لله عز وجل فما كان من صواب وتسديد فمن الله عز وجل وحده وما كان من تقصير وسهو فمن نفسي فإن للقرآن الكريم إعجازاً لا يدرك غوره وحسبنا ان تركنا لبنةً في الدراسات القرآنية البلاغية خدمةً للقرآن الكريم وحسب البحث انه حاول ان يمنحه طاقة العامل الضعيف إخلاصاً وصبراً وما ذلك إلا بمن من الله عز وجل وإرادته والحمد لله أولاً وآخراً وقبل كل شيء وبعد كل شيء ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [سورة الحج / ٧٨] .

الباحث

معن توفيق دحام

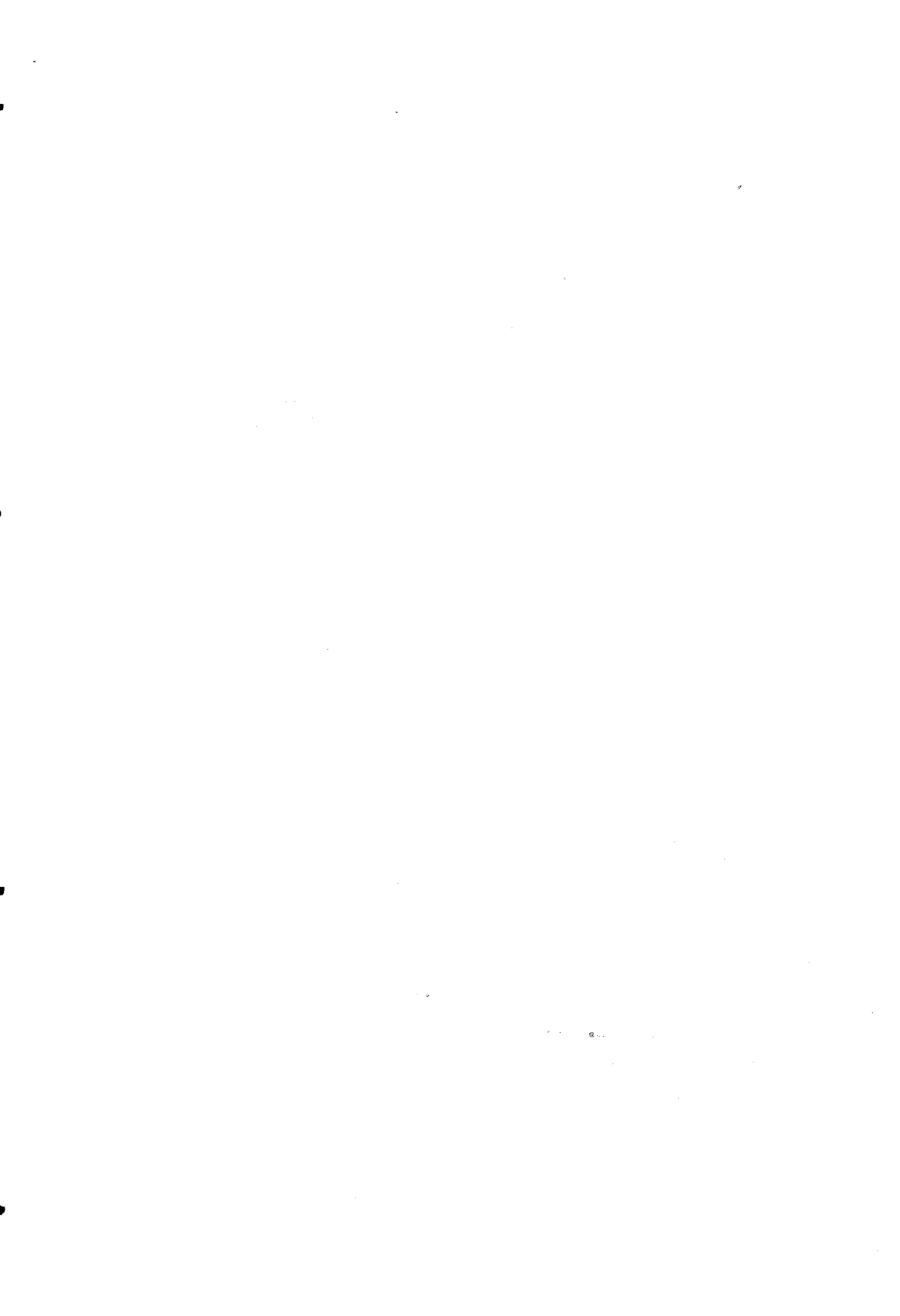


التمهيد

المدح والذم في العربية

- الأسلوب لغةً واصطلاحاً
- المدح لغةً واصطلاحاً
- الذم لغةً واصطلاحاً
- المدح والذم عند النحويين
- المدح والذم عند البلاغيين





المدح والذم في القرآن الكريم

الأسلوب (لغة-اصطلاحاً)

توطئة

قبل الوقوف عند المعنى اللغوي والاصطلاحي للمدح والذم لا بد ان نعرف دلالة المعنى اللغوي والاصطلاحي للأسلوب ، ومما يطالعنا به المعجم العربي لأصل (الأسلوب) هي السين واللام والباء وهو يدل على "أخذ الشيء بخفة واختطاف يقال سلبته ثوباً سلباً... والسلب المسلوب ، والسلوب من النوق : التي يسلب ولدها والجمع سلب..."^(١) ، ومنه "انسلبت الناقة إذا اسرعت في سيرها حتى كأنها تخرج من جلدها ، والسلب بكسر اللام : الطويل ... ويروى بالضم من قولهم : نخل سلب : لا حمل عليها وشجر سلب لا ورق عليها وهو جمع سلب"^(٢) ، وقد بين ابن منظور دلالة الأسلوب (حسباً ومعنوياً) في قوله : "ويقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، قال : والأسلوب الطريق والوجه والمذهب يقال : أتم في أسلوب سوء ويجمع أساليب ، والأسلوب الطريق تأخذ فيه .. والأسلوب ... الفن يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه..."^(٣) وقد بين الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) المعنى الاصطلاحي مستمداً من المعنى اللغوي في قوله : "الأسلوب كل شيء امتد فهو أسلوب وكأنه (افعلول) من السلب لأنه لا يخلو من المد ومنه شجر سلب : أي طويل لأنه إذا أخذ ورقة وسعفة امتد وطال وهو الفن والطريقة والجمع أساليب"^(٤) ، ومن هذا يمكن أن نقف عند معنى الأسلوب فهو "فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً تشبيهاً أو مجازاً أو كناية تقريراً وحكماً ومثالاً"^(٥) ، وهذا يرتبط مع أصالة البلاغة العربية في توخي معاني

(١) مقاييس اللغة ، لابن فارس : ٩٢/٣ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : ١٤٩/١ .

(٣) لسان العرب : ٤٧٣/١ .

(٤) الكليات/٨٣ .

(٥) الأسلوب ، أحمد الشايب /٤١ ، الأسلوبية والأسلوب ، د. عبدالسلام المسدي /٥ ،

النحو في نظرية النظم للشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بقوله: "هذا وأمر النظم في انه ليس شيئاً غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم وأنك ترتب المعاني أولاً في نفسك ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك .." (١) وهي خصلة جليلة تتميز الدراسات البلاغية بها "فالبلاغة العربية في أول أمرها قامت على التحليل ودراسة الظاهرة اللغوية والاعتناء باللفظ والمعنى وما مباحث الفصاحة إلا نواة لدراسة الصوت وتحديد أثره في المتلقي كما أن الأسلوب في مفهومه المعاصر لا يختلف كثيراً عما عرفته نظرية النظم في القدرة على استثمار اللغة في الطرائق المختلفة مع مراعاة مقتضى الحال" (٢) ، ولا يخفى ان للأسلوب صفات تبين مقصود الكلام وهي: الوضوح لقصد الفهم ووصفه بالقوة لقصد التأثير ووصفه بالجمال لأجل الامتاع أو السرور (٣) ، وذلك فيما يتعلق بالكلمة "فإذا ما درست المفردات هذه الدراسة الفنية درست الجملة في النص لإدراك سر قوتها وجمالها وهنا المجال فسيح أمام علوم البلاغة الاصطلاحية التي تدرس أسباب الجمال في تكوين الجملة العربية فتبحث لم قدم هذا الجزء من الجملة ولم آخر ذلك ولماذا حذف هنا وأثبت هناك... " (٤) ، هذا وان للقرآن الكريم أسلوباً في انتقاء الألفاظ الدالة على المعاني التربوية والإرشادية "فإن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويتميز به في تصرفه من أساليب الكلام المعتاد" (٥).

٣٤ ، مقالات في الأسلوبية ، د. منذر عياشي / ١٧٩.

(١) دلائل الإعجاز / ٤١٦ ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبدالقادر حسين / ٣ ، عبدالقاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم / ١٢٨.

(٢) ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة ، عبدالعزيز (رسالة دكتوراه - مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ١٩٩٩) / ٢١ ، ٢٠٢.

(٣) الأسلوب / ١٨٥.

(٤) من بلاغة القرآن ، د. أحمد بدوي / ١ ، نظرية إعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني ، محمد فقيهي / ٢٤٥-٢٤٦.

(٥) إعجاز القرآن ، الباقلائي / ٣٥ ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى الرفاعي / ١٦١ ،

المدح لغة

بالرجوع إلى المعجم العربي نجد جذر الفعل (م ، د ، ح) "يدل على وصف محاسن بكلام جميل ، ومدحه يمدحه مدحاً : أحسن عليه الثناء ، والامدوحة : المدح..."^(١) ، وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ) هو : "الثناء الحسن وقد مدحه وامتدحه بمعنى وكذلك المدحة والمديح والامدوحة ، وتمدح الرجل : تكلف ان يمدح ، ورجل ممدح : ممدوح جداً..."^(٢) ، ومن المعاني الحسية للمدح الاتساع يقال : "امدح بطنه : لغة في اندح : إذا اتسع وتمدحت خواصر الماشية أي اتسعت شبعاً مثل تندحت ... يروى بالدال والذال جميعاً"^(٣) . فالمدح هو الثناء خلاف الذم ، وفرق ابن منظور (ت ٧١١هـ) بين المدح والمدحة بقوله : "ان المدح : المصدر ، والمدحة الاسم والجمع مدح وهو المديح ، ... والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والامدوحة..."^(٤) ، ومن هذا يبدو ان المعنى المعنوي للمدح متطور من المعنى الحسي لأن الاتساع بذكر الخصال الحميدة في الممدوح المخاطب والثناء عليه ملحوظ فيه ، فهو نوع من الإطناب .

المدح اصطلاحاً

قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : "المدح هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً"^(٥) ، أو بعبارة أخرى هو : "ذكر مناقب شخص أو هيئة إجتماعية أو مزايا عمل من الأعمال في خطاب علني ثراً أو شعراً"^(٦) ، ونجد عند الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ضوابط لحد المدح - ضمن فيها المادح والممدوح - انه لا يكون إلا

(١) مقياس اللغة : ٣٠٨/٥ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية : ٤٠٣/١ ، القاموس المحيط : ٢٤٨/١ ، اساس البلاغة / ٨٨٦ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية : ٤٠٤/١ .

(٤) لسان العرب : ٥٨٩/٢ .

(٥) التعريفات / ١١٦ .

(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : ٣٤٣ .

قبل النعمة فقال : "المدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقاً سواء كان من الفواضل أو الفضائل ... ولا يكون إلا قبل النعمة ولهذا لا يقال مدحت الله إذ لا يتصور تقدم وصف الإنسان على نعمة الله بوجه من الوجوه لأن نفس الوجوه نعمة من الله تعالى" (١) ، وقد جعل المدح يقابله الهجو والذم بضابط الأمر الممتدح به ، فالمدح "بمعنى عد المآثر والمناقب يقابله الهجو بمعنى عد المثالب ، والمدح بالوصف الجميل يقابله الذم" (٢) ، وأما ما يتعلق بالمادح فالضابط هو الرضى و "المدح زيادة على الرضى وقد يرضى المرء عن الشيء وان لم يمدحه" (٣) ، ويذكر ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) بلاغة الألفاظ عند المادح فهو " يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وان يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل... " (٤) بغير فائدة.

والذي يبدو للبحث ان المدح هو الثناء باللسان على فعل الممدوح بما يديه من المآثر والخصال الحميدة المؤثرة في الناظر فتخرج الأفعال من نقيضه وهو الذم والهجاء ، وعند المادح فهي زيادة على الرضى فيما يستحسن أي ما يرضاه ومن هذا يتشكل أسلوب المدح بأركانه الثلاثة (المادح والممدوح والأمر الممتدح به) بحيث " يجري الوصف اللغوي على المستوى النحوي عادة بموجب التحليل إلى المكونات... " (٥) ، ويمكن أن نجعله في المثلث الخطابي* ابتداءً بالمادح الذي يثيره في الممدوح صفات أو خصال ليتوجه إليه في إبرازها لتكون الأمر الممتدح به أي ان مدح الفعل يكون ترغيباً فيه بمدحه ومدح الفاعل بفعله حثاً عليه (٦) ، كما في المخطط الآتي:

(١) الكليات / ٨٥٧.

(٢) م ، ن / الصفحة نفسها.

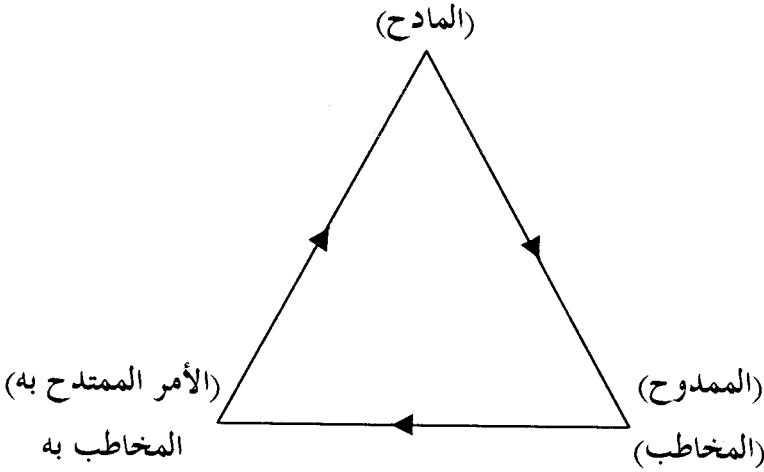
(٣) الكليات / ٨٥٧.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ١٢٨/٢.

(٥) السبى النحوية ، نعوم وجومسكي / ٣٧ ، ٥١ ، مباحث في علم اللغة واللسانيات ، د. رشيد العبيدي / ٣٩.

(*) وهذا يقابل القاعدة النحوية (فعل المدح + الفاعل + المخصوص بالمدح).

(٦) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، السلمي / ٢٠٧.



وأفعال أسلوب المدح "في اللغة العربية موضوعة لإنشاء المدح فجملها إنشائية لا خبرية وهي : نعم - حب - حبذا - وتميز بانه لا بد لها من مخصوص للمدح وانها جامدة لا تتصرف ولا تدل على حدث مرتبط بالزمان"^(١).

الذم لغة

عرفنا ان المدح في اللغة نقيض الذم ، وكذلك الذم فهو : "نقيض المدح ، يقال : ذمته فهو ذميم ... وأذمته : أي أجاره وأذمه : أي وجده مذموماً ... واذم به : تهاون ، وأذم الرجل : أتى بما يذم عليه ... ورجل مذمم أي مذموم جداً ... وشيء مذم أي معيب"^(٢) ، فهو يدل على صفات خلاف الحمد، ومن المعاني الحسية للذم القلة وتخلف الابل وتأخرها ، قال ابن منظور : "وبئر ذمة وذميم وذميمة قليلة الماء لأنها تدم ... وأذمت ركاب القوم إذماماً أعيت وتخلفت وتأخرت عن جماعة الابل ولم تلحق بها

(١) الشامل في علوم اللغة / ٨١٩ ، الزمن في النحو العربي د.كمال إبراهيم / ٤٩ .

(٢) تاج اللغة : ١٩٢٥-١٩٢٦ .

فهي مذمة...^(١) ، وعده الزمخشري من المجاز بقوله : " ومن المجاز : أذمت ركاب القوم : تأخرت كلالاً .. وأذم المكان : أجذب وقل خيره ..."^(٢) ، ويأتي الذم في اللغة أيضاً بمعنى المخاط والبول الذي يذم^(٣) .

إذ يمكن أن ندرك ان المعاني الحسية دائرة حول النقص والقلة أو ما يعيب الأشياء إذا كانت مذمة أو فيها خلل أو عيب أو استقذار من النفس.

الذم اصطلاحاً

قال الكفوي : " والذم لا يستعمل إلا لإظهار سوء بقصد التعيب"^(٤) ، لأن الصفات الذميمة سيئة عند المخاطب مؤثرة فيه ظاهرة على لسانه مدعاة للعب وذم صاحبها ، وقد يراد من الذم معنى النصح على خلاف الصفات الذميمة فيكون نصحاً ان استبدالها بصفات حميدة ، قال الكفوي : " والذم قد يعبر به عما يقدم عليه بقصد النصح"^(٥) ، وهذا يتشكل أسلوب الذم الذي يقابل المدح بأركانه الثلاثة (جهة الذم والمذموم والأمر المذموم به) ، ويمكن أن نجعله في المثلث الخطابي^(*) باعتبار المتكلم نحو المخاطب لإقرار الأمر المذموم به أي ذم الفعل تنفيراً منه وذم الفاعل بفعله تقييحاً منه^(٦) كما في المخطط الآتي:

(١) لسان العرب : ١٢ / ٢٢٠ .

(٢) اساس البلاغة / ٣٠٣ .

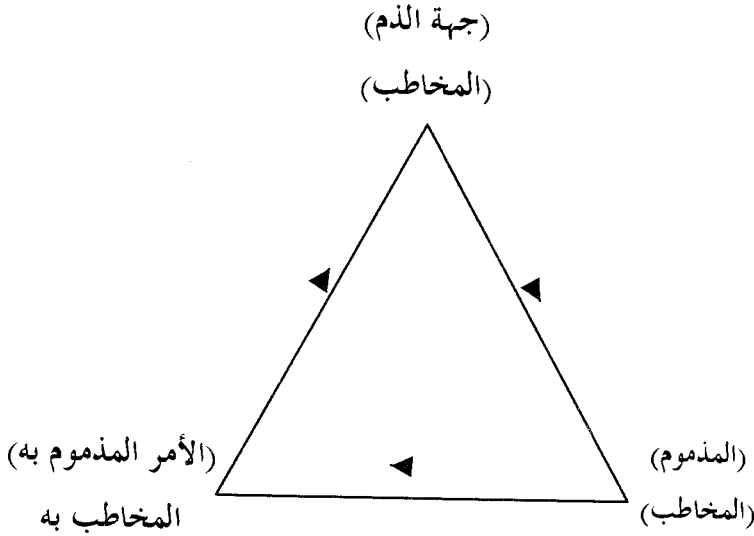
(٣) تاج اللغة : ٥ / ١٩٢٥ ، مقاييس اللغة : ٢ / ٣٤٧ .

(٤) الكليات / ٤٥٤ .

(٥) الكليات / ٤٥٤ .

(*) وهذا يقابل القاعدة النحوية (فعل الذم + الفاعل+المخصوص بالذم).

(٦) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز/ ٢٠٨ .



المدح والذم عند النحويين

يصنف النحاة الأفعال في كتبهم وما يتعلق بها ، ويندرج أسلوب المدح والذم معها ، باعتبار "ما وقع من الأفعال للجنس على معناه وتلك الأفعال . "نعم-بئس..."^(١) ، وكذلك من خصائص الأفعال انها "تقدم لأن معانيها أهم وهي المقصودة بالذات من الجمل الداخلة عليها"^(٢) ، وان كان في المسألة خلاف ، فالبصريون يعدونها فعلين ، والكوفيون اسمين ، وقد ذكرها ابن الأنباري في المسألة (١٤) فقال : "ذهب الكوفيون إلى أن (نعم-بئس) اسمان مبتدآن ، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان..."^(٣) ، ثم عرض أدلة كل فريق^(*) ، ورد آراء الكوفيين في اسمه (نعم-بئس)

(١) المقتضب : ١٤٠/٢ .

(٢) أصول البلاغة / ١٠٠ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف : ٩٧/١ ، معاني النحو ، د.فاضل : ٦٦٩/٤ .

(*) أدلة البصريين "الإنصاف" : ١١٢/١-١٢٠ ، وأدلة الكوفيين ، م ، ن : ٩٧/١-١٠٤ .

بقوله : "فلا يكون فيه دليل على الاسمية فدل على أنهما فعلان لا اسمان والله أعلم"^(١) ، والذي يبدو للبحث "ان أدلة البصريين أقوى وأشد أسراً من نواح شتى"^(٢) ، وذكر سيبويه الأصل الذي وضعنا (نعم-بئس) لأجله وهو الرداءة والصلاح فقال : "وأصل (نعم-بئس) وهما الأعلان اللذان وصفا في الرداءة والصلاح ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى..."^(٣) ، وقد عبر الزمخشري عن وضعهما بأنه المدح العام والذم العام^(٤) ، ولأفعال المدح والذم (نعم-بئس) في الدرس النحوي استعمالان:

الأول : ان يستعملا متصرفين كسائر الأفعال للاخبار بالنعمة والبؤس.

الثاني : ان يستعملا لإنشاء المدح والذم وهما جامدان لا يتصرفان لخروجهما عن الأصل في إفادة الحدث والزمان^(٥) ، فهما غير متصرفين للزومهما لإنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة "والإنشاء من المعانسي التي حقها ان تؤدي بالحروف والحروف لا تتصرف فهذه علة جمودهما"^(٦) ، ويفسر ابن الحاجب كيفية إنشاء المدح بـ (نعم) فيقول : "اذا قلت نعم الرجل زيد إنما تنشئ المدح وتحدثه بهذا اللفظ وليس المدح موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة مقصوداً مطابقة هذا الكلام إياه حتى يكون خبراً بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الحاصلة خارجاً..."^(٧) ، ويذكر د. مصطفى الصاوي العلة النحوية بقوله "لأن نعم موضوعة لغاية المدح وبئس موضوعة لغاية الذم فجعل دلالتها على الزمان مقصوراً على الآن لأنك إنما تمدح وتذم بما هو موجود في الممدوح والمذموم لا بما سيكون في المستقبل"^(٨) ، ومما يلزم أسلوب المدح والذم عند النحاة

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف : ١٢٦/١ .

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي / ١٠٠ .

(٣) سيبويه : ١٧٩/٢ ، وذكر ان فيها أربع لغات : فَعِل ، فَعِل ، فَعِل ، فَعِل ، م ، ن : ١٧٥/٢ وان أصلهما (فعل) وهي لغة بني تميم ، م ، ن : ١١٦/٤ ، شرح الكافية ، لرضي الدين : ٢٩٠/٢ .

(٤) المفصل في علم العربية / ٢٧٢ ، شرح المفصل : ١٢٧/٧ .

(٥) حاشية الصبان : ٢٦/٣ ، شذا العرف في فن الصرف / ٥٦ ، دروس التصريف : ٢٠٧/١ .

(٦) الأساليب الإنشائية في النحو العربي / ١٠٠ .

(٧) الكافية في النحو / ٣١١ ، كتاب الواضح ، الزبيدي / ٩٦ ، أسرار النحو / ٢٥٧ .

(٨) البلاغة العربية تأصيل وتجديد / ٦١ . العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث / ٩٧ .

ذكر مسألتين :

"أحدهما : الاسم الذي يستحق به المدح والذم ، والآخر : الممدوح والمذموم ، وذلك قولك : نعم الرجل زيد ، وبئس الخادم غلامك ، فالاسم الذي يستحق به المدح هو الاسم الذي تعمل فيه نعم أو بئس ..."^(١) ، ولفاعل (نعم-بئس) ضوابط في الدرس النحوي وهي أن يكون اسماً معرفاً بالألف واللام أو مضافاً لما فيه (ال) أو مضمراً مستتراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز^(٢) ، ويضم فاعل (نعم-بئس) دون حبذا "لأن نعم وبئس كثرتا فاستعمل فيهما ما هو أخصر لوجوب الاستتار ولأجل الاختصار التزموا الافراد حتى يؤدي إلى زيادة لفظ عند الإبراز بخلاف حبذا فإنه لم يكثر..."^(٣).

ومما يميز أفعال المدح والذم (نعم-بئس) من غيرها انها "بخلاف بقية الأفعال يتطلبان اسماً مخصوصاً بالمدح أو الذم"^(٤) ، وله علاقة بأن "يصلح لجعله مبتدأ وجعل الفعل والفاعل خبراً عنه نحو : نعم الرجل زيد ... وفي إعرابها وجهان مشهوران : أحدهما : انه مبتدأ والجملة قبله خبر عنه.

والثاني : انه خبر لمبتدأ محذوف وجوباً ، والتقدير : هو زيد ... أي الممدوح زيد..."^(٥).

ومن هذا يبدو ان المخصوص بالمدح أو بالذم " لا يكون إلا من جنس المذكور بعد نعم وبئس كعبدالله وزيد ونحوهما من الرجال ..."^(٦) ، وله ضوابط عند النحاة في مصنفاتهم ، قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) : "وشرطه أي شرط المخصوص مطابقة الفاعل ... وشرط المخصوص ايضاً ان يختص لأنه للتخصيص بعد الإهام فلا يجوز :

(١) الكتاب : ١٧٥/٢-١٧٦ ، شرح المفصل : ١٣٠/٧ ، ١٣٦ ، التأويل النحوي في القرآن الكريم : ٢٥٢/١ .

(٢) المقتضب : ١٤١/٢ ، المفصل في علم العربية / ٢٧٣ ، شذور الذهب / ١٥١ .

(٣) كتاب الامالي النحوية / ٣١٩ ، القواعد الاساسية للغة العربية ، أحمد الهاشمي / ٣٢٣ .

(٤) المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها : ٨٣/٣ ، معاني النحو : ٦٧٠/٤ .

(٥) شرح ابن عقيل : ١٦٧/٣ ، البهجة المرضية / ٣٦ .

(٦) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح : ٣٦٩/١ ، كتاب الفصول في العربية ، لابن المبارك / ٥٤ ،

المقتطف في النحو والصرف / ١٣١ .

نعم الإنسان رجل إلا أن تصفه بما يرفع الجهالة^(١)، وتكون المطابقة في الجنس والإفراد والتشبية والجمع والتذكير والتأنيث ، وكذلك فلا يجوز بالإجماع تقدم المخصوص على الفاعل فلا يقال : نعم زيد الرجل، ويجوز تقدم المخصوص على الفعل والفاعل نحو : زيد نعم الرجل ، ومنه قوله تعال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص/٤٤] ، أي أيوب عليه السلام^(٢) ، إذا دل عليه دليل أو كان معلوماً عند المخاطب ، وهذا الحذف يقع باطراد في الكلام بأسره بحيث لا يبقى في الجملة منه فضلة أو عمدة ومنها حذف المخصوص بالمدح أو بالذم كما ذكر ابن هشام الأنصاري^(٣) ، ومن الألفاظ التي تدل على المدح "حبذا" فانها كانت في الأصل : حبذا الشيء ، لأن "ذا" اسم مبهم يقع على كل شيء فانما هو حب هذا ... ثم جعلت (حب) و (ذا) اسماً واحداً فصار مبتدأ^(٤).

ويلحق الفعل ساء في الذم (بئس) " فلا يكون فاعلها إلا ما يكون فاعلاً لبئس وهو المحلى بالألف واللام... والمضاف إلى ما فيه الألف واللام... والمضمر المفسر بنكرة بعده... ويذكر بعدها المخصوص بالذم..."^(٥) ، وألحق النحاة في الدلالة على المدح والذم كل فعل ثلاثي صالح للتعجب منه فيجوز استعماله على وزن (فعل) بضم العين أما أصالة كظرف وشرف أو بالتحويل كفهم وضرب بشرط تضمينه معنى التعجب ، وتأخذ حكم الفاعل والمخصوص بالمدح أو الذم^(٦) ، وعد أحد الباحثين أسلوب المدح والذم من أساليب التوكيد^(٧) ، ومن هذا يتبين لمسار البحث في المكتبة

(١) الكافية في النحو : ٣١٨/٢ ، أسرار النحو / ٢٥٩.

(٢) قطر الندى / ٢١١ ، جامع الدروس العربية / ٨٢.

(٣) مغني اللبيب : ٦٤٩/٢ ، أصول التفكير النحوي / ٣٠٠.

(٤) المقتضب : ١٤٥/٢ ، كتاب اللمع في العربية ، لابن جني / ١٤٠ ، المنجد في الاعراب والبلاغة والاملاء/ ١٦٧.

(٥) شرح ابن عقيل : ١٦٨/٣ ، النحو الوافي : ٣١٤-٣١٥.

(٦) الكافية في النحو : ٣١٨/٢ ، الأساليب الانشائية غير الطلبية في أحاديث رياض الصالحين للنووي ، أحمد (رسالة ماجستير - مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ٢٠٠٢) / ٨٣.

(٧) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي / ٢٢٩ ، ٢٧١.

النحوية ضمن قاعدة أسلوب المدح والذم ان النحاة قد جمعه في (أربع) مسائل:

الأولى : فعلا المدح والذم (نعم - بئس).

الثانية : ما يخص فاعلهما.

الثالثة : ما يتعلق بالاسم المرفوع بعدهما (المخصوص بالمدح أو بالذم).

الرابعة : ما يلحق (نعم - بئس) أو ما يجري مجراها.

المدح والذم عند البلاغيين

ينقسم الكلام عند البلاغيين إلى قسمين : أما الخبر واما الإنشاء ، فما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب فهو الإنشاء الطلبي ، وهو على خمسة أضرب : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء ، وما لا يستدعي مطلوباً فهو الإنشاء غير الطلبي^(١) ، وله أساليب مختلفة منها (صيغ المدح والذم) المتمثلة بـ(نعم-بئس) ، والأفعال المحولة إلى (فعل) مثل (كبر) كقوله تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ... ﴾ [سورة الكهف/٥] ، أي ان قيل : نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، فهو إنشاء لا يستدعي شيئاً ففي توظيف (نعم-بئس) عند المتكلم فهو " لا يطلب هذه الصور شيئاً أكثر من تأثير المخاطبين...."^(٢) ، والإنشاء غير الطلبي ليس مدار البحث عند البلاغيين لأن أكثر صيغه هي في أصلها اخبار^(٣) ، وتابعهم المحدثون في ذلك^(٤) ، فلا يشغل المدح والذم عند أهل المعاني حيزاً في الدرس البلاغي باعتبار ان أغلب صيغه في حقيقتها اخبار.

ويتحدث العلوي عن أسلوب المدح والذم بذكر ما يتعلق بالإضمار من مسائل وذكر منها إضمار الفاعل مع أفعال المديح والذم (نعم-بئس) ويفسره بلاغياً بقوله : "وهو انما أضمر على جهة المبالغة في المدح والذم وهو من الباب الذي أهم ثم فسر

(١) مفتاح العلوم /١٤٥، الإيضاح /٧٨، معجم المصطلحات البلاغية : ٣٣٢/١.

(٢) بحوث المطابقة لمقتضى الحال : ٤٨/٢ ، البلاغة فنونها وأفانها : ١٤٧-١٤٨.

(٣) التلخيص /١٥١ ، مختصر المعاني ، سعد /١٢٩ ، من بلاغة النظم القرآني : ٧١/٢.

(٤) علم المعاني د. درويش الجندي : ٣٣-٣٤ ، المعاني في ضوء أساليب القرآن : ١٦٥ ، المعاني

الثانية في الأسلوب القرآني/٩٩ ، دلالات التراكيب /٢٠٠-٢٠١ ، المدخل إلى دراسة البلاغة

العربية /٢٠٢-٢٠٣.

فتوجه البلاغة فيه من حيث كان مبهماً فكان للأفئدة تطلع إلى فهمه وللقلوب تعلق به ولها غرام بإيضاحه...^(١) ، ومما يلحظ في الدرس البلاغي ان أسلوب المدح والذم يأخذ حيزاً أكبر عند أهل البديع باعتبار المحسنات المعنوية بما يعرف بـ(تأكيد المدح بما يشبه الذم)^(*) و (تأكيد الذم بما يشبه المدح) تحت درس بلاغي واحد وهو "بناء حكم معنوي موهم بخلاف المقصود ثم الاستثناء منه بما يثبت غرض المتكلم"^(٢) ، وعرفه البلاغيون القدماء كأبي هلال العسكري بـ"الاستثناء"^(٣) ، وكذلك ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦) ^(٤) ، ويبدو ان "الاستثناء"^(**) مصطلح أقرب إلى الدرس النحوي منه إلى الدرس البلاغي وان كان قائماً عليه أي هو : "قائم على نفي صفة ذم أو صفة مدح ثم يستثنى صفة ، كقوله تعالى : "لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قليلاً سلاماً سلاماً"^(٥) ، فهو تأكيد لمدح صفة بعد مدح صفة من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو كقولهم : هم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم"^(٦) ، وهو ينقسم إلى قسمين :
القسم الأول : وهو أفضلهما وهو ان يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح كقول النابغة الذبياني^(***) :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب^(٧)

- (١) الطراز : ١٤٣/٢ ، تعاقب الظاهر والمضمر في القرآن الكريم ، عائشة (رسالة ماجستير - مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ٢٠٠١/٢٠١٣) .
(*) أول من أشار إليه وسماه ابن المعتز ، كتاب البديع / ٦٢ .
(٢) البلاغة والتطبيق / ٤٤٦ .
(٣) كتاب الصناعتين / ٤٠٨ ، فنون بلاغية / ٣٠٧ .
(٤) العمدة : ٤٨/٢ - ٤٩ .
(**) ويمكن أن يكون "الاستثناء" بالاستدراك بـ(لكن) التي تقوم مقام أداة الاستثناء جواهر البلاغة / ٣٨٢ ، شواهد وفرائد القرآن الكريم شاهد ، د. حمزة / ٣٨ .
(٥) البلاغة والتطبيق / ٤٤٦ .
(٦) نهاية الإيجاز / ١٤٨ .
(***) ديوان النابغة الذبياني / ٥١ .
(٧) كتاب البديع / ٦٢ ، البلاغة الاصطلاحية / ٢٩٢-٢٩٣ ، مذكرات في البلاغة / ٦١-٦٢ .

فليس فلول السيوف من العيب لأنه محال ، فهو كناية عن كمال الشجاعة^(١) ، وقد علل القزويني أفضليته بقوله : "أفضلهما ان يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها...". ومثل بقول النابغة^(٢) ، فالعلة البلاغية فيه انه مدح على مدح فهو : أمهى وأفخم أنواع المدح ولعل السر النفسي لذلك فيما يظهر هو ما في هذا الأسلوب من معنى المباغته والمفاجأة التي تكسبه طرافة وتثير حوله تنبيهاً...^(٣) ، ولقد بين القزويني النكته البلاغية فيه بأن "التأكيد من وجهين :

أحدهما : انه كدعوى الشيء بيينة

القسم الثاني : ان الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً فاذا نطق المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل ان يتعلق بما بعدها ان ما يأتي بعدها مخرج عما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً وهذا ذم فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح وان كان فيه نوع من الخلابة....^(٤).

والثاني : ان يثبت صفة مدح ويأتي بعدها بأداة استثناء تتبعها صفة مدح أخرى

كقول النابغة الجعدي:

فتي كملت أخلاقه غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا^(*)

والعلة البلاغية فيه ان التأكيد فيه من الوجه الثاني أي ان "هذا النوع أقل من الأول في الجمال والحسن لأنه أفاد التأكيد من جهة واحدة وهي ان ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التأكيد من جهة انه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل كما في النوع الأول"^(٥) ، وهناك قسم ثالث ذكره القزويني بقوله : "وهو ان يأتي الاستثناء فيه مفرغاً كقوله تعالى :

(١) التلخيص / ٣٨٠ ، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء البياتي / ٤٥٠-٤٥١ .

(٢) الإيضاح / ٢١١ ، حاشية الدسوقي على شرح السعد : ٣٨٨/٤ .

(٣) البديع في ضوء أساليب القرآن / ٨٤ ، البلاغة العربية ، د. محمد عبدالمطلب / ٣٩٠ .

(٤) الإيضاح / ٢١١ ، شرح التلخيص / ٦٥٤ .

(*) ديوان النابغة الذبياني / ١٠٢ .

(٥) البديع في ضوء أساليب القرآن / ٨٥ ، علم البديع ، عبدالعزيز عتيق / ١٦٢ .

﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا ﴾ [سورة الأعراف / ١٢٦] أي وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله...^(١) والذنم الآخر : "تأكيد الذم بما يشبه المدح" وهو أيضاً يقوم على الاستثناء كالذنم البلاغي السابق ، وهو قسمان :

"أحدهما : ان يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها ، كقولك : فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه ، وثانيهما : ان يثبت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل"^(٢) ، لذا يعد باب (نعم-بئس) من طرق الإطناب لأن ذكر المخصوص بمنزلة البيان بعد الإجمال^(٣) ، وقد ذكر شهاب الحلبي (ت ٧٢٥هـ) مصطلحاً آخر وهو "الذم في معرض المدح" وبينه بقوله: "وهو ان يقصد المتكلم ذم إنسان فيأتي بالفاظ موجبة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم انه يمدحه وهو يهجو"^(٤) ، ومن المحسنات المعنوية التي يندرج تحتها مفهوم المدح والذم (التسجيل) ويعرفه العلوي (ت ٧٤٩هـ) بقوله : "وهو عبارة عن تطويل الكلام لإفادة مدح أو ذم ومثاله الآيات الواردة في عبدة الأوثان والأصنام فإن الله تعالى ما ذكرهم إلا وسجل عليهم بالنعي لأفعالهم والذم لمقاتلتهم .. كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ... ﴾ (سورة الأعراف / ١٩٤) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ... ﴾ [سورة الحج / ٧٣] ، فهذا كله مثال في تسجيل الذم ، وإما التسجيل في المدح فكالأوصاف التي ذكرها الله وأطنب في شرحها في حق أهل الإيمان كالأيات التي في فواتح سورة البقرة في صفة المتقين ، والآيات التي في صدر سورة المؤمنين فهذا كله معدود في التسجيل"^(٥).

(١) الإيضاح / ٢١١-٢١٢ ، البلاغة الاصطلاحية / ٣٣٦.

(٢) الإيضاح / ٢١٢ ، البلاغة العربية ، د. أحمد مطلوب / ٣٠٣ ، معجم البلاغة العربية : ٣٦/١.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٤ / ٢٤٨.

(٤) حسن التوسل إلى صناعة التوسل / ٣٠١.

(٥) الطراز : ٣ / ٣٦٣.

وقد ذكر القزويني من المحسنات المعنوية "الاستبعا" وهو "المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول أبي الطيب:

نهبت من الأعمار ما لوحويتها
لهنت الدنيا بأنك خالد^(*)

فان مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث اعمارهم لخلد في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها...^(١) ، وكذلك مما ينطوي ذكر المدح فيه (الادماج) إذ هو ان يضمن كلام سبق لمعنى مدحاً كان أو غيره^(٢) أو "هو ان يجمع مدحاً بمدح أو هجواً بهجو أو معنى بمعنى...^(٣) ، وهو أعم من الاستبعا لا اختصاصه بالمدح^(٤) ، ومن المحسنات المعنوية ما يذكر المدح والذم فيها (المغايرة) "وهي مدح الشيء بعد ذمه أو عكسه"^(٥) ، وكذلك (التفريق) "وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع في مدح أو غيره...^(٦) ، وكذلك موضوع (التوجيه) وهذا لإيراد الكلام محتملاً لمعنيين مختلفين على السواء كالممدوح والذم^(٧) ، ومن المحسنات المعنوية (الاطراد) الذي هو ذكر أسماء الممدوح وأسماء من يمكن ذكرهم من آبائه على ترتيب الولادة كحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم"^{(٨)(*)} ، وقد وضع ابن نايقا قاعدة تميز المدح من الذم في بلاغة التشبيه بقوله : "القاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى ، وفي الذم

(*) شرح ديوان المتنبي : ٣٩٩/١ .

(١) الإيضاح / ٢١٢ ، مواهب الفتاح : ٣٩٦-٣٩٧/٤ ، المسلك الوديع إلى علم البديع / ٢٨ .

(٢) الإيضاح / ٢١٢-٢١٣ ، عروس الافراح : ٣٩٨/٤ .

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن / ٢١٥ .

(٤) نيل الأماني بشرح جواهر البيان والبديع والمعاني / ٢٣٠ ، علوم البلاغة المراغي / ٣٢٢ .

(٥) جواهر البلاغة / ٣٨٠ .

(٦) شرح التلخيص / ٦٣٣ .

(٧) نيل الأماني بشرح جواهر البيان والبديع والمعاني / ٢٣١ .

(٨) حسن التوسل إلى صناعة الترسل / ١٢٧ ، المسلك الوديع إلى علم البديع / ٣٢-٣٣ .

(*) صحيح البخاري ، رقم الحديث (٤٦٨٨) ٤٤٢/٢ ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ،

ونسنتك : ٣/٦ .

تشبيه الأعلى بالأدنى لأن الذم مقام الأدنى والأعلى طارئ عليه ، فيقال في المدح :
حصى كالياقوت وفي الذم ياقوت كالزجاج... ومنه... (أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) أي
في سوء الحال أي لا نجعلهم كذلك...^(١) وهذا تشبيه مقلوب .

المدح والذم في القرآن الكريم

يشغل أسلوب المدح والذم في القرآن الكريم مساحة واسعة توزع في السور
المكية والمدنية ، إذ لا تكاد تخلو آية منه ففي الاستعاذة ذم للشيطان بقوله (الرحيم) وفي
البسملة مدح للرحمن بقوله (الرحمن الرحيم) ، إذ "في اللغة ألفاظ وأساليب كثيرة تدل
على المدح والذم بعضها يؤدي هذه الدلالة صريحة لأنه وضع لها من أول الأمر نصاً
وبعضها لا يؤديها إلا بقرينة فمن الأولى : إمدح ، وأثني ... وغيرها من ألفاظ المدح
والذم الصريحين ، ومن الثانية : وفرة لا تكاد تعد في مقدمتها : أساليب النفي والاستفهام
والتعجب والتفضيل ونحوها فانها قد تضم إلى معناها الخاص دلالتها على المدح والذم
بقرينة...^(٢) ، والعرب إذا أرادوا ان يمدحوا إنساناً قالوا : كان والله رجلاً ، وتسكت
عن صفاته اعتماداً على التنعيم وفيه بلاغة تعظيم الممدوح وإضفاء الصفات التي يتصف
بها من شجاعة أو كرم أو خلاف ذلك^(٣) .

وهي تعتمد على مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي يرشحه السياق ، وهذا قائم
في القرآن الكريم ، فعلى هذا نجد أسلوب المدح والذم في القرآن الكريم إما أن يكون
قياسياً كما هو معروف ، وإما أن يكون سياقياً وهو الغالب في التعبير القرآني للكشف
عن أسرار وبلاغية السياق عن المعاني ، وقد ورد فعل المدح (نعم) في (سنة عشر)
موضعاً ووردت (نعماً) في موضعين وكما هو مبين في الجدول :

(١) الجمان في تشبيهات القرآن/٥٧ .

(٢) النحو الوافي ، عباس حسن : ٢٩٨/٣ ، النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم ، د. محمود
سليمان ياقوت /٣٠٨ ، ٣١١ .

(٣) الخصائص : ٣٧٢/٢ ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي /
١٣٢ ، التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، سير العزاوي /٥٠ .

ت	الآيات القرآنية	السورة	سياقها في المدح	المختص
١	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ	البقرة/ ٢٧١	في المعاملة (الإفناق)	إبداء الصدقات
٢	وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ	آل عمران/ ١٣٦	في الثواب	الجنة
٣	وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ	آل عمران/ ١٧٣	في العقيدة	الله عز وجل
٤	إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ	النساء/ ٥٨	(الأمانة-العدل)	اداؤها والحكم
٥	فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ	الأنفال/ ٤٠	في العقيدة	الله عز وجل
٦	فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ	الرعد/ ٣٤	تخصيص المكان	الجنة
٧	وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ	النحل/ ٣٠	تخصيص المكان	الجنة
٨	نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا	الكهف/ ٣١	في نعيم الجنة	الجنة
٩	هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ	الحج/ ٧٨	في العقيدة	الله عز وجل
١٠	وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ	العنكبوت/ ٥٨	في الثواب	الجنة
١١	وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ	الصفات/ ٧٥	مع الأنبياء	الله عز وجل
١٢	وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ	ص/ ٣٠	مع الأنبياء	سليمان عليه السلام

١٣	إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ	ص/٤٤	مع الأنبياء	أيوب عليه السلام
١٤	مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ	الزمر/٧٤	في الثواب	الجنة
١٥	وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ	الذاريات/٤٨	في القدرة والعظمة	الله عز وجل
١٦	فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ	المرسلات/٢٣	في قدرة خلق الإنسان	الله عز وجل

والذي يجمع معاني المدح بـ (نعم) (ثلاث) مسائل:

الأولى : مدح في الجانب العقائدي تمثل بالاعتصام بالله عز وجل والتوكل عليه ، وهذا يتبعه بيان عظمة الله عز وجل على الخلق فيما خلق.

الثانية : مدح في جانب المعاملات تمثل في الانفاق وأداء الأمانة وإقامة العدل

الثالثة : مدح عام في حسن العاقبة ، ومدح أجر العاملين المتقين بالثواب العظيم

"ففيه القرآن الكريم على أن هذا الثواب إنما كان نتيجة العمل"^(١) ، تبعه مدح المكان (الجنة) وما فيها.

أما ما يقابله في الذم فقد ورد الفعل (بئس) في (سبعة وثلاثين) موضعاً ، ووردت

(بئسما) في (ثلاثة) مواضع ويمكن أن نلاحظ ذلك في الجدول الآتي:

(١) ألفاظ الثواب في القرآن الكريم ، عماد (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة

الموصل - ١٩٨٧) / ٧٩.

ت	الآيات القرآنية	السورة	سياقها في الذم	المختص
١	بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ	البقرة/ ٩٠	في العقيدة	الشراء الذميمة
٢	قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ	البقرة/ ٩٣	في العقيدة	قتل الأنبياء
٣	وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ	البقرة/ ١٠٢	فتنة السحر	الشراء الذميمة
٤	وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	البقرة/ ١٢٦	سوء العاقبة	جهنم
٥	فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ	البقرة/ ٢٠٦	سوء عاقبة المنافق	جهنم
٦	جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	آل عمران/ ١٢	سوء عاقبة الكافر	جهنم
٧	وَمَا أَوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ	آل عمران/ ١٥١	سوء عاقبة الظالم	النار
٨	وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	آل عمران/ ١٦٢	سوء عاقبة من سخط الله عليه	جهنم
٩	فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ	آل عمران/ ١٨٧	في العقيدة	الشراء الذميمة
١٠	وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	آل عمران/ ١٩٧	سوء العاقبة	جهنم
١١	لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	المائدة/ ٦٢	في العقيدة	العمل
١٢	لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	المائدة/ ٦٢	في العقيدة	الصنع
١٣	لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ	المائدة/ ٧٩	في العقيدة	الفاعل

ت	الآيات القرآنية	السورة	سياقها في الذم	المختص
١٤	لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	المائدة/ ٨٠	سوء عاقبة من سخط الله عليه	العمل
١٥	بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي	الأعراف/ ١٥٠	في العقيدة	أنتم (قوم موسى)
١٦	وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	الأنفال/ ١٦	في الوعيد	جهنم
١٧	وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	التوبة/ ٧٣	في الوعيد	جهنم
١٨	بِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ	هود/ ٩٨	سوء العاقبة	المورود
١٩	بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ	هود/ ٩٩	سوء العاقبة	المرفود
٢٠	وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	الرعد/ ١٨	في الوعيد	جهنم
٢١	جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ	إبراهيم/ ٢٩	في الوعيد	جهنم
٢٢	فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ	النحل/ ٢٩	سوء العاقبة	النار
٢٣	بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا	الكهف/ ٢٩	نوع العذاب	الماء
٢٤	بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا	الكهف / ٥٠	سوء العاقبة	الشیطان
٢٥	لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ	الحج/ ١٣	في العقيدة	الإله
٢٦	النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	الحج/ ٧٢	الوعيد	النار
٢٧	وَمَا أَوَاهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ	النور/ ٥٧	الوعيد	النار

ت	الآيات القرآنية	السورة	سياقها في الذم	المختص
٢٨	جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ	ص/٥٦	سوء العاقبة	جهنم
٢٩	بئسَ الْقَرَارُ	ص/٦٠	المكان	النار
٣٠	فَبئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ	الزمر/٧٢	المكان	النار
٣١	فَبئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ	غافر/٧٦	المكان	النار
٣٢	بئسَ الْقَرَارُ	الزخرف/٣٨	المكان	الشيطان
٣٣	بئسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ	الحجرات/١١	الأخلاق الذميمة	الفسق
٣٤	مَا وَأَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبئسَ الْمَصِيرُ	الحديد/١٥	سوء العاقبة	النار
٣٥	حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ	المجادلة/٨	سوء العاقبة	جهنم
٣٦	بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ	الجمعة/٥	في العقيدة	المكذب
٣٧	وَبئسَ الْمَصِيرُ	التغابن/١٠	سوء العاقبة	النار
٣٨	وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ	التحریم/٩	سوء عاقبة الكافر والمنافق	جهنم
٣٩	عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبئسَ الْمَصِيرُ	الملك/٦	عاقبة الكافر	جهنم

والذي يجمع معاني (الذم) بـ(بئس) (ثلاث) مسائل:

الأولى : في العقيدة ومنها ذم الاستعانة بغير الله ، ذم الكفار والمنافقين وأعمال

اليهود ودعوة الأصنام التابعة من الذم العقائدي.

الثانية : ذم الصفات الذميمة وهي (الكذب والتكبر والكفر والظلم).
الثالثة : الغالب على الآيات القرآنية ذكر سوء العاقبة (جهنم) أو (النار) وكذلك ذم المكان (مثوى) (القرار) ذمًا لأصحابها.
أما (ساء) فقد وردت في (ثمانية عشر) موضعاً ، و(ساءت) وردت في (خمسة) مواضع ^(١) ، دارت معاني الذم حول (سته) معان:

الأول : ذم الأمم المكذبة لدعوت الرسل كقوله تعالى ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف/ ١٧٧] .

الثاني : ذم مصير الكافرين في الحياة الدنيا كقوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [سورة الشعراء/ ١٧٣] .

الثالث : ذم عدم التدبر والتفكر في عواقب الأمور كقوله تعالى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة النحل / ٥٩] ، وذلك في وأد البنات .

الرابع : ذم الكبائر ومنها تحريم نكاح امرأة الاب في قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء / ٢٢] .

الخامس : ذم صحبة الشيطان وذم عاقبتها في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [سورة النساء / ٣٨] .

السادس : ذم عاقبة الكافرين والمكذبين في الآخرة في قوله تعالى ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [سورة الفرقان / ٦٦] وهي جهنم .

ومن الأفعال القياسية ما جاء على وزن (فعل) مثل (حسن) في قوله تعالى ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء / ٦٩] ، مدحاً لصحبة الأنبياء والصدّيقين والشهداء ، و(كبر) في قوله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف/ ٣] ، ذمًا للقول بلا عمل ، ومنه بلاغة أسلوب المدح والذم وذكر المخصوص وحذفه ، إذ ان الأصل في الكلام الذكر ولا يحذف منه شيء إلا بدليل أو قرينة لفظية أو

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٤٥٢ .

قربة المقام^(١) ، فقد ورد ذكره مدحاً في قوله تعالى ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ...﴾ [سورة النحل / ٣٠] ، وورد ذكره ذمماً في قوله تعالى ﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة/٩٠] ، وحذف مدحاً في قوله تعالى ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص/٤٤] ، وحذف ذمماً في قوله تعالى ﴿وَمَا وَاهُمْ النَّارُ وَيَسْ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران / ١٥١]^(٢) ، ولم يرد في القرآن الكريم كلمة (مدح أو ممدوح) ، في حين وردت كلمة (مذموم) في (ثلاثة) مواضع^(٣) ، ولا يقتصر أسلوب المدح والذم على أفعال المدح والذم (نعم-بئس) والأفعال القياسية بل ان السياق هو الذي يرشح الأساليب أي الأساليب النحوية والبلاغية حسبما يقرره النظم القرآني في جمالية التعبير لتقرير الحقائق التي تبرز معها صفات الممدوح والمذموم ، ومن الحقائق المهمة العقيدة وقضية الإيمان والكفر "وفي كتاب الله تعالى منه كثير المدح للمؤمنين والذم للكافرين ومدحه هو المدح على الحقيقة وذمه هو الذم على الحقيقة"^(٤) .

كخطاب المؤمنين في النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وخطاب الذم للكافرين في النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥) ، المتمثل في دلالة صلة الموصول لنكتة بلاغية هي "أن يكون في مدلول الصلة ما يشير إلى نوع الخبر المحكوم به على المسند إليه : من مدح أو ذم أو عقاب مثل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ [سورة النساء/١٢٢] ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ [سورة آل عمران/٩١]...^(٦) ، وكذلك قطع النعوت ، قال السيوطي : "وقطع

(١) الخصائص ، لابن جني : ٣٦٠/٢ .

(٢) النحو القرآني قواعد وشواهد / ٥٦٧-٥٦٩ ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق : ٤٢١/٣ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٣٩ .

(٤) لفوائد المشوق إلى علوم القرآن / ١٩٢ .

(٥) بصائر ذوي التمييز : ١٠٨ / ١ .

(٦) المعاني في ضوء أساليب القرآن / ٢٤٢ .

السنوت في مقام المدح أو الذم أبلغ من إجرائها .. مثاله في المدح ﴿الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [سورة النساء / ١٦٢] ، ... ومثاله في الذم ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [سورة المسد / ٤] ...^(١) ، وذلك "لأن العرب تنصب على المدح عند تكرار العطف والوصف"^(٢) ، وغيرها من الأساليب التي تبرز خصائص وصفات المؤمنين الممتدحين وصفات الكافرين المذمومين "وفي عقد هذه الموازنات تجسيد للإيمان وتعظيم من شأن المؤمنين"^(٣) وتعرض بصفات الكافرين ولمن "تعرض للدعوة ووقف في سبيل نجاحها ولمن أنكرها من غير حجة ولا برهان ولمن نافق فأظهر بلسانه الإيمان ولم يؤمن قلبه ولا ضميره وجدير بهؤلاء ان ينالهم الذم والتقريع"^(٤) ، وتجد في القرآن الكريم انتقاء لفظ (أقاموا) في مدح المؤمنين في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة الشورى / ٣٨] ، وانتقاء لفظ (قاموا) في ذم المنافقين في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [سورة النساء / ١٤٢] ، وكذلك لفظ (المقسطين) مدحا في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات / ٩] ، ولفظ (القاسطين) ذما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [سورة الجن / ١٥] ، وقد تكون في تنوع الحرف في الكلمة دلالة على المدح والذم كما بين (نسخ-مسخ) وهو جناس غير تام فالنسخ باعتبار السياق القرآني مدح لأنها وردت مع الآيات في قوله تعالى ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة / ١٠٦] ، وأما المسخ فهو "تبديل الحلقة وتحويلها إلى صورة قبيحة"^(٥) ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَائَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة يس / ٦٧] ، وقد تكون الحركة فيصلا في إظهار صفات الممدوح من صفات المذموم بين (خَلَفَ) في المدح و(خَلْفَ) في الذم في قوله

(١) معترك الأقران : ٢٦٨/١

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف : ٤٦٨/٢

(٣) من بلاغة القرآن / ٣٦٠ .

(٤) م . ن / الصفحة نفسها .

(٥) اطلالة على سورة يس / ٨٤ .

تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [سورة الأعراف/١٦٩] ، قال الرازي : "أعلم ان قوله ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ ظاهره ان الأول ممدوح والثاني مذموم واذا كان كذلك فيجب أن يكون المراد : فخلف من بعد الصالحين منهم الذين تقدم ذكرهم خلف^(١)" ، وكذلك بلاغة الذم لكلا الفريقين في تغير الحركة في قوله تعالى (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ) [سورة البقرة/١٦٦] ، ومن بديع التعبير القرآني (التحسس والتجسس) إذ ان "الأول لا يكون إلا في الخير ومنه قوله جل شأنه ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف/٨٧] ، وأما الآخر فلا يكون إلا في الشر، تقول : تجسس العدو أخبار بلادنا^(٢)" ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات/١٢] .

ومن الألفاظ التي تدل على المدح في كل معانيها كما ذكرت كتب الأشباه والنظائر كلمة (الحكمة ، الرحمة ، الإمام ، الذكر - الطهور - الصدق - التقوى - الحق)^(٣) وغيرها وقد جمعها أحد الباحثين في الدراسة الدلالية ومنها الجذور اللغوية (أ م م ، أ م ن ، أ و ب ، ب ر ر ، ح س ن ، ح ك م ، خ ب ت ، ص ف و)^(٤) وغيرها ، ومن الألفاظ التي تدل على الذم في كل معانيها (الخيانة - الكفر والإشراك - الظلم - الفاحشة - الرجم - الخسران)^(٥) وغيرها ، وقد جمعها أحد الباحثين في الدراسة الدلالية ومنها الجذور اللغوية (أ ث م ، ا د د ، ا ف ك ، ب ط ل ، ب ه ت ، ج ر م ، خ

(١) التفسير الكبير : ٤٦/١٥ .

(٢) شوس العرفان بلغة القرآن ، عباس أبو السعود / ١٤٨ .

(٣) كشف السرائر عن معنى الوجوه والأشباه والنظائر / ٧٣ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ٢٣٠ ، ٢٠٢ .

(٤) ألفاظ المدح والذم في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة بغداد-٢٠٠٢) / ٥٠ ، ٢٧ ، ١٩ ، ١٢ ، ٩ ، ٧ ، ٥٠ .

(٥) كشف السرائر عن معنى الوجوه والأشباه والنظائر / ٣٣ ، ٩٦ ، ١١٩ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ٢١١ ، ١٧٥ .

ب ث) ^(١) وغيرها وهذا يتبعه مدح الشخصيات أو ذم لها وأعظم الشخصيات مدحاً هم الأنبياء والمرسلون يتبعه مدح لكتبهم السماوية إيماناً بها ومدحاً لمن تبعهم من المؤمنين الصادقين ، وكذلك ذم للشخصيات التي تعارض الدعوة على مر الزمان وذم المنافقين تحذيراً من أساليبهم وكيدهم وذم اليهود والنصارى والكافرين بياناً لضلالهم وكفرهم وذلك بتنوع الأساليب البلاغية حسب ما يقتضيه السياق ، وكذلك تطالعنا أسماء سور القرآن الكريم بين أسلوب المدح كسورة المؤمنون والنور وأسماء سور الأنبياء تصريحاً وسورة الأنبياء جمعاً ، وأسلوب الذم كسورة المنافقون والكافرون وغيرها ، وقد ذكر الفيروز آبادي معاني الذم في مضمون السور القرآنية كسورة التكاثر بقوله " معظم مقصود السورة : ذم المقبلين على الدنيا والمفتخرين بالمال..." ^(٢) ، وذم من أقبل إلى الدنيا كما في مضمون سورة الهمزة بأن "معظم مقصود السورة : عقوبة العياب المغتاب وذم جمع الدنيا"^(٣) ، وذم صفة المرائين في سورة الماعون في بيان " الشكاية من الجافين على الأيتام والمساكين وذم المقصرين والمرائين"^(٤) ، ومن هذا يتبين في أسلوب المدح والذم خصائص اللفظة القرآنية وجماليتها في التعبير القرآني ودقتها لما وضعت له ودقة اختيارها ومعناها ودقة تناسقها ^(٥) ، لتكشف عن معالم أسلوب المدح والذم وكما هو مبين في المخطط الذي يجمع أساليب المدح والذم :

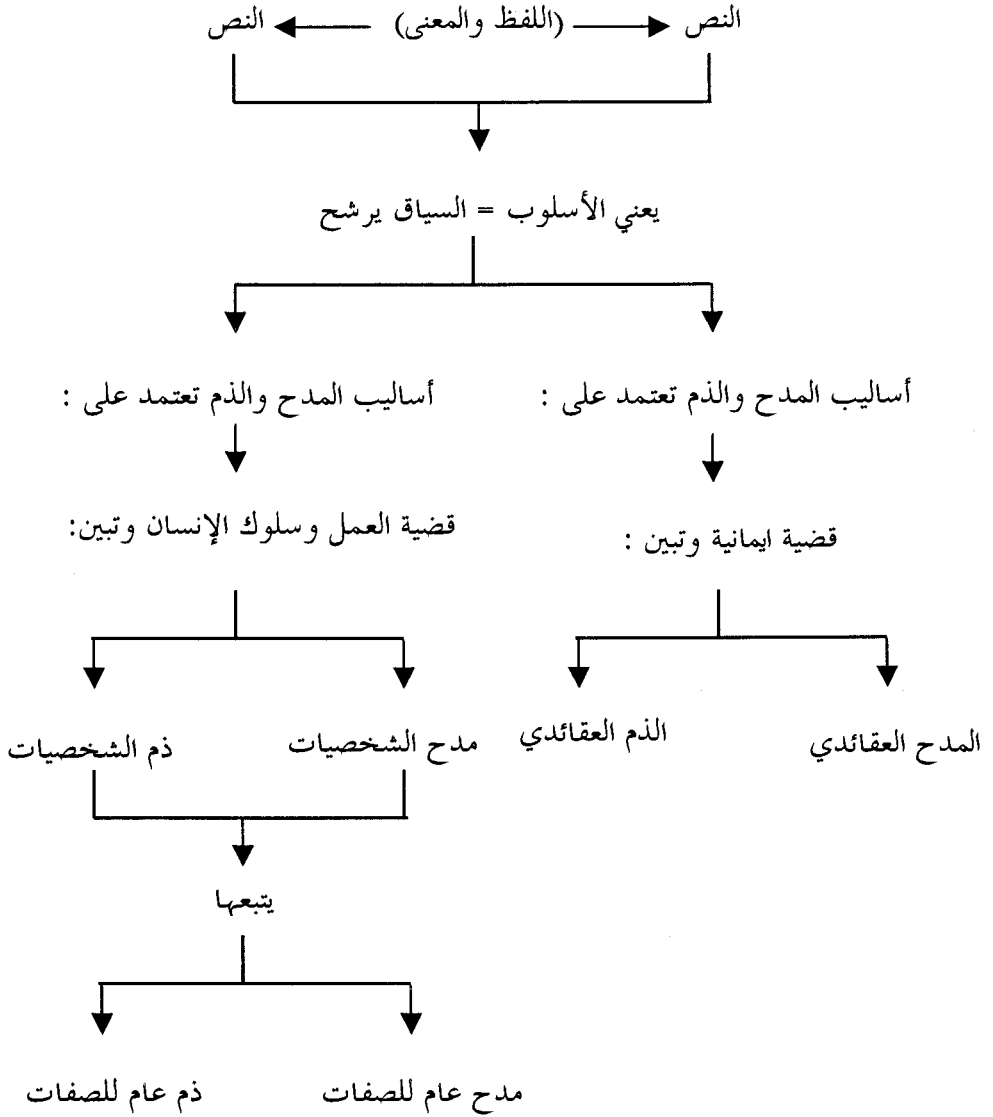
(١) ألفاظ المدح والذم في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة بغداد-٢٠٠٢) / ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٥ .

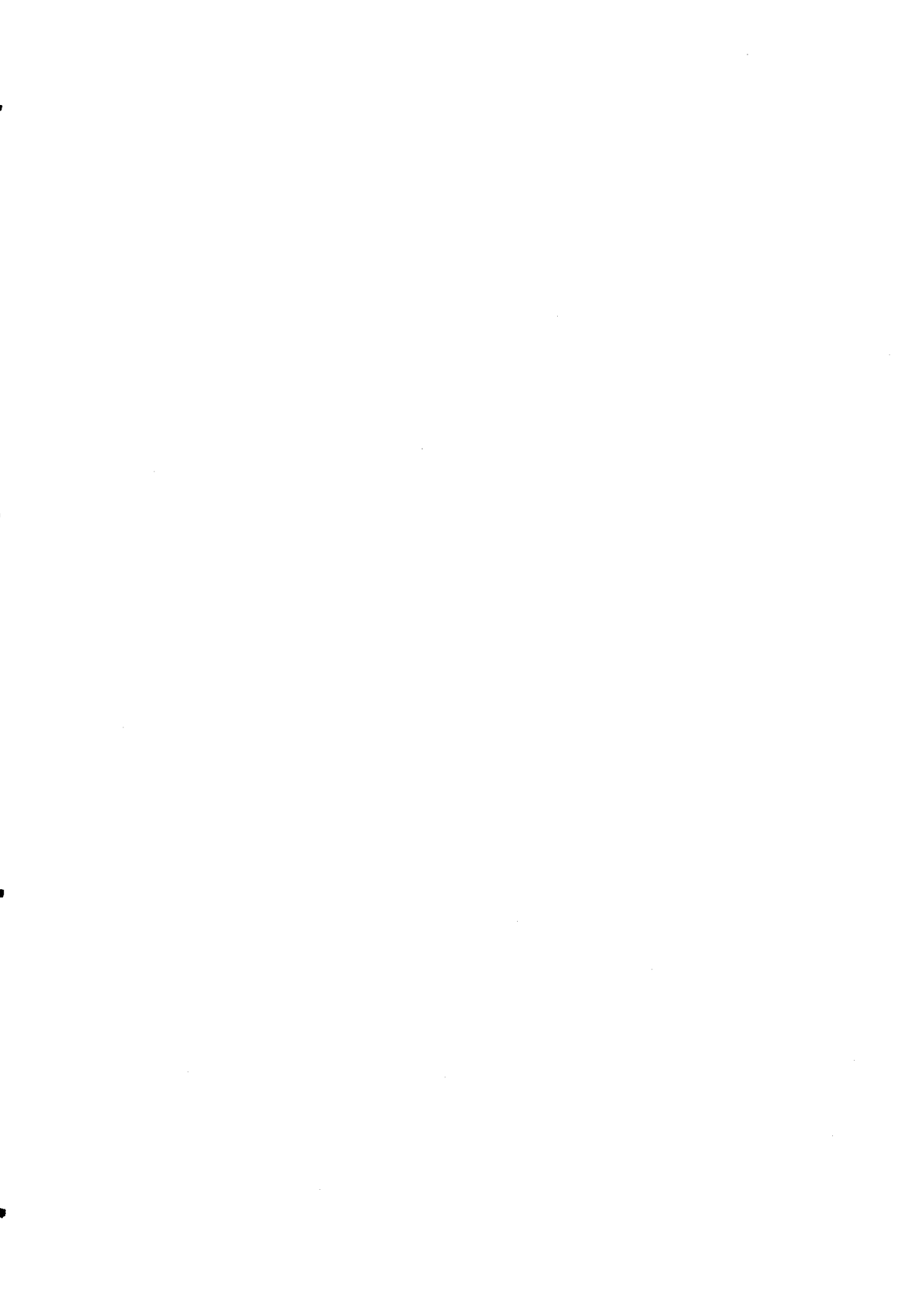
(٢) بصائر ذوي التمييز : ٥٤٠/١ .

(٣) م ، ن : ٥٤٣/١ .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٥٤٦/١ .

(٥) الإعجاز الفني في القرآن / ٧٢ .







الفصل الأول

بلاغية المدح العقائدي

توطئة <

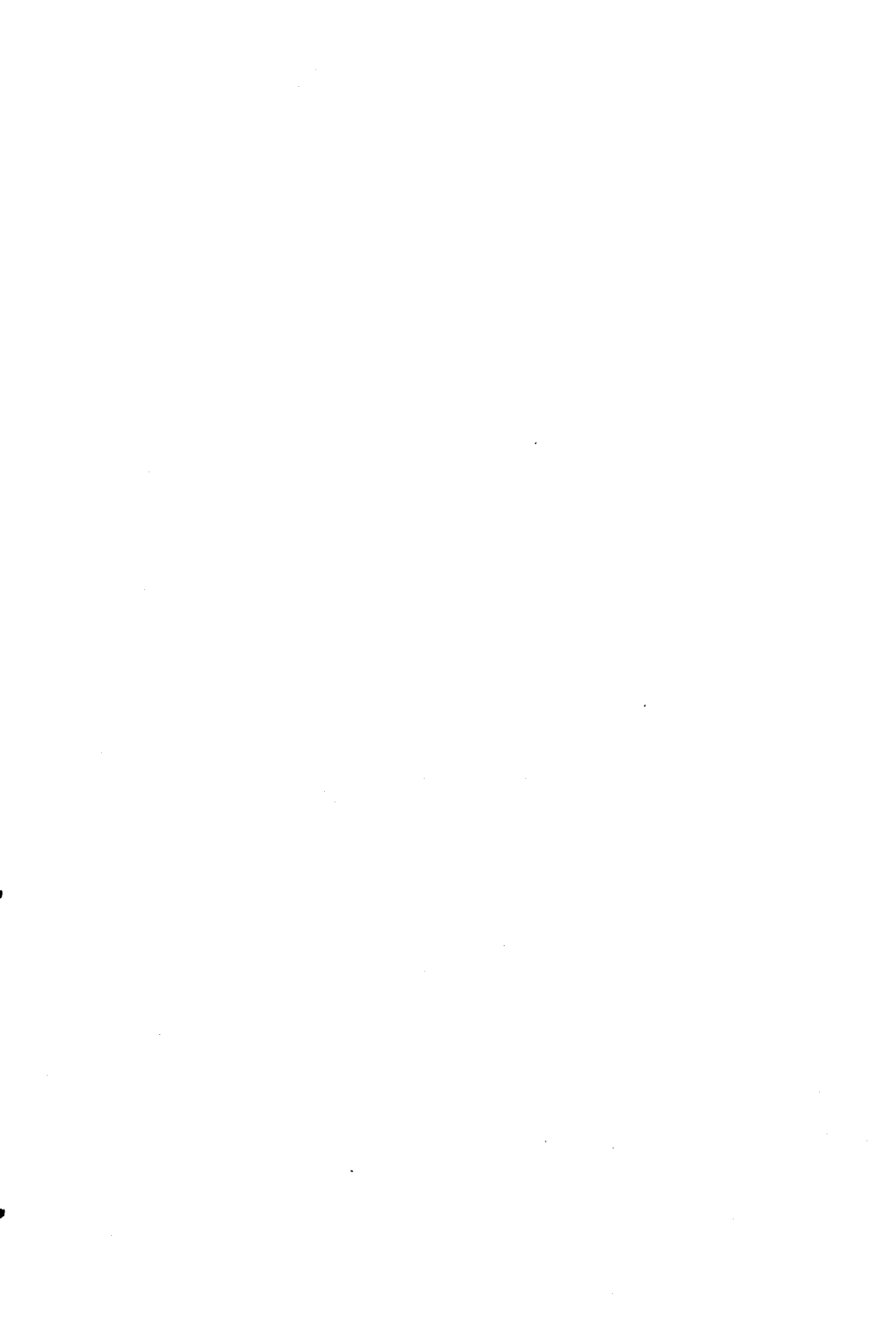
المبحث الأول : أساليب الثناء على الله عز وجل <

المبحث الثاني : أساليب مدح الأنبياء والمرسلين <

المبحث الثالث : أساليب مدح الكتب السماوية <

المبحث الرابع : أساليب مدح الملائكة <





توطئة

إن مما يميز الإنسان ارتباطه بخالقه وهذا يكون بالعقيدة السليمة التي ينبعث عنها كل عمل صالح وخلق نبيل ، ولأهمية العقيدة في سلوك الإنسان فقد جاء القرآن الكريم منذ نزوله يؤكد عليها مما جعل ميزة السور المكية جلية بها ، ولها دلالة في اللغة على معنى الحزم والقوة ، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) عن أصل (عقد) : "العين والقاف والذال أصل واحد يدل على شد وشدة ووثوق ... من ذلك عقد البناء والجمع أعقاد وعقود ... وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه ، واعتقد الشيء : صلب ، واعتقد الأخاء : ثبت"^(١) وهو يجمع بين المعنى الحسي والمعنوي لثبات العقيدة ورسوخها في القلب تحذيراً من الكفر والضلال لأن "قضية الإيمان والكفر كانت من القضايا الأساسية التي عاجلها القرآن وأكد عليها لأنها كانت موضع صراع بين مجتمعين كبيرين : مجتمع المؤمنين . ومجتمع غير المؤمنين من الوثنيين والمشركين والمنافقين والكتائبين والكفار"^(٢) ، وقد تنوعت أساليب البيان للدلالة على وحدانية الله عز وجل وقدرته على كل شيء لتكون فيصلاً لممدح المؤمنين الصادقين وردع عقيدة الكافرين ، والتعبير القرآني له بلاغته "إثارة اهتمام السامع بصورة أشد ولترسيخ المعنى وتثبيتته في النفوس فالقرآن يدعو مخاطبيه إلى توحيد الله في الإيمان وفي عبادته"^(٣) وهذا يومئ إلى "إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى"^(٤) ، وهذا يرتبط بأركان الإسلام والإيمان ،

(١) مقاييس اللغة : ٨٦/٤ - ٨٧.

(٢) صراع المذهب والعقيدة في القرآن / ٣٥ ، من فلسفة التشريع الإسلامي ، فتحي رضوان ٩٣.

(٣) أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم ، عبد الحليم حفي / ٤٤.

(٤) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، للحافظ / ١٩ ، الدين ، د. محمد =

ويمكن أن نقف عند بلاغية المدح العقائدي مع (أربعة) مباحث وبها يتحقق المدح وهي:

- أساليب الثناء على الله عز وجل
- أساليب مدح الأنبياء والمرسلين
- أساليب مدح الكتب السماوية
- أساليب مدح الملائكة

المبحث الأول

أساليب الثناء على الله عز وجل

ان لكل شيء موجود دلالة على صانع ومبدع ، والناظر في آيات الكون وما فيه يستشعر عظمة الله عز وجل فيما أودع من أسرار تدل على بديع حكمته وأعظم الاجرام خلقاً السموات والأرض لذا اكد القرآن الكريم في الخطاب والحديث عنها في مواطن كثيرة وكذلك ما يتبعها وما يدور فيها من الافلاك " وقد عرض الكتاب المسطور كثيراً من مشاهد الكون السماوية والأرضية وساق هذه المشاهد لتحقيق أغراضه ومقاصده ولعل أهمها مسألة وجود الخالق ووحدانيته .. " (١) ، وكلها داعية الثناء والتمجيد له وحده إذ يقول عز وجل : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الروم/٢٧] ، ومما يظالعنا النظم القرآني قوله مثلاً (ومن آياته) وهي تعني "ومن علامات الرب عز وجل والثناء عليه فاعرفوا توحيدَه بصنعه.. " (٢) ، ومن إمارات الدلائل على مدح الله عز وجل خلق الإنسان وتكريمه وإرسال الرسل وتأيدهم بالمعجزات الخارقة للعقل وإنزال الكتب السماوية بالحجة والبرهان الساطع على وحدانية المرسل الواحد جل وعلا لأنها داعية الثناء والخضوع لله عز وجل ، ولأهمية العقيدة فقد توزعت الآيات في السور المكية والمدنية فهناك ألفاظ كثيرة تدل على ثناء الله عز وجل مثل (سبحان - تبارك) أو لفظ (كفى) مقترناً مع لفظ الجلالة في مواطن متفرقة تدل على معنى الشهادة أو النصر أو الوكالة وغيرها ، كقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء/٨١] ومما له بلاغته في المدح الإلهي أسماء الله الحسنى وصفاته قال الصابوني : " وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته تعالى وذلك كثير جداً وأوضحها أربعة براهين : الأول : قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل/١٧] ، وهذا دليل الخلق والإيجاد ، والثاني : قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء/٢٢] وهو دليل الإحكام والإبداع ، والثالث : قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعَوْا

(١) المشاهد في القرآن الكريم ، د. حامد القنيبي / ٢١٧-٢١٩ ، توحيد الرحمن في آيات القرآن

الشيخ محسن حسن / ٤ ، ٢٥ ، ٧٠ .

(٢) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، هارون موسى / ٣٣٤ .

إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿ [الإسراء/٤٢] ، وهو دليل القهر والغلبة، والرابع : قوله تعالى : ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَكْدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون / ٩١] ، وهو دليل التنازع والاستعلاء^(١) . فالبراهين جامعة الثناء المطلق لله عز وجل ومن بلاغة المدح في الخطاب القرآني فنجد "القرآن يخاطب كل طبقة من الطبقات في كل عصر من العصور... والقرآن يدعو جميع بني آدم بطوائفهم كافة إلى الإيمان... والى معرفة الله التي هي أوسع العلوم وأنورها إلى الأحكام الإسلامية التي هي أهم المعارف وأكثرها تنوعاً..."^(٢) ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء/٢٥] ، ومن بديع النظم أن يكون المدح من الملائكة في قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [سورة هود/٧٣] " أي انه تعالى محمود مجيد في صفاته وذاته مستحق للحمد والتمجيد من عباده وهو تعليل بديع لما سبق من البشارة"^(٣) ، ولأجل الوقوف على أساليب المدح الإلهي يمكن أن نجعلها في (ثلاث) مسائل (المدح بـ) (الحمدلة) في مطالع السور وحسن ختامها - والمدح بـ (التوحيد) - في آية الكرسي وسورة الإخلاص : والمدح بـ (الأسماء الحسنى) في الفاصلة القرآنية" وهي جامعة لمعاني الحمد والثناء كله في القرآن الكريم، فمن المدح بـ (الحمد) نستذكر نعم الله عز وجل التي لا تحصى وأعظم نعمة الخلق والايجاد وغيرها يتبعها ، والمدح بالتوحيد فيه نعمة الاعتراف الفطري للخالق عز وجل وكذلك الأسماء الحسنى وسورة الإخلاص ، ليرشح المدح باعتبار "الواقع والسياق وحال المخاطب"^(٤) حسب ما يقتضيه النظم القرآني لذا جعلناها نماذج التحليل والدراسة:

المدح بـ (الحمدلة)

ورد لفظ (الحمد) في القرآن الكريم في مواضع متفرقة توزعت معها المعاني

(١) صفوة التفاسير : ٥٥٧/٣ ، مباحث في علم التفسير ، د. عبدالستار حامد / ١٤٧.

(٢) المعجزة القرآنية ، النورسي / ١٠٠ ، خطاب الأنبياء ، د. عبدالصمد عبدالله / ٢١٩، ١٦٩.

(٣) صفوة التفاسير : ٢٣/٢.

(٤) النص القرآني من الجملة إلى العالم / ١٧.

والأغراض البلاغية والمقاصد القرآنية ، وهو يدل على المدح في دلالاته اللغوية لأن "الحاء والميم والذال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم يقال حمدت فلاناً أحمده ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة"^(١) ، فهو يتقرب من معنى (المدح) إلا أن الحمد "أخص من المدح وأعم من الشكر فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ومما يقال منه وفيه بالتسخير فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه والحمد يكون في الثاني دون الأول والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة فكل شكر حمد ... وكل حمد مدح وليس كل مدح حمداً"^(٢) أي ان المدح أعم ، فالحمد أبلغ من الشكر فهو الوصف الجميل الذي يكون على جهة التفضيل^(٣) ، وبين (المدح - والحمد) ما يعرف بالاشتقاق الكبير أو الإبدال اللغوي وهو "إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة وبذلك قد تشترك الكلمتان أو الصورتان بحرفين أو أكثر..."^(٤) مع تنوع المعنى ، وهناك أنواع للحمد القولي والفعلي والعرفي فـ "الحمد القولي هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى على نفسه على لسان أنبيائه ، الحمد الفعلي هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء وجه الله تعالى ... الحمد العرفي : فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان"^(٥) ، وأما لفظ (الحمد) فقد ورد في (ثمانية وثلاثين) موضعاً ، اقترن فيها (الحمد) مع لفظ الجلالة (الحمد لله) في (أربعة وعشرين) موضعاً^(٦) ، وفيه نكتة بلاغية "اذ جاء مع الحمد باسمه العلم فقال (الحمد لله) ولم يأت بوصف أو اسم آخر من اسمائه الحسنی وذلك لتأكيد معنى مهم وهو استحقاق الله سبحانه وتعالى الحمد لذاته وليس لصفة من صفاته ..."^(٧) ، وذلك لأن "الحمد عبادة من العبادات المشروعة وقد

(١) مقاييس اللغة : ١٠٠/٢ ، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم / ٢٥٧ .

(٢) المفردات / ١٣١ .

(٣) تفسير النسفي : ١٦/١ ، زاد المسير في علم التفسير : ١١/١ .

(٤) الاشتقاق لأبي بكر / ٧ ، البحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى جمال الدين / ٨٥ .

(٥) التعريفات / ٥٥ .

(٦) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٢٦٦-٢٦٧ .

(٧) أم القرآن ، مصعب الراوي / ١١٣ .

استعمل جملة الحمد في سياقات قرآنية بدل جملة العبادة لله كقوله تعالى ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة لقمان/٢٥] فقوله (الحمد لله) مكان العبادة لله ... فالحمد والعبادة ينبغي ان تكون لله وحده لا لغيره^(١) وهذا من بديع التعبير القرآني وأعظم الحمد من الله عز وجل لنفسه كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة/١] ، ثم من عباده وأكرم العباد في الثناء والمدح بما يليق لله عز وجل هم الأنبياء والمرسلون فقد ورد على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة إبراهيم/٣٩] ، ومن بلاغة المدح — (الحمد) الاقتران الثنائي بين داوود وسليمان عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل/١٥] ، وورد (الحمد) على لسان عباده المؤمنين على نعمة الهداية في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف/٤٣] ، ومن بلاغية الثناء والتمجيد بـ(الحمد لله) براعة مطلع السور وحسن ختامها ، قال السيوطي : "إعلم ان الله تعالى افتتح القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها : الأول : الثناء عليه تعالى ، والثناء قسمان : إثبات لصفات المدح ونفيه وتزيهه عن صفات النقص ، فالأول : التحميد في خمس سور وتبارك في سورتين...^(٢) وكذلك حسن الختام بالتحميد في (أربع) سور وهي مدار البحث والتحليل.

— براعة المطلع^(٣)

فأليات القرآنية في مطالع السور القرآنية بـ (الحمد لله) وهي:

(١) التفسير القرآني لسورة الفاتحة ، بابا علي / ٣٢ .

(٢) معترك الأقران : ٦١/١ .

(٣) ويعرف بحسن الابتداء "لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان أعذب لفظاً وأحسن معنى أقبل السامع على الكلام وأصغاه حق الإصغاء " ، شرح التلخيص/٧٠٨ .

ت	الآيات القرآنية	السورة
١	(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	الفاتحة/١
٢	(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)	الأنعام/١
٣	(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا)	الكهف/١
٤	(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)	سبأ/١
٥	(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)	فاطر/١

وتبدو بلاغية الأسلوب الخبري الابتدائي^(١) في المدح — (الحمد لله) في مطالع السور كلها في نكتتين بلاغيتين:

الأولى : ثناء الله عز وجل لأنه رب كل شيء ومليكه ، ومن أعظم الأجرام خلقاً السموات والأرض فهو خالقهما وفاطرهما ومالك ما فيهما إلا يستدعي هذا المدح المطلق ؟ لذا جاء بالجملة الاسمية لدلالة ثبوت النعم أمام الأعين وهذا ما تضمنته سورة (الفاتحة - الأنعام - سبأ - فاطر).

الثانية : مدح الله عز وجل لأنه منزل الكتب السماوية وباعث أصحابها رحمة للخلق وأعظم الكتب تنزيلاً هو القرآن الكريم الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وبعثة

(١) وهو الخبر الذي يكون فيه المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه فيكون الكلام خالياً من التوكيد ، التلخيص في علوم البلاغة/٤١ .

المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو نعمة عظيمة من الله عز وجل تستحق مدح الله عز وجل بالحمد^(١) ، وهي قضية إيمانية عقائدية لذا جاء بالجملة الاسمية في مطلع سورة الكهف.

ومن مطالع السور بـ (الحمد لله) نجد بلاغة العدول عن الأسلوب الإنشائي بالأمر إلى الأسلوب الخبري وذلك ان فعل الأمر يقتضي التكليف أما الأسلوب الخبري فهو يومئ إلى نكتة التعليم والإرشاد فإن الله عز وجل "يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الأمر أي قولوا : الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمده" ^(٢) ، وذلك يرشح نكتة أخرى ذكرها الزمخشري بقوله : "للدلالة على ثبات المعنى واستقراره" ^(٣) في نفوس المخاطبين ، فبراعة المطلع بالأسلوب الخبري يدعو إلى التنبيه لما بعده وتبيء أسماع المخاطبين لتلقي ما تضمنه المدح بـ (الحمد) لما في الأسلوب الخبري "من الخصوصيات ما يناسب جلاله المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص والاهتمام" ^(٤) ، فغاية المدح الإلهي بـ (الحمد لله) أن يكون لله عز وجل وحده لا غيره لما في (الحمد) من دلالة "على المدح الكامل الذي يحيط بجميع الأفعال والأوصاف على أن جميعها إنما هو من الله سبحانه وتعالى وانه كله مدح لا يتطرق إليه الذم" ^(٥) ، لذا أعقبه في مطلع سورة الفاتحة بجمع بـ (رب العالمين) "تنبهاً على أنهم وان كثروا قليلون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى..." ^(٦).

ان السور القرآنية في المدح بـ (الحمد لله) كلها مكية وقد ذكر ابن عاشور نكتة ذلك بقوله : "وكلها مكية وقد وضعت في ترتيب القرآن في أوله ووسطه والربع الأخير فكانت أرباع القرآن مفتوحة بالحمد لله" ^(٧) ، وهذا يدعو إلى التوحيد الخالص لله

(١) التحرير والتنوير : ٢٤٦/١٥ .

(٢) تفسير الخازن : ١٦/١ ، التفسير الوسيط / ٢١ .

(٣) الكشاف : ١٦/١ ، صفوة الأقوال في تفسير سورة الفاتحة / ٨ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٦٢/١ .

(٥) نظم الدرر : ٢٨/١ ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل السامرائي / ١٢-١٣ .

(٦) فتح البيان : ٤٥/١ .

(٧) التحرير والتنوير : ١٣٥/٢٢ .

عز وجل تعريضاً^(*) بالمشركين "الذين حمدوا الأصنام على ما تخيلوه من إسداثها إليهم نعماً ونصراً"^(١).

ولبلاغة المدح بـ(الحمد لله) في مطلع سورة الفاتحة مقاصد عظيمة ولها مكانتها في الحمد لما بعدها من السور لأن "السور الأخرى جاءت كتفصيل لهذا الإجمال"^(٢) ، وقد ذكر السيوطي نكتة الافتتاح بها بانها قد جمعت مقاصد القرآن^(٣) ، وفيه نكتة بلاغية أخرى وهي "ان الفاتحة أم القرآن ومطلعه تناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها"^(٤) الدالة على كل أوصاف العبودية ، أما سورة الأنعام وسبأ وفاطر فقد جمعت كل معاني القدرة والعظمة لله عز وجل ، فقد جمعت معاني الحمد على نعم الدنيا والآخرة^(٥) ، أما سورة الكهف فقد جمعت معاني العقيدة في مطلعها بالإيمان بالله عز وجل والإيمان بالكتاب الذي أنزل وهو يدعو إلى الإيمان بمن أنزل عليه الكتاب وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم وبمن كان سبباً وهو جبريل عليه السلام ، فجاء الحمد على أجزل نعمائه على الخلق^(٦).

(٧) حسن الختام

وأما بلاغة حسن الختام بالمدح بـ (الحمد لله) فقد وقع في السور الآتية:

ت	الآيات القرآنية	السورة
١	(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي	الإسراء/١١١

(*) وهو "ان يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق" ، جواهر البلاغة / ٢٩٩ .

(١) التحرير والتنوير : ١٢٦/٧ ، حسن الابتداء والانتها في سور القرآن الكريم ، وفاء (رسالة

ماجستير، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٩٨/٩٥ .

(٢) تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت/٢٣ .

(٣) أسرار ترتيب القرآن / ٧٣ ، كطف الازهار في كشف الأسرار ، السيوطي/١١٦ .

(٤) الإتيان ، السيوطي : ١١٤/٢ ، من وحي القرآن ، د. إبراهيم السامرائي /١٣٠ .

(٥) الكشف : ٧٨-٧٩ ، معركة النبوة مع المشركين كما تعرضها سورة الأنعام / ١١ .

(٦) الكشف : ٤٨/٣ .

(٧) وهو "آخر ما يعيه السمع ويرسم في النفس" ، شرح التلخيص / ٧١٢ .

	الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِلْيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكِبْرَهُ تَكْبِيرًا	
النمل/ ٩٣	(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)	٢
الصفات/ ١٨٢	(وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	٣
الزمر/ ٧٥	(وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	٤

وتجلى بلاغية المدح الإلهي بحسن الختام في نكتتين بلاغيتين:

الأولى : بلاغة المدح لله عز وجل بـ(الحمد لله) وقد سبقها فعل الأمر^(١) بـ(قل) في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لأجل التبليغ واقامة الحجّة على المكلفين كما في سورتي الإسراء والنمل . فقد ختمت سورة الإسراء بالحمد لنكتة بلاغية قال الزمخشري : "كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد ؟ قلت : لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق حسن الحمد"^(٢) وهذا ملخص السورة في التوحيد ، واما سورة النمل فتبين فضل الله عز وجل على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم على "ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة"^(٣) ، فبلاغة المدح تترشح من الثناء في بـ(الحمد لله) الجامعة لمعان من المحامد "فكان ذلك من أعظم النعم عليه في الدنيا وابشرها بأعظم درجة في الآخرة من أجل ذلك أمر بان يحمد الله بالكلمة التي حمد الله بها نفسه وهي كلمة (الحمد لله)"^(٤) وهذا لبيان نكتة الأسلوب الخبري في ثبات الأمر واستقراره وقد سبقه فعل الأمر.

(١) "هو طلب إقبال حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام" ، جواهر البلاغة /

(٢) الكشف : ٤٧/٣ ، في ظلال القرآن : ٣٦٥/٥ .

(٣) الكشف : ٤٣١/٣ .

(٤) التحرير والتنوير : ٥٨/٢٠ .

الثانية : بلاغية المدح بـ (الحمد لله) في السور الأخرى فهو مدح لله عز وجل على نعمة إرسال الرسل لإنقاذهم من الضلالة والكفر إلى الهدى والإيمان كما بينت سورة الصافات فقد ختمت "السورة بتنزيه الله سبحانه واختصاصه بالعزة وبالسلام من الله على رسله بإعلان الحمد لله الواحد رب العالمين بلا شريك"^(١) ، وهي نعمة عظيمة تستحق الثناء والمدح ، وقد ذكرت المقاصد الثلاثة (تنزيه الله - الثناء على الرسل والملائكة - حمد الله على النعم) لنكتة بلاغية وهي انها "أصول كمال النفوس في العاجل والآجل"^(٢) ، لذا عطفها على ما قبلها بالأسلوب الخبري "وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" لنكتة أخرى "لأن الحمد يقتضي اتصاف المحمود بالفضائل وإنعامه بالفواضل وأعظمها نعم الهداية بواسطة الرسل فهم المبلغون إرشاد الله إلى الخلق"^(٣) ، وختمت سورة الزمر بـ(الحمد لله) لأجل القضاء والفصل ليوم القيامة وبيان قول المؤمنين المنعمين بالجنة أي "فهذا قولهم يحمدون الله على عدل قضائه وجميع صفات كماله"^(٤) ، بهذا يتعاوض حسن الختام في المدح الإلهي بـ(الحمد لله) مع براعة المطلع لأن "جميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن الوجوه واكملها يظهر ذلك بالتأمل.." ^(٥) .

وذلك لإقرار مبدأ الثواب والعقاب على المكلفين فإن "النفس بعد تشبعها بروح الله وفضله تستسلم طواعية لخالقها وتنبعث منها الحمدلة شاكرة لانعمه وآلائه وهذا هو ما يوحيه لفظ (الحمد لله) وهو إقرار وإعتراف بفضرة المخلوق أمام خالقه وهي تنطق بحمده"^(٦) ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في البيان الآتي:

(١) في ظلال القرآن : ٧٥/٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩٩/٢٣ .

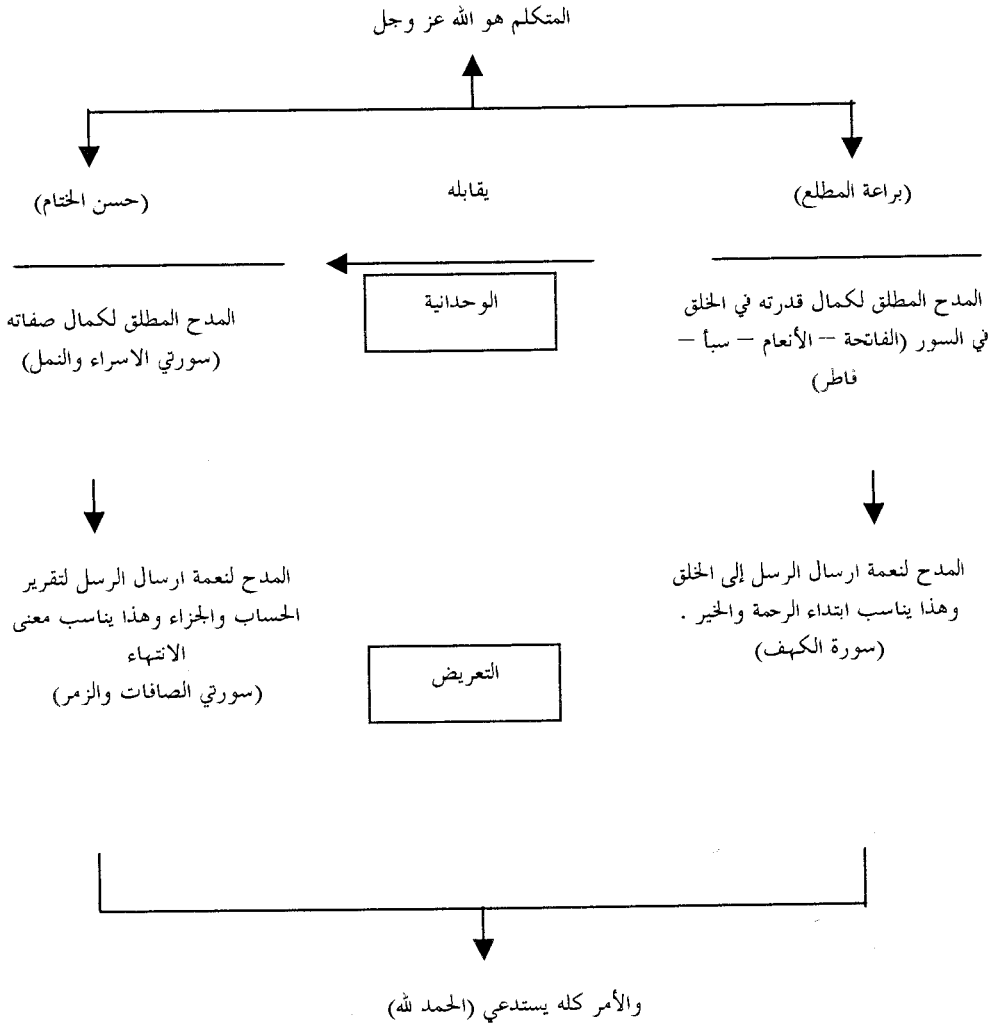
(٣) م، ن: الصفحة نفسها .

(٤) التحرير والتنوير : ٧٤/٢٤ .

(٥) التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني / ٤٣٥ .

(٦) الإعجاز الفني في القرآن / ١٠٢ .

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي



المدح بـ(كلمة التوحيد)

من أساليب المدح الإلهي كلمة التوحيد بـ(لا إله إلا الله) ، إذ بها تنعقد نجاة المؤمنين وبها يكون هلاك الكافرين وهي منار دعوة الأنبياء والمرسلين فقد كانت فيصلاً للأعمال الصالحة لله عز وجل فقد "جاءت أساليب كثيرة جداً تقرر بالواحد الأحد وصفاته الحسنی وآثار صفاته التي تجلت فيما خلق الله دلائل على وحدانيته وتفرد به كامل الصفات"^(١) .

وتتنوع الأساليب البلاغية لإثبات كلمة التوحيد بين النفي والإثبات في قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران/٦٢] "فهو تفصيل نافٍ للشك ومثبت لليقين تماماً كما تنفي "لا إله إلا الله" ألوهية الأوهام والأهواء وتثبت ان الله وحده هو رب العالمين"^(٢) ، ولنكتة أخرى جاءت "على هذه الصيغة الخاصة الجامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الألوهية لله تعالى فإن الجمع بين النفي والإثبات ابلغ صيغ الحصر"^(٣) ، والاستفهام بقوله : ﴿أَدَّأَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [سورة النمل/٦٠] ، وأسلوب القصر بـ(انما) في قوله : ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة الأنبياء/١٠٨] ، إلا أن أغلب الأساليب وروداً هو أسلوب القصر بقوله "لا إله إلا هو"^(٤) ، "فقد جاء النفي في القرآن الكريم لينزع من العقول والنفوس الكثير من العقائد الفاسدة والاهوام والخرافات الباطلة ويرسم للحق الصورة الصحيحة"^(٥) ، وان أعظم الشهادة في المدح الإلهي ما كانت من الله عز وجل كما في قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران/١٨] .

- (١) الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم / ٢٠٤ ، إثبات وجود الله ووحدانيته ، محمد متولي الشعراوي / ١٨ .
- (٢) القرآن دعوة الحق مقدمة في علم التفصيل القرآني ، محمد العفيفي / ١٢ .
- (٣) معنى لا إله إلا الله ، الزركشي / ٨٣ .
- (٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٤٧-٤٨ .
- (٥) لغة القرآن الكريم ، د. عبد الجليل / ٢٧٢ .

فمن مطلع (شهد الله) نجد بلاغة إظهار لفظ الجلالة مع الشهادة تعظيماً لأمر الشهادة "أي بين وأعلم تعالى عباده بانفراده بالوحدانية..."^(١) ، لذا أعقبه بالتوكيد —(ان) تقريراً على المخاطبين عظمتهم ووحدانيته ، ثم ختم ببلاغة التكرار —(لا إله إلا هو) قال الكرمانى : "لأن الأول جرى مجرى الشهادة وإعادة ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود"^(٢) ليكون المدح في مطلع الآية توكيداً لآخرها.

آية الكرسي

ومما تحقق به بلاغة المدح آية قرآنية مطلعها وختامها مدح وقد ضمت سمات التوحيد وهي آية الكرسي قال تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة/٢٥٥].

فهي آية جامعة لتوحيد الألوهية والربوبية فهو "أتم بيان نطق به القرآن وبرهن عليه اسطع برهان هو انه تعالى واحد في ذاته واحد في صفاته لا خالق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو"^(٣) ويمكن أن نجد أساليب المدح في نكتتين بلاغيتين:

الأولى : براعة مطلع الآية بقوله (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) بالافتتاح بلفظ الجلالة مقترناً مع التوحيد بأسلوب القصر^(٤) في (لا إله إلا هو) مع المدح بالاقتران الثنائي —(الحي القيوم) لمعان بلاغية فقد "جاء باسم الذات هنا لأنه أظهر طريق في الدلالة على المسمى المنفرد لهذا الاسم فإن العلم أعرف المعارف لعدم احتياجه في الدلالة على ما سماه إلى قرينة أو معونة... وجملة (لا إله الا هو) خبر أول عن اسم الجلالة والمقصود من

(١) صفوة التفاسير : ١٥٩/١ ، العقائد الإسلامية ، لسيد سابق / ٥٨ .

(٢) أسرار التكرار في القرآن / ٤٧ .

(٣) هو الله ، للعلوي المالكي / ٥٥ .

(٤) "وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان" ، مفتاح

العلوم / ١٣٩ .

هذه الجملة إثبات الوجدانية^(١)، وفي السياق بلاغة الإظهار مقام الإضمار^(٢) وقد تكررت في الآية كلها قال الصابوني: "في آية الكرسي أنواع من الفصاحة وعلم البيان منها حسن الافتتاح لأنها افتتحت بأجل أسماء الله تعالى وتكرر اسمه ظاهراً ومضمراً في ثمانية عشر موطناً والإطناب بتكرار الصفات"^(٣)، لذا كانت أعظم آية في القرآن فمن براعة مطلعها بالمدح الإلهي وصولاً إلى مضمونها فقد "جمعت من أصول الأسماء والصفات من الألوهية والوجدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة فهذه أصول الأسماء والصفات"^(٤) في بلاغة التفصيل بعد الإجمال^(٥)، ولأسلوب القصر بلاغته في تأكيد الأمر وتثيسته في نفوس المخاطبين وبيان "لكمال التوحيد فانه المقصود الأعظم من جميع الشرائع"^(٦)، وأنه لا يستحق العبودية إلا الله عز وجل، ثم أعقب السياق بالمدح بـ(الحي القيوم) لنكتة بلاغية ذكرها الرازي بقوله: "الحي" دل على كونه عالماً قادراً، وبقوله (القيوم) دل على كونه قائماً بذاته ومقوماً لكل ما عداه، ومن هذين الأصلين تشعب جميع المسائل المعتمدة في علم التوحيد"^(٧) ثم فصل القول بعدها في تقرير مضمون التوحيد لأنها "تجمع الكمالات التي يتصف بها الخلاق العظيم وتنفي عنه سبحانه كل ما لا يليق بكماله وجلاله"^(٨).

الثانية: حسن الختام بالمدح بقوله (وهو العلي العظيم) فالله عز وجل (هو العلي)

(١) التحرير والتنوير: ١٧/٣.

(٢) وهو ان يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيضع المظهر موقع المضمّر، شرح التلخيص/ ٢٥١.

(٣) صفوة التفاسير: ١٣٥/١.

(٤) تفسير الخازن: ١٩٥/١، آية الكرسي معانيها وفضائلها، السيوطي ١٣/١٣.

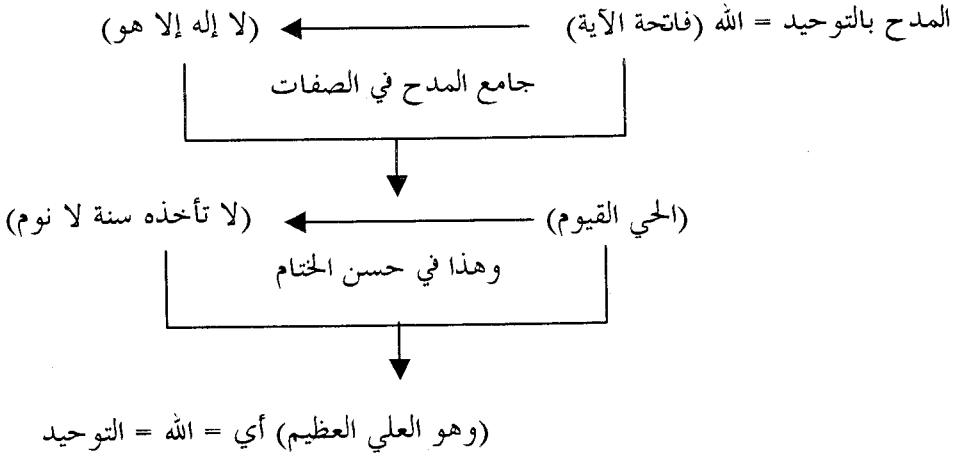
(٥) وهو الإطناب وهو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارة المتعارف، التلخيص من البلاغة/ ٢١٠.

(٦) نظم الدرر: ٢٨/٤.

(٧) التفسير الكبير: ٤/٧، مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، لأحمد بن الحسن/ ٩.

(٨) الإيمان في القرآن، د. مصطفى عبد الواحد/ ٩١.

الشأن (العظيم) الملك والقدرة^(١) ، وفيه بلاغة الاستعارة^(٢) فإن "العلو والعظمة متسعاران لشرف القدر وجلال القدرة"^(٣) فناسب آخرها في المدح مطلعها وهو مدح تكاملي في تنسيق معاني الثناء كما هو مبين في المخطط:



لا إله إلا الله

وإذا كان أغلب المدح بأسلوب القصر بـ(لا إله إلا هو) فلم يقترن لفظ الجلالة الصريح بكلمة التوحيد إلا في موضعين^(*) ، أحدهما ورد في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاتِكُمْ﴾ [سورة محمد / ١٩].

تطالعنا الآية الكريمة ببلاغة أسلوب الأمر (فاعلم) في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشریف وتكريم بياناً لأهمية الأمر الذي استدعى الأمر وتبنيهاً على

(١) الكشاف : ٢٧٠/١ ، آية الكرسي معانيها وفضائها / ١٦ .

(٢) "هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له علاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمستعمل مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي " ، جواهر البلاغة / ٢٦٤ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٤/٣ .

(*) والآخر في ذم أحوال المشركين في سورة الصفات / ٣٥ .

أعظم الخصال وأنبئ الصفات وهي كلمة الإخلاص ، وجاء ببلاغة التوكيد بـ(ان)^(١) إقراراً لها وتوكيداً عليها ليكون المخاطب على استعداد لتبليغها في دعوته لذا خص الأمر بـ(العلم) دون(الذكر) "والمعنى أثبت على ذلك واستمر عليه ودم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة"^(٢) ، والذكر تابع للعلم فهو اعم منه ، وقد ذكر القرطبي نكتة بلاغية في مناسبة السياق لما سبقه فقال : "ولما ذكر له حال الكافرين والمؤمنين أمره بالثبات على الإيمان أي أثبت على ما أنت عليه من التوحيد والإخلاص"^(٣).

وهو يرشح بلاغة الكناية^(٤) في طلب العلم وهو العلم بالمعلوم وهو المقصود في السياق^(٥) ، وقد خص المعلوم مدحاً بكلمة التوحيد بأسلوب القصر (لا إله إلا الله) في نفسي أي إله وإثبات الكمال في كل شيء لله عز وجل وهو قصر الصفة على الموصوف بحيث لا يتصف بهذه الصفات العليا إلا الله عز وجل^(٦) ، وهذا يومئ إلى بلاغة الإظهار بدل الإضمار للفظ الجلالة فقد وقعت في سورة محمد تماماً لكلمة الإخلاص تشريفاً وتكريماً وإعلاء لاسمه الكريم ﷺ ، وعطف عليها أسلوب الأمر (واستغفر) فهو ثمرة المدح الإلهي وهو عبادة لذا عطفها على الأمر (فاعلم)^(٧) ، ونجد نكتة بلاغية في تقديم الأمر (فاعلم) على الأمر (فاستغفر) في بيان فضيلة العلم بالله على العمل و"تنبيهاً على فضله واستبداده بالمزية لاسيما العلم بوحدانية الله تعالى و (العلم) ارفع من المعرفة ولذا

(١) وهو يعرف بالأسلوب الخبري الطلبي عندما يكون المخاطب متردداً فيحتاج الكلام إلى تقويته فيؤكد حسب السياق ، التلخيص في البلاغة / ٤١ .

(٢) فتح البيان : ٦٥/١٣-٦٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٢/١٦ ، تنوير الإذهان من تفسير روح البيان ، البرسوي : ٨٣/٤ .

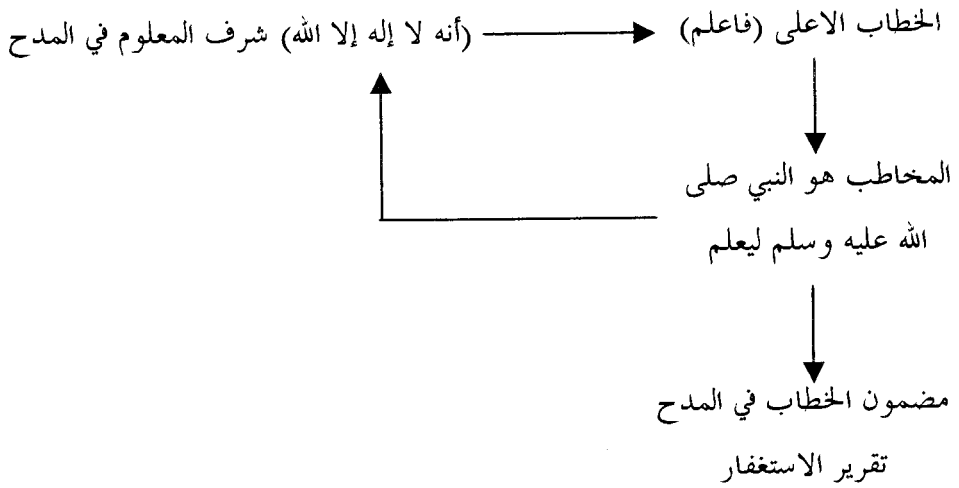
(٤) هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك ... " ، مفتاح العلوم/ ١٨٩ ، البلاغة التطبيقية ، د. محمد رمضان / ٢٩٠ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٠٥/٢٦ .

(٦) من بلاغة القرآن ، د. أحمد بدوي / ١٥٦ .

(٧) في ظلال القرآن : ٤٦٢/٧ ، تفسير جزء الأحقاف ، عفيف طيارة / ٥٦ .

قال (فاعلم) دون فاعرف لأن الإنسان قد يعرف الشيء ولا يحيط به علماً^(١) ، وخص المؤمنين والمؤمنات بالاستغفار رحمة بهم وبياناً لفضيلة الإيمان بالله وحده فقد نالوا هذا التشريف والتكريم ، ثم ختم الآية الكريمة (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) فقد ختم بالجملة الاسمية لدلالاتها على الثبوت والاستقرار فالله عز وجل "يعلم تصرفكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة"^(٢) ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :



سورة الإخلاص

إذا كان المدح بالتوحيد قد جاء متمثلاً في كلمة الإخلاص ، فإن البلاغة القرآنية ترشح سورة الإخلاص أنموذجاً في الوحدة الموضوعية للمدح ، وهي تجمع الصفات الإلهية ، وقد عد الرازي أسماء كثيرة لها أوصلها إلى (عشرين) اسماً منها (سورة

(١) لغة المنافقين في القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين : ١٢٢/٢ .

(٢) صفوة التفاسير : ١٨٠/٣ .

التوحيد^(١) ، وكل هذا "يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى"^(٢) ، والسورة الكريمة نزلت رداً على المشركين فيما سألوا عن الله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل السورة مخاطباً نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٣) . [سورة الإخلاص/ ١-٤] .

والسور كلها نسيج بلاغي متكامل في المدح الإلهي ويمكن أن نجد أساليب المدح في (ثلاث) نكت بلاغية:

الأولى : براعة المطلع بقوله (قل هو الله أحد الله الصمد) فقد بدأ الخطاب بأسلوب الأمر (قل) لاقرار أسمى قضية وهي التوحيد الخالص لله عز وجل دون ندٍ أو شريك ولنكتة بلاغية وهي "التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها...^(٤) ، ثم أعقبه ضمير الشأن "هو" لإفادة الاهتمام بالجملة التي بعدها وإذا سمعه الذين سألوا تطلعوا إلى ما بعده"^(٥) ، لذا أعقبه بلفظ الجلالة (الله احد) لأجل التعظيم "فدل بقوله (الله) على جميع صفات الكمال وهي الثبوتية كالعلم والقدرة والإرادة وبالأحد على صفات الجلال وهي صفات السلبية كالقدم والبقاء..."^(٦) ، وقد وردت (أحد) صفة شبهة لنكتة بلاغية يرشحها السياق فهي "تفيد تمكن الوصف في موصوفها بانه ذاتي له فلذلك أوثر (أحد) هنا على (واحد) لأن (واحد) اسم فاعل لا يفيد التمكن... فوصف الله بانه (أحد) معناه أحد منفرد بالحقيقة التي لوحظت في اسمه العلم وهي الألوهية المعروفة... ولأن الصفة المشبهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدة الله تعالى إلى عقول أهل اللسان العربي

(١) التفسير الكبير : ٣٢ / ١٧٥-١٧٦ ، أسماء سور القرآن الكريم ، باسل (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية - جامعة الموصل - ١٩٩٩) / ٢٩٠ .

(٢) الاتقان : ٥٢/١ ، ٥٥ .

(٣) أسباب النزول / ٢٦٢ .

(٤) تنوير الأذهان : ٤ / ٦١١ ، في نور القرآن / ١٨٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٦١٢ .

فتح البيان : ١٥ / ٤٤٨ ، دراسات في سورة الإخلاص ، د. خليل السامرائي (بحث مقدم إلى

كلية العلوم الإسلامية - بغداد، ١٩٩٧) ٦٦-٦٧ .

المبين"^(١)، ثم جاء ببلاغة الفصل^(٢) مع العدول عن إضمار لفظ الجلالة بقوله (الله الصمد) تعظيماً لله عز وجل، و (الصمد) له دلالة اللغوية على القصد والتوجه إلى الله عز وجل في الحوائج كلها قال ابن فارس: "الصمد: القصد، يقال: صمدته صمداً وفلان مصمداً إذا كان سيداً يقصد إليه في الأمور... والله جل ثناؤه الصمد لأنه يصمد إليه عباده بالدعاء والطلب..."^(٣)، وفي السياق نكتة بلاغية في "اختيار هذه الصيغة وآثرها على ما هي بمعناه (مصمود) لأنها توحى بوزنها الصرفي بمعنى صيغة من صيغ الصفة المشبهة (فعل) مثل حسن وبطل فيسبق إلى الذهن معنى الثبوت فيها والدوام وهو أمر متحقق فيه جل وعلا"^(٤). فقوله (الله الصمد) دون (هو الصمد) فيه "من الحسن والبهجة ومن الفخامة والتبل ما لا يخفى موضعه على بصير وكان لو ترك فيه الإظهار إلى الإضمار فقيل... (قل هو الله أحد هو الصمد) لعدم الذي أتت واجده الآن"^(٥) فتحققت بلاغة التكرار^(٦) في المدح الإلهي فقد "كرر لتكون كل جملة منها مستقلة بذاتها غير محتاجة إلى ما قبلها ثم نفى سبحانه عن نفسه الولد والصاحبة"^(٧)، وقد ذكر الرازي نكتة المدح الإلهي في قوله (الله أحد) (الله الصمد) فقال: "فقوله (الله أحد) إشارة إلى كونه واحداً بمعنى انه ليس في ذاته تركيب ولا تأليف بوجه من الوجوه، وقوله (الله الصمد) إشارة إلى كونه واحداً بمعنى نفى الشركاء والأنداد والأضداد"^(٨)، وهذا تمهيد لما بعده "لأن من يلد سيموت ومن يرث ويورث عنه ففسر الصمد بما بعده"^(٩) تعريضاً

(١) التحرير والتنوير: ٦١٤/٣٠، صفاء الكلمة، د. عبدالفتاح لاشين/٢٤.

(٢) وهو يعرف عند البلاغيين بترك العطف لعل بلاغية، أصول البلاغة/١٠٣.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٠٩/٣، الجامع لأسماء الله الحسنى، حامد أحمد/١٨٩.

(٤) دراسات قرآنية في جزء عم، د. محمود أحمد/٢٤٠.

(٥) دلائل الإعجاز/١٩٧، من بلاغة القرآن/١١٨.

(٦) وهو نوع من الإطناب في ذكر الشيء مرتين لعل بلاغية، جواهر البلاغة/١٩٨.

(٧) أسرار التكرار في القرآن/٢٢٧.

(٨) التفسير الكبير: ١٨٢/٣٢، وضع الظاهر موضع المضمرة وتطبيقاته في القرآن الكريم، د. طلال

(بجلة آداب الرافدين - جامعة الموصل - ١٩٩٧) /٧٣.

(٩) تفسير السراج المنير، الشربيني: ٦٠٩/٤، التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز، أسامة الرفاعي/

بالأصنام والأوثان المعبودة من دون الله.

الثانية : مضمون السورة بقوله (لم يلد ولم يولد) في نكتة تقديم (لم يلد) وتأخير (لم يولد) لبيان كمال الصفات في الأفراد بالوحدانية اقراراً على المخاطبين ضعفهم بذكر الولادة وتعلق بعضهم ببعض "لأن من يصمد إليه لا يكون من حالة ان يلد لأن طلب الولد لقصده الاستعانة به في اقامة شؤون الوالد وتدارك عجزه"^(١). وعطف عليه (ولم يولد) لنكتتين بلاغيتين "وهي بمنزلة الاحتراس^(*) سداً لتجويز أن يكون له والد فأردف نفي الولد بنفي الوالد ، وإنما قدم نفي الولد لأنه أهم إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والداً"^(٢).

الثالثة : المدح بحسن الختام بقوله (ولم يكن له كفواً احد) أي لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته وفي توظيف أداة الجزم (لم) دلالة على انصراف معنى الفعل المضارع إلى الماضي ويفيد استمرار نفي الحدث^(٣) ، فالآية تذييل لكل ما سبق من معاني المدح الإلهي ليوافق في الوحدة الموضوعية ببلاغة الجناس التام^(٤) بين مطلعها (أحد) وختامها (أحد) لبيان "ان للجناس التام الاسمي دوراً بارزاً في تأكيد وحدانية الحق سبحانه وتعالى"^(٥) ، ولنكتة أخرى "فبعد ان أبطلت الآية الأولى من هذه السورة تعدد الإله بالأصالة والاستقلال أبطلت هذه الآية تعدد الإله بطريق إله من إله لأن المتولد مساوٍ لما تولد عنه"^(٦) ، وبه تتكامل معاني المدح في السورة كلها فهي "تؤلف وحدة متناسقة ملتحمة

(١) التحرير والتنوير : ٦١٨/٣٠ ، من وحي القرآن / ١٣٣.

(*) الاحتراس : "وهو ان يؤتى في كلام يومهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم" جواهر البلاغة / ٢٠١.

(٢) التحرير والتنوير : ٦١٨/٣٠ ، تفسير سورة الإخلاص ، لابن تيمية / ٩٠.

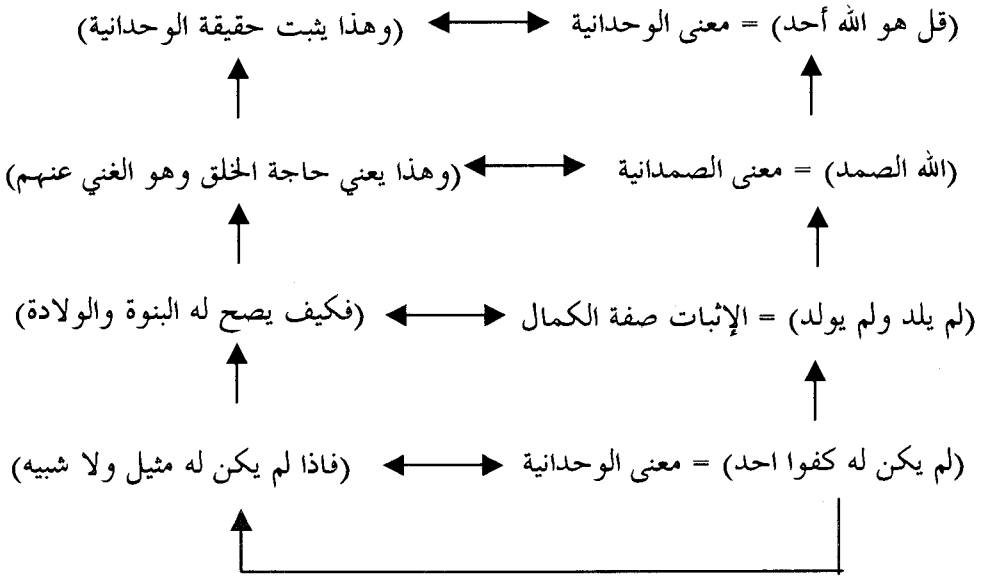
(٣) ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية ، د. علي / ٧٩.

(٤) وهو يرجع إلى اللفظ وذلك ان اتفقت الكلمتان في أنواع الحروف وعددها وترتيبها وهيأها ، ينظر شرح التلخيص / ٦٦٥.

(٥) الجناس في القرآن الكريم ، أسماء (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٩٨) / ٦٠.

(٦) التحرير والتنوير : ٦١٨/٣٠ .

المعاني مترابطة المباني برز مقصدها بشكل مؤثر وفاعل من خلال تقرير ألوهيته تعالى ووحدانيتها^(١) ، والسورة تمثل المدح التكاملي والتصاعدي كما هو مبين في المخطط:



المدح بـ(الأسماء الحسنى) في الفاصلة القرآنية

ان الأشياء تعرف بما ينتسب إليها وما تنسب إليه ، وان لكل مسمى نصيباً من اسمه يدل عليه ، فمن أعظم الأسماء هي الأسماء الحسنى فهي تشغل مساحة واسعة في القرآن الكريم "وقد دلت اسماؤه التي عبر بها عن نفسه في كتابه على سمو ذاته وتعالیه عن خلقه وعلى كمال جماله المائل في رحمته وفضله"^(٢) ، وقد وردت بصفة الاضافة (الأسماء

(١) حسن الابتداء والانتفاء في سور القرآن الكريم ، وفاء (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ١٩٩٨/١٦٣).

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة / ٤٠، ٦٨، القول الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، محمود المصري / ٣.

الحسنى) في النظم القرآني ، فالأسماء بذاتها مدح لأنها تنسب إلى الله عز وجل وبها تعرف صفات الخالق عز وجل وقدرته ، ووصفها بالحسنى مدح لها ففي المدح مدح فإن "اللمحة الأولى منها تلهم بجمالها وجلالها فهي أسماء (حسنى)... فإن آثارها ومستلزماتها تدل على حسنها أيضاً..."^(١) ولنكتة بلاغية أخرى "لأن حسن الاسم هو لحسن معناه"^(٢) ، وقد ورد مدح لفظ (الأسماء) بالحسنى في (أربع) آيات هي:

- قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾ [سورة الأعراف/١٨٠].
- وقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء/١١].
- وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة طه /٨].
- وقوله تعالى : ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الحشر/٢٤].

فمن بديع المدح بـ(الأسماء الحسنى) التقديم والتأخير سواء بالاسم الظاهر أم المضمرة كما نجده في المواضع كلها لنكتة بلاغية وهي إفادة معنى الاختصاص به سبحانه وتعالى وحده إذ لا ينبغي الدعاء والتضرع إلا إليه لأن غاية الدعاء لا يكون إلا بها وهو الإخلاص لله عز وجل وتوحيده في الأسماء والصفات^(٣) ، وثمة نكتة أخرى "فقد صرح القرآن بها لتبنيبه الحس الإنساني والعقل والضمير البشري إلى الالتزام بالقيم الجمالية والجلالية التي تتفياً في ظلال الخير والحق والجمال الإلهي"^(٤) ، فهي في غاية الحسن والجلال في التصريح بلفظ الجلالة (الله) فقد "نسب إلى هذا الاسم الأسماء كلها... وتسمى الناس بسائر الأسماء ولم يتسموا بهذا الاسم الواحد وهو الله"^(٥) لانفراده

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/٢٤١.

(٢) متشابه القرآن ، للفاضلي عبدالجبار: ٤٧٠/٢.

(٣) وفيه تعريض بدم المشركين الذين حرفوا في الأسماء ونسبوا إلى آلهتهم، ينظر في ظلال القرآن : ٦٨٥/٩.

(٤) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/٢٤٩.

(٥) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، الرازي : ١٢/٢.

به سبحانه وتعالى "فصفات الله عز وجل كلها ثناء عليه ومدح له مدح بها نفسه ونبه العباد عليها وتعبدهم بوصفه بها.."^(١) ، ومن بلاغة المدح بها انها ترد منفردة في القرآن الكريم فقد "أتى بها متفرقة في إحدى وخمسين وثلاثمائة آية من آياته في طوال سورة وقصارها مكيها ومدنيها"^(٢) ، وكلها تدل على الثناء والتعظيم لله عز وجل ، وقد ترد ببلاغة تنسيق الصفات كما في قوله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر/٢٣] ^(٣) وهو الغالب في السياق القرآني ، ومن هذا يتبين انه "قلما يرد اسم من الأسماء الحسنی غير مقترن باسم آخر منها"^(٤) ، وكذلك نجد بلاغة المدح في بنية الأسماء الحسنی فمنها ما يكون على وزن (فعول) مثل (ودود-غفور) وغيرها ، وعلى وزن (فعليل) مثل (رحيم- كريم) للمبالغة في الوصف والمدح^(٥) ، ومن أساليب المدح ان ترد الأسماء الحسنی مدحاً في حق الله عز وجل وذمّاً لغيره إذا اتصف بها مثل "المتكبر" قال الرازي : "واعلم ان المتكبر في حق الخلق اسم ذم لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حق الخلق لأنه ليس له كبر ولا علو ... فكان ذلك مذموماً في حقه ، وأما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه"^(٦) ، وكذلك اسم (الجبار) "إذا وصف الإنسان بالجبار كان وصف ذم لأنه يشعر بانه يحمل غيره على هواه... فالجبار من أمثلة المبالغة لأنه مشتق من أجبره"^(٧) ، وقد ترد هذه الأوصاف مدحاً للبشر إذ وصف الله عز وجل أنبياءه ومن اصطفاه كالمدح بـ (الأعلى)

(١) اشتقاق أسماء الله ، الزجاجي/٤٧٦ ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنی ، الغزالي/٤٨.

(٢) الاقتصران الثنائی بین أسماء الله الحسنی في القرآن الكريم فخري (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية

الأداب - جامعة الموصل، ١٩٩٨/٥.

(٣) العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي ، د. محسن عبد الحميد /٣٧.

(٤) الفاصلة في القرآن ، محمد الحسنائوي/٣١٤.

(٥) معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي /١١٨، ١١٥.

(٦) التفسير الكبير : ٢٩٤/٢٩ ، بلوغ المرمى باستعمال أسماء الله الحسنی ، خالد محمد /١٠.

(٧) التحرير والتنوير : ١٢٢/٢٨ ، أسماء الله الحسنی وصفاته العليا ، نجوى عبد الغفور /١٩.

لموسى عليه السلام^(١)، والمدح في الاقتران الثنائي (رؤوف رحيم) في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم^(٢)، إلا أن أغلب الأسماء الحسنى وردت بالاقتران الثنائي في الفاصلة القرآنية ولها وظيفتها التعليمية والتربوية في النظم "فالفاصلة في القرآن الكريم لها مزية مهمة ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحداراً وكأن ما سبقها لم يكن إلا شهيداً لها..."^(٣)، وهناك منها ما لم يرد في الفاصلة القرآنية حسب ما يقتضيه السياق^(٤)، وقد يرد المدح بالأسماء الحسنى في بلاغة العدول على لسان نوح عليه السلام في المناجاة في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود/٤٥] فلم يقل (ارحم الراحمين) قال الزمخشري: "أي أعلم الحكام وأعدهم لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل"^(٥)، وفيه ادب الخطاب والدعاء، وقد وردت الأسماء الحسنى في سياق الوصية البليغة على لسان لقمان الحكيم في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان/١٦] فحصل المدح بقوله (لطيف خبير) دون (عليم خبير) قال الرازي: "لأن من يظهر له الشيء ولا يقدر على إظهاره غيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره غيره فقوله (يأت بها) أي يظهرها الله للأشهاد"^(٦) فهو اللطيف الخبير، وهناك إحصاء عددي لورودها في السور القرآنية (مكي ومدني)^(٧).

(١) من البحث / ٨٧ .

(٢) من البحث / ٩٧ .

(٣) الفاصلة القرآنية د. عبدالفتاح لاشين / ٣٧ .

(٤) الفاصلة في القرآن / ٣١٢-٣١٣ .

(٥) الكشف : ٤٠٦/٢ ، فتح البيان : ١٩٢/٦ .

(٦) التفسير الكبير : ١٤٨/٢٥ ، النداء في القرآن الكريم - معن (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية

الآداب - جامعة الموصل ١٩٩٩) / ٢١٦ .

(٧) الفاصلة في القرآن / ٣١٢-٣١١ .

المدح بصفات مغايرة

- (غفور حلیم) و (حلیم غفور)

ومن الاقترانات العددية الاقتران بين (غفور رحيم) وهذا يقع في أغلب الآيات القرآنية فقد ورد في (اثنين وسبعين) موضعاً^(١) ، " وهذا التقديم أولى بالطبع لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة تطلب قبل الغنيمة... " ^(٢) ، ومن بلاغة النظم التنوع في الاقتران فنجد السياق يرشح الاقتران بين (غفور حلیم) وفي سياق آخر (حلیم غفور) لنكت بلاغية كما في قوله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٢٥].

وقوله تعالى : ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء/ ٤٤].

فجاءت الفاصلة بالمدح في الأسماء الحسنى بما يناسب كل سياق ، والمغفرة في اللغة لها دلالتها على الستر قال ابن فارس : "الغين والفاء والراء عظم بابه الستر... فالغفر الستر والغفران والغفر بمعنى... " ^(٣) ، أما دلالة الحلم فهو على خلاف التهور والطيش وترك العجلة فالحلم "خلاف الطيش يقال : حلمت عنه أحلم فأنا حلیم" ^(٤) ، فسياق الآية الأولى في الحديث عن عفو الله عز وجل في لغو اليمين فحتمت في المدح بالاقتران الثنائي بـ(غفور رحيم) في بلاغة الإيجاز لما سبق من الحكم في لغو اليمين وهذا يعاضد بلاغة الطباق السلب^(٥) بين قوله (لايؤاخذكم) و (يؤاخذكم) والمعنى انه لا يؤاخذكم من غير قصد لكمال مغفرته ورحمته ويؤاخذكم بما قصدتم فهو الحلیم

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٦١٢-٦١٣.

(٢) صفاء الكلمة / ٢٢٧ ، أسماء الله الحسنى وعلاقتها بمخلوقاته ، شاعر عبد الجبار / ١٨٠، ١٤٨.

(٣) مقاييس اللغة : ٤ / ٣٨٥ ، المفردات / ٣٦٢.

(٤) مقاييس اللغة : ٢ / ٩٣.

(٥) "وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد سلب وإيجاب" شرح التلخيص / ٦١٦.

عليكم ، وفيه بلاغة التعريض بدم كثرة الحلف^(١) ، فقدم المغفرة تعليماً للمؤمنين ان يحفظوا إيمانهم تعظيماً لله عز وجل ، فمن كمال التعظيم لله عز وجل أن يكون ذكره أجمل وأعلى من ان يستشهد به في غرض من الأغراض الدنيوية^(٢) ، وأخر لفظ (الحلم) لسبق رحمته تعالى على عباده وانه لا يؤاخذهم بلغو اليمين ولو شاء لأخذهم به فمن كمال مغفرته على عباده انه حلیم بهم^(٣) ، وهو تذييل^(*) بليغ وقد ذكر ابن عاشور نكتة الاقتران عدولاً عن "غفور رحيم" فقال : "لأن هذه المغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى فلذلك وصف الله نفسه بالحليم لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه ولا يغضب للغفلة ويقبل المعذرة"^(٤) ، وجاء بصيغة المبالغة (فعول) دلالة على أن "الله عز وجل غفور لأنه يفعل ذلك لعباده مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى فجاءت هذه الصفة على أبنية المبالغة لذلك"^(٥) ، ومن هذا يظهر دقة التعبير القرآني بما يناسب السياق ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط:

(١) روائع البيان تفسير آيات الاحكام من القرآن ، الصابوني : ٣٠٩/١ .

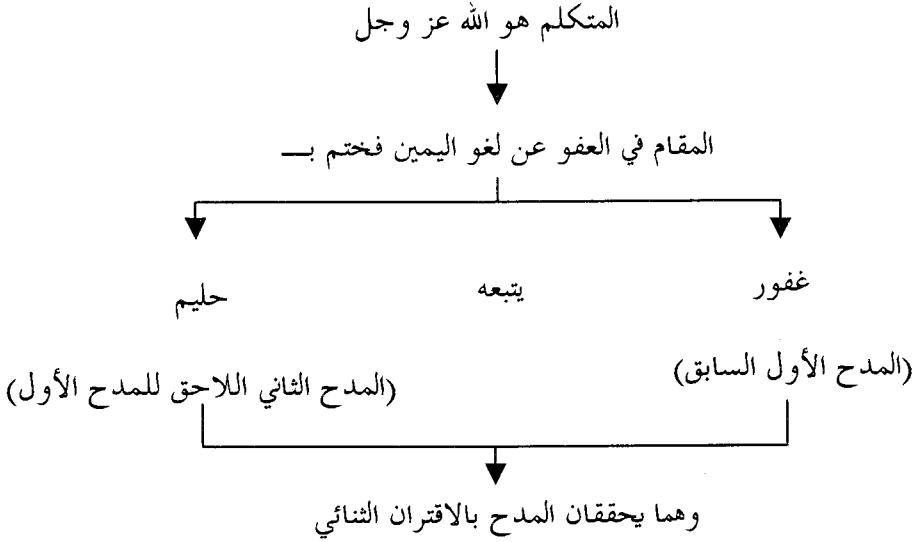
(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٦٨/١ ، فتح البيان : ١٠/٢ .

(٣) الكشاف : ٢٤٣/١ ، تفسير آيات الاحكام ، السائيس : ١٣٤/١ .

(*) التذييل وهو "تعقيب الجملة بمعنى تشتمل على معناها أي الجملة الأولى لإفادة التوكيد" شرح التلخيص/٤٤٨ .

(٤) التحرير والتنوير : ٣٨٤/٢ ، تفسير سورة البقرة ، د. امير عبد العزيز /٣٩٤ .

(٥) اشتقاق أسماء الله /١٥١ ، في أسماء الله الحسنی (غافر ، غفار ، غفور) ، سعدي جمعة /٤٦-٤٧ .



أما فاصلة آية الإسراء فقد ختمت بقوله (انه كان حليماً غفوراً) فسياق الآية الكريمة عن التسييح المطلق لله عز وجل سواء كان من العاقل أم من غيره ، فقد وردت الآية بعد رد أقوال المشركين فيما زعموا واعتقدوا لإقامة الحججة على المنكرين وإثبات وحدانية الله عز وجل الذي انقاد له كل شيء تسيحاً وذكراً^(*) لذا جاء بالتوكيد مع بلاغة الإضمار^(١) والفصل بقوله (انه) وهو "يفيد التعريض بأن مقاتلهم تقتضي تعجيل العقاب لهم في الدنيا لولا ان الله عاملهم بالحلم والإمهال وفي ذلك تعريض بالحث على الإقلاع عن مقاتلهم ليغفر الله لهم"^(٢)، فذكر صفة التنزيه والتسييح ابتداءً من الملائكة الأعلى في السموات ثم الملائكة الأدنى وما بث فيهما من الخلق ليذكروا الله عز وجل "وانه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر كل حبة... كل إنسان كل حيوان ... كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه"^(٣) ، وجاء بصيغ

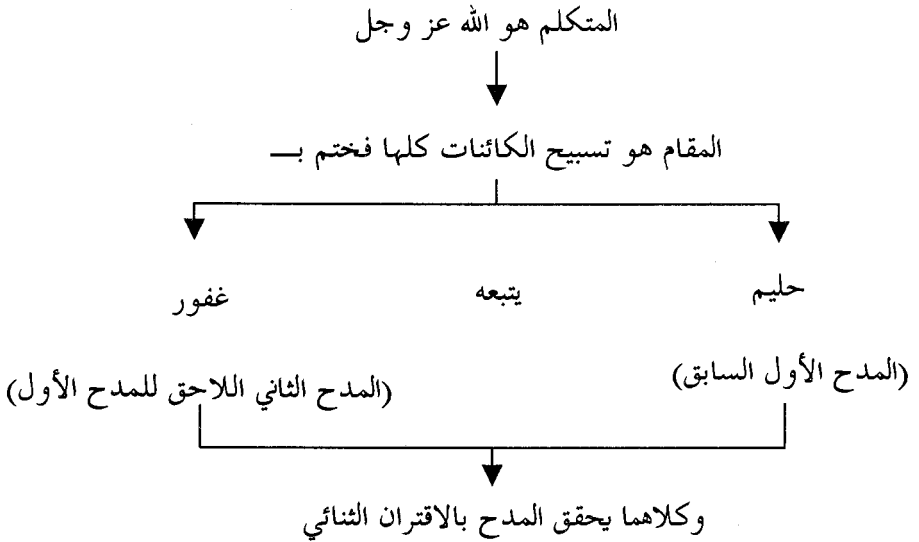
(*) في قوله تعالى: "قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً" ٤٢.

(١) وهو ان "يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيوضع المضمرة موضع المظهر" شرح التلخيص/٢٥١.

(٢) التحرير والتنوير: ١١٥/١٥.

(٣) في ظلال القرآن: ٣٣١/٥ ، الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى فخري (رسالة ماجستير- مقدمة إلى كلية الآداب-جامعة الموصل-١٩٩٨-٢٠٧).

المبالغة^(١) (فعليل) ليدل على أنه لولا حلمه سبحانه وتعالى لأنزل العقوبة لكثرة غفلة العباد "فمن حلمه الإمهال لكم وعدم إنزال عقوبته عليكم على غفلتكم وسوء نظركم وأمهلكم بالتسبيح ومن مغفرته لكم انه لا يؤاخذ من تاب منكم"^(٢) ، فختم بها "لما كان كل شيء في السموات والأرض يسبح بحمد الله ويشير إليه ويدل عليه كان من الغفلة التي تستحق العقوبة ، إلا نفقة دلالة هذه المخلوقات على الخالق فناسب ذلك وصفه بالحلم والغفران حين لم يعاجل هؤلاء الغافلين بالعقاب"^(٣) ، لذا ختم بالمدح بتقديم (الحلم) على (المغفرة) لما يقتضيه السياق وكما هو مبين في المخطط:



(١) وهي "ان يدعي الوصف بلوغه في الشدة والضعف حداً مستحيلاً "مستبعداً" ، التلخيص في البلاغة/٣٧٠.

(٢) فتح البيان : ٣٩٩/٧ ، ينظر من أسماء الله الحسنى (غافر-غفار - غفور) /٧٠-٧١.

(٣) من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي /٨٠.

حكيم عليهم

ومما يرشحه التعبير القرآني الاقتران الثنائي مدحاً بين (حكيم عليهم) لنكتة بلاغية إذ ان أغلب الاقتران في الآيات القرآنية بين "عليهم حكيم"^(١) لأن الحكمة خلاصة العلم ، وبالحكمة يستدل على فضل العلم ومكاته "والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ... ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات"^(٢) لذا قدم (عليهم) وأخر (حكيم) ، ومن التغيرات في الاقتران قوله تعالى ﴿وَأِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة النمل/٦].

فالسباق يرشح تقديم (حكيم) على (عليهم) ، فمن بلاغة الآية مطلعها بالتوكيد بـ(ان) واللام^(٣) مع بلاغة العدول عن الإظهار إلى الإضمار في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم تشریفاً له وتكريماً وذلك التوكيد لمسألة إيمانية ولأهميتها ومكاتها جاء التوكيد عليها مع خطاب النبي صلى الله عليه وسلم "وتأكيد الخبر مجرد الاهتمام لأن المخاطب هو النبي وهو لا يتردد في ذلك أو يكون التأكيد موجهاً إلى السامعين من الكفار على طريقة التعريض"^(٤) ، لذا جاء ببلاغة التمثيل^(٥) بقوله (لتلقى) "وهو هنا يمثل لحال إنزال القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم بحال التلقية كأن جبريل سعى للجمع بين النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن"^(٦) ، ثم ذيلت الآية بحسن الختام في المدح بالاقتران الثنائي (حكيم عليهم) إذ "تجلى حكمته وعلمه في هذا القرآن في منهجه وتكاليفه وتوجيهاته وطريقته..."^(٧) وهو يومئ إلى التسليم الكلي لكل ما في القرآن الكريم من حكمة بالغة وموعظة عظيمة لأنه من حكيم بكل شيء عليهم بالأمر كلها جليها

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٥٨٥-٥٨٦.

(٢) المفردات/ ١٢٧ ، التحبير في التذكير شرح أسماء الله الحسنى ، القشيري/ ٥٢ ، ٧٥ .

(*) وهو أسلوب خبري إنكاري عندما يكون المخاطب منكرأ فيحتاج إلى تقويته بأكثر من مؤكد ، التلخيص في البلاغة / ٤١ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٢٣/١٩ .

(٤) وهو "أن يكون وجهه منتزعاً من متعدد" ، شرح التلخيص/ ٥١٦ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٢٣/١٩ .

(٦) في ظلال القرآن : ٢٥٤/٦ .

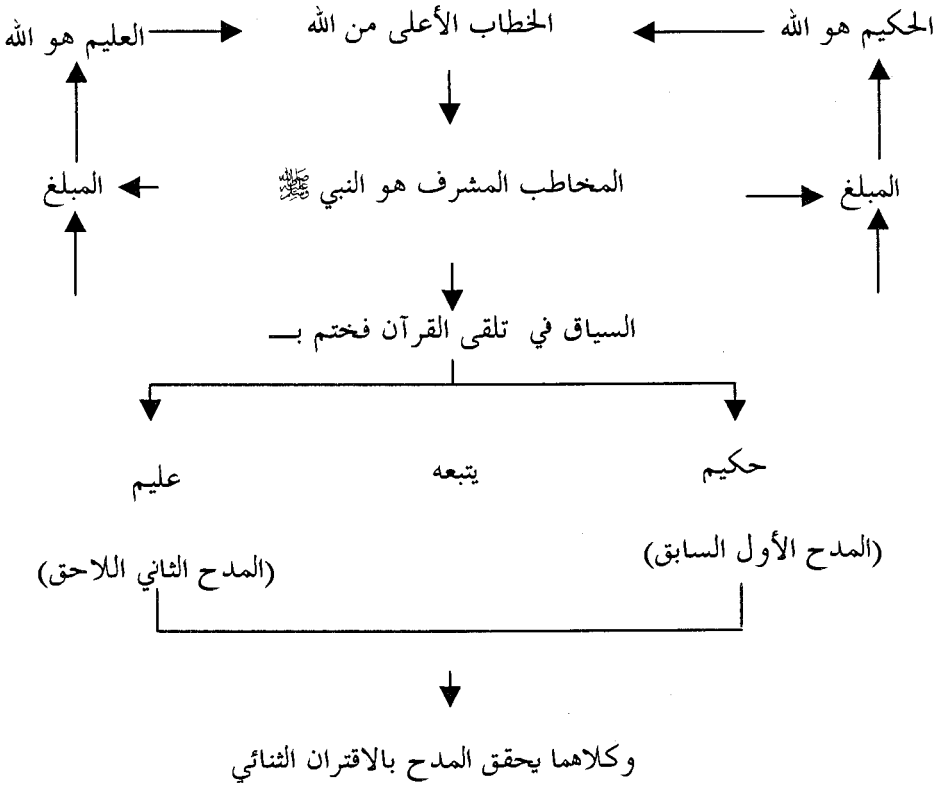
وصغيرها^(١) ، وبه ميزة الإعجاز على سائر العلوم والكلام البشري ، وقد ذكر الزمخشري نكتة بلاغية انها جاءت تمهيداً لما بعدها لأن الآية "بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الأقاويص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه"^(٢) فهو لما قبله تذييل ولما بعده تمهيد لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء المدح في بلاغة (النكرة) وفيه "إيدان بتعظيم هذا الحكيم العليم كأنه قيل من حكيم أي حكيم عليم أي عليم"^(٣) وهما على صيغة (فعل) وصيغتهما " في الصفة المشبهة تدل على أن الوصف ثابت في صاحبه أو كالثابت ... تقول : هو طويل أو قصير أو قبيح أو جميل فهذه الصفات ثابتة في أصحابها"^(٤) ، فوافق المدح بالأسماء الحسنی مقتضى السياق ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي:

(١) في تفسير القرآن العظيم : ٣٥٧/٣ .

(٢) الكشف : ٣٩٢/٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٢٤/١٩ .

(٤) معاني الابنية في العربية ، د. فاضل السامرائي / ٦٠-٦١ .



شكور حليم

ومن فريد الاقتران الثنائي (شكور حليم) فقد ورد في موطن واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم وَيَغْفِرْ لكم وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التغبان/١٧].

جاءت الآية الكريمة بعد ان بينت الآيات السابقة لها عداوة وفتنة المال والأولاد ودم صفة الشح والبخل ، فجاءت الآية في سياقها لبيان فضل الله عز وجل وكرمه لمن تخلق بخلق الكرم والقرض بعاقبة المضاعفة والمغفرة والثواب العظيم في بلاغة الاستعارة

التمثيلية^(١) بقوله (ان ترضوا الله) ، ليعلم "السامع ان القرض أطلق على الإنفاق الأمور به اطلاقاً بالاستعارة والمقصود الاعتناء بفضل الإنفاق الأمور به"^(٢) ، ثم ختم الآية بالمدح بقوله (والله شكور حلیم) فهو (الشكور) "أي الشاكر للمحسن إحسانه"^(٣) ، وتحقق بلاغة المدح في العدول عن (غفور) إلى (شكور) لما في (الشكور) من معان يتفياً المخاطب ظلها تناسب موضوع المال والعطاء وفيه تعليم للمؤمنين ان يحسنوا ولا ينسوا الفضل بينهم وهي من نعم الله عز وجل بياناً لكرم الله عز وجل على خلقه ، فناسب السياق في المدح السابق بـ(شكور) بصيغة المبالغة فهو "كثير الشكر وأطلق الشكر فيه على الجزاء بالخير على فعل الصالحات تنبيهاً لفعل المتفضل بالجزاء ليشكر المنعم عليه على نعمه ولا نعمة على الله فيما يفعله عباده من الصالحات ... وتلطف لهم فسمي ذلك الثواب شكراً وجعل نفسه شاكراً"^(٤) وبما ان الناس تميل إلى حب المال والتعلق به فيكون سبباً لهلاكهم لذا أعقبه بـ(حلیم) فإن الله عز وجل لا يعجل أخذهم وعقوبتهم "ولا يصلح الحلم إلا ممن يقدر على العقوبة وما يجري مجراها ولا يقال للعاجز والتارك حلیم ، وإنما الحلیم : من أحر أو عفا وهو مدح وتعظيم"^(٥) له سبحانه وتعالى بالغلبة والقهر ومن هذا "يكون إجمال الأسماء الحسنی كلها حمداً لله ، وما الأسماء والحمد إلا إقراراً بجلال ذاته وكمال صفاته ... والثناء عليه بعظيم إحسانه ومضي برهانه"^(٦) ويمكن أن نجد ذلك في المخطط الآتي:

(١) وهو أن يكون المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد مع إيراد المعنى الوضعي، جواهر البلاغة/ ٢٨٦.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨/٢٩٠.

(٣) صفوة التفاسير : ٣/٣٤٤ ، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم ، عبدالله كنون / ١٩١١.

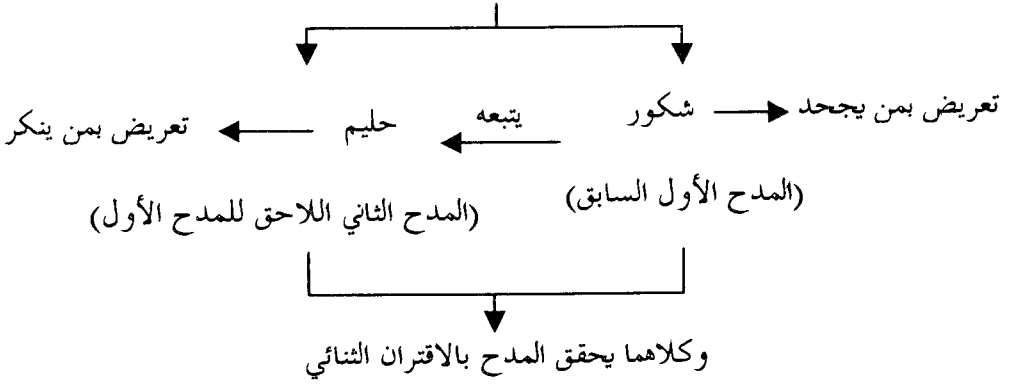
(٤) التحرير والتنوير : ٢٨/٢٩٠ ، الموسوعة الأغنى في معرفة أسماء الله الحسنی، مختار فوزي / ١٠٦.

(٥) الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنی ، فحري (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٩٩٨/١٣٨).

(٦) من الاشباه والنظائر في القرآن الكريم ، عبدالعزيز سيد الأهل / ٣٣.

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

المقام في فضيلة القرض وجزاءه فختم بـ



ويمكن أن لحظ الأساليب البلاغية في الملحق الآتي:

ملحق رقم [١-١]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
براعة المطلع أسلوب خبري ابتدائي التعريض	(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ) (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا)	١

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
<p>حسن الختام والأمر</p> <p>حسن الختام والأمر</p> <p>حسن الختام والخبر الابتدائي</p> <p>حسن الختام والوصل</p>	<p>(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ)</p> <p>(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)</p> <p>(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)</p> <p>(وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)</p>	٢
<p>الإظهار والخبر الطلبي</p> <p>القصر</p> <p>الإطناب</p> <p>الوصل والإضمار</p> <p>الاستعارة</p> <p>التذييل</p>	<p>(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)</p> <p>(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)</p> <p>(الْحَيُّ الْقَيُّومُ)</p> <p>(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)</p> <p>(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)</p> <p>(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)</p>	٣
<p>الأمر والخبر الإنكاري</p> <p>التوكيد والإضمار</p> <p>أسلوب القصر والإظهار</p> <p>بلاغة الوصل الأمر</p> <p>الوصل مع الإظهار</p>	<p>(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)</p> <p>(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)</p> <p>(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)</p> <p>(وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)</p> <p>(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)</p>	٤
<p>طباق سلب</p> <p>تذييل</p> <p>المبالغة</p> <p>التقديم والتأخير</p>	<p>(لَا يُؤَاخِذُكُمْ—يُؤَاخِذُكُمْ)</p> <p>(وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)</p> <p>(وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)</p> <p>(وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)</p>	٥

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل التوكيد والإضمار التذييل والخبر الطلبي المبالغة التقديم والتأخير	(وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)	٦
الوصل والخبر الانكاري التوكيد التمثيل التذييل المبالغة التقديم والتأخير	(وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى الْقُرْآنَ) (وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى الْقُرْآنَ) (وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى الْقُرْآنَ) (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)	٧
الاستعارة التمثيلية الوصل والإظهار التذييل والخبر الابتدائي المبالغة التقديم والتأخير	(إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)	٨
الأمر الإظهار والفصل التقديم والتأخير والاحتراس الوصل	(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (اللَّهُ الصَّمَدُ) (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)	٩

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل والتقديم والتأخير جناس تام	(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (اللَّهُ أَحَدٌ - كُفُوًا أَحَدٌ)	

المبحث الثاني

أساليب مدح الأنبياء والمرسلين

توطئه

يقع في القرآن الكريم مدح للشخصيات وذلك لما يقدمونه من أفعال حميدة أو لما فيهم من الخصال التي تميزهم عن غيرهم فيكون لها أثر في نفوس المخاطبين تجعل منهم قدوة صالحة يحتذى بها في الصلاح والخير وأبرز الخصال والصفات الحميدة في الممدوح ما كانت مجتمعة فيمن اصطفاهم الله عز وجل فزكاهم الله عز وجل فكانوا أمناء لتبليغ الوحي "والله سبحانه هو الذي تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم حتى كانوا قمماً شامخة وأهلاً للاصطفاء والاختبار" (١) ، وهم الأنبياء والمرسلون .

وتتنوع أساليب مدح الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم ومنها أسلوب (الذكر والحذف) فقد ذكر منهم تصريحاً (خمس وعشرين) نبياً وغيرهم ذكروا تضميناً ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [سورة النساء ١٦٣ - ١٦٥].

فلاية القرآنية جمعت محاسن المدح للأنبياء والمرسلين في التصريح والتضمين وبينت أعظم صفات لهم وهي الوحي والاصطفاء وهذا غاية المدح لهم ، مع بيان أعظم الخصال في الدعوة (التبشير والإنذار) (٢) .

والتي من أجلها استحقوا الثناء والمدح ، ومن بلاغة المدح ورود بعض أسماء السور القرآنية بأسمائهم وهي ذات دلالة موحية بالمدح بان يصرح فيها بأسمائهم وهي

(١) العقائد الإسلامية لسيد سابق / ١٨٢

(٢) العقيدة الإسلامية (سفينه النجاة) ، د. كمال محمد عيسى / ٢٥٢-٢٥٣.

(ست) سور: (يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، محمد ، نوح) عليهم السلام ، وكذلك ورد المدح لهم جمعاً باسم " سورة الأنبياء " (*) ، ونلاحظ أن السور كلها مكية إلا سورة محمد فهي مدنية لما فيها من الدروس والعبر في حياة كل داعية تمثلت في حياة الأنبياء والمرسلين وبيان صبرهم وجهادهم وتحمل الإيذاء مع قومهم وفيه تسلية للنبي ﷺ في دعوة قومه في مكة ولذا كانت أغلبها مكية. ومن أساليب مدحهم الأفراد أو الجمع أو الاقتران الثنائي كما بين (داود وسليمان) . (ويعقوب وإسحاق) عليهم السلام ، حسب ما يقتضيه السياق ، إذ أن الغالب في مدحهم هو الأفراد لبيان خصائصهم وما يجري لهم في الدعوة من محنة أو تجربة تعد درساً بلاغياً في الإقتداء ، إذ أن خير صفات المدح الجامعة لكل خير هي صفتا "الرسالة" و "النبوة" وذلك لأن " المعرفة بالمرسل إنما يقصد بها ترسم خطاهم والتخلق بأخلاقهم والتأسي بهم باعتبار انهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة (١) .

ومن بديع أساليب المدح أسلوب خطاب النبي ﷺ تذكيراً بالأنبياء المرسلين تصريحاً كما في قوله تعالى ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم/٤١] ، إذ حصل المدح بذكر اسمه الصريح. مع الصفة ألا أن في المدح مدحا آخر حصل في خطاب النبي ﷺ لأجل التذكير به وما ينطوي عليه الذكر القرآني من خصال وصفات تؤهل الممدوح إبراهيم ﷺ لأجل الاعتبار بها والتخلق بها ، وكذلك في مدح موسى ﷺ في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [سورة النازعات / ١٥] ، من أجل تفصيل القول في الحديث وما يحويه من العظات في مبدأ الثواب والعقاب إذ "لا شك ان خطاب الله لعباده أو لأنبيائه في القمة رقياً في الأسلوب ولطفاً في التركيب وليناً في التعبير" (٢) ، ومن أساليب المدح القرآني للأنبياء والمرسلين الانتساب بالإضافة إلى لفظ

(*) هناك بعض السور ارتبطت بحياة الأنبياء والمرسلين كمعجزة الإسراء في سورة الإسراء وصفتي (المدثر والمزمل) وغيرها .

(١) العقائد الإسلامية / ١٠ ، رسالة التوحيد ، محمد عبده / ١٠٩

(٢) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن / ١٩١ .

الجلالة الله عز وجل بأسلوب (رسلي) وذلك في (أربع) آيات^(١) ، مع انهم مرسلون من عنده ، إلا أن في الإضافة تشريفاً وتكريماً وثناءً عظيماً لكل رسول ، ومن التنوع في الألفاظ مدحاً بصفة العبودية (عبادنا) (عبدنا) (عبده) أو (عبد الله) ، أو أسلوب التوكيد كقوله تعالى ﴿وَإِنْ يُؤْتَسَّرَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات ١٣٩] ، أو ذكرهم تعريضاً بأقوامهم لبيان أخلاق الأنبياء والمرسلين وصفاتهم في تبليغ ما أرسلوا به كقوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء / ١٢٣] .

فاستحقوا على أمانة التبليغ وتحمل الإيذاء من أقوامهم الثناء والمدح بالتسليم عليهم كما في قوله تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات / ١٨١] وكذلك المدح بأفضلية التسمية تخصيصاً من الله عز وجل كما في نداء (زكريا) ﷺ في التبشير بـ (يحيى) ﷺ في قوله تعالى ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم / ٦] .

ومن أساليب مدح الأنبياء والمرسلين إبراز المكان لبيان أخص الصفات في حياتهم وأجلها وهي العبودية كذكر (المحراب) مع (زكريا) و (داود) عليهما السلام في قوله تعالى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [سورة آل عمران / ٣٩] ، وقوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ...﴾ [سورة مريم / ١١] ، وهذا يدعو إلى إظهار صفة الاقتداء والاتباع، وقد يكون المدح في الملاء الأعلى كما في قوله تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم / ٣٣] ، قال ابن عاشور " وهو كناية عن تكريم الله عبده بالثناء عليه في الملاء الأعلى^(٢) " .

ومما يرشح السياق في بيان سلوك الأنبياء في حياتهم وصفاتهم الخلقية الحسنة سورة قرآنية كاملة فصلت صفات المدح والكمال كما في حياة يوسف ﷺ فمن مطلعها إخبار بالرؤيا وهي تمهيد لتقرير ما فيه "من طهارة وزكاء ونفس وصبر"^(٣) ، ثم مدحه بالحكم والعلم عند البلوغ ، ثم مدحه بالعفاف والتقوى في قوله (معاذ الله) عند

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٣٩٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٠١/١٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٠٨ ، تأملات في قميص يوسف ، فرحان عزيز / ٥٠ .

المراودة ، ومدح الله عز وجل له بصفة المخلص لأنه عباد الله الصالحين ، ومدحه على لسان امرأة العزيز (فاستعصم) وهو " يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد ^(١) ، ومدحه على لسان نساء المدينة ﴿إِنَّ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف/ ٣١] وبصفة الإحسان بشهادة صاحبيه في السجن لما رأوا من كمال العقل والفهم لتعبيره الرؤيا في قوله تعالى ﴿إِنَّا نُرَاكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف/ ٣٦]، ثم مدحه على لسان الساقى بالصديق وهو " استعمال اللقب الجامع لمعاني الكلام واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى " ^(٢) ، والثناء عليه من قبل الملك بصفتي (مكين أمين) وهي المرتبة العظيمة مع انه مؤتمن عليه ^(٣) ، والمدح الذاتي في قوله تعالى ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف / ٥٥]، فكل هذه الصفات الممتدح بها تدل على سمو شخصيته وعلو مكانته وأخلاقه الطيبة .

وقد جمع أحد الباحثين صفات المدح والثناء للأنبياء والمرسلين فكان أكثرها مدحاً بصفتي (الرسالة) و(النبوة) فقد اقرنا مع (عشرة) أنبياء ^(٤) ، أما مدحا بصفة (من الصالحين) فقد اقرنت مع (اثنا عشر) نبياً ^(٥) ، ثم مدحاً بصفة (أمين) مع (سبعة) أنبياء ^(٦) ، ومن أساليب المدح اقران ذكر الأنبياء في الموازنة البديعة في الخصائص والصفات تكشف عن فضل الله وكرمه على رسله كما اجتماع (الأسوة الحسنة) مدحاً في إبراهيم عليه السلام ، ونبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الممتحنة/ ٤] ، قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة

(١) الكشاف : ٢ / ٤٦٧ ، الصبر في القرآن الكريم ، د. يوسف القرضاوي / ٧٩.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨٤/١٢

(٣) من بديع لغة التنزيل ، إبراهيم السامرائي / ١٧٢ .

(٤) أسماء الأنبياء وصفاتهم في القرآن الكريم ، صالح (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية - جامعة

الموصل ، ٢٠٠١/ ٢١٨-٢٢٢ .

(٥) م.ن / ٢١٩ .

(٦) م.ن / ٢١٥ .

الأحزاب/ ٢١]، وغيرها (١).

ومما يظالنا به أسلوب المدح تنوع المادح باعتبار المتكلم وذلك على (أربعة)

أقسام :

الأول : مدح من الله عز وجل وهو الغالب كقوله تعالى : ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص/ ٤٤]. في حق أيوب عليه السلام.

الثاني : مدح من الأنبياء المرسلين وهو نوعان : - الأول : مدح ذاتي كما صرح المسيح عليه السلام بإعلان العبودية في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ...﴾ [سورة مريم / ٣٠] ، وقوله تعالى على لسان هود عليه السلام : ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الأعراف / ٦٦] وغيرها .

الثاني : من الأنبياء للأنبياء كمدح هارون على لسان موسى عليه السلام بالفصاحة والبيان في المنطق والإفصاح كما في قوله تعالى : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا...﴾ [سورة القصص / ٣٤] ، ومدح يوسف على لسان يعقوب عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَبِعَلْمِكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ...﴾ [سورة يوسف/ ٦].

الثالث : مدح من الملائكة في ذكر صفات الأنبياء كقوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران/ ٣٩] وقوله تعالى : ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الحجر/ ٥٣] في حق إسحاق عليه السلام ومدح المسيح عليه السلام في خطاب مريم عليها السلام من جبريل عليه السلام : ﴿لَا هَبْ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم / ١٩].

الرابع : مدح عام من الناس تمثل في مدح الأخوة ليوסף عليه السلام في قوله تعالى :

(١) كما لمدح بالخلافة (لادم) و (داود) عليهما السلام في سورتي (البقرة / ٣٠ - ص/ ٢٦) ، ومدحاً بصفة الشكر (نوح) و (إبراهيم) ، عليهما السلام في سورتي (الإسراء/ ٣، النحل/ ٢٢١).

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف/٣٦] ، ومن النساء كمدح موسى ﷺ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص/٢٦] ومن الملك في مدح يوسف ﷺ في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [سورة يوسف/٥٤] ، ومن عامة الناس قال تعالى : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة القصص/٢٠] .

أو مدح عام على لسان الحيوان أو الحشرة كما ورد من النملة في بلاغة الاحتراس كما في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل/١٨] ، في حسن الاعتذار لسليمان ﷺ بأنهم لا يشعرون وهي صفة مدح له ولجنده " بالتقوى والتحفظ من حضرة الحيوان"^(١) ، بدليل الرضى والتبسم من قولها كما أخبر تعالى : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [سورة النمل/١٩] ، أي " أنه تبسم من ثنائها عليه "^(٢) . وكذلك مع الهدهد حكاية في قوله تعالى : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [سورة النمل/٢٢] ، فالسياق يرشح خطاب الهدهد مع سليمان ﷺ فكيف يقول له (أحطت بما لم تحط به) ، ومن هذا يمكن أن نقف عند نكتتين بلاغيتين .

الأولى : قوله (أحطت بما لم تحط به) ليرشح بلاغة الاستعارة في استيعاب العلم بالمعلومات وهذا بعد عودة الهدهد من اليمن قال هذا لعظم ما رأى من عبادة الشمس والمعنى انك ذو علم ومكانة في الأمر على التغيير والإصلاح إلا أنني "اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك"^(٣) ، أو أن كلامه جاء في مقام الاعتذار وقدم علة تأخره لأنه " يعرف حزم الملك وشدته فهو يبدأ حديثه بمفاجأة تطفئ على موضوع غيبة وتضمن إصغاء الملك له...."^(٤) .

(١) صفوة التفاسير : ٣٤٩/٢ .

(٢) المنتخب من مدونات التراث ، عزيز العظمة / ٦٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٣٦١ ، قصص القرآن في ظلال القرآن ، أحمد الحمصي : ٥٨ / ٤ .

(٤) في ظلال القرآن : ٢٧٠ / ٦ .

الثانية : جاء قوله تمهيداً لما بعده لذا عطفه عليه تعظيماً للأمر وبياناً لخطورته وهذا ما يدل عليه الجنس غير التام بين (سباً ونبأ) فسباً البناء العظيم ، ووظف (نبأ) عدولاً عن (الخبر) " لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال " (١) ، وهذا مدح يوهم الذم .

ومما يطالعنا النظم القرآني قوله تعالى في حق يونس عَلَيْهِ السَّلَام : ﴿لَنْبَذَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [سورة القلم / ٤٩] فهو مدح إذ يخاطبه الله عز وجل بدليل الآية السابقة لها في قوله تعالى (فلولا أن تداركه نعمة من ربه) ألا أن السياق يرشح كلمة (مذموم) فتوهم الذم فهو "يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم ... " (٢) ، فهو مدح له عَلَيْهِ السَّلَام بالتوبة والإنابة إلى الله عز وجل وتحققت بلاغة المدح في جواب (لولا) ، والجواب أن في كلمة (لولا) دلالة على أن هذه المذمومية لم تحصل ... " (٣)

فدل السياق على مكانة الممدوح عَلَيْهِ السَّلَام ، وإلا " لنبذ بالعراء نبذاً ذمياً ولكن يونس نبذ بالعراء غير مذموم " (٤) ، فكان له نعمة الاجتباء وانه من الصالحين .

ويأتي هذا الفن البلاغي "مدح يوهم الذم" على لسان القوم في خطاب الأنبياء والمرسلين كقوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [سورة هود / ٦٢] .

جاءت جملة مقول القول من قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَام بعد أن دعاهم إلى توحيد الله عز وجل وعبادته فجاء الجواب في مقام الاعتراض عليه مؤكداً (بالقسم وقد) في إبراز صفة الرجاء وهي صفة خيرية تدل على الخير والصلاح في حياته ألا أنها وردت على لسان القوم في سياق تبين سوء حالهم وتكشف عن نواياهم فيما قصدوا منها أي " ما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم (قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) أي كنا نرجوك في عقلك

(١) الكشاف : ٤٠٣ / ٣ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ١٩٠ .

(٢) الكشاف : ٤ / ٤٥١ ، الصبر في القرآن الكريم / ١١٠ .

(٣) فتح البيان : ٢٧٨ / ٤ ، ينظر في ظلال القرآن : ٢٤٢ / ٨ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٠٦ / ٢٩ ، الأنبياء أولئك الكاملون الشيخ حازم أبو غزالة / ٨٢ .

قبل ان تقول ما قلت" (١) .

أي هو مدح له ﷺ ولكنه " الآن وقع اليأس من خيرك وهذا يفهم منه انهم يعدون ما دعاهم إليه شراً" (٢) ، فهو يوهم الذم باعتبار المتكلم إلا أنه يثبت له ﷺ حسن الخلق معهم والصفات الخيرية والتي تجعله سيداً مطاعاً بينهم "أي كنا نرجو أن تكون فينا سيداً مطاعاً ننتفع برأيك ونسعد بسعادتك لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد" (٣) ، فهو مدح له ﷺ في مقومات شخصيته وأخلاقه مع قومه. ومن صفات المدح "الطهارة" إذ وردت في سياق يوهم الذم من قوم لوط ﷺ وذلك في موضعين :

الأول في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف / ٨٢] .

والثانية في قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة النمل / ٥٦] .

ومن الآيتين الكريمتين نجد علة الإخراج حكاية عن قوم لوط ﷺ في صفة كريمة وخلعة طيبة قريبة إلى النفوس الإنسانية ألا وهي "الطهارة" توهم أنها عيب وان صاحبها ذميم وهي داعية لأن تكون سبباً في إخراجه أبرزها السياق في بلاغة القصر ، وكيف قالوا "من قريتك" وكأنه ليس لأحد حق الحياة فيها إلا هم ، ونفياً لمن خالفهم في تفكيرهم وقد جاء هذا الجواب بعد تشنيع لوط ﷺ لفعالهم في الانحراف عن الفطرة البشرية ، وبلاغة فعل الأمر يدل على قبح وسوء فعلهم وقد نسبوا العيب إليه ومدحوا ذواتهم لأن في الجواب "سخرية بهم وبطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة ... " (٤) ، إلا أن القول من لوط ﷺ في دعوته إلى الإصلاح "يوجب تعميمهم وتعظيمهم أولى" (٥) لأن الطهارة "صفة كمال ولكن القوم لما تردوا على الفسوق كانوا

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٤٥٢ ، التفسير الكبير : ١٧ / ١٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢ / ١١٠ .

(٣) فتح البيان : ٦ / ٢٠٥ ، صفة التفاسير : ٢ / ١٩ .

(٤) الكشف : ٢ / ١٢٦ ، م . ن : ٣ / ٣٧٤ ، التحرير والتنوير : ٢٠ / ٥ .

(٥) التفسير الكبير : ٢٤ / ٢٠٤ .

يعدون الكمال منافراً لطباعهم فلا يطيقون معايشة أهل الكمال ويذمون ما لهم من الكمالات فيسمونها ثقلاً... (١) ، ولكن عابوهم بها وأرادوا إخراجهم من بين أظهرهم لأنهم لا يصلحون حتى للمجاورة معهم (٢) فجاء الجواب للنيل منهم والاستهزاء بهم "ويا عجباً أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً ليبقى فيها الملوثون المدنسون" (٣) ، بحجة الطهارة ، فهي صفة مدح في لوط عليه السلام ومن معه توهم الذم باعتبار المتكلم الجاحد المنكر . وفي جانب الخطاب الأدبي مع الأنبياء والمرسلين من غيرهم نجد بلاغية المدح الذي يوهم خلاف ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف/٦٧] .

إذ كيف يخاطب العبد الصالح الكليم عليه السلام بنفي استطاعة الصبر في رحلته ، وهذا غير ممكن إذ النكتة البلاغية في توظيف الظرف (معي) الذي يدل على معنى الاختصاص أي (معي) في رحلتي معك لأن "نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير....." (٤) ، لا يستطيع الصبر عليها أي انه "لو تجشم أن يصبر لم يستطع ذلك" (٥) ، فهو نبي من أنبياء أولي العزم وقد خاطب الله عز وجل نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف/٣٥] ، وذكرهم بأولي العزم مدح وثناء لهم من الله عز وجل لأنهم أولو الجد والثبات والصبر (٦) ، لذا أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم ، وفي سياق آخر نجد نكتة بلاغية في التصريح بأسمائهم جميعاً في آية قرآنية أخرى في بلاغة البيان والتفصيل بعد الإيجاز بـ (أولى القوم) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٥ / ٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٩/٣ ، فتح البيان : ١٠ / ٥٦ .

(٣) في ظلال القرآن : ٥٥٥/٣ .

(٤) الكشف : ٧٧ / ٣ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، لأبي الحسن عبد الجبار / ٢٤٠ .

(٥) التحرير والتنوير : ٣٧٢/١٥ ، مع الأنبياء في القرآن الكريم / ٢٦٤ .

(٦) الكشف : ٢٠٩ / ٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٠ / ٦ .

مَرِيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ [سورة الأحزاب / ٧] فنجد بلاغة ذكر الخاص بأسمائهم تصريحاً بعد ذكرهم عموماً للتشريف والتكريم "فقد دخل هؤلاء المذكورون في جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تنويهاً بشأنهم وتشريفاً لهم" (١)، وهذا يناسب دعوتهم وجهادهم مع أقوامهم وما تحملوه من الشدة والقسوة والإيذاء في سبيل دعوة الحق إذ أمر النبي ﷺ أن يقتدي بهم في خلق الصبر ، فجاء المدح القرآني ليبين "ما كانوا عليه من طهارة شاملة ونقاء كامل وإيمان وصل إلى درجاته واسمى غايته" (٢) ، فنالوا هذا الشناء العظيم ، ولذا جعلناهم نماذج للدراسة والتحليل.

مدح نوح عليه السلام

ورد ذكر نوح عليه السلام صريحاً في السور القرآنية المكية والمدنية باسمه مدحاً وثناء في (ثلاثة وأربعين) موضعاً (٣) ، لأجل ترشيح الصفات الحسنة وبيان الأخلاق التي دعت إلى ذكره عليه السلام ، وفي المدح العددي مدح عظيم من الله عز وجل لأجل الاعتبار والتأمل في سلوك حياته ودعوته وصبره وجهاده مع قومه والتي عليها مدار المدح القرآني ويمكن أن نجعلها في (ثلاثة) معان :

الأول : مدح له في ذاته عليه السلام وأعلى صفات المدح إضفاء صفة العبودية عليه مع اقتراها بالشكر في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء / ٣] ، "أي لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذي ينبغي " (٤) ، وكذلك بصفة الاصطفاء تكريماً له وتزكية في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران/ ٣٣].

الثاني : مدح له عليه السلام في دعوته وتبليغ قومه بياناً لجهاده معهم وصبره وما تحمله من الأذى تمثل في استعمال صيغة الجمع (المرسلين) مع أنه لم يرسل إلا قومه ، كما في

(١) صفوة التفاسير : ٤٤٧ / ٢ .

(٢) الأنبياء في القرآن د. محمد الطيب النجار / ٥٥ ، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة ، الشيخ عبد الله نعمة / ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٨١٥ .

(٤) تفسير سورة الإسراء ، عبد الله محمود شحاته / ٥٠ .

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء / ١٠٥] ، ولذا خصه القرآن مدحاً في البقاء العددي في دعوته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [سورة العنكبوت/ ١٤] "ونبي الله نوح يضرب لنا مثلاً أعلى في قوة العزيمة ومضائها واستمرارها عبر دعوته التي استمرت زمناً طويلاً دون أن تنه له إرادة أو تنزعزع له عقيدة"^(١) . وكل ذلك رفعة له ﷺ لذا كان من أولي العزم الذي خصهم الله عز وجل بخطابه، وكذلك مدحه ﷺ في تسمية سورة قرآنية (سورة نوح) تشريفاً وتكريماً وإعلاء لاسمه لأن السورة لخصت دعوته مع قومه وأساليب النصيح والإرشاد وبيان عاقبة الكافرين "ولعل السر وراء هذه الإحاطة ... هو أن هذه السورة بمثابة الحساب الأخير الذي يقدمه نوح ﷺ إلى ربه في صورة تقرير شامل"^(٢) .

الثالث : مدح عام وشامل له ﷺ من الله عز وجل بالذكر والسلام تمثل في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات / ٧٩] ، "فالله سبحانه وتعالى أبقى على أنبيائه ورسله سلاماً وثناء حسناً فيمن تأخر بعدهم جزاء على صبرهم وتبليغهم رسالات ربهم واحتمالهم للأذى من أممهم في الله وأخبر أن هذا المتروك على نوح هو عام في العالمين..."^(٣) ، وكذلك مدحه في خطاب النبي ﷺ بأنه من أبناء الحق التي يبقى ذكرها إلى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [سورة يونس / ٧١] ، وكفى المادح له هو الله عز وجل رفعة وثناء .

ويمكن أن نقف عند أساليب المدح مع النصوص التحليلية الآتية :

العبودية والشكر

ومن الآيات القرآنية التي جاء المدح القرآني له بصفتي العبودية والشكر قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء / ٣] . فجاء

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم / ٨٠ ، قصص القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس / ١٩١

(٢) خطاب الأنبياء ، د. عبد الصمد / ١٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار / ٣١ ، ٧٩ ،

تأملات في سورة نوح عليه السلام ، د. أحمد محمد هليل / ٢٥ .

(٣) التفسير القيم لابن القيم / ٤١٦ .

أسلوب المدح بأجل صفات الخضوع وهي العبودية وشكر المنعم عز وجل على كل حال ليكون لمن غيره قدوة صالحة في الاتباع " وفيه تذكير بأن الله أنجى نوحاً ومن معه من الهلاك بسبب شكره وشكرهم تحريضاً على الاتساء بأولئك... " (١) ، وفيه نكتة بلاغية أخرى تبين لم خصه بالشكر مدحاً وهي " تنبيه أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يشن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين قال في إبراهيم عليه السلام (شاكراً لانعمه) ، وقال في نوح عليه السلام " انه كان عبداً شكوراً " (٢) ، فجاء المدح بصفة العبودية جزاء لما تحمله في دعوته إلى عبادة الله وحده عز وجل سنياً طويلاً دون ملل أو تعب ودون جزاء منهم إلا رجاء الإيمان وتحمله عليه السلام لكل أنواع الأذى وأساليب الصد من أجل أسى قضية هي نجاتهم وسعادتهم واقرار العبودية الخالصة لمن خلفهم وتمثلت مظاهر العبودية بالشكر على كل حال أي ان حمد الله عز وجل كان لا يفارق لسانه على كل حال في طعامه وشرابه وقيامه وعوده (٣) ، وهو مدار الاعتراف بالعبودية وتحقيقاً لها " أي لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذي ينبغي... " (٤) ، ومن بلاغة السياق الفصل إذ نجد المدح له عليه السلام في جعله القدوة فجاءت الآية " كالعلة لما قبلها إيداناً بكون الشكر من أعظم أسباب الخير ومن أفضل الطاعات وحثاً لذريته على شكر الله سبحانه " (٥) ، وحمله ابن كثير على معنى التشبيه الخلفي سلوكاً وعملاً بنوح عليه السلام على معنى التهيج والتنبيه بقوله " فيه تهيج وتنبيه على المنة أي ياسلالة " من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم (انه كان عبداً شكوراً) (٦) ، أي ليذكرهم بهذا الانتساب الإيماني العميق وهو من باب التعريض بدمهم " لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم " (٧) ، لذا أكد السياق — (أن) مع إضمار ذكره عليه السلام ، وجاء

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ٢٦

(٢) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم / ٤٧٤ وجوده من الإعجاز القرآني ، مصطفى الدباغ / ٥٩ .

(٣) الكشاف : ٢ / ٦٤٨ ، قصص الأنبياء لابن كثير / ١٠١

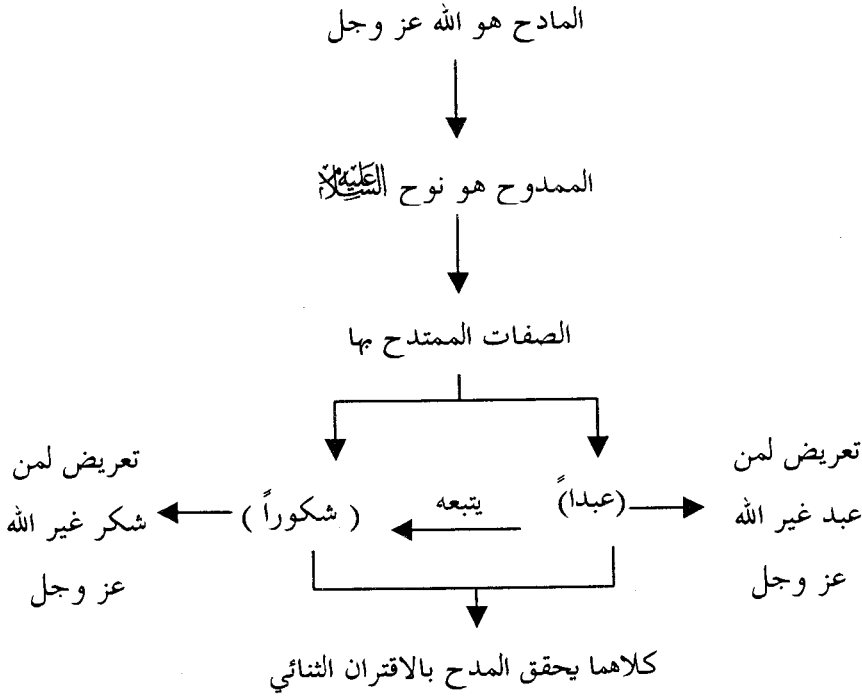
(٤) في نور القرآن د. عبد الله محمود شحاتة / ١٠٤ ، ١٠٦ .

(٥) فتح البيان ٧ / ٣٥٤ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٣٥

(٧) الكشاف : ٣ / ٣ ، التفسير الكبير : ١٥٥ / ٢٠

بهما ذكره "عبداً شكوراً" تعظيماً لهما ولمن اتصف بهما ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط :



الدعوة

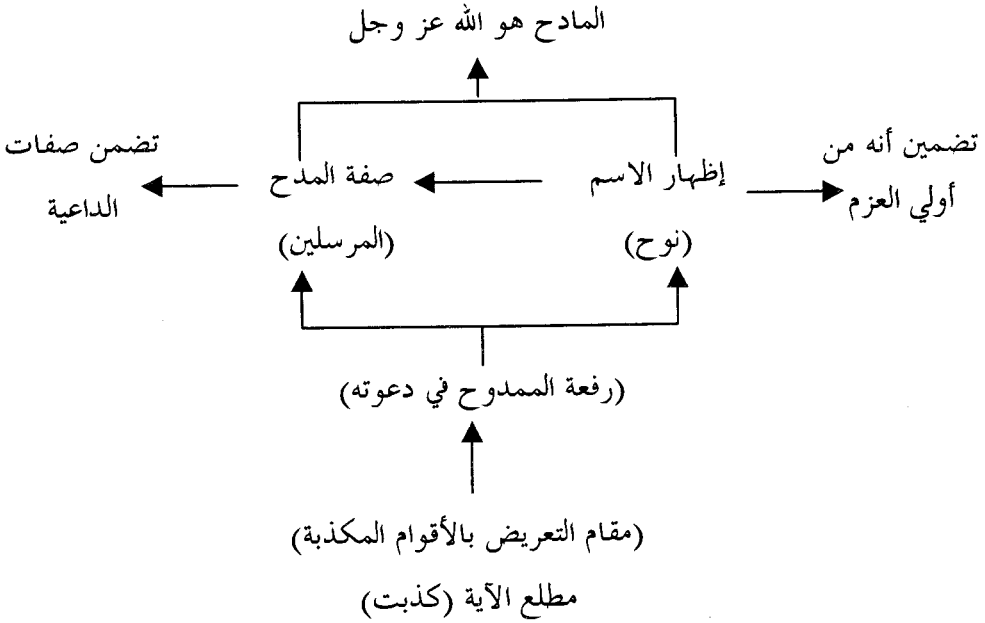
ومن أساليب مدحه عليه السلام من الله عز وجل في دعوته صيغة الجمع (المرسلين) وهو مرسل واحد إليهم في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشواء / ١٠٥]. فالسياق يشرح المدح الإلهي في انتقاء الصيغة بدل المفرد إعلماً بأن المخاطب هو نوح عليه السلام بدليل التصريح باسمه ، فكيف يتحقق المدح بين الاسم الفرد (نوح) وصيغة المدح (المرسلين)؟ وجاء بالأسلوب الخبري الابتدائي وذلك لبيان تزكية نوح عليه السلام في دعوته وإخلاصه لها واستمرار عليها ثباتاً على الحق مع تكذيب قومه له ذماً لهم " وأنزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلماذا قال تعالى " كذبت قوم

نوح المرسلين" (١) ، فخص الممدوح ببلاغة الإظهار وجاء بصيغة الجمع مدحاً لإقرار رسالة التوحيد التي يبلغها المرسلون أجمعون وتمثلت في أول دعوة مع أن "قوم نوح لم يكذبوا إلا نوحاً ولكنه يذكر انهم كذبوا المرسلين فالرسالة في أصلها واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبودية له فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين فهذه دعوتهم أجمعين ... " (٢) ، انتصاراً لما دعاهم إليه ، وانتصاراً لصبره معهم وإظهاراً للصفات الحميدة التي أرادها لهم والرفعة العالية في اتباع الحق ولكن كذبوا " لإحالتهم أن يرسل الله بشراً وان تكون عبادة أصنامهم ضلالاً فكان تكذيبهم إياه مقتضياً تكذيب كل رسول لأن كل رسول يقول مثل ما قاله نوح عليه السلام ... " (٣) ، وهذا ثناء ومدح عظيم من الله عز وجل ، وفيه بلاغة التعريض بالأقوام المكذبين ، تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٣٤١ .

(٢) في ظلال القرآن : ٦ / ٢٢٤ ، صفوة التفاسير : ٢ / ٣٥٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩ / ١٥٧ .



مدح إبراهيم عليه السلام

تنوعت أساليب مدح إبراهيم عليه السلام ، فقد ورد اسمه صريحاً في (تسعة وستين) موضعاً^(١) ، وقد ورد مدحه عليه السلام في اسم سورة قرآنية (سورة إبراهيم) تكريماً له وثناء عليه لدعوته مع قومه ، وقد خصه الله عز وجل بالمدح — (أولي العزم) ، ويمكن أن نلاحظ مدحه عليه السلام في (ثلاثة) معانٍ :

الأول: مدحه عليه السلام في حرصه على وصية التوحيد والاستقامة والملة وهو يمثل الجانب العقائدي كقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ [سورة البقرة/ ٣٢١] . ومدحه بالحنفية والإسلام في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران/ ٦٧]^(٢) ، قال ابن عاشور: "فجاء دين إبراهيم مائلاً عنهم فلعب بالحنيف ثم

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٠٢ .

(٢) حنيفاً مسلماً د. إبراهيم (مجلة المجمع العلمي العربي-القاهرة-ج-٢٧-١٩٧١)/ ١٠.

صار الحنيف لقب مدح بالغلبة" (١) .

الثاني : مدحه ﷺ في الجانب الأخلاقي والسلوكي والصفات القومية كالوفاء والحلم والتأوه والإنابة والصدق والشكر لنعم الله كقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة هود/٧٥] ، وقوله تعالى ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾ [سورة النحل/١٢١] " فقال شاكرًا لأنعمه ولم يقل لنعمة لأن شكر النعم ليس في مقدور البشر بل ان إحصاءها ليس في مقدورهم فكيف شكرها" (٢) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [سورة النحل/١٢٠] " يعني جماعة وحده فأية جماعة أعظم ممن جمع الله له كل هذه الصفات " (٣) ، ومدحه بالخلقة في قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء/١٢٥] وهي كناية عن شدة رضى الله عنه (٤) .

ومدحه ﷺ بالضيافة والكرم وحسن السلام منه مع الملائكة في قوله تعالى : ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [سورة هود / ٦٩] ، لأنه "رد عليهم التحية بأحسن من تحيتهم لأنه جاء بها جملة اسمية وهي تدل على الثبات والاستمرار..." (٥) وتحية الملائكة على تقدير الجملة الفعلية أي نسلم سلاماً ، وقوله تعالى : ﴿وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الحجر / ٥١] ، ومدحه في ذكر الأعضاء كرامة لهم بـ(أولي الأيدي والأبصار) فهو مدح لإبراهيم ولبنيه في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [سورة ص/٤٥] ، فجاء المدح بها لأنها تعبير "عن حسن نظرهم في دينهم وعلمهم وفكرهم وقوة إيمانهم ... ، فهي تجسد تلك المعاني التي وصف بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام" (٦) ، فمدح الأعضاء يتبعه مدح الأفعال .

(١) التحرير والتنوير : ٧٣٧ / ١ .

(٢) المضاف إلى لفظ الجلالة الله في القرآن الكريم ، لقاء (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل، ١٩٩٩/٩٧ .

(٣) تحصيل نظائر القرآن ، للحكيم الترمذي / ٨٧ ، من بديع لغة التنزيل / ١٩٤ .

(٤) التحرير والتنوير: ٥ / ٢١١ ، مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، محمد هلال عبد (مجلة منبر الإسلام ، العدد ٢٢٢-١٣٩٣) ١٢٧ .

(٥) صفوة التفاسير : ٢٣/٢ ، مع الأنبياء في القرآن الكريم / ١٣٤ - ١٣٥ .

(٦) أسماء الأنبياء وصفاتهم في القرآن الكريم ، صالح (رسالة الماجستير مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة

الثالث : مدحه ﷺ بالثناء المستمر في خطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الشعراء/٦٩] ، وفي قوله تعالى : ﴿وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت / ٢٧] ، قال الصابوني : "وهذا ثناء عظيم على أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ"^(١) ، وكذلك بالسلام من الله عز وجل في قوله : ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات/١٠٩] .

الوفاء

قال تعالى : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم / ٣٧] . يطالعنا أسلوب المدح في مطلع الآية الكريمة ببلاغة الإظهار (إبراهيم) وفي ذكره مدح وثناء عليه وفيه تنبيه أن ما سيأتي بعده متعلق به ، وكيف لا ؟ والمتكلم هو الله عز وجل عن خليله —(وفى) وهي صيغة مبالغة أي لمعنى "المبالغة في الوفاء ... من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار النمرود وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه..."^(٢) ، فكل هذه الصفات الحميدة نابعة من أخلاقه وسلوكه في التعامل الإنساني وجاء المدح في الوفاء من الله عز وجل بياناً لأمر جليل وخطب عظيم نال بها هذا الثناء والتكريم في دعوته وتبليغ قومه "أي تتم واكمل ما أمر به ..."^(٣) ، وأوحى إليه لذا عطفه على ما سبقه في ذكر صحف موسى ﷺ .

وجاء بالأسلوب الخبري الابتدائي إعلاء لكلمة التوحيد ونبد الأوثان والأصنام التي يعبدها قومه ، براء من الشرك والكفر مع أقرب الناس إليه ليكون في موطن الاقتداء ونموذجاً في الوفاء الإيماني الذي ينبع منه كل خلق نبيل تعريضاً بالمشركين والكفار ، فإبراهيم الخليل ﷺ الذي مدح بخلة الوفاء (الذي وفى) "وفى بكل شيء ، وفى وفاء

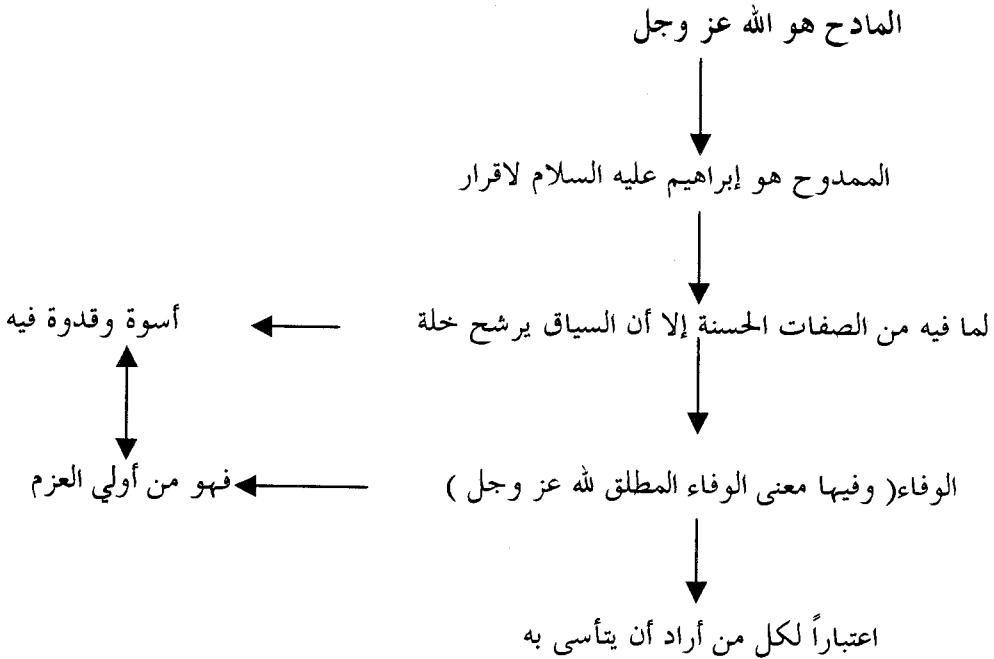
الموصل، ٢٠٠١/٣٦٠٦١.

(١) صفة التفاسير : ٣٩٥/٢ ، مع الأنبياء في القرآن الكريم / ١٠٥ .

(٢) الكشف : ٣٠٤/٤ ، التفسير الكبير : ١٥/٢٩ .

(٣) فتح البيان : ١٣ / ٢٦٩ ، قصص الأنبياء لابن كثير / ١٧٩ ، ١٨٤ .

مطلقاً استحق به هذا الوصف المطلق... " (١) لما أوحى إليه في الصحف "الذي تم ما أمر به من طاعة الله وتبليغ رسالته على وجه الكمال والتمام... " (٢) ، فأى خلة هذه التي مدح بها ﷺ ؟ مدح في إخلاص النية لله عز وجل ، و أي صفة هذه التي خلدها القرآن الكريم تتلى إلى يوم الدين ؟ . ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط:



أواه حلیم - حلیم أواه منیب

ومن بلاغة مدح الخليل إبراهيم ﷺ الاقتران الثنائي والثلاثي بين الصفات في الموازنة القرآنية بين قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة/ ١١٤] .

وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ

(١) في ظلال القرآن : ٦٢٧/٧ .

(٢) صفوة التفاسير : ٢٤٠/٣ .

لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٤﴾ [سورة هود / ٧٤-٧٥] .

فالممدوح في السياق هو إبراهيم عليه السلام تحقق في الفاصلة القرآنية المؤكد ب(إن)و(اللام) مرة بالاقتران الثنائي بين (أواه حلیم) ومرة بالاقتران الثلاثي بين (حلیم أواه منيب) حسب ما يقتضيه السياق في بيان فضل الله على خليله إبراهيم عليه السلام .

فسياق الآية الأولى في المدح جاءت بعد بيان الله عز وجل لعله استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه ، فلما ثبت في علم الله عز وجل انه كافر عدو لله في المعتقد أعلن إبراهيم عليه السلام البراء منه كلياً ، فجاء المدح الإلهي لهذا الموقف الحاسم في الجانب العاطفي والتوجه إلى الحق جل وعلا بصفتي "أواه حلیم" أي "وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترجمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له .." (١) ، وفي هذا نكتة بلاغية أخرى في كثرة دعائه لأبيه وذلك لحلمه عليه رحمة به ((فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ لِحَلِيمٍ﴾ (٢) ، تحقق في بلاغة الفصل فقد قدم خلة التأوه فيه عليه السلام لبيان ما هو عليه من الرأفة في دعوته وتخلقه بالرحمة إذ هي غالبية عليه وعلى طبعه وسلوكه لذا جاء بصيغه المبالغة مع بلاغة الأسلوب الخبري المؤكد بأداتين وهي "كناية عن الرأفة ورقة القلب والتضرع حين يوصف به من ليس به وجع" (٣) ، ولنكتة بلاغية يرشحها السياق في مدحه مع أبيه هي جعله نموذجاً يقتدى به وليبين "تأدبه معه في الكلام مما يضي عليه صفة الحلم ورجاحة العقل وسداد الرأي" (٤) ، ثم أعقبه بالمدح اللاحق له بالحلم وهو "الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الأذى ثم يقابله بالإحسان واللطف كما فعل إبراهيم مع أبيه" (٥) تضميناً لمدحه بصفة الصبر ، وهذا يومئ إلى مدح شخصيته الإيمانية والمقومات الإنسانية العالية فيه والتي أبرزها السياق في انتقاء

(١) الكشاف : ٣١٥/٢ ، التفسير الكبير : ٢١٧/١٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٤/٢ ، في ظلال القرآن : ٣٢٢/٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ٤٦/١١ .

(٤) دلالة الأنماط التركيبية لجملة الأحرف الناسخة (المشبهة بالفعل) في القرآن الكريم ، فراس

(رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣/٤٢) .

(٥) فتح البيان : ٤١٤/٥

صيغة المبالغة لأنها صفة غالبية متمكنة فيه متكررة في معاملته والحليم "صفة في النفس وهي رجاحة العقل وثباته وحرصانه وتباعد عن العدوان فهي صفة تقتضي هذه الأمور ويجمعها عدم القسوة" (١) ، فهما صفتان ثابتتان فيه .

أما بلاغة سياق في المدح الثلاثي (أواه - حليم - منيب) فقد وردت في قصته مع الملائكة ومحاورته معهم في قضية هلاك قوم لوط عليه السلام بعد البشرى بإسحاق ويعقوب عليهما السلام ، فجاء البيان القرآني ليكشف مما يموج في خلجات الأنبياء من الرحمة العظيمة التي تنبع من قلوبهم ، قد جمعها السياق ب(الحلم والتأوه والإنابة) كما رتبها القرآن الكريم في حقه عليه السلام مدحاً وتعليماً وإرشاداً لكل ذي بصيرة فهو "مدح لإبراهيم بهذه الصفات الجميلة" (٢) ، وهي مدار سلوكه وحياته لأن "هذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة بينت أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه" (٣) ، فقدم المدح ب(الحلم) لأنها "صفة تقتضي الصصح واحتمال الأذى" (٤) رحمة يقوم لوط عليه السلام لكمال أخلاقه ورحمته عليه السلام وتلفظه في الخطاب مع الملائكة لأنه "ليس بعجول في الأمور ولا يوقع لها على غير ما ينبغي (أواه) كثير التأوه ، أو الرحيم (منيب) راجع إلى الله" (٥) . لذا أعقبها في المدح بـ(أواه) "وهو كناية عن شدة اهتمامه بهموم الناس" (٦) ولما كان القضاء والحكم لله عز وجل مناسب ذكر الإنابة مدحاً للخليل عليه السلام لأن له دلالة الرجوع والتوبة "والنوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى ... والإنابة إلى الله تعالى الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل .." (٧) لذا جاء ترتيبها في تناسق الصفات تشریفاً وتكريماً

(١) التحرير والتنوير : ٤٦/١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٥٣/٢

(٣) الكشاف : ٤١٨ / ٢ ، تفسير المنار : ١٣١/١٢

(٤) التحرير والتنوير : ١٢٣/١٢ .

(٥) فتح البيان : ٢١٧/٦ ، نظم الدرر : ٣٣٣/٩ ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د.زاهر عوض /

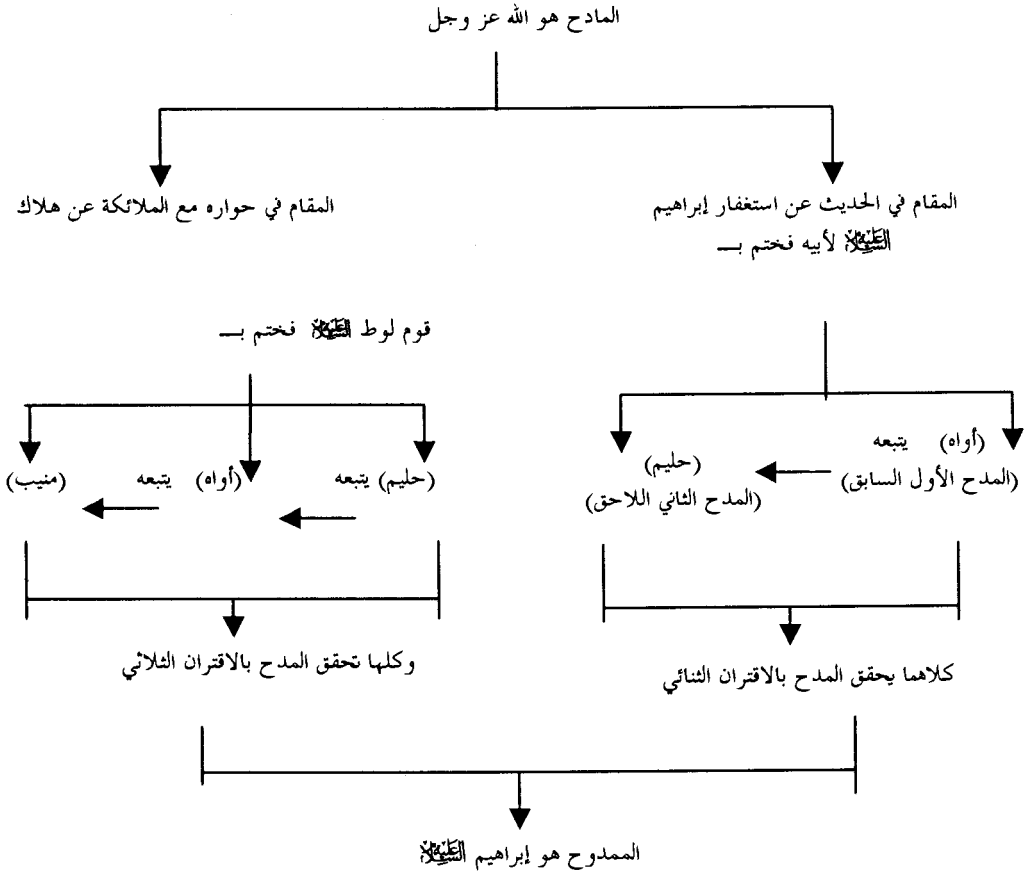
٣٩٠ .

(٦) التحرير والتنوير : ١٢٣/١٢ .

(٧) المفردات/٥٠٧-٥٠٨ .

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

للممدوح إذ عليها مدار الدعوة قائم " وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم ... " (١) ، وهذا يبين بلاغة التوكيد بـ(أن) و(اللام) مع انتقاء صيغ المبالغة ويمكن أن نجد معاني المدح في المقابلة في المخطط الآتي :



(١) التفسير الكبير : ٣١/١٨ ، سيكولوجية القصة في القرآن د. التهامي / ٣٦٤ .

مدح موسى عليه السلام

هو نبي من الأنبياء أولي العزم . وهو أكثر الأنبياء ذكراً في بلاغة التصريح باسمه فقد ورد ذكره في (سنة وثلاثين ومائة) موضعاً^(١)، وأغلب الآيات جاء الذكور له عليه السلام هو الله عز وجل ، ومن هذا يترشح المدح لموسى عليه السلام في (ثلاثة) جوانب :

الأول : مدحه في الجانب العقائدي وهو أشرف وأعظم المدح والثناء وذلك بالوحي والاصطفاء والإرسال والتكليم كما في قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي... ﴾ [سورة الأعراف / ١٤٤] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة هود/٩٦]، وقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء/١٦٤] ، ولذا خلده الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة القصص/٣] في خطاب المصطفى عليه السلام وهذا يتبعه المدح الذاتي كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [سورة الدخان/ ١٨] .

الثاني : مدحه في الجانب التعاملي وذلك في سلوكه وتعامله وأدبه مع السحرة في موقف ومع فرعون في أدب الخطاب التي تكشف عن غاية دعوته في النصح والإرشاد وإخلاصه لله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [سورة يونس/٨٠] ، بعد ان سأله السحرة الإلقاء ، ومدحه على لسان بنات شعيب عليه السلام بصفتي (القوة والأمانة) لما رأوا منه من حسن الخلق كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [سورة القصص/٢٦] .

قال الزمخشري : "كلام حكيم جامع لا يزداد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك"^(٢) وفيهما كل مقومات الحياة فما "اجمع هذه الكلمة وما ادعاها لكل مقومات الحياة وركائز الأمم (القوة

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٧٧٦

(٢) الكشف : ٣ / ٤٤٣ ، قصص الأنبياء لابن كثير / ٢٩٣

والأمانة) هما للراعي والرعية" (١) ، وهذا قبل النبوة .

الثالث : مدحه ﷺ في الجانب الأخلاقي في بيان مقومات الشخصية والبناء الأخلاقي عند الأنبياء والمرسلين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [سورة القصص/١٤] ، قال الصابوني أي "كمال الرشد ونهاية القوة وتسام العقل والاعتدال" (٢) ، ومدحه بصفة الكرم والأمانة في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الدخان / ١٧] ، ومدحه بصفة الأعلى في قوله تعالى : ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [سورة طه/٧٨] ، لذا جامع المدح العام الشامل له بالسلام والذكر من الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ [سورة الصافات/١١٩-١٢٠] ، ويمكن أن نقف عند الأسباب البلاغية مع النصوص التحليلية :

الكرم والأمانة

ومن الصفات الجامعة للمدح والثناء القرآني ما جعلته أهلاً للتكريم والتشريف هي الاصطفاء لتبليغ الرسالة لأنها تدل على التزكية في الأخلاق التي أهله لأن يكون محط الاقتداء والاتباع ونجد بلاغة المدح في الاقتران بصفة أخرى وهي (الكرم والأمانة) لنكت بلاغية، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [سورة دخان/١٧-١٨] .

جاء ببلاغة الوصل في الموازنة القرآنية مدحاً بين (الرسالة والكرم) مع حسن الختام بـ(الرسالة والأمانة) فهو ﷺ كريم في ذاته وكريم على مولاه إذ أكرمه بالاصطفاء والرسالة فالكليم عليه السلام "كريم على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبياً إلا من سراة قومه وكرامهم" (٣) ، فكل ما يدعو إليه ويبلغه وهو منار الكرم والخير والدعوة إلى هذا الخير الرباني في التصديق والإيمان الذي يعم حياتهم وإقرار

(١) القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته . د.فضل حسن عباس / ٣١٢ .

(٢) صفوة التفاسير : ٢ / ٣٦٩ .

(٣) الكشاف : ٤ / ٢٧٤ .

الوحدانية لله عز وجل ، ونجد نكتة بلاغية في العِدول عن الاسم الصريح إلى ذكر (الرسول) تشریفاً وتكريماً وزاد له في المدح والثناء بوصفه (كريماً) وهي صفة كرامة وتشريف لمن آمن وبلغ ليكون أهلاً لكرم الله عز وجل فيكون من الأتباع ، قال ابن عاشور : "والكريم : النفيس الفائق في صفه ... أي رسول من خيرة الرسل أو من خيرة الناس" (١) ، ومما يتحقق للكليم ﷺ مدحاً في دعوته فهو "الذي لا يطلب منهم شيئاً لنفسه وإنما يدعوهم إلى الله ويطلب إليهم أن يؤدوا كل شيء لله ... " (٢) ، وهذا من كرمه في المطالبة لبني إسرائيل ليتحققوا بالعبودية لله دون غيره فجمع المدح له من الله عز وجل وقومه "أي على ربه كريم ويكون كريماً من قومه ... " (٣) ، بأخلاقه ومعاملته معهم لذا جاء ببلاغة الأمر (أن أدوا) ، وأكد هذا في نفوس المخاطبين بقوله "إني لكم رسول أمين" توكيداً وتحقيقاً لأمر في قلوبهم أي أنني رسول إليكم مؤتمن على الوحي غير متهم وان أدعوكم وانصح لكم لما فيه خيركم وسعادتكم فاسمعوا مني ، لذا قدم (لكم) على (رسول) (٤) ، وهذا المدح الذاتي حكاية على لسانه يعاضد التعبير القرآني في المدح في الآية السابقة لها ليجمع له الكرم والأمانة في رسالته ودعوته وهي من مقومات المدح في شخصية موسى ﷺ وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٢٩٥ .

(٢) في ظلال القرآن : ٧ / ٣٦٦ .

(٣) معاني القرآن : ٣ / ٤٠ ، التفسير الكبير ٢٧ / ٢٤٦ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣ / ١٤٩ .

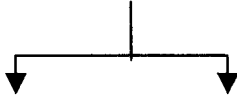
الممدوح هو الله عز وجل



المقام في الحديث عن بعثة موسى عليه السلام ففتحتم به

المقابلة

المدح بالاقتران الثنائي

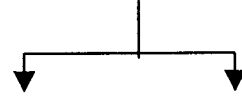


(رسول) يتبعه (أمين)

(المدح الأول) (المدح الثاني)

(السابق) (اللاحق)

المدح بالاقتران الثنائي



(رسول) يتبعه (كريم)

(المدح الأول) (المدح الثاني)

(السابق) (اللاحق)

تبيين أخلاق الداعية

تبيين مقومات الداعية

الممدوح هو موسى عليه السلام

الأعلى

وفي مشهد قرآني آخر ، مشهد التحدي الإيماني مع سحرة فرعون تبرز خلة قرآنية في شخصية الكليم ﷺ في المدح القرآني وهي صفة (الأعلى) في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [سورة طه/ ٦٧-٦٨] .

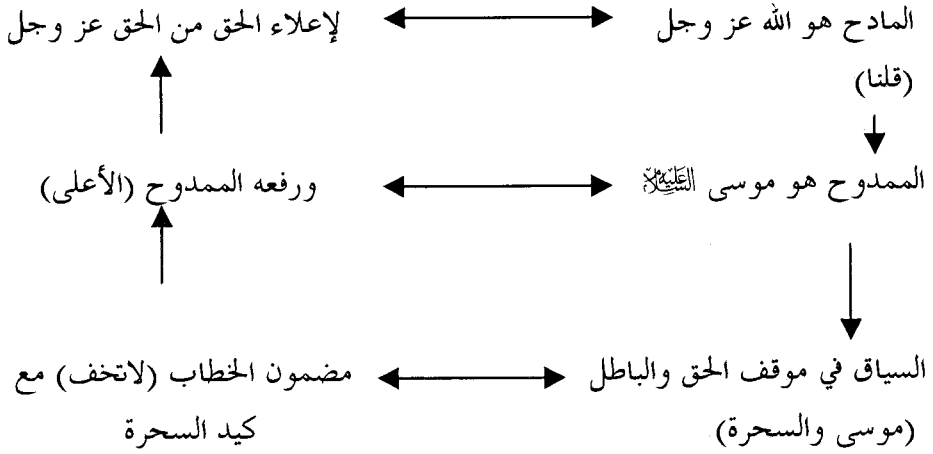
ومطلع المديح في نكتة براءة المطلع (قلنا) في استشعار عظمة الله عز وجل فهو المتكلم لأهمية الأمر بعده مع بيان نكتة مقول القول في أسلوب النهي (لا تخف) أي التأمين الإلهي و"فيه تقرير لغلبته وقهرهم وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلطف العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل" (١) ، فكل هذه المؤكدات تبين رعاية الله عز وجل لبنية الكليم ﷺ وتأنيده للحق على الباطل والكفر وكذلك ليثبت المخاطب ﷺ على الحق وإعلاء الفضيلة له والمكانة بصفة (الأعلى) كما مدحه الله عز وجل بها "أي المستعلي عليهم بالظفر والغلبة والجملة تعليل للنهي من الخوف ... " (٢) .

لأنه في مقام التحدي وإظهار الحق وهذا يومئ إلى بلاغة التعريض بالقوم كلهم في مقام مدحه والثناء عليه أي "فمعك الحق ومعهم الباطل ومعك العقيدة ومعهم الحرفة ومعك الإيمان بصدق ما أنت عليه ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة ، أنت متصل بالقوى العظمى وهم يخدمون مخلوقاً بشراً فانياً ... " (٣) ، فهو الغالب المنتصر مهما عظم سحرهم ومكرهم كما دلت بلاغة الجملة الاسمية المؤكدة وفيه بلاغة أخرى نجدها في مدح الكليم ﷺ بـ(الأعلى) وهي ذم فرعون لما ادعاه لنفسه حين حكى القرآن الكريم ذلك في قوله : ﴿ قَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات/ ٢٤] فكما يقع المدح بصفة الأعلى لأولياته وأصفيائه يقع الذم بصفة (الأعلى) لأعدائه وهذا من بديع المقابلة القرآنية ، ويمكن أن نلاحظ تعاضد معاني المدح كما مبين في المخطط :

(١) الكشف : ١٥٥/٣ ، التفسير الكبير : ٨٤/٢٢

(٢) فتح البيان : ٢٥٢ / ٨ .

(٣) في ظلال القرآن : ٤٨٣/٥ ، التحرير والتنوير : ٢٥٩/١٦



مدح عيسى عليه السلام

يعد المسيح عليه السلام من أنبياء أولي العزم وهي صفه مدح له ، وقد مدح القرآن الكريم باسمه في (خمسة وعشرين) موضعاً^(١) ، والغالب عليها اقتران ذكره مع نسبه بأمه (ابن مريم) عليها السلام ، ومن خلال المدح العددي يمكن أن نقف عند أهم خصائص المدح القرآني له عليه السلام في (ثلاثة) جوانب :

الأول : مدحه في الجانب العقائدي كمدحه بالاصطفاء والرسالة والاقتران مع ذكر الأنبياء تشریفاً وتكريماً كما في قوله تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة المائدة/٧٥] ، ومدحه بأصل الخلق والإعجاز في الموازنة مع ذكر آدم عليه السلام كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ..﴾ [سورة آل عمران/٥٩] .

الثاني : مدحه في الجانب البشري بأجل الصفات وهي العبودية تعريضاً بقومه كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف/٥٩] وفي المدح الذاتي في قوله تعالى : ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٦٠٧.

نَبِيًّا.. ﴿ [سورة مريم/ ٣٠] ويتبعه المدح الملائكي من جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى :
 ﴿لَأَهْبَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم/ ١٩] ، وفي سياق تبين عبوديته في قوله تعالى :
 ﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ..﴾ [سورة النساء/ ١٧٢] ، أي بتواضع منه
 وعدم استكبار ^(١) .

الثالث : مدحه عليه السلام بذكر نسبه ولقبه مع اسم أمه الصريح (مريم) عليها السلام
 كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
 وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء/ ١٧١] ، ومن بديع المدح ذكر اسم السورة التي تدل على
 نسبه الأعلى وهي (سورة آل عمران) في الحديث عن جد وجدة المسيح عليه السلام تضميناً
 لنسبه وتأكيداً انه مولود ، وكذلك (سورة مريم) عليها السلام في بيان ولادته إظهاراً
 لأخص الصفات وأعظمها وهي العبودية لله عز وجل فهو "آية وعبرة يستدل بها على
 قدرة الله تعالى .." ^(٢) ، ويمكن أن نقف عند الأساليب البلاغية مع النصوص التحليلية :

الرسالة

ومن أساليب المدح القرآني للمسيح عليه السلام أسلوب القصر في نسبه إلى أمه إذ
 نجد أسراراً في التعبير القرآني في الموازنة بين آيتين يقول الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا
 تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
 اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ..﴾ [سورة النساء/ ١٧١] .
 وقوله تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
 صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ..﴾ [سورة المائدة/ ٧٥] .

فمن بديع النظم في المدح تتابع الصفات الحميدة فيرد المدح بصفته واسمه
 الصريح مع المدح بالنسب إلى أمه الصديقة والثناء عليه تكريماً بالكلمة الملقاة وانه روح

(١) من بديع لغة التنزيل / ٦٤ ، كتاب حجج القرآن ، الرازي / ٨٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٠٤/١٦ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب /

من الله عز وجل وتكريمه بالرسالة والإعلان بأنه رسول الله ، والسؤال البلاغي : لم كل هذا التابع في المدح والثناء عليه ؟ وذلك لنكتتين بلاغيتين :

الأولى : الإيمان بعظمة الله عز وجل وقدرته على الإيجاد والإبداع وانه الإله الواحد الأحد . لأنه هو الذي يرسل الأنبياء ويأيدهم بالمعجزات .

الثانية : تخص المخاطبين في "إبطال ما أحدثه غلوهم في هذه الصفات غلواً أخرجها عن كنهها فإن هذه الصفات ثابتة لعيسى عليه السلام" (١) ، ويرشح السياق بلاغة القصر في الموضوعين لقطع كل الشكوك في نفوس المخاطبين المعقدين ألوهية المسيح عليه السلام وثبت المؤمنين على عقيدة التوحيد لله عز وجل وان المسيح رسول الله ، فمن الآية الأولى نجد روعة المدح في بيان نسبة التشريفي "والمعنى انه ليس له نسب غير هذا وانه (رسول الله) فمن زعم غير هذا فقد أشرك وكفر" (٢) ، وبين ابن كثير نكتة المدح الإلهي في الخيرية والإضافة إلى لفظ الجلالة وكونه رسولاً ذماً لقومه وتعريضاً لهم فقال : "فنقلوه من خير النبوة إلى أن اتخذوه ألهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه" (٣) ، ونجد بلاغة الوصل لإثبات انه مخلوق لذا قال (وروح منه) "وهذه الإضافة للتفضيل والتشريف وان كان جميع الأرواح من خلقه تعالى" (٤) ، وهو مدح أيضاً لإثبات بشريته عليه السلام وهو درس بليغ لإنصاف الحق والمعتقد لبيان الإيمان لذا ختم بأسلوب الأمر (فآمنوا) ، قال الصابوني وفي هذا الدرس يتجه السياق إلى إنصاف الحق والعقيدة وإنصاف المسيح عليه السلام كذلك من غلو النصارى في شأن عيسى ابن مريم عليه السلام (٥) ، أما الآية الثانية فهي تعاضد الأولى في بلاغة المدح في أسلوب القصر مع إثبات النسب التشريفي لأمه بأنها صديقة بالله ((أي المؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها ...)) (٦) ، وهذا يدعو إلى إثبات

(١) التحرير والتنوير : ٥١/٦

(٢) فتح البيان : ٣ / ٣٠٨ ، التحرير والتنوير : ٥٠/٦

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٥٩٠/١

(٤) فتح البيان : ٣ / ٣٠٩ ، في ظلال القرآن : ١ / ٢٩٦

(٥) صفوة التفاسير : ١ / ٢٦٨-٢٦٩

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٨٢/٢ ، مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح/٣٢٨.

بشريته وعبوديته لله عز وجل وانه مبلغ وقد وصف بـ(قد خلت من قبله الرسل) في أسلوب القصر فهي ((صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرُّسُل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها...^(١)، وأكد بـ(قد) لأنها حقيقية لا يمكن إنكارها فهو أسوة لمن أراد أن يهتدي ويتبع سبيل الحق وكل هذه المعاني تنطوي تحت المدح بصفة (رسول) إذ نجد بلاغة التعبير في الجمع (الرسل) "أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وانه عبد من عباد الله ورسولٌ من رسله الكرام"^(٢)، وفيه نكسة بلاغية أخرى هي مدحه ﷺ بصفة الصدق أسوة بغيره من الرسل "الذين تقدموه خصه الله تعالى ببعض الآيات الباهرات إظهاراً لصدقه كما خص بعض الرسل..."^(٣)، لذا خصه بالحاجة إلى الطعام لبيان بشريته ﷺ وان "الله حي بذاته قائم باق بذاته لا يحتاج ولا يدخل إلى ذاته سبحانه أو يخرج منها شيء حادث كالطعام"^(٤) وهو كناية عن الحاجة ولازم معناها^(٥)، تعريضاً بقومه .

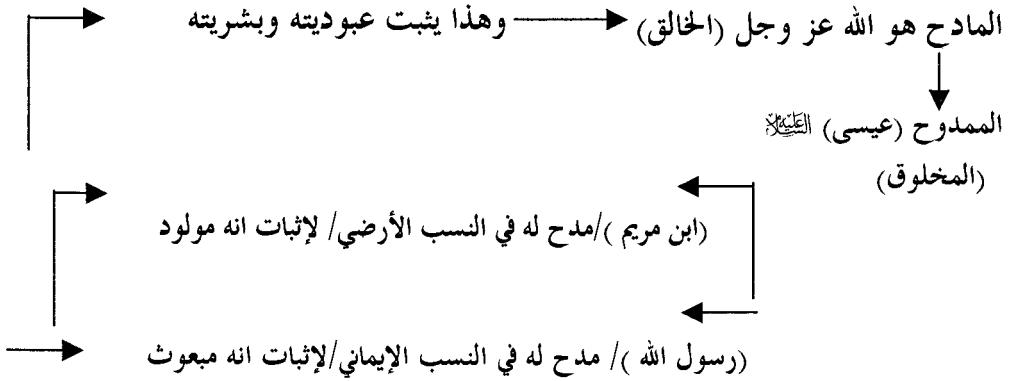
(١) الكشاف: ٥١/٢ ، التفسير الكبير : ٦٥/١٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٨٢/٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، / ٢٩١

(٣) صفوة التفاسير : ٣٠٠/١

(٤) في ظلال القرآن : ٨١٧/٢

(٥) الكناية في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل -



المدح الذاتي

قال تعالى حكاية على لسان المسيح ﷺ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا ذُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم/ ٣٠-٣٣] .

ويأتي المدح الذاتي باعتبار المتكلم عن نفسه لأغراض بلاغية يكشف عنها السياق في بيان الحق وإقامة الحججة وإثبات البرهان القاطع في عفة أم المسيح ﷺ وصدقها فيما أكرمها الله عز وجل به فكانت أول كلمة نطق بها المسيح ﷺ هي (إني عبد الله) هكذا يعلنها أمام الملائكة نفيًا وردًا لأي زعم وافتراء عليه وان له حياة محدودة يحددها الزمان ليموت ويبعث^(١)، لذا أكد قوله بـ(إني) ومن بلاغة المدح انه جاء على لسانه ﷺ في الإضافة للفظ الجلالة ذكرها ابن كثير بقوله "قال إني عبد الله أول شيء تكلم به ان نزه جناب ربه تعالى.. وأثبت لنفسه العبودية لربه.." ^(٢) ثم تابعت الصفات في بلاغة الوصل والفصل للإقرار بالعبودية حيث "وصف نفسه بصفات ثمانية أولها العبودية وآخرها

(١) الكشف: ١٠٣/٣ ، المضاف إلى لفظ الجلالة الله في القرآن الكريم ، لقاء (رسالة ماجستير

مقدمة إلى كلية التربية - جامعة الموصل - ١٩٩٩) / ٢٠

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٢٠/٣

تأمين الله له في أخوف المقامات" (١) ، ففي قوله "أتاني الكتاب" بلاغة في تضمين المدح لأمه لما خصها الله عز وجل به فهو "تبرئة لأمه مما ينسب إليها من الفاحشة" (٢) ، وفي السياق بلاغة الفعل الماضي الذي يكشف عن بشريته "وإنما جاء بلفظ الماضي لإفادة تحققه فإن ما حكم به الله أولاً لا بد أن يقع .. وهكذا يعلن المسيح عبوديته لله فليس هو إلهاً ولا ابن إله ولا ثالث ثلاثة كما زعم النصارى .." (٣) ، وكما تحقق المدح في الجانب التعبدي والتبليغي تحقق في الجانب التعاملي في إبراز الأخلاق مع أمه بقوله (براً بوالدي) تخصيصاً ، وقوله (ولم يجعلني جباراً شقياً) مع الناس عموماً أي "غير متكبر بل خاضع متواضع" (٤) فالمدح الذاتي جمع له الشناء في جانبي العبادات والمعاملات .

(١) فتح البيان : ١٥٦/٨

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٢٠/٣

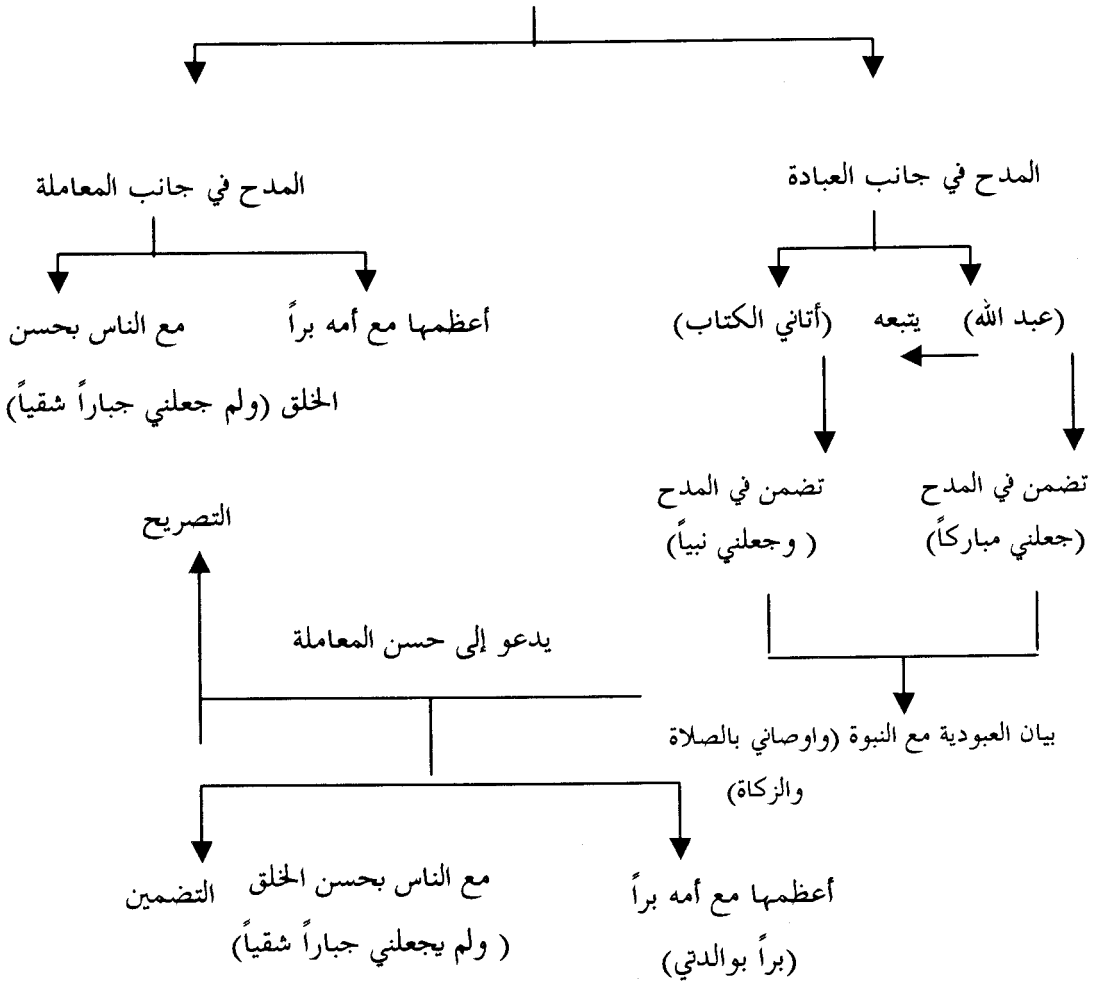
(٣) صفوة التفاسير : ١٨٧/٢

(٤) التفسير الكبير : ٢١٦/٢١ ، التقابل والتماثل في القرآن الكريم د. فايز / ٣٢٩ .

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

ويمكن أن تلحظ معاني المدح في المخطط الآتي :

المتكلم هو (عيسى) عليه السلام



مدح المصطفى ﷺ

وقع في القرآن الكريم أساليب متنوعة لمدح الأنبياء والمرسلين إلا أن أكثر الأنبياء نصيباً في المدح الإلهي هو النبي محمد ﷺ كيف لا ؟ وقد تنزلت عليه آيات الذكر الحكيم وجعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين وقد توزعت معها الأغراض والمقاصد البلاغية في معاني التربية والإرشاد وذلك لأجل الاقتداء بأخلاقه العالية التي أنثى عليها الخالق عز وجل حسب ما يقتضيه السياق ، وكما جمعنا لأولي العزم الذم من الخصائص في المدح القرآني ، ويمكن أن نجعلها في (ثلاثة) جوانب :

الأول : مدحه ﷺ في الجانب العقائدي والإيماني كمدحه بصفة الإيمان في قوله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة / ٢٨٥] وأعظم المدح وأغلبه في النظم القرآني اقتران ذكره ﷺ مع الله عز وجل في مواطن كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾ [سورة النساء / ٥٩] ، ومنه مدحه بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة الأحزاب / ٤٠] ، ومن بديع المدح قوله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [سورة العنكبوت / ٤٩] ، قال ابن عاشور "فالمراد صدر النبي ﷺ عبر عنه بالجمع تعظيماً له" (١) ، ومن أساليب المدح ذكره ﷺ في التوراة والإنجيل .

كما في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ [سورة الأعراف / ١٥٧] ، لذا جاء الأمر بالإيمان به في قوله تعالى ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف / ١٥٨] ، وقد خصه السياق بالأمية مدحاً "والأمية وصف خص الله به من رسله محمداً ﷺ ... وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه مع أنها في غيره وصف نقصان صارت

(١) التحرير والتنوير : ١٢/٢١

أميته آية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلهية ((^(١)).

الثاني : مدحه ﷺ في الصفات الإنسانية ومقومات التعامل التي تبرز في سلوكه إذ جعلته محط الاقتداء والتأسي قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب / ٢١] ، وقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم / ٤] ، ومنها (الرحمة) في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء / ١٠٧] ، ومنها (الهداية) كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى / ٥٢] ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَذُنُ خَيْرٍ﴾ [سورة التوبة / ٦١] فقد "جاء وصف المدح من الله تعالى بمقابل وصف المشركين والمنافقين" فهو أذن في الخير^(٢).

وكذلك مدحه بصفة العبودية كما في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [سورة الإسراء / ١] قال ابن كثير "هذه صفة مدح وثناء لأنه أضافه إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله في ليلة الإسراء..... وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً) ، كذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك عليه (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً"^(٣)) ، وليبان مكانته ﷺ نجد بلاغة الاقتران وقد "قرن اسمه العظيم في خمسين شيئاً وأقسم بخمسين شيئاً من ذاته وصفاته....."^(٤) ، وأجل هذا الاقتران مدحاً (الرؤوف الرحيم) في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة / ١٢٨] .

الثالث : مدحه ﷺ في ذكر اسمه الصريح (محمد) في (أربع) آيات و (أحمد)

(١) التحرير والتنوير : ١٣٣/٩ ، النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله / ٥٦ .

(٢) أسماء الأنبياء وصفاتهم في القرآن الكريم ، صالح (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية - جامعة الموصل لسنة ٢٠٠١) / ١١٣-١١٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٣١٣ .

(٤) تفصيل هذا الكلام ، بصائر ذوي التمييز : ٨ / ٩-٢٠ .

في موضع واحد ومهما يتحقق المدح لما "بين الاسمين من وشائج وصلات أن محمداً هو المحمود حمداً بعد حمد من كثرة حامديه وموجبات الحمد فيه ، واما أحمد فيدل عن استحقاق لما لا يستحقه غيره من حمد فمن حيث كانت زيادة الحمد في محمد من جهة الكمية كانت زيادة الحمد من أحمد من جهة الكيفية"^(١) ، ومن بديع النظم تسمية سورة قرآنية (سورة محمد) أسوة بغيره من الأنبياء والمرسلين "وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ونباهة وقدرة إذ كل اسم منها ينبئ عن ناحية من نواحي العظمة فيه"^(٢) وليس هذا فحسب بل مع وجود سور أخرى تخصه في الخطاب كسورة الإسراء وسورة الفتح وسورة الضحى وسورة الانشراح وسورة الكوثر وغيرها من السور التي تدل على كرم الله عز وجل ورعايته لنبيه ﷺ ، وكل هذا يدخل مدحاً وتكريماً تحت قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الانشراح/٢] ، وكل الآيات القرآنية تبين سيرته وأخلاقه ودعوته وما يدور فيها "فتقرأها من خلال السور والآيات التي أنزلت سعادة ورحمة ونوراً وهذه الطريقة تعتمد على أربعة أصول:

الأول : الحركية التصويرية التعبيرية .

الثاني : السلوكية المثالية .

الثالث : المحاسبة التربوية .

الرابع : الشمولية الواقعية"^(٣)

ويمكن أن نتأمل معاني المدح والأساليب البلاغية في النصوص الآتية :

الرسالة

ومن آيات المدح القرآني الاقتران بالاسم الصريح مع الرسالة تشريفاً وتكريماً في قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

(١) من الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، عبد العزيز سيد الأهل / ٧٧ ، ألوفاً بتعريف أسماء المصطفى، طه عبد الرؤوف / ٣٧ .

(٢) فضائل النبي في القرآن ، الغماري / ٣٨ ، دراسات قرآنية ، عبد المتعال الصعيدي / ٦٣-٦٤ .

(٣) السيرة النبوية المعطرة في الآيات القرآنية المسطرة / ٣٣ .

عَلَى أَعْقَابِكُمْ... ﴿ [سورة آل عمران/ ١٤٤] .

فالآية الكريمة نزلت في حادثة معركة أحد حين شاع خبير مقتل النبي ﷺ فنزلت الآية^(١) في بيان المدح الإلهي في إظهار الاسم (محمد) "لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه"^(٢) ، فتحقق المدح في أسلوب القصر بالرسالة واعتبار المرسلين قدوة له وأسوة وما يجري لهم يجري عليه "أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه"^(٣) ففي المدح الإلهي بأسلوب قصر الموصوف على الصفة نكتة بلاغية "فقد نزل المخاطبون منزلة من يجهل قصر الموصوف على هذه الصفة وينكره فلذلك خوطبوا بطريق النفي والاستثناء الذي كثر استعماله في خطاب من يجهل الحكم المقصور عليه وينكره دون طريق"^(٤) وفيه نكتة أخرى وهي "أن الرسالة أكبر من الرسول فموت الرسول لا يعني التحلي عنها ، وان الموت والحياة بيد الله ولكل أجل كتاب وفي هذا تحريض على الجهاد ومآل العمل ثواب من الله"^(٥) لذا أعقبه ببلاغة الفصل مع التوكيد بقوله (قد خلت من قبله الرسل) .

وهو يثبت نواحي في المدح في انه رسول ومرسل ليبلغ رسالة القرآن الكريم إلى يوم الدين قال الرازي "فعليكم أن تلمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة"^(٦) ، لذا جاء بالاسم الصريح مدحاً و "محمد النبي ﷺ مشتق من الحمد وهو مفعول صفة تلزم من كثر منه فعل ذلك الشيء"^(٧) وهذا المدح له وكما هو مبين في المخطوط:

(١) أسباب النزول / ٧١ .

(٢) الكشاف : ٤٢٣/١ ، القرآن الكريم يقول د. محمد البيهبي / ٩٦-٩٧ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤١٠/١ .

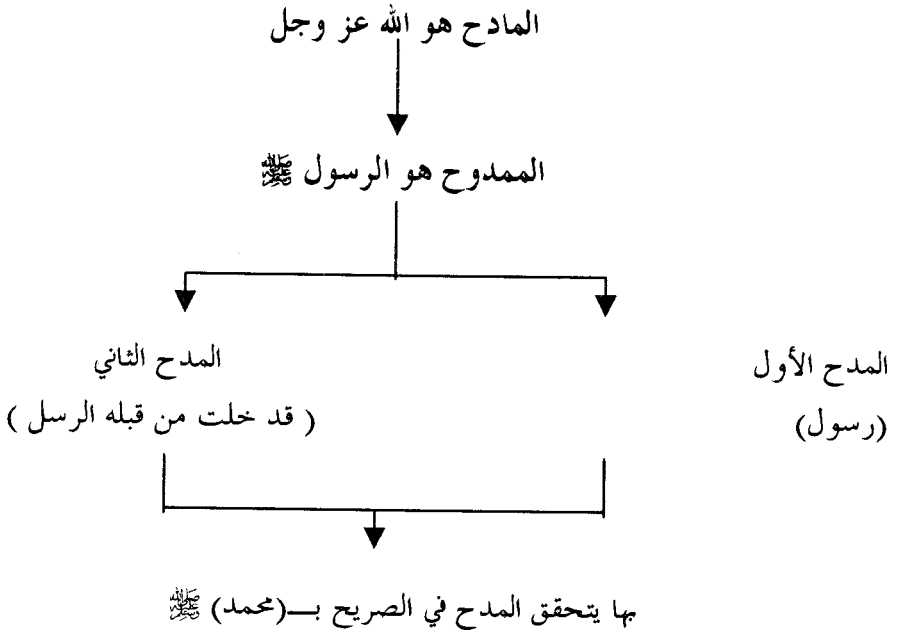
(٤) التحرير والتنوير : ٤ / ١١١ ، تفسير سورة آل عمران د. مصطفى الشكعة / ٨٧ .

(٥) ألفاظ الثواب في القرآن الكريم ، عماد (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل،

٦٠/١٩٨٧ .

(٦) التفسير الكبير : ٩ / ٢٢ ، في ظلال القرآن : ٩٣ / ٢ .

(٧) الاشتقاق لابن دريد / ٨ ، فضائل النبي وشأنه ، البغوي / ٢٠ .



رؤوف رحيم

قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة / ١٢٨]

فالآية الكريمة في غاية المدح الإلهي للنبي ﷺ "وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ في قوله (رؤوف رحيم)" (١) ، فالآية كلها في إثبات صفات المدح في كونه رسولاً من أشرف وأفضل الناس لذا افتتحها بالتوكيد وخصه بقوله (من أنفسكم) و "المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته ، كأنه قيل : هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة " (٢) ، ثم جاء ببلاغة الفصل للبيان والتفصيل في مدحه بـ(عزيز) "أي يعز عليه الشيء يعنت أمته ويشق

(١) الكشاف : ٣٢٥/٢ ، فتح البيان : ٤٣١/٥

(٢) التفسير ٢٤٢/١٦ ، صورة الرسول في القرآن بين الملك والإنسان ، سامي أحمد / ٧٣

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

عليها"^(١) ، وهو الحريص على سعادتهم في الدارين وهو مدح أيضاً فقد وردتا بصيغة المبالغة تعظيماً لخلقه النبيل ، ومن بلاغة المدح في التعبير القرآني قوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) دون (جاء رسول منكم) لنكتة بلاغية "وهي أشد حساسية وأعمق صلة وأدل على نوع الوشيجة التي تربطهم به فهو بصفة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس وهي اعمق وأحسن"^(٢) ، فهو الرسول العظيم ذو القدر والمنزلة لما حباه الله عز وجل من الصفات الحميدة والخصال وحملها ابن عاشور على بلاغة التذكير والمنة ببعثته عليه الصلاة والسلام يقول "والتنويه بالصفات الجامعة للكمال ومن أخصها حرصه على هداهم ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفاً رحيماً بهم ..."^(٣) ، فحصل المدح في خاتمة الآية (رؤوف رحيم) في بلاغة التقديم والتأخير بصيغة المبالغة "أي رؤوف بالمؤمنين رحيم بالمذنبين شديد الشفقة والرحمة بهم"^(٤) وهي من صفات المدح الذاتية في شخصيته عليه الصلاة والسلام الجليلة في سلوكه البارزة في دعوته لذا وردتا بصيغة المبالغة فقد جمعت الآية خمس صفات في المدح والثناء وفيها نكتة التعليم للأمة فليس "أدل على روعة هذه الصفات وعظمتها من أنها هي صفات الله سبحانه وليس لها نظائر في القرآن كله .. لتتربى الأمة على الكمال الأخلاقي"^(٥) وكما هو مبين في المخطط :

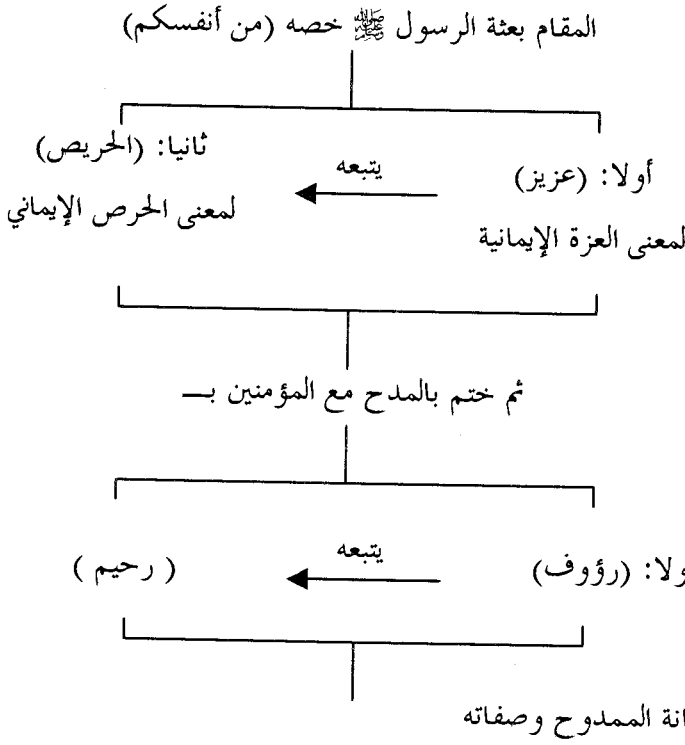
(١) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٤٠٤ ، التحرير والتنوير : ١١ / ٦٩ - ٧٠ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣ / ٣٥٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ١١ / ٧٠ .

(٤) صفوة التفاسير ١ / ٤٨٢ .

(٥) السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة / ١٦٦ .



الاسوة والخلق العظيم

مدحه بالرسول ، والخلق العظيم قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب / ٢١] .

وقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم / ٤] .

فالمدح والثناء على الرسول ﷺ في جعله منار الأسوة والافتداء باعتباره المبلغ الذي تنبع منه الأخلاق العالية والعطرة في حياة الدعوة كلها ، وفي قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة) نكتتان بلاغيتان أشار إليهما الزمخشري بقوله "أحدهما : انه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى به والثاني : أن فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة نفسها" (١) ولأهمية الأمر ومكانته وتعظيمه له

(١) الكشاف : ٥٣١/٣ ، دراسات في الإسلام (الإيمان بالنبي والنبوة) ، مصطفى الجندي / ٤٧ ، ٨٠ .

افتتح بالتوكيد ، ومدار المدح تمثل في بلاغة الحرف (في) الذي يفيد الاستغراق والشمول في تزكية سيرة النبي ﷺ في كل شيء ولذا استحق هذا المدح الإلهي "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"^(١) ، ونجد نكتة بلاغية في العدول عن الاسم الصريح إلى الكناية (رسول الله) تشريفا وتكريما يتعاقد مع بلاغة التقديم والتأخير تعظيما للممدوح وفيه نكتة بلاغية أخرى بحسن ختام الآية عبرة وموعظة في جعل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام غاية في حياة المؤمنين لذا علقها بذكر الآخرة "أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في هذا الرسول العظيم قدوة حسنة تقتدون به ﷺ في إخلاصه وجهاده وصبره فهو المثل الأعلى فذلك وجب عليكم تتبع نهجه وسلوك طريقه"^(٢) ، ومن هذا تبين في بلاغة المدح القرآني أن هذه الآية اشتملت على (ثلاث) مسائل مهمة :

الأولى : اختصاص رسول الله ﷺ بالقدوة وحده وقصرها عليه وهذه تؤخذ من طريق القصر .

الثانية : أن هذه القدوة للمؤمنين بالرسول وحده .

الثالثة : تقييد الأسوة بوصف (الحسنة)"^(٣) ، لأجل البلوغ إلى الكمال الأخلاقي .

أما الآية الثانية فنجد بلاغة التوكيد في مطلعها مع الإضمار (انك) في مدح الرسول ﷺ مع التوكيد بـ(باللام) لتقرير الأمر في نفوس المخاطبين الذين يبلغهم بتعاليم الوحي ويتحمل الأذى من قومه "وقد وصفه الله بأكرم ما يوصف به إنسان من خلقه ..."^(٤) فجاء المدح والثناء "لرافته بأتمته وإكرامه إياهم وقيل : المعنى انك على طبع كريم"^(٥) . ولذا وصف بصيغة المبالغة (عظيم) "ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواحٍ شتى : تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال ... وتتردد في

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٥/٣ ، دراسات في الإسلام (عقيدتنا توحيد وبناء) أنور الجندي / ٩ .

(٢) صفوة التفاسير : ٤٧٨/٢ ، التحرير والتنوير : ٢١ / ٢٠٣ .

(٣) السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة / ٢٧

(٤) نظرات قرآنية د. محمود البيومي / ٢٦ ، الرسول في القرآن . د. محمود بن الشريف / ١٢

(٥) فتح البيان : ٢٥٦/١٤ .

الملاً الأعلى إلى ما شاء الله ، وتبرز من جانب آخر من جانب إجابة محمد ﷺ لتلقيها وهو يعلم من ربه هذا ... ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة... " (١) ، وحملها الرازي على كمال الأخلاق فيه فقال "ولما كانت الأخلاق الحميدة كاملة لاجرم وصفها الله بأنها عظيمة" (٢) ، فهو مدح عظيم وثناء جليل وشهادة عظيمة من الله عز وجل للنبي ﷺ أي أنك "على أدب رفيع جم وخلق فاضل كريم فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات .. ويا له من شرف عظيم لم يدرك شأوه بشر قرب العزة جل وعلا يصف محمداً بهذا الوصف الجليل" (٣) ، ليبقى هذا المدح والثناء والتشريف "من رب الوجود وهي شهادة من الله في ميزان الله لعبد الله... " (٤) ، ولذا قال (على) وهي ترشح بلاغة الاستعارة "فدل اللفظ على أنه مستعمل على هذه الأخلاق ومستولٍ عليها وانه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة إلى العبد وكالأمير بالنسبة إلى المأمور" (٥) أي في نفسه متمكن وكذلك في دعوته ، وكيف لا ؟ وقد جعل الله عز وجل لنبيه المصطفى ﷺ الأخلاق كالسباط وقد علاه رسول الله ﷺ وجعلت الأخلاق العظيمة مدار الاقتداء والاتساء والتنافس للأمة ليفوزوا بالرضى من الله عز وجل ويمكن أن نلاحظ ذلك المدح التقابلي التكاملي في المخطط :

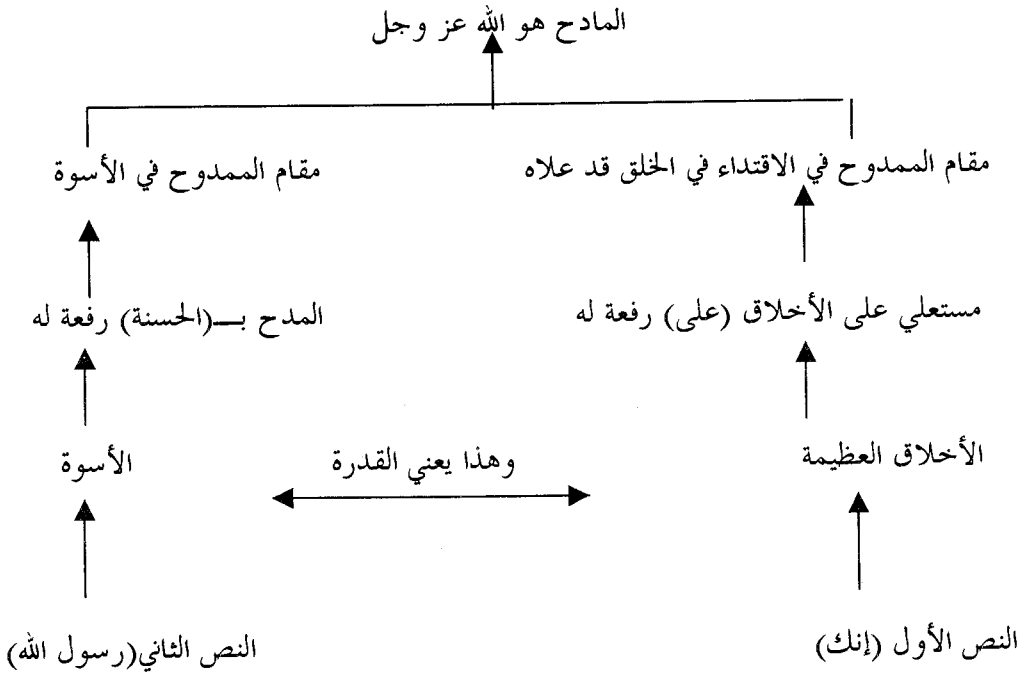
(١) في ظلال القرآن : ٢٢١ / ٨

(٢) التفسير الكبير : ٣٠ / ٨٠ ، فضائل النبي في القرآن / ١٠٨

(٣) صفوة التفاسير : ٣ / ٤٠١ ، الرسول ﷺ لمحات من حياته ونفحات من هدية د. عبد الحليم / ١٢ ،

(٤) في ظلال القرآن : ٢٢٠ - ٢٢١ / ٨

(٥) التفسير الكبير : ٣٠ / ٨١ ، التحرير والتنوير : ٦٥ / ٢٩



ومن هذا يتبين لمدار البحث في المدح الإلهي للأنبياء والمرسلين الذين جمعوا كل المقومات الشخصية ومقومات التعامل الإنساني ومقومات التفاعل الإجتماعي فقد اقتضت حكمة الله "أن يجعل أنبيأؤه أكمل البشر خلقاً وخلقاً وأفضلهم علماً وأشرفهم نسباً وأصدقهم قولاً وأشدهم فطنة كما قد صانهم عن العيوب الخلقية والجسدية".^(١)

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم / ١٩ ، الأنبياء في القرآن ، د. محمد الطيب النجار / ٤٧

يمكن أن نلاحظ أساليب المدح في الملحق الآتي :
ملحق رقم [١ - ٢]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الفصل والخبر الطلبي التوكيد والإضمار النكرة الموصوفة التعريض	(إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)	١
خبر ابتدائي الإظهار التعريض	(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)	٢
الوصل الإظهار خبر ابتدائي المبالغة	(وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى)	٣
الفصل والخبر الإنكاري التوكيد الإظهار المبالغة التذييل	(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)	٤

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الفصل التوكيد الإظهار المبالغة والتذييل تنسيق الصفات	(لَحَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ) (لَحَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ) (لَحَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ)	٥
الوصل الإضمار المبالغة العدول عن الاسم الصريح خبر ابتدائي	(وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ)	٦
الإضمار النهي الإضمار التوكيد التعريض	(قُلْنَا لَا تَخَفْ) (قُلْنَا لَا تَخَفْ) (إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) (إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) (إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى)	٧
القصر الإظهار الكناية	(إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (رَسُولُ اللَّهِ)	٨

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
القصر الإضمار الفصل التوكيد	(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ) (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ) (خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)	٩
التوكيد والإضمار التعريض الفصل والإطناب الوصل	(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) (آتَانِي الْكِتَابَ) (وَجَعَلَنِي نَبِيًّا - وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا)	١٠
القصر الإظهار الفصل والتوكيد	(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)	١١
التوكيد العدول الإطناب المبالغة المبالغة التقديم والتأخير المبالغة التذييل	(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)	١٢
التوكيد	(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ)	١٣

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
التقديم والتأخير الكناية النكرة الإطناب	(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ) (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ) (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)	
التوكيد والإضمار الاستعارة بالحرف المبالغة	(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)	١٤

المبحث الثالث

مدح الكتب السماوية

خلق الله عز وجل الخلق بياناً لعظمته وقدرته ، ومن رحمته ان بعث الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين وخص منهم من انزل عليهم التعاليم والوصايا والاحكام فانزل الكتب السماوية المقدسة وذلك لما فيها ، ومما صرح به القرآن الكريم ذكراً "صحف إبراهيم - عليه السلام - والزبور - عليه السلام - لداوود - عليه السلام - والتوراة لموسى - عليه السلام - والإنجيل لعيسى عليه السلام - والقرآن الكريم للمصطفى محمد عليه السلام ، إلا أن مدار المدح القرآني تركز حول التوراة والإنجيل والقرآن الكريم فقد ذكروا جميعاً في قوله تعالى : ﴿وَعَدْنَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [سورة التوبة / ١١١] ، في بيان فضل ثواب المجاهدين بما وعدهم الله عز وجل فأثبتته في التوراة والإنجيل كما أثبتته في القرآن^(١) ، فحصل المدح للكتب الثلاثة جمعاً "تأكيداً لهذا الوعد واخباراً بانه قد كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"^(٢) ، ونجد أغلب آيات المدح في الاقتران الثنائي بين (التوراة والإنجيل)^(٣) في (تسعة) مواضع لإقامة الحجة على أهل الكتاب وتمهيداً للإيمان بنزول القرآن الكريم ودعوة للإيمان بالرسول عليه السلام ، وممن ذكروا انتساباً إلى كتبهم داوود - عليه السلام وذلك في موضعين قال تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [سورة النساء / ١٦٣ ، سورة الإسراء / ٥٥] ، وهو اسم الكتاب الموحى به إليه عليه السلام وفي ذكر الزبور "تنبيه على فضله وشرفه"^(٤) ، قال الاصبهاني : "وزبرت الكتاب كتبه كتابة عظيمة ، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له الزبور ، وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام ..."^(٥) وفيه بلاغة التعريض بأهل الكتاب لأنه لم يؤت

(١) الكشاف : ٣٣٥/٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٠/٢ ، في ظلال القرآن : ٣١٨/٤ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ١٩٤ ،

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٥٠/٣ ، روح المعاني : ٢٦١/٣ .

(٥) المفردات / ٢١١ ، الكليات / ٤٨٦ .

أحد من أنبياء بني إسرائيل كتاباً بعد موسى عليه السلام^(١)، وذلك لما فيه من المواعظ والأمثال .

وكذلك ذكر "الصحف" مع إبراهيم - عليه السلام - في موضع واحد قال تعالى : "ان هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى" (سورة الأعلى / ١٩) ، فمن بلاغة المدح للصحف ذكر الخاص بعد العام إشارة إلى معاني التزكية وفضلية ذكر الله لما فصلت به الآيات السابقة "أي مضمون هذا الكلام (لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)"^(٢) ، أي لما فيها من الوصايا الإلهية في تزكية البشرية مثبتة في صحف إبراهيم وصحف موسى عليهما السلام" فهي مما توافقت فيه الشرائع وسطرته الكتب السماوية كما سطره هذا الكتاب المجيد"^(٣) ، وذكر ابن عاشور نكتة في ذكرها فقال : "وإنما خص هذه الصحف بالذكر لأن العرب يعرفون إبراهيم وشريعته ويسمونهم الحنفية وربما ادعى بعضهم انه على أثاره منها..."^(٤) ، وفي هذا ثناء عظيم عليها.

ومما يجمع الكتب السماوية مدحاً وثناءً فضيلة الإيمان بها كما في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة/٤] ، ففي إنزالها والإيمان بها حكم وعبر فقد "أنزل الله هذه الكتب لتتولى قيادة البشرية وتنظيمها وتوجيهها والأخذ بيدها لإنقاذها من مهاوي الضلال والإلحاد إلى عبادة الله..."^(٥) ، ولما كانت أغلب آيات المدح القرآني للكتب السماوية تمثلت في (التوراة والإنجيل والقرآن) لذا جعلناها مواطن الدراسة والتحليل.

مدح التوراة

ان مما يميز مدح التوراة هو ذكرها في القرآن الكريم بآيات تتلى لبيان أهميتها

(١) التحرير والتنوير : ١٣٧/١٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٩٤/٥٠ .

(٣) صفوة التفاسير : ٤٨٧/٣ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٢٩/٢٧ - ١٣٠ .

(٥) العقيدة الإسلامية (سفينة النجاة) د. كمال محمد / ٢٢٦ . القرآن وقضايا الإنسان ، د. عائشة /

ومكانتها في حياة بني إسرائيل ، واول ما يطالعنا في المدح القرآني الرقم العددي فقد ورد لفظ التوراة في (ثمانية عشرة) موضعاً^(١) ، وأكثر وقوعها في سورتي (آل عمران - المائدة) خطاباً لأهل الكتاب وتذكيراً لهم بالأحكام والتشريع ، وكذلك المدح بلفظ (الكتاب) في مواضع كثيرة^(٢) ، ومن الألفاظ المتنوعة الدالة على التوراة لفظ (الصحف ، الألواح) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة الأعلى/ ١٨-١٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة الأعراف/ ١٥٤] وأصل الكلمة من (ورى) قال ابن فارس: "ويقال: ورى الزند: ووراه خرجت ناره..."^(٣) ، أي لبلاغة ما فيه من الهدى والنور ، ومما يؤثر في مدح التوراة (ثلاث) مسائل:

الأولى: مدحه باعتبار عظمة المنزل جلا وعلا تعظيماً لما في التوراة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...﴾ [سورة المائدة / ٤٤] ، لذا خصه بالمدح في الاقتران الثنائي مدحاً بـ(هدى ونور) تشريفاً وتكريماً لمن آمن وصدق ، وكذلك مدحاً بـ (الإمام والرحمة) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [سورة الاحقاف / ١٢] ، قال ابن عاشور "هذا ثناء على التوراة لما فيها من تفصيل الشريعة"^(٤).

الثانية: مدحه لما فيه من الأحكام والآيات بكونها مكتوبة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [سورة الأعراف / ١٥٧] ، لذا عظّمه مدحاً بصفة التمام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [سورة الأنعام/ ١٥٤].

الثالثة: مدحه بالوراثة لإقامة الحججة على المنكرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ١٩٤ ، كما ورد في مواضع التعريض والذم بهم.

(٢) م.ن/٦٩٦-٦٩٧.

(٣) مقاييس اللغة : ١٠٤/٦.

(٤) التحرير والتنوير : ٢٢٥/١١.

غافر / ٥٣-٥٤] ، ويمكن أن نجد جماليات أساليب المدح في النصوص التحليلية.

هدى ونور

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [سورة المائدة/٤٤] ، فمن مطلع الآية نجد نكتة بلاغية في مدح التوراة بقوله (إنا أنزلنا) بالأسلوب الخبري الطلبي المؤكد بـ(ان) مع دلالة العظمة لله عز وجل بقوله (انزلنا) تهيئاً لذكر المنزل وهو (التوراة) ، فالتوكيد مع عظمة المتكلم يوحي بعظم الأمر وأهميته وهو "بيان علو شأن التوراة على أتم أوجهه"^(١) ، وفيه نكتة أخرى فقد "وصفها بالنزول ليدل على أنها وحي من الله فاستعير النزول لبلوغ الوحي لأنه بلوغ شيء من لدن عظيم والعظيم يتخيل عالياً..."^(٢) ، وكذلك حصلت بلاغة المدح بالتصريح باسم الكتاب "التوراة" مع بلاغة الإضمار (فيها) أي مدح ما فيها أي "فيها هدى) يهدي إلى الحق والعدل (ونور) يبين ما استنبه من الأحكام"^(٣) ، وهما استعارتان^(٤) ، لما للإستعارة من أثرها في "توضيح المعنى وتقويته في النفس وتقريبه من الإدراك والحس والتأثير به في خوالج النفس والعقل معا"^(٥) ، وفي العطف بينهما يترشح معنى بلاغي يقوي المدح لأن "النور إستعارة للبيان والحق ولذلك عطف على الهدى فأحكامها هادية واضحة..."^(٥) فهو أعم من الهدى ، لذا ذكر غاية نزولها بالحكم والعمل بما فيها أي "لتكون هدى ونوراً بما فيها من شريعة تحكم الحياة الواقعية وفق منهج الله..."^(٦) ،

(١) روح المعاني : ٤٢٥/٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٧/٦ .

(٣) الكشاف : ٣١/٢ ، تفسير السمرقندي : ٤٣٩/١ .

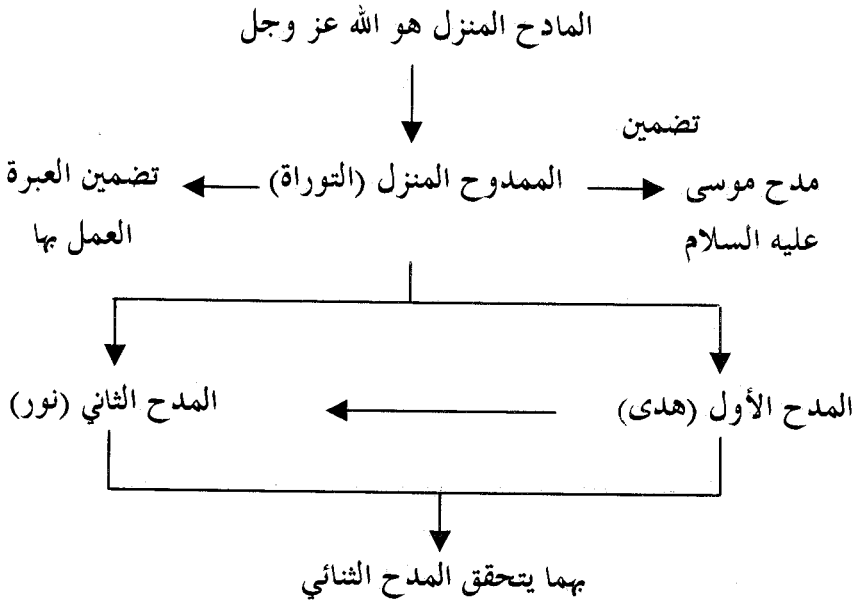
(*) تعرف هذه الاستعارة بـ (الوفاقية) لإمكان اجتماع طرفيها في شيء واحد وعدم التنافي بينهما ، جواهر البلاغة / ٢٨٠ .

(٤) لغة القرآن الكريم / ٣٥٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٠٧/٦ .

(٦) في ظلال القرآن : ٧٣٨/٢ ، الهدى ومعناه في القرآن الكريم د. أحمد الحوفي (مجلة منبر الإسلام، العدد-٩-١٣٩٣) / ٢٢٢ .

ومدح القائمين عملاً بذلك وأشرفهم وأعظم الناس لأداء الأمانة (النبيون) ومن يتبعهم. فمن بلاغة المدح الاقتران الثنائي (هدى ونور) وبيان غايتهما في ثلاث أمور (الحكم والاستحفاظ والشهادة) لما فيها ، وهو تعريض بأهل الكتاب ، وكما هو مبين في المخطط:



الإمام والرحمة

قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ...﴾ [سورة هود/١٧].

افتتحت الآية الكريمة بمدح الإسلام بالبينه والشهادة وما في القرآن الكريم من أمارات الوحي "أي ويتبعه شاهد من ربه على نبوته ورسالته وهو هذا القرآن الذي

يشهد بذاته انه وحى من الله لا يقدر عليه بشر^(١)، ثم جاء التعبير القرآني بمدح التوراة مضافاً إلى اسم نبيه (كتاب موسى) في تنوع الألفاظ مناسبة للسياق في الشهادة والرسالة فهي مكتوبة اقراراً للحجة على المخاطبين و "إيماء إلى أن كتاب موسى ﷺ شاهد على صدق رسول الله ﷺ"^(٢)، ثم عقب بالمدح بقوله (إماماً ورحمة)، قال الزمخشري : " (إماماً) كتاباً مؤتمراً به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم "^(٣)، فقدم مدح التوراة بـ (الإمام) على (الرحمة) لنكتة بلاغية وهي لما فيها من الاحكام والآيات التي تتقدم حياة المكلفين من بني إسرائيل ولأجل النظر إليها والاتباع كما ينظر إلى الإمام ويتبع " إذ الإمام ما يؤتم به ويعمل على مثاله"^(٤) وهي إستعارة رائعة ، وفي التنكير تعظيم للتوراة يبين عظمة الله عز وجل وما فيها ، وفي جعلها إماماً لهم رحمة بهم في نجاتهم وسعادتهم إذا ما تحققوا بالإمام استماعاً وعملاً لذا عطف الرحمة على الإمام ، وهي مقصود الكتب السماوية المنزلة ومنها التوراة "أي أنزله الله تعالى إلى تلك الأمة إماماً لهم وقدوة يقتدون بها ورحمة من الله بهم فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ولهذا قال تعالى : (أولئك يؤمنون به)"^(٥) فهي دلالة الوجدانية لله عز وجل والتي "جاء بها كتاب موسى وجاء بها القرآن الكريم ليؤكد اللاحق السابق"^(٦)، ونجد نكتة بلاغية في مدح المضاف "الكتاب" تومئ إلى مدح المضاف إليه (موسى) داعية بني إسرائيل وهي انه الإمام لهم لمن أراد الخير والاتباع فكان قدوة في الإصلاح ، هو الرحمة لهم لمن عمل وصدق بها فهو الرحيم بهم فهو أهل لتبليغ التعاليم لقومه إذ خصه الله بالتوراة ، وفي التخصيص نكتة ذكرها الألوسي بقوله : "وتخصيص كتاب موسى ﷺ بالذكر بناء على عدم إرادة الإنجيل فيما تقدم لأن الملتين مجتمعتان

(١) في ظلال القرآن : ٥٢٧/٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨/١٢ ، صفوة التفاسير : ١١/٢ .

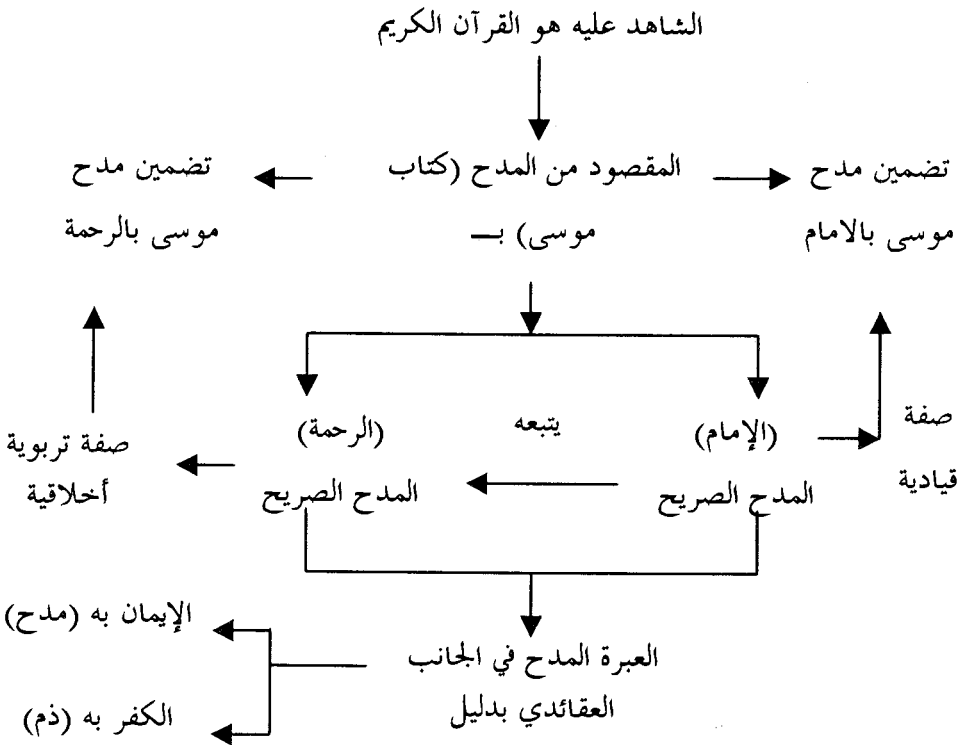
(٣) الكشاف : ٣٩٥/٢ ، البحر المحيط : ٢١٦/٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٨٠/١٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٤٣٧/٢ ، تفسير السمرقندي : ١٢٠/٢ .

(٦) إلى القرآن الكريم ، للإمام محمود شلتوت /٥٣ .

على أنه من عند الله تعالى بخلاف الإنجيل فإن اليهود مخالفون فيه فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الفريقين أولى^(١) ، وكما هو مبين في المخطط:



الالواح

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(*) [سورة الأعراف/١٥٤].

ورد مدح "الالواح" في سياق "إلقائها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة

(١) روح المعاني : ٣١٩/٦ ، سور الحواميم ، عبد القادر (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ٢٠٠٠/٦٤).

(*) مدحت في موضع آخر بالموعظة الحسنة والتفصيل لكل شيء في هدايم (الأعراف/١٤٥) منهج القرآن في تربية الرجال د. عبد الرحمن عميرة /١٥٤.

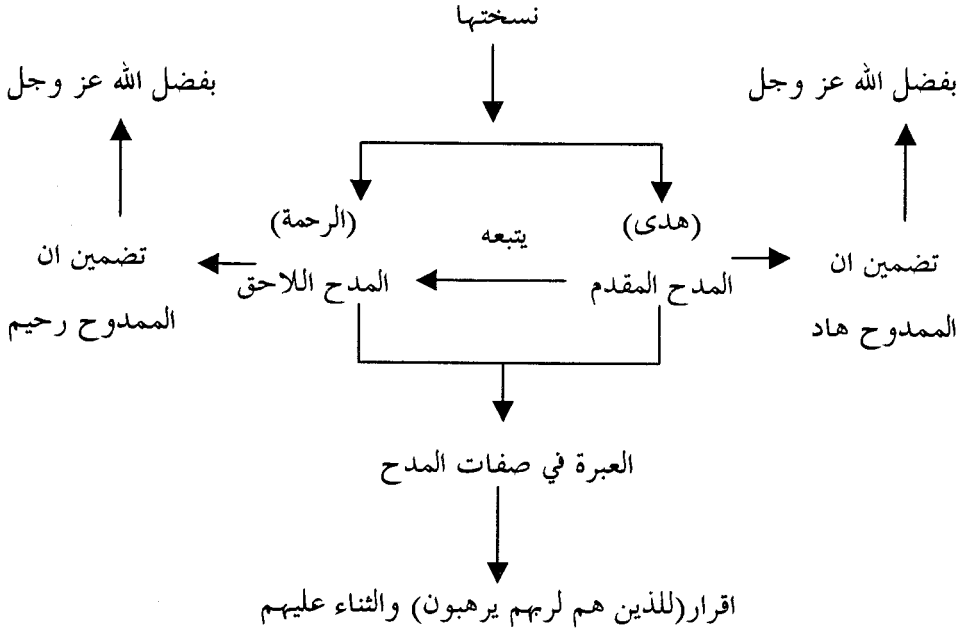
لله وغضباً له ... فوجد فيها هدى ورحمة"^(١) ، ومن بلاغة النظم القرآني في مدح التوراة بلفظ (الألواح) نكتتان بلاغيتان:

الأولى : قوله تعالى : (وفي نسختها هدى ورحمة) أي ما نسخ وكتب وما تبقى منها بعد الإلقاء^(٢) ، وقد ذكر ابن عاشور فيها بلاغة الإيجاز مدحاً فقال : " وهذا يقتضي ان هذه الألواح أخذت منها نسخة لأن النسخة أضيفت إلى ضمير الألواح وهذا من الإيجاز ، إذ التقدير : أخذ الألواح فجعلت منها نسخة وفي نسختها هدى ورحمة..."^(٣) فتحقق المدح بذكر الخاص (النسخة) بعد العام (الألواح).

الثانية : قوله تعالى : (هدى ورحمة) أي مدح لها فالمدح بالهدى يرمي إلى بلاغة التسليم والطاعة لأن المتكلم عنها هو الهادي عز وجل وهو الذي أنزلها ويعلم بما فيها ، فهي تهديهم إلى صراط مستقيم ، فإذا تحققوا بالهداية برزت معاني ومعالم في حياة بني إسرائيل وانقيادهم للطاعة يبرز فيهم المودة والرحمة^(٤) وهي تكشف عن عظمة ما في التوراة وهذا ثناء عظيم عليها تحقق في لفظها وما تضمنته ، فمن اتبع وصدق كان مهتدياً ورحيماً وهذا من روائع الاستعارة لذا ذيلت بقوله قال (للذين هم لهم يرهبون) وكما هو مبين في المخطط:

- (١) تفسير القرآن العظيم : ٢٥٢/٢ ، صفوة التفاسير : ٤٠١/١ .
- (٢) الكشف : ٢٠٦/٢ ، روح المعاني : ٩٦/٥ .
- (٣) التحرير والتنوير : ١٢٢/٩ .
- (٤) تفسير السمرقندي : ٥٧٢/١ ، في ظلال القرآن : ٦٣٥/٣ .

مدح التوراة بلفظ (الألواح) وفي



مدح الإنجيل

كما خص الله عز وجل التوراة نزولاً على الكليم ﷺ خص الإنجيل نزولاً على المسيح عيسى ﷺ والإنجيل اسم "للوحى الذى اوحى به إلى عيسى ﷺ فجمعه أصحابه.."^(١) ، وله دلالة في اللغة فهو يدل على السعة في الشيء "ويقال الإنجيل .. من نجلت الشيء : استخرجته كأنه امر أبرز وأظهر بما فيه..."^(٢) ، وقد ورد ذكره تصريحاً

(١) التحرير والتنوير : ١٤٩/٣ .

(٢) مقاييس اللغة : ٣٩٦/٥ ، الكليات / ٩١٠ .

في القرآن الكريم في (اثني عشر) موضعاً^(١)، نلاحظ أهم مواضع المدح في الاقتران مع الكتب السماوية لكونها كلمات الوحي والاصطفاء والتكريم لمن آمن بها وصدق بها كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [سورة التوبة/ ١١١] ، وأكثرها اقتراناً مع التوراة ، وأهم معاني المدح للإنجيل في (ثلاثة) معانٍ:

الأول : مدح الإنجيل بصفة الاقتران الثنائي بين (هدى ونور) في قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [سورة المائدة / ٤٦] ، ومدحه في الاقتران ذكراً مع التوراة كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة المائدة / ١١٠] "أي الكتابة والحكمة وهي العلم النافع مع التوراة والإنجيل"^(٢) أي مدح لما في الإنجيل.

الثاني : ومن أساليب المدح اقتران ذكر المسيح ﷺ مع الإنجيل تعظيماً لما أرسل به وإكراماً للمرسل بها ، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [سورة الحديد/ ٢٧].

الثالث : مدح الإنجيل لتضمنه ذكر النبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [سورة الأعراف/ ١٥٧] ، وكذلك ورد ذكر الإنجيل بانه حجة في مدح الأمة المحمدية في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...﴾ [سورة الفتح / ٢٩] ويمكن أن نقف عند الأساليب البلاغية في النصوص القرآنية الآتية:

هدى ونور

قال تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة / ٤٦] .

(١) المعجم المفهرس / ٧٨٣-٧٨٤.

(٢) صفوة التفاسير : ٣١٣/١.

فمن بديع النظم القرآني في مدح الإنجيل عظمة ما فيه لأن يكون أهلاً لإتيانه وجعله كتاباً مقدساً "أي وآتيناه الإنجيل الموصوف بتلك الصفات العظيمة..."^(١) لأجل العمل والاتباع ، ثم تتعاضد معاني المدح للإنجيل بين قوله "مصدقاً لما بين يديه" في موضعين ، وقوله (هدى ونور) و (هدى وموعظة للمتقين) في بديع التقابل، إذ يرشح السياق بلاغة التكرار ويمكن أن نلاحظه في مسألتين :

الأولى : ان التصديق هو تمهيد لنفوس المخاطبين من أهل الكتاب ودعوتهم إلى التأمل في الإنجيل وما فيه لأن الإيمان بالتوراة دعوة إلى الإيمان بالإنجيل ، لذا جاء بالنكرة (مصدقاً) تعظيماً لما سبقه من الأحكام والتعاليم في التوراة و " لأن الإنجيل مواعظ وزواجر بما أنزل الله فيه..."^(٢) لذا عطفه عليه ، وقد خصهما القرآن الكريم مدحاً بـ (هدى ونور) فهو " يعني الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد وفي بعض الشرائع"^(٣) . ونجد نكتة بلاغية في المدح في التكرار القرآني لأن المدح حصل بالتصديق مرة مع عيسى عليه السلام ومع الإنجيل أخرى وقد ذكرها ابن عاشور بقوله : "فتصديق عيسى للتوراة أمره بإحياء أحكامها وهو تصديق حقيقي ، وتصديق الإنجيل التوراة اشتماله على ما وافق أحكامها فهو تصديق مجازي..."^(٤) وكلاهما يرشح معنى مدح الإنجيل باعتبار المنزل وهو الإنجيل والمبلغ له (عيسى) عليه السلام، بيانا لرحمة الله عز وجل بخلقه .

الثانية : التقابل في الاقتران الثنائي بين (هدى ونور) و (هدى وموعظة للمتقين) فبعد المدح بقوله (وآتيناه الإنجيل) ذكر غاية التصديق بما أرسل وموقفه من الكتب قبله فهو يومئ إلى الإيمان بها جميعاً لأن المرسل لها هو الله عز وجل فقال (هدى ونور) "أي هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات"^(٥) أي كما مدحت التوراة بـ (هدى ونور) وهي صفات تبين النكتة البلاغية في شخصية المرسل لها فهو

(١) التحرير والتنوير : ٢١٩/٦ .

(٢) الكشف : ٣٣/٢ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، لابن الحسن الهمداني / ١١٨ .

(٣) تفسير السمرقندي : ٤٤٠/١ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢١٩/٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٦٨/٢ - ٦٩ ، روح المعاني : ٤٣٦/٣ ، صفوة التفاسير : ٢٩٠/١ .

داعية الهدى والنور لبني إسرائيل في رائعة الاستعارة وليس هذا فحسب ؟ بل هو مدح في تمام التقابل بقوله (هدى وموعظة للمتقين) وهو معطوف على ما قبله تأكيداً للمدح لما فيه من الآيات التي فيها سعادتهم وإقامة الحجة على المخاطبين فهو "هدى يهتدى به وموعظة أي زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم..."^(١) ، ولذا خص صفات المدح في التذييل للمتقين لأنهم "هم الذين يجدون في كتب الله الهدى والنور والموعظة هم الذين تفتح قلوبهم لما في هذه الكتب من الهدى والنور وهم الذين تفتح لهم هذه الكتب عما فيها من الهدى والنور..."^(٢) ، وهذا يرشح بلاغة الاستعارة في صفات المدح والثناء ، وأشار الألوسي إلى نكتة أخرى في قوله : "وجعل كله هدى بعد ما جعله مشتملاً عليه مبالغة في التنويه بشأنه إلا أن فيه البشارة نبينا ﷺ أظهر"^(٣) وهذا يبين عله النكرة تقريراً على المخاطبين من أهل الكتاب ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

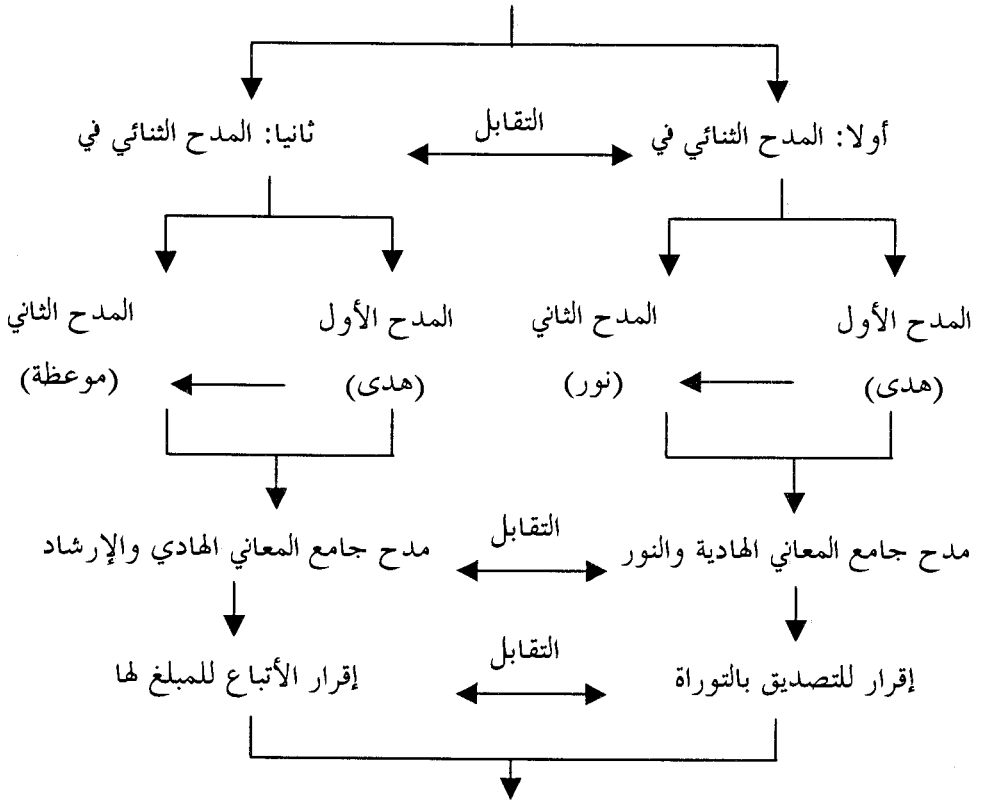
(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٩/٢ .

(٢) في ظلال القرآن : ٧٤٥/٢ .

(٣) روح المعاني : ٤٣٦/٣ .

المادح هو الله عز وجل

الممدوح (الإنجيل) في المقابلة



وهكذا يكثف عن التعريض بأهل الكتاب وتضمين بعثة النبي ﷺ

المدح مع الكتب السماوية

قال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة آل عمران/ ٣-٤].

فنجده في الآية بلاغة مدح الإنجيل مع بلاغة مدح القرآن الكريم سابقاً بقوله (نزل عليك الكتاب) ولاحقاً له بقوله (وأنزل الفرقان) ، وفي مطلعها أسلوب خبري مع كون المسند فعلاً على صيغة المبالغة (نزل) قال ابن عاشور: "وجيء بالمسند فعلاً لإفادة تقوية الخبر أو للدلالة مع ذلك على الاختصاص أي الله لا غيره نزل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين ان القرآن من كلام الشيطان أو من طرائق الكهانة أو يعلمه بشر"^(١) ، وهذا تمهيد لمدح التوراة والإنجيل وخصهما بصفة التصديق مدحاً للكتب كلها "يعني موافقاً للكتب المتقدمة في التوحيد وفي بعض الشرائع"^(٢) ، ثم جاء مدح الإنجيل مقترناً مع التوراة بقوله (وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) وخصهما بالهدى عموماً "أي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا..."^(٣) ، وفيها نكتة أخرى فهي "تعزز وحدة الدين ووحدة الحق الذي تتضمنه الكتب المتنزلة من عند الله ... وكلها تستهدف غاية واحدة "هدى للناس"^(٤) ، وكذلك يرشح التعبير القرآني نكتة انتقاء الصيغ فقال (نزل - وأنزل) فإن " ما استعمل فيه (نزل) يكون أهم وأكد مما استعمل فيه (أنزل)"^(٥) ونجد بلاغية مدح الإنجيل في تقديم الجار والمجرور (من قبل) على (هدى للناس) في غايتين ذكرهما ابن عاشور بقوله: "للاهتمام به ، وأما ذكر هذا القيد فلنكسي لا يتوهم ان هدى التوراة والإنجيل مستمر بعد نزول القرآن ، وفيه إشارة إلى أنها كالمقدمات لنزول القرآن الذي هو تمام مراد الله من البشر..."^(٦) ولذا خصه مدحاً بقوله

(١) التحرير والتنوير : ١٤٧/٣ .

(٢) تفسير السمرقندي : ٢٤٤/١ ، صفوة التفاسير : ١٥٣/١ .

(٣) الكشاف : ٢٩٧/١ تفسير القرآن العظيم : ٣٥٣/١ ، روح المعاني : ١٠٤/٢ .

(٤) في ظلال القرآن : ٥٤٠/١ .

(٥) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / ٦٦ ، اختلاف صيغ الفعل المشتقة من جذر واحد في القرآن الكريم، هلال (رسالة ماجستير - مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ٢٠٠٠) / ٣٦٩ .

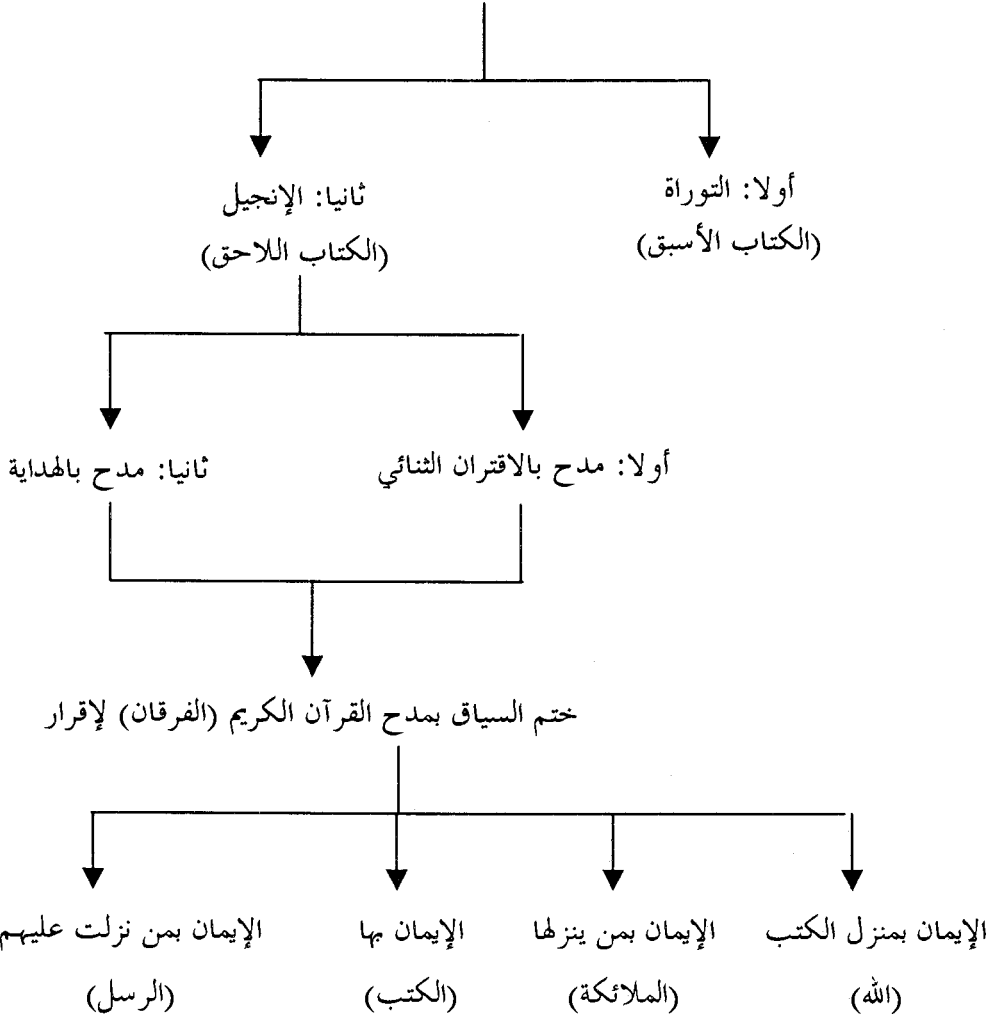
(٦) التحرير والتنوير : ١٤٩/٣ ، دراسات قرآنية لمحمد قطب / ٣١١ .

(وأنزل الفرقان) لأنه من جنس الكتب السماوية فهي تفرق بين الحق والباطل فقد "كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله..."^(١) ، وهذا يقرر مدح الكتب السماوية كلها لأن الآية "تقرر ضمناً انه لا وجه لتكذيب أهل الكتاب للرسالة الجديدة فهي سائرة على نمط الرسالات قبلها وكتابها نزل بالحق كالكتب المنزلة ونزل على رسول من البشر كما نزلت الكتب على سائر البشر..."^(٢) ومنها ترشحت صفات المدح للإنجيل وكما هو مبين في المخطط:

(١) الكشاف : ٢٩٧/١ ، البحر المحيط : ٣٩٤/٢ ، روح المعاني : ١٠٤/٢ .

(٢) في ظلال القرآن : ٥٤٠/١ ، التحرير والتنوير : ١٥٠/٣ .

السياق يرشح مدح القرآن الكريم لإقرار التصديق



مدح القرآن الكريم

ان مما يطالعنا به القرآن الكريم وفرة الآيات القرآنية المتوزعة بين السور المكية والمدنية في كمها العددي مدحاً ، فقد ورد المدح بلفظ (القرآن) في (ثمانية وخمسين) موضعاً^(١) و "هو المنزل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه متواتراً بلا شبهة..."^(٢) ، وقد توزعت معها المعاني والأغراض حسب السياق وقد سماه الله عز وجل (قرآناً) في قوله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ...﴾ [سورة الإسراء/١٠٦] ، وكذلك المدح بلفظ (الكتاب)^(٣) ، ومدحه بالصحف كما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [سورة عيسى / ١١-١٤] ، قال ابن عاشور : "فان تلك المدائح عائدة إلى القرآن بطريق الكناية"^(٤) ويمكن أن نجمعها في (ست) مسائل:

الأولى : مدحه في أصله اللغوي سواء من الفعل (قرن) فهو " يدل على جمع شيء إلى شيء..."^(٥) في اللغة وفيه دلالة المدح ، أو من الفعل (قرأ) " ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك..."^(٦) ، ومن لطائف المدح وصفه بالبركة كما في قوله تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...﴾ [سورة الأنعام/١٥٥] ، والليلة التي نزل فيها مباركة قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ...﴾ [سورة الدخان/١]^(٧) .

الثانية : مدحه في مطلع السور القرآنية وأكثر وقوعه بعد الحروف المقطعة قال الرازي : " ان كل سورة في أوائلها حروف التهجي فإن في أوائلها ذكر الكتاب أو التنزيل

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٦٤٩ .

(٢) التعريفات / ٩٨ .

(٣) المعجم المفهرس / ٦٩٦-٦٩٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ١١٩/٣٠ .

(٥) مقاييس اللغة : ٧٦/٥ .

(٦) م،ن : ٧٩/٥ ، القرآن للسيوطي / ١٥ .

(٧) من الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، عبد العزيز سيد الأهل / ٢٣ .

أو القرآن.. "،^(١) وجمع آيات المدح القرآني في مطلعها يدور حول مدح القرآن باعتبار المرسل سبحانه وتعالى، ومدحه باعتبار صفاته ومدحه باعتبار المخاطبين^(٢)، والصفات كثيرة منها (نزوله بالحق، الكريم، المبين، الهدى، الشفاء، الرحمة) وقد ذكر السيوطي منها (خسة وخمسين) اسماً^(٣)، وكذلك في مدحه بـ (أحسن القصص)، " فإن القرآن الكريم هو أجل نعمة أنعم الله بها على عباده حيث جاء فيه بالعقيدة الحقة والشريعة السمحة وأرسخ فيه أمهات الفضائل وأورد فيه أحسن القصص وأبلغ العبر فكان نوراً وهدى وشفاء ورحمة..."^(٤).

وفيه نكتة بلاغية "فالأسماء والصفات التي اختارها الله عز وجل لكتابه العزيز تدل على شرف القرآن وعلو قدره وفيها البرهان على أنه أعظم كتاب سماوي، أسماء وصفات تحمل في طياتها ما اشتمل على أسرار بديعة وأهداف سامية ومقاصد جليلة"^(٥) وجمعها في الثناء العظيم في صفة (المهيمن).

في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ [سورة المائدة/٤٨]، فقد مدح "بان سمي كتاباً على الإطلاق لتفوقه على سائر الكتب السماوية وهو القرآن العظيم"^(٦).

أي مدحه بالمهيمن وقد ذكر الزمخشري عدة معان لها منها الرقيب بعله ان يشهد

- (١) التفسير الكبير: ٢٦/٢٥، في التذوق الجمالي من آيات القرآن الكريم، محمد علي/١١-١٢.
- (٢) حسن الابتداء والانتها في سور القرآن، وفاء (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل - ١٩٩٨/٥٢).
- (٣) معترك الأقران: ٣٢٦/٢-٣٢٨، فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن، لابن يحيى زكريا، ٣٠٥.
- (٤) تحصيل نظائر القرآن الحكيم للترمذي/٣، كتاب تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة، محمد عبدالله/٢٦، ٣١، ٣٧.
- (٥) أسماء القرآن الكريم وصفاته، زهير (رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٩/٥).
- (٦) روح المعاني: ٤٣٧/٣، تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت/٢٧١.

للكتب بالصحة والثبات وشاهداً عليها أو الأمانة فهو مؤتمن عليها^(١) وذلك "لأنه بلغ الحد الأقصى من الترغيب والترهيب ومن التبشير والتخويف ومن الهداية والإرشاد"^(٢).

الثالثة : مدحه ببلاغة الإطناب في آية قرآنية من بديع نظمها انها جمعت (ستة) أوصاف في قوله تعالى : ﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت / ٤١-٤٢]^(٣) ، وكذلك بلاغة التكرار في المدح " فإن التكرار يساعد على تثبيت عملية التعليم يقول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر/١٧]"^(٤) ، ومدحه ببلاغة الإيجاز في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد/٣١] ، أي لكان هذا القرآن^(٥) ، ومن أساليب المدح الخاص مدح لما فيه أي سورة الفاتحة في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر/٨٧] ، قال الزمخشري : "لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها " أعلى ما هو ثناء من الله ... ولما فيها من الثناء كأنها تشني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى"^(٦) ، ثم "عطف (القرآن) على السبع من عطف الكل على الجزء لقصد التعميم ليعلم أن إتياء القرآن كله نعمة عظيمة ... وأجرى وصف (العظيم) على القرآن تنويها به"^(٧).

الرابعة : مدحه بالاستثناء بحفظه من الله عز وجل قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر / ٩] ، ولذا قال تعالى مدحاً : ﴿بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ [سورة الإسراء/١٠] قال ابن عاشور : "وقد وصف القرآن بصفتين

(١) الكشف : ٣٣/٢ ، تفسير السمرقندي : ٤٤١/١ .

(٢) مع القرآن الكريم ، أحمد محمد الحوفي : ٣٩/٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٠٨-٣٠٩/٢٤ ، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان سلامة القضاعي / ٤٥ .

(٤) الطبيعة البشرية في القرآن الكريم د. لطفي بركات / ٢٣ .

(٥) بيان إعجاز القرآن ، الخطابي / ٥٢ .

(٦) الكشف : ٥٦٦/٢ ، البحر المحيط : ٤٥٢/٥ ، فضائل النبي في القرآن ، الغماري / ٥٧ .

(٧) التحرير والتنوير : ١٨/١٤ ، القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان / ٨٧ .

عظيمنتين كل واحد منهما تحتوي على ثناء عظيم وتنبية للتدبر فيهما^(١) ، ولذا خصه مدحاً في (أم الكتاب) كما في قوله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ [سورة الزخرف / ٤] ، فمدحه بـ(العلي) و (الحكيم) أي "أصله المرتفع وهو مستعار لشرف الموصوف و (الحكيم) باعتبار ما يحتوي من الحكمة وصلاح أحوال النفوس فهو في علوه وفي حكمته يشرف على البشرية ويهديها..."^(٢) ومدحاً على الكتب السماوية التي كانت عند أهل الكتاب فغيروا وبدلوا.

الخامسة : مدحه بأسلوب الزام الخصم الحجة بذكر القرآن كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة النمل/ ٧٦] ، وذلك لأن القرآن "كتاب عقيدة وشرعية يتجه أول ما يتجه إلى ضمير الإنسان ليصحح صلته بخالقه ثم يقيم هذه الصلة من التشريع ما يمسك بها سليمة قوية في كيانه..."^(٣) ، ومن هذا ذكره في كتب السابقين قال تعالى : ﴿وَأِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾ [سورة الشعراء/ ١٩٦] ، قال ابن كثير : "وان ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه..."^(٤) ، ومن بديع المدح قوله تعالى : ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ...﴾ [سورة الزمر/ ٢٨] ، قال ابن عاشور : "وهذا ثناء على القرآن بكامل معانيه..."^(٥).

السادسة : مدحه على لسان الجن كما صرحت آيات الذكر الحكيم في قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ...﴾ [سورة الجن/ ١] ، فهو مدح يدل على استمرار الهداية لكل زمان ومكان ودعوة إلى الحق والإيمان لذا وظف الفعل (يهدي) ، وكيف لا ؟ "لأنه جاء بأفصح الألفاظ وفي أحسن نظوم التأليف

(١) التحرير والتنوير : ٢٢٩/١٤ .

(٢) سور الحواميم ، عبد القادر (رسالة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣) / ٣٧ .

(٣) الإعجاز في دراسات السابقين (دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها) عبدالكريم الخطيب / ٣٥ ، ٤٧ . هذا القرآن ... فأين منه المسلمون ؟ محمد زكي / ١٧، ١٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٢/٣ ، من بديع لغة التنزيل / ٢٤٦ .

(٥) التحرير والتنوير : ٧٨/٢٤ .

مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعائه إلى طاعته...^(١) فكان داعية الإيمان عندهم.

وجامع آيات المدح والثناء ترشيحه في انتقاء لفظ المدح (القرآن والكتاب والذكر والفرقان) فهو القرآن الذي يتعبد بتلاوته ويقرأ في كتاب لأجل التذكرة والعبرة وعملاً به فهو الفرقان للحق والباطل ، "والفرق بينها وبين القرآن ان كلمة القرآن لم تستعمل إلا في القرآن ولم يسم بها شيء آخر ، أما كلمات الفرقان والكتاب والذكر والتنزيل فقد جاءت في بعض استعمالاتها مقصوداً بها القرآن وفي بعض استعمالاتها الأخرى جاءت مقصوداً بها أمور أخرى"^(٢) ، وهناك أوصاف كثيرة خاصة به دون غيره من الكتب السماوية^(٣).

الكتاب والقرآن

ومن آيات المدح القرآني الموازنة البلاغية في المشار إليه (ذلك الكتاب) و (هذا القرآن) في قوله تعالى : ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة / ١-٢] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء / ٩] ، نجد محاور المقابلة في المدح في نكتتين بلاغيتين :

الأولى : وظف التعبير القرآني مع الكتاب اسم الإشارة للبعيد (ذلك) ، ومع القرآن للقريب (هذا) والمشار إليه واحد مدحاً لهما ومناسباً لسياق كل آية "باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيداً في المنزلة..."^(٤) ، فهو

(١) القرآن ، للسيوطي / ٨٢ ، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ، محمد طاهر / ٢٠-٢٣ ، أبرز

أسس التعامل مع القرآن الكريم ، د. عيادة الكيسي / ١١٩ .

(٢) دراسات قرآنية ، د. محمد إبراهيم / ٣ ، النبأ العظيم / ١٣ .

(٣) أسماء القرآن الكريم وصفاته ، زهير (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل ،

٢٠٠٠ / ١٢٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ١ / ٢٢٠ سورة البقرة للأستاذ أحمد حسين (مجلة منبر الإسلام ، العدد-٩-

١٣٩٣ / ١٤ .

مدح بالإشارة إلى عظم منزلته ومكانته والتشريع فيه ، وفي المشار إليه مدحاً ايضاً باسم "الكتاب" أي " هو الكتاب الذي لا يدانيه كتاب"^(١) وله بلاغته التي تعاضد بلاغة المطلع (الم) لإقامة الحججة على المخاطبين فهي "إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الاحرف وهي في متناول المخاطبين به من العرب ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز الذي لا يملكون ان يصوغوا من تلك الحروف مثله..."^(٢) لذا جاء بالأسلوب الخبري الابتدائي.

يرشح السياق نكتة بلاغية في المدح ذكرها الألوسي بقوله : "والمعنى ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس حتى كأن ماعده من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة إليه"^(٣).

أما في سورة الإسراء فقد افتتحت آية مدح القرآن بالأسلوب الخبري الطلبي بقوله: (ان هذا القرآن) توكيداً لقربه من النفوس بكلماته ومعانيه وأحكامه وتعاليمه وكذلك قريب من حياة المؤمنين عملاً وتطبيقاً وقريب من سلوكهم ووجودهم الإجتماعي في الدنيا قال ابن عاشور : "وقوله (هذا القرآن) إشارة إلى الحاضر في أذهان الناس من المقدار المنزل من القرآن"^(٤)، وهذا مدح له ولما فيه.

ونجد نكتة بلاغية في مناسبة الألفاظ مع السورة ، فورد لفظ (الكتاب) في السور المدنية لأن غيره من أهل الملل والطوائف لهم كتاب سماوي فهو تعريض بهم^(٥) ، وإقامة الحججة عليهم بالإيمان والاتباع ، أما لفظ (القرآن) فورد في سورة مكية لأنه في مقام التحدي لأهل مكة أهل اللغة والشعر والقراءة فمدحه بـ (القرآن) فلماذا لا يؤمنون ؟ وذكر الاصبهاني بلاغة المدح لهما - الكتاب - والقرآن - بقوله : "تسمية هذا الكتاب

(١) صفوة التفاسير : ٢٤/١ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣٨/١ ، دراسات عن سور القرآن للشيخ محمد جواد : ١٤/١ .

(٣) روح المعاني : ١٤٤/١ ، أسماء الإشارة في القرآن الكريم ، عمر (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣) / ٨٦-٨٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ٤٠/١٥ ، المعاني في ضوء أساليب القرآن / ٢٤٤ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٢٤/١ .

قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله (وتفصيل كل شيء) ... " (١).

الثانية : تعليق النظم في السياق بعد المشار والمشار إليه بما يلائمه مدحاً فذكر بعد قوله (ذلك الكتاب) (لاريب فيه) ، وبعد قوله (ان هذا القرآن) الجملة الفعلية (يهدي) و (يبشر)، فحصلت نكتة المدح في قوله (لاريب فيه) أي لما فيه ولغيره من الكتب السماوية كذلك بتأخير الجار والمجرور قال الزمخشري : "نفي الريب عنه وإثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعون له ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو ان كتاباً آخر فيه الريب" (٢)، لذا عدل عن قوله (لا فيه ريب) وذكر ابن كثير بلاغية مدح القرآن بقوله: "ومعنى الكلام هنا ان هذا الكتاب لاشك فيه انه نزل من عند الله" (٣) ، ثم ذكر تعالى أعظم ما فيه وما ينفع به المكلفون وهي (الهداية) وقد مدح بالمصدر لنكتة المبالغة ذكرها ابن عاشور بقوله : " حصل من وصف الكتاب بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل لو وصف باسم الفاعل فقيل هادٍ للمتقين فهذا ثناء على القرآن وتنويه به وتخلص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه... " (٤)، وقد بين الجرجاني نكتة الفصل بينهما بقوله : "قوله (لاريب فيه) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله (ذلك الكتاب) وزيادة تثبيت له وبمنزلة ان تقول : " هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب" (٥).

ومن بلاغة التعبير القرآني في المدح تعاضده مع ما سبقها (لاريب فيه) ذكرها الزمخشري بقوله "نفي عنه ان يثبت به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلاً بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين . ثم أخبر عنه بانه (هدى للمتقين) فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله... " (٦) ، لذا فصل ، وقد جعل أحد الباحثين هذه الآية

(١) المفردات / ٤٠٢.

(٢) الكشف : ٣٦/١ ، من بديع لغة التنزيل / ١٠ ، ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. طالب الزوبعي / ٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٥٧/١ ، اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، النورسي / ٥٦-٥٧.

(٤) التحرير والتنوير : ٢٢٧/١ ، دراسات قرآنية محمد قطب / ٢٧٩.

(٥) دلائل الإعجاز / ٢٤٢ . خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. محمد رجب / ٢١٢.

(٦) الكشف : ٣٨/١ ، الفصل والوصل في القرآن الكريم . د. منير سلطان / ٥٨.

متمثلة فيها طبيعة القرآن الكريم وأهدافه بصورة وجيزة وبلغية،^(١) وأعقب ذكر (القرآن) بقوله (يهدي للتي هي أقوم) فنجد بلاغة المدح بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد في كل زمان ومكان ، قال ابن كثير : "يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بانه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ..."^(٢) وهو يومئ إلى بلاغة الإيجاز بحذف الموصوف "أي للطريق التي هي اقوم لأن الهداية من ملازمات السير والطريق أو للملة الاقوم وفي حذف الموصوف من الإيجاز من جهة ومن التعظيم من جهة أخرى ما رجح الحذف على الذكر"^(٣)، وفيه مدح أيضاً في بلاغة الوصل وهو دائم البشارة إلى يوم القيامة لذا عطف عليها (ويبشر) فبعد ان "تحدث الله عن الأنبياء والرسل ... ثم قفى على ذلك بالثناء على القرآن الكريم وبيان انه يهدي للصراط المستقيم ويبشر الصالحين بالاجر والثواب العظيم"^(٤) ، لذا فإن "الله تعالى وعد لمن استمع إلى كلامه فأحسن الأدب عند استماعه بالاعتبار الجميل ولزوم الواجب باتباعه والعمل به ان يبشره عز وجل منه بكل خير ووعدته على ذلك أفضل الثواب"^(٥) ، وفيه نكتة مدح أخرى بقوله (أقوم) في كل شيء عبادات ومعاملات وأخلاق "ففيه ايماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم"^(٦) ، فالمدح بالمصدر (هدى) وبالفعل (يهدي) متحقق في القرآن الكريم فهماً "وصف جامع يضفي على القرآن من قداسة الله ما يرقى به إلى قمة الكمال وينزهه عن كل شبهة ولا يدع لإنسان من الناس منفذاً من الوهم إلى جلال القرآن وما جاء به من الهدى والبشرى ..."^(٧) وكما هو مبين في المخطط:

(١) دراسة عن القرآن الكريم ، اسماعيل كشميري (مجلة منبر الإسلام، العدد-١-١٣٨٣/١٦٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٠/٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ٤٠/١٥ ، في ظلال القرآن : ٣٠٨/٥-٣٠٩ .

(٤) تفسير سورة الإسراء ، د. عبدالله شحاته / ٨٨ .

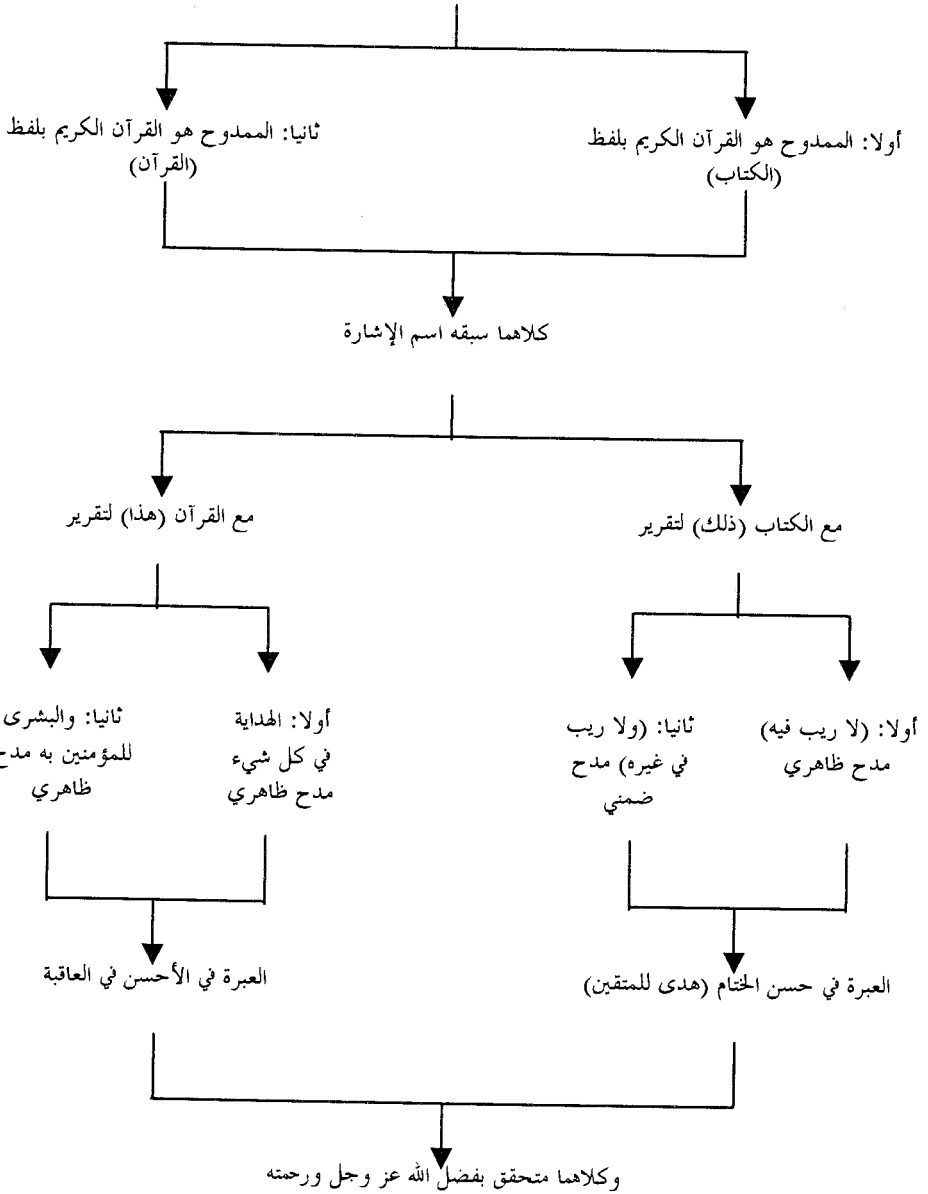
(٥) أخلاق حملة القرآن لأبي بكر محمد / ٣٥ .

(٦) التحرير والتنوير : ٤٠/١٥ .

(٧) القرآن هدى وبشرى للمؤمنين الشيخ عبد اللطيف السبكي (مجلة منبر الإسلام العدد - ٢ -

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

المادح هو الله عز وجل في المقابلة البلاغية



الذكر

ومن آيات تسميته (بالذكر) في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر/٩] .

فبلاغة مدح القرآن نجدها في نكتتين بلاغيتين:

الأولى : الأسلوب الخبري المؤكد بـ (انا) مع استشعار التعظيم لأهمية الأمر بعده ، وتعظيماً للمنزل سبحانه وتعالى ولما أنزل فقال (نحن) فهو الحق من الحق جل وعلا ونزلت رداً على إنكار واستهزاء الكفار في سابقتها* "فأكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رسداً حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان"^(١) فنزول الملائكة بالحق فهو مدح لنزول القرآن بالحق ايضاً ، قد خص الفعل (نزلنا) الذي يفيد التكثير والمبالغة غالباً وهو يفيد معنى الاستغراق وقتاً أطول^(٢) ، وخص بالمدح لفظ (الذكر) من باب التذكير والتأمل والدعوة للإيمان لما فيه من الآيات والمواعظ والقصص التي يتذكر كل من تبصرها وآمن بها ، وبجانسة في إقامة الحجة لما قالوا في الاعتراض على نزول الذكر على النبي ﷺ فهو المعجزة الخالدة التي أرسل بها^(٣) ، فخصه بلفظ (الذكر) وبين ابن عاشور بلاغة الجواب بأسلوب اللف والنشر^(٤) فقال : "جاء نشر الجوابين على عكس لف المقالين اهتماماً بالابتداء برد المقال الثاني بما فيه من الشبهة بالتعجيز والإفحام ثم ثني الصفات إلى رد تعريضهم بالاستهزاء وسؤال رؤية الملائكة..."^(٥).

الثانية : بلاغة المدح في عطف الجملة الاسمية المؤكدة بـ (ان) و (اللام) مع تخصيص اللفظ باسم الفاعل (حافظون) على ما سبق لأنه كلام الله عز وجل فهو الحافظ

(*) أي قوله تعالى : "وقالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون".

(١) الكشاف : ٥٥٣/٢ ، تفسير القرآن العظيم : ٥٤٤/٢ ، تفسير السمرقندي : ٢١٥/٢ .

(٢) شذا العرف في فن الصرف / ٤٩ ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / ٦٢ .

(٣) القرآن آية النبي ومعجزته الشيخ أحمد حسن (مجلة منبر الإسلام ، العدد/١١-١٣٩٣) / ١١٢ .

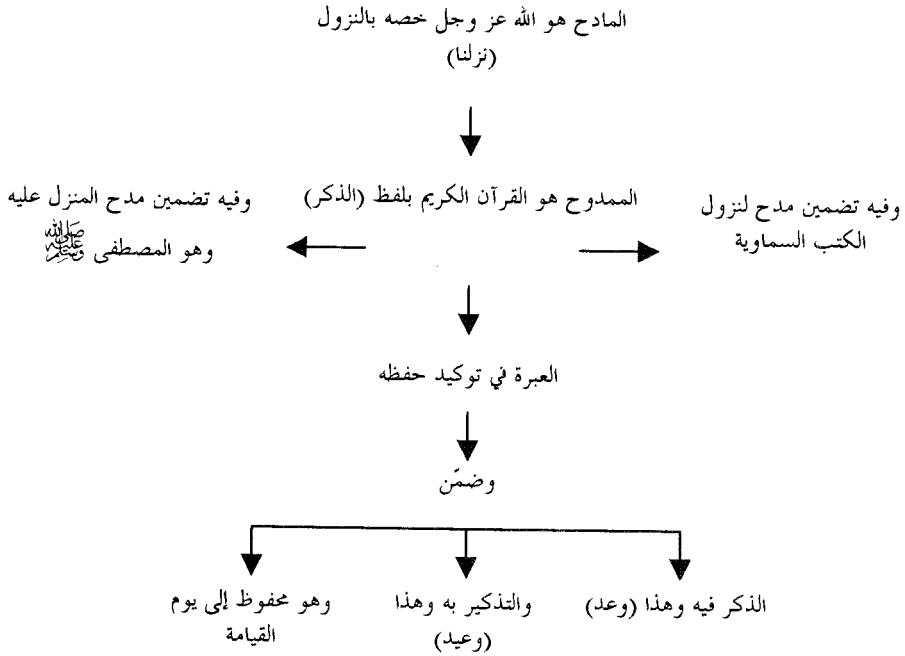
(٤) "وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بان السامع يرده

إليه " ، التلخيص في البلاغة/٣٦١ .

(٥) التحرير والتنوير / ٢٠/١٤ .

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

له وهذا يؤول إلى حفظ ما فيه من الآيات الكريمة والأحكام فهو مدح له ولما احتواه "فهو باق محفوظ لا يندثر ولا يتبدل... ان كانوا يريدون الحق... لأنه أراد بهم الخير فنزل لهم الذكر المحفوظ لا ملائكة الهلاك والتدمير"^(١)، ومدحه على غيره من الكتب السماوية أي "بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيون والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكن القرآن إلى غير حفظه"^(٢)، وقد ذكر الزمخشري بلاغة المدح في أسلوب الوصل معللاً ذلك بقوله: "لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواء"^(٣)، لأن الذي أنزله هو الله وهو الذي يحفظه، فتجلت بلاغة المدح في القرآن بذاته وما فيه ومدحه قياساً بغيره من الكتب السماوية، وكما مبين في المخطط:



(١) في ظلال القرآن : ١٩٤/٥ .

(٢) الكشف : ٥٥٣/٢ ، روح المعاني : ٣٤٩/٧ ، صفوة التفاسير : ٩٦/٢ .

(٣) الكشف : ٥٥٤/٢ ، البحر المحيط : ٤٣٥/٥ .

الفرقان

ومن بلاغة المدح تسميته (بالفرقان) في مطلع سورة الفرقان في قوله تعالى :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان/١].

فمن مطلع السورة الكريمة ثناء ومدح بقوله (تبارك) وله دلالة على الخير "والبركة ثبوت الخبر الإلهي في الشيء"^(١) وفيه معنى التمجيد والتعظيم لله عز وجل وما فيه من آيات الرحمة والرفعة "يقول تعالى حامداً لنفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ، وقال ههنا (تبارك) وهو تفاعل من البركة المستقرة الثابتة الدائمة"^(٢) ، وفي السياق نكتة بلاغية في اسم الموصول وصلته (الذي نزل الفرقان على عبده) لأن "الموصول يؤول إلى علة ما قبله فهو كناية عن تعظيم شأن الفرقان وبركته على الناس من قوله (ليكون للعالمين نذيراً) فتلك منة عظيمة توجب الثناء على الله وهو أيضاً كناية عن تعظيم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام"^(٣) ، وذكر صاحب الظلال علة تناسب "موضوع الجدل في السورة وهو صدق الرسالة وتنزيل القرآن"^(٤) وهو مدح وثناء آخر ، وكذلك مدحه بصيغة الفعل (نزل) المضعف العين التي تدل على التكثير والمبالغة^(٥) ، وهو يناسب معنى الكثرة في (تبارك) وهو "من التكرار والتكثير لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن نزل منجماً مفراً مفصلاً آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اغتناء بمن أنزل عليه . . ."^(٦) ، وفي إشار لفظ (الفرقان) نكت بلاغية تعاضد مطلعها في المدح أولها معنى

(١) المفردات / ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣١٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٨/٣١٦ ، القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، أحمد عمران / ١٢٧.

(٤) سيد قطب : ٦/١٣٧.

(٥) صيغة فعل في العربية الشيخ محمد حسين آل ياسين (مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد ٣١ -

١٩٨٠/٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣١٣ ، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في

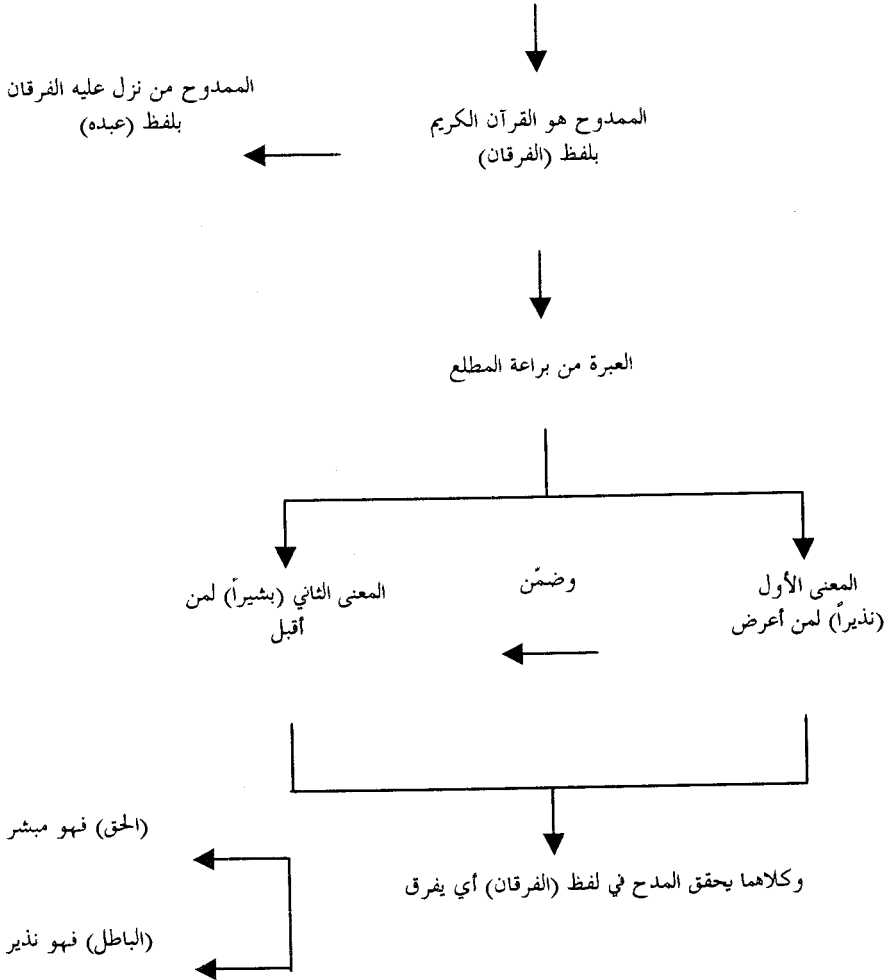
القرآن ، د. عودة / ١٢٠.

(الفرقان) من التفريق بين شيئين "وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال..."^(١) تفريقاً بين منهج حياة وحياة أولاً ، و(ثانياً) تضميناً لما في السورة "كما قال في أثناء هذه السورة "وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتوك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) ولهذا سماه همنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد والحلال والحرام..."^(٢) مدحاً لما فيه من آيات الحق والعدل و (ثالثاً) إشاراً معنى الوجدانية .

قال ابن عاشور : "وإيثار اسم الفرقان بالذكر هنا للإيماء إلى ان ما سيذكر من الدلائل على الوجدانية وانزل القرآن دلائل قيمة تفرق بين الحق والباطل..."^(٣) ، وكل المعاني يعاضد بعضها في الثناء القرآني من الله عز وجل على ما انزل على عبده الممدوح ﷺ باسمى مقامات الثناء والتشريف بقوله (عبده) ، ويمكن أن نلاحظ معاني المدح في المخطط :

- (١) الكشف : ٣/٣١٣ ، في ظلال القرآن : ٦/١٣٧ ، أسماء سور القرآن الكريم ، باسل (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٩) / ٩٦ .
- (٢) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣١٣ ، صفوة التفاسير : ٢/٣٠٦ .
- (٣) التحرير والتنوير : ١٨/٣١٦ .

المدح هو الله عز وجل (تبارك)



ومن هذا يتبين غاية المدح في الكتب السماوية في الوصايا والإرشاد والتأكيد على "عبادة الله وحده والإيمان برسله والتصديق بالجزاء ... والتخلق بمكارم الأخلاق"^(١)، وبيان فضل ومكانة خاتم الكتب السماوية "لأن في القرآن منهجاً متكاملًا في التربية وهو منهج من الدقة والشمول بحيث لا يترك جزئية من جزئيات الإنسان دون ان يلقي عليها الضوء"^(٢)، وفيه نكتة بلاغية في معنى انتقاء لفظ الهداية للكتب كلها فالهدى نقيض الضلالة والرشد نقيض الغي وان الإرشاد هو الطريق إلى شيء والبيان له ، أما الهداية فهي تعني التمكن من الوصول فهي أبلغ في دلالة المعنى^(٣)، وهذا يناسب نزوله وما فيها . ويمكن أن نجمع أساليب المدح في الملحق الآتي:

ملحق رقم [٣-١]

الموضوع البلاغي	آيات المدح	
الأسلوب الخبري الطلبي الإظهار الإضمار الاستعارة الوصل والتقديم	(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ) (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ) (فِيهَا هُدًى وَنُورٌ) (فِيهَا هُدًى وَنُورٌ) (فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)	١
الوصل بلاغة الإسناد الاستعارة	(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) (إِمَامًا وَرَحْمَةً)	٢

(١) العقائد الإسلامية ، لسيد سابق /١٦٣ ، مناهج وآراء في لغة القرآن ، محمد بركات /١٩ .

(٢) منهج القرآن في تربية الرجال /١٤ ، ٥٣ ، عظمة القرآن ، عبدالقادر /١٠٨-١٠٩ .

(٣) ألفاظ الطريق وما يتعلق بها في القرآن الكريم ، عمار (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب -

جامعة الموصل - ٢٠٠٠) /١٠٠ .

الموضع البلاغي	آيات المدح	
الوصل والتقديم النكرة	(إِمَامًا وَرَحْمَةً) (إِمَامًا وَرَحْمَةً)	
الفصل الإيجاز الإضمار الاستعارة الوصل والتقديم	(أَخَذَ الْأَلْوَا حَ) (وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً) (وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً) (وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً) (وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً)	٣
التكرار النكرة الوصل التقديم والتأخير التكرار التذييل	(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ) (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ) (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)	٤
المبالغة بلاغة الإسناد والوصل التقديم والتأخير	(نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) (وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) (مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ)	٥
المقابلة القرآنية خبر ابتدائي تأخير الظرف الفصل	(ذَلِكَ الْكِتَابُ) - (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ) (ذَلِكَ الْكِتَابُ) (لَا رَيْبَ فِيهِ) (لَا رَيْبَ فِيهِ)	٦

الموضع البلاغي	آيات المدح	
الاستعارة العدول	(هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ) (هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ)	
خبر طليبي الإيجاز بالحذف الوصل	(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ) (يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ)	٧
أسلوب خبري ألف والنشر الوصل الأسلوب الخبري الانكاري التقديم والتأخير	(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)	٨
براعة المطلع الكناية المبالغة	(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ)	٩

المبحث الرابع

أساليب مدح الملائكة

يطالعنا القرآن الكريم بأهمية العقيدة في خطاب المكلفين ومن ذلك الإيمان بعالم غيبي يبين عظمة الخالق عزوجل "منهم نوع من مخلوقات الله عزوجل لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وربما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ...^(١) ، ما بين مكانتهم وهم الملائكة لذا قال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ...﴾ [سورة البقرة / ١٧٧] ، وشنع القرآن الكريم من جحدهم وكفر في موضع آخر فقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء/ ١٣٦] ، ولولا ما فيهم من التفضيل والتكريم والصفات الحميدة ما كانوا أهلاً للإيمان والتصديق وهذا غاية المدح والثناء لهم ولما لهم من وظائف عديدة أشرفها نزول القرآن لجبريل عليه السلام والموكلون بالرزق والنفخ في الصور وغيرها^(٢).

وأغلب ما ورد في القرآن الكريم مدحا لفظ (الملائكة) جمع (ملك) وهو "جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة"^(٣) وهذا من خصوصيات الملائكة لما خلقها الله عز وجل من أجله ، وفيه معنى القوة والشدة كما يدل المعنى اللغوي قال ابن فارس : "والميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة..."^(٤) ، وقد تنوعت ألفاظ ذكر الملائكة بين (ملك ، ملكين - الملائكة) إلا أن أكثرها الألفاظ وروداً (الملائكة) فقد ورد في (ثمانية وستين) موضعاً^(٥) توزعت معها الاغراض والمقاصد القرآنية ، إلا أن أحص الملائكة تشريفاً وتكريماً (جبريل وميكائيل) عليهما السلام كما في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾

(١) الإيمان (أركانها ، حقيقته ، نواقضه) د. محمد نعيم ياسين/ ٢٩.

(٢) منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ/ ٣٢٣-٣٢٥ ، روح الدين الإسلامي ، عفيف / ١١٠-

(٣) التعريفات / ١٢٦ ، المفردات / ٤٧٣.

(٤) مقاييس اللغة : ٣٥١/٥ - ٣٥٢.

(٥) المعجم المفهرس / ٧٧١-٧٧٢.

[سورة البقرة/٩٧] ، فقد جمعها ذكراً بعد ذكر الملائكة "لقصد التشريف لهما أو الدلالة على فضلها وانهما وان كانا من الملائكة فقد صارا باعتبار ما لهما من المزية بمنزلة جنس آخر أشرف من جنس الملائكة..."^(١) ، وقد ذكر الزركشي نكتة بلاغية في إثارة سؤالين "أحدهما : لم خص جبريل وميكائيل بالذكر ؟ ، الثاني : لم قدم جبريل عليه؟ ، والجواب عن الأول : انه سبحانه وتعالى خصهما بالحياة فجبريل بالوحي الذي هو حياة القلوب وميكائيل بالرزق الذي هو حياة الأبدان ولأنهما كانا سبب النزول في تصريح اليهود بعداوتهم... وعن الثاني : ان حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان"^(٢) ، وكذلك الاقتران بين (هاروت وماروت) وكذلك الاقتران الثنائي بين (الملائكة والروح) في مواضع متفرقة تخصيصاً لمدح جبريل عليه السلام وكذلك مدحه بـ(الروح) و (الروح الامين) و (روح القدس) وله بلاغته في السياق ، ويمكن أن نجمع معاني المدح والثناء في (ثلاث) مسائل:

الأولى : مدحهم في المنزلة والمكانة كاقترانهم بالشهادة الإلهية في التوحيد في أشرف مقامات الثناء قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [سورة آل عمران/١٨] أي والملائكة يشهدون وهذا غاية المدح ، وكذلك في الإنزال قال تعالى : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [سورة النساء/١٦٦] ، أو حملة العرش كقوله تعالى : ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة /١٧] ، لما لهم من المنزلة والرتبة والطاعة^(٣).

الثانية : مدحهم في الصفات الحميدة سواء في الأقوال والأفعال كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ...﴾ [سورة الأعراف/٢٠٦] ، وكذلك في الحفظ مع الكرم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [سورة الانفطار /١٠-١١] ، والكرامة مع الطاعة في قوله تعالى : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾

(١) فتح القدير : ٢٣٧/١ ، عقيدة السلف الصالح /٢٣٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٨٢/٢-٤٨٣.

(٣) العقيدة الإسلامية (سفينة النجاة) /٢٠٩-٢١٠.

(٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿سورة الأنبياء/٢٩﴾ ومدحهم بالقسم في مطلع سورتي المرسلات والصفات^(١) وله بلاغته في "لفت الأنظار إلى الكون وما يحتويه من حقائق غريبة وأسرار عجيبة وما فيه من نظام بديع محكم"^(٢).

الثالثة : مدحهم في مواقف في حياة الأنبياء والمرسلين كما مع إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [سورة الذاريات/٢٤] لما لهم من القدرة على أن يكونوا بأشكال مختلفة^(٣) ، وبالسمة والعلامة^(٤) مع المصطفى صلى الله عليه وآله يوم بدر كما في قوله تعالى : ﴿بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران/١٢٥] وغيرها من المواقف القرآنية للملائكة^(٥) ، وفيها عبر لتعليم المؤمنين مكارم الأخلاق في المأ الأعلى ليثبتوا على الطاعة والاستقامة وردع المنكرين الكافرين في أقوالهم، ومن هذا تبين لمسار البحث مدح الملائكة عموماً وتخصيصاً لذا جعلناهما نماذج للدراسة والتحليل:

المدح العام

العبادة

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة الأعراف/٢٠٦] .

من حسن المطلع نلاحظ الأسلوب الخبري الطلبي المؤكد بـ(أن) وذلك لأهمية الأمر الذي استدعى التوكيد تعظيماً له وتنبهاً للمخاطبين "فلا يكونوا من الغافلين ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون"^(٦) ، ومن بلاغة النظم القرآني

(١) أساليب القسم في اللغة العربية . كاظم فتحى الراوي / ٤٣٠-٤٣٢ .

(٢) لغة القرآن الكريم / ٢٦٧ .

(٣) منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني (قصص أولي العزم من الرسل) / ١٠٧ .

(٤) دراسات عن سور القرآن : ١/ ٢٩٢ .

(٥) الملائكة والرسول صلوات الله عليهم ، أحمد رجب محمد (مجلة منبر الإسلام - العدد ٧- ٣١ -

لسنة ١٣٩١/١٧٥-١٧٦ ، الشكل القصصي في القرآن الكريم ، نيهان (رسالة ماجستير مقدمة

إلى كلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٩٩/١٦٧ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٢٨٤ .

العدول عن الاسم الظاهر (الملائكة) إلى الموصولية (الذين) لما "تؤذن به الصلة من رفعة منزلتهم فيتذرع بذلك إلى إيجاد المنافسة في التخلق بأحوالهم ..."^(١) ، لما نالوا من التشريف والتكريم والمكانة العالية لذا قال (عند ربك) " ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته"^(٢) ، وجعلها القرطبي على معنى الإكرام أي قريهم من الكرامة والمكان المكرم^(٣) وفيه ثناء ومدح لهم لأن " عبادة الملائكة في غاية الانتظام والكمال وهي في منتهى السعة والكلية أيضاً"^(٤) ، وتتجلى بلاغية المدح في أسلوب تنسيق الصفات بعد هذا المدح ليرشح السياق (ثلاث) نكت بلاغية:

الأولى : بلاغة التفصيل بعد الإجمال في نفي الكبير عنهم في العبادة ليثبت لهم التواضع والانكسار لله عز وجل ، والسؤال : لماذا بعد أسلوب نفي التكبر عنهم عطف مدحاً بالتسبيح والسجود ؟ مع ان لفظ (العبادة) جامع لهما ؟ وفي هذا سر من أسرار التعبير القرآني فأثبت لهم عموم العبادة في أسلوب نفي التكبر عنهم حتى يدخل غيره تحتها من العبادات وصلاحيه قبول الأمر والطاعة ثم خص منها عبادة قولية وهي (التسبيح) " وهي جنس من العبادة ... وهو تنزيه الله جل ثناؤه عن كل سوء والتنزيه التبعية والعرب تقول سبحان من كذا أي ما أبعده ..."^(٥) ، وعبادة فعلية وهي "السجود" لأن فيهما معنى التوحيد وهما يؤولان إلى معنى العبادة وهذا يرشح بلاغة ذكر الخاص بعد العام "لأن العبادة والذكر عنصر أساسي في منهج هذا الدين"^(٦) .

الثانية : أسلوب التقديم والتأخير في قوله "وله يسجدون" ليحقق فيهم كمال الخضوع في العبادة لما للفعل في اللغة من معنى التذلل والخضوع وكل ما ذل فقد

(١) التحرير والتنوير : ٢٤٣/٩ .

(٢) الكشاف : ٢٣١/٢ ، فتح القدير : ٤٠٣/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٦/٧ ، روح المعاني : ٢٠٦/٥ .

(٤) الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة ، النورسي / ٢٨ .

(٥) مقاييس اللغة : ١٢٥/٣ .

(٦) في ظلال القرآن : ٧٢٦/٣ .

سجد^(١) ، وقدم (الجار والمجرور) لإفادة معنى الاختصاص فلا يسجدون لغيره سبحانه وتعالى ، وقد ذكر الشوكاني بلاغة التقديم فقال : "أي يخصونه بعبادة السجود التي هي أشرف عبادة"^(٢) ولنكتة أخرى وهي ان العبادة "أقصى مظاهر الخضوع..."^(٣) وقدم لما لأسلوب التقديم من تأثير في نفوس المخاطبين لأنه "إحدى وسائل تأثيره في النفوس"^(٤).

الثالثة : انتقاء صيغة المضارع في مدح الملائكة لبلاغة التجدد والاستمرار في عبوديتهم وبيان مطلق العبادة لله عز وجل ، قال ابن كثير : "وإنما ذكرهم بهذا ليقنطد بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم"^(٥) ، وهذا يؤول إلى بلاغة أخرى وهي "تعريض بمن سواهم من المكلفين"^(٦) ، فتحقق مدحهم بالعبادة ، وكما هو مبين في المخطط :

(١) مقاييس اللغة : ١٣٣/٣ .

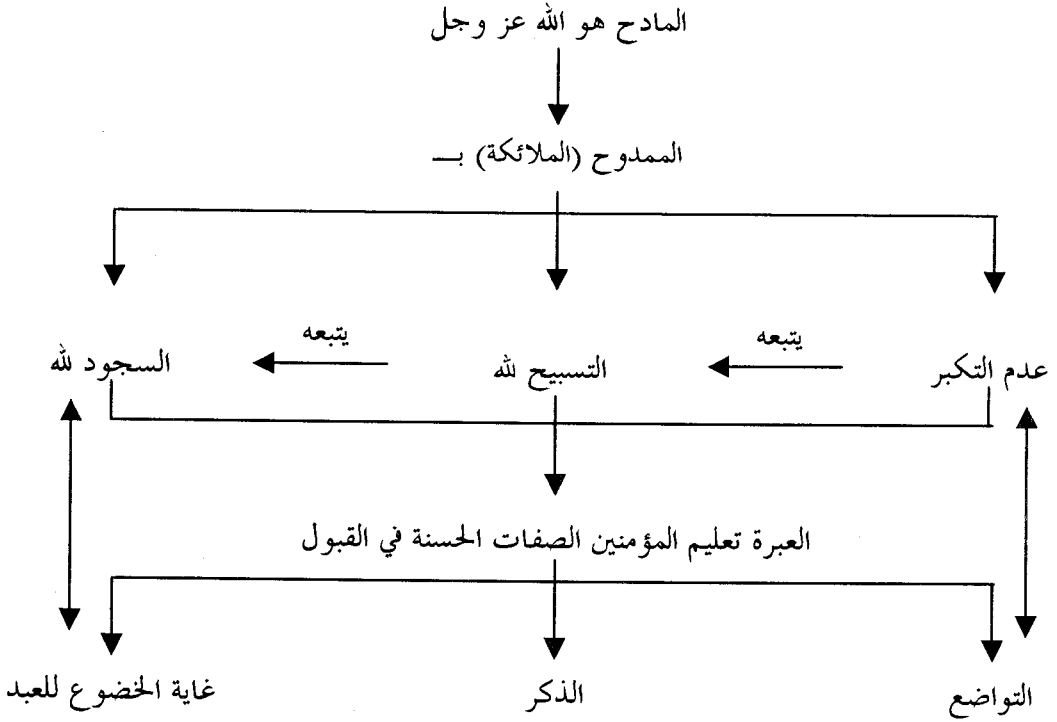
(٢) فتح القدير : ٤٠٣/٢ ، تفسير السمرقندي : ٥٩٢/١ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٤٨/٥ .

(٤) من بلاغة القرآن / ١١٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٢٨٤/٢ .

(٦) الكشف : ٢٣١/٢ ، روح المعاني : ٢٠٦/٥ .



الطاعة

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل ٤٩-٥٠].

افتتحت الآية الكريمة بلفظ الجلالة (ولله) الذي يفيد اختصاص وتعلق ما بعده من اقرار العبودية الخالصة لله عز وجل أي "يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكفوها من الانس والجن والملائكة..."^(١) ، ونجد أساليب المدح في النكت البلاغية:

الأولى: مدحهم بأسلوب الوصل بذكر الخاص بعد العام "زيادة في التعظيم

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥٦٨/٢-٥٦٩ ، تفسير سورة النحل / ٣٨.

والتكريم للملائكة الأطهار"^(١) أي بالتصريح بذكرهم وقد ذكر الزمخشري بلاغة الإظهار بتخصيص الملائكة في قوله: "ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصاً من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم"^(٢) وأي ثناء ومدح هذا...؟ والسؤال: لم أفردهم بالذكر؟ ، فجاء الذكر في مدحهم لبيان مكاتبتهم ومنزلتهم قال القرطبي: "وإنما أفردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة تميزهم من صفة الديق بالذكر وإن دخلوا فيها..."^(٣).

الثانية: بلاغة أسلوب النفي بقوله "لايستكبرون" بتفصيل صفاتهم بعدم التكبر والخوف ليصورهم بالخضوع والطاعة وجاء بالفعل المضارع "للاستمرار التجديدي فالمراد استمرار النفي..."^(٤) ، فكلما تجددت دواعي الخوف والأمر فهم يخافون ويفعلون أي خائفين طائعين "أي لا يستكبرون خائفين"^(٥) ، والخوف "كناية عن خوف عذابه"^(٦) ، فهو مدح "لكمال الطاعة وتمام الانقياد لأمر الله سبحانه..."^(٧).

الثالثة: حسن الختام مدحاً بقوله "يفعلون ما يؤمرون" في العدول عن قوله ويستمعون ما يؤمرون ، إلى بيان غاية الاستماع في الطاعة والامتثال إلى الفعل وهو أبلغ في التأثير في نفوس المخاطبين "أي مثابرين على طاعته تعالى وامتثال أوامره وترك زواجه"^(٨) ، مع ان الله خلقهم للطاعة والعبادة فلم نفي عنهم الكبر وأثبت الخوف؟ وذلك لنكتة بلاغية وهي بيان عظمة الخالق عز وجل فيما خلق "ومعهم الملائكة في مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يخالفون أمره"^(٩) ،

(١) صفوة التفاسير : ١١٤/٢ .

(٢) الكشاف : ٥٨٤/٢ ، فتح القدير : ٢٣٠/٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٧٥/١٠ .

(٤) روح المعاني : ٥٣٤/٧ ، تفسير السمرقندي : ٢٣٨/٢ .

(٥) الكشاف : ٥٨٤/٢ ، تفسير القرآن العظيم : ٥٦٩/٢ .

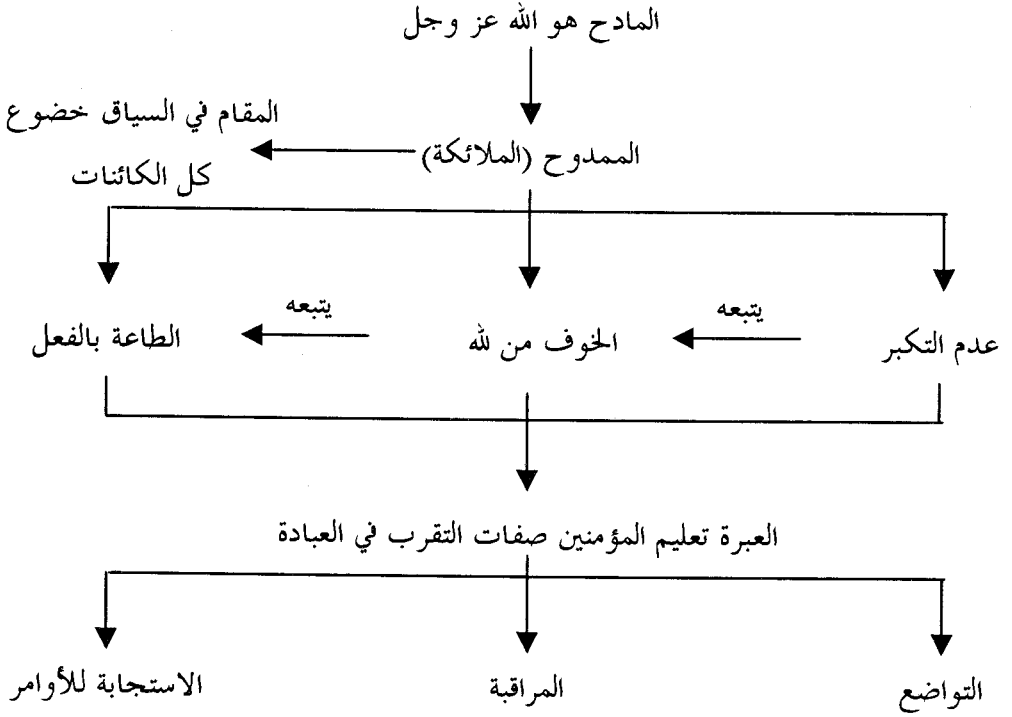
(٦) روح المعاني : ٥٣٤/٧ .

(٧) الإيمان في القرآن ، د. مصطفى عبد الواحد / ١٠٧ .

(٨) تفسير القرآن العظيم : ٥٦٩/٢ .

(٩) في ظلال القرآن : ٢٤٨/٥ .

وذكر ابن عاشور نكتة أخرى فقال " وفي ذكر أشرف المخلوقات وأقلها تعريضاً بدم من نزل من البشر عن مرتبة الدواب في كفران الخالق ومدح من مشابه من البشر حال الملائكة"^(١) لإثبات صفة الرجاء والخوف عندهم ، كما هو مبين في المخطط الآتي :



(١) التحرير والتنوير : ١٧١/١٤ .

الأقوال والأفعال

ومن آيات المدح قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء/ ٢٦-٢٧].

جاءت الآية رداً على زعم من قال ان الملائكة بنات ونسبتهم إلى الله عز وجل زوراً وهتاناً ، فجاء النظم القرآني في قوة الرد بـ(بل) مع إيجاز ذكر الملائكة لما لهم من أحوال وصفات ليست في غيرهم لأنهم متصفون بالعبودية مكرمون بكرامته لهم^(١) ، تتجلى معاني المدح للملائكة في أسلوب الإيجاز بإضمار ذكرهم "أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة يبادرون إلى فعله..."^(٢) ، وفي الإيجاز بلاغة تنشيط الخيال والفكر وكذلك إثارة الانتباه لإقامة الحججة على المخاطبين^(٣).

ثم أعقبه بلاغة التفصيل بعد الإجمال بأسلوب النفي (لايسبقونه) والإتيان بالإضمار (هم) مدحاً لهم نجدها في (أربع) نكت بلاغية:

الأولى : قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ فكيف بالطاعة في الفعل أي الاستجابة ؟ فيرشح السياق حسن الاستماع فيهم وكذلك أدب الاستماع في عدم المسابقة يرشحه النظم في المعنى لما من دلالة الفعل على معنى التقدم في اللغة^(٤) ، فإذا صدر القول سمعوا وأطاعوا "ونفيه هنا كناية عن عدم المساواة أي كناية عن التعظيم والتوقير"^(٥).

الثانية : مدحهم في إثبات صفة العبودية في تضمين معنى الطاعة والانقياد في أسلوب النفي لإثبات صفة حسن الاستماع وهو نوع من العبودية "أي لا يقولون شيئاً

(١) الكشاف : ١٨٥/٣ ، تفسير السمرقندي : ٣٦٦/٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٨٠/٣ ، روح المعاني : ٤٤/٩ .

(٣) خصائص التراكيب / ٨٧ .

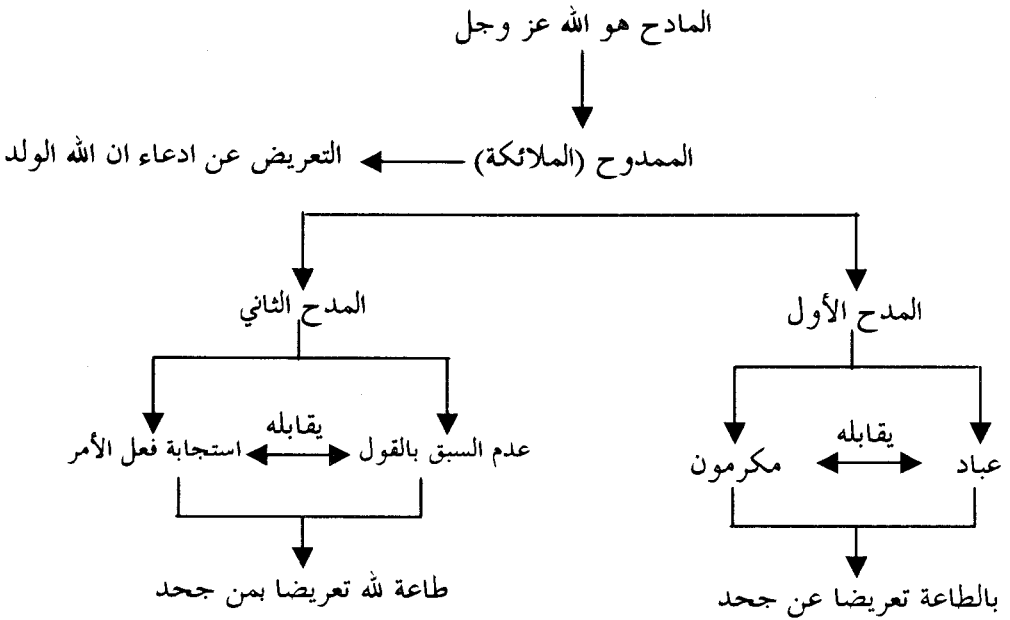
(٤) مقاييس اللغة : ١٢٩/٣ .

(٥) التحرير والتنوير : ٥٠/١٧ ، صفة التفاسير : ٢٢٦/٢ .

حتى يقوله أو يأمرهم به... وفي هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم" (١).

الثالثة : قوله تعالى : ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ بلاغة أسلوب الوصل لما سبقه لبيان غاية الانتفاع من السمع في العمل ، وعدل عن قول : يعملون بأمره إلى تقديم (بأمره) "لإفادة القصر أي لا يعملون عملاً إلا عن أمر الله تعالى فكما أنهم لا يقولون قولاً لم يأذن فيه كذلك لا يعملون عملاً إلا بأمره" (٢) ، فتعاقد أسلوب الوصل والقصر في مدحهم بالأقوال والأفعال فهو "بيان لتبعيتهم له تعالى في الأعمال أثر بيان تبعيتهم له سبحانه في الأقوال كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون... " (٣).

الرابعة : تعريض بالكفار وعبوديتهم لغير الله عز وجل وما قالوا أي توبيخ لهم في الأقوال والأفعال وكما هو مبين في المخطط :



(١) فتح القدير : ٥٥٣/٣ ، قيسات مشرقات في حديث القرآن عن الملائكة، الشيخ عبداللطيف (مجلة

منبر الإسلام ، العدد-١٢ سنة ٢٦/٣٦-٣٧.

(٢) التحرير والتنوير : ٥١/١٧ ، العقيدة الإسلامية (سفينة النجاة) / ٢٠٩.

(٣) روح المعاني : ٤٤/٩ ، في ظلال القرآن : ٥٢٨/٥.

المدح الخاص

الروح الأمين

وأكثر الملائكة ذكراً باسمه ولقبه هو جبريل عليه السلام بـ (الروح - الروح الأمين - روح القدس) ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء / ١٩٢-١٩٤].

جاء مدح جبريل عليه السلام في معرض الحديث عن تنزيل القرآن الكريم بالحق من الذي خلق كل شيء ورباهم بالنعم ومنها نزول القرآن وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالآيات رحمة بهم وجعل سبباً لإنزاله وهو (الروح الأمين) وخصه بما يناسبه في تأدية الرسالة ، وتتجلى بلاغية المدح في (ثلاث) نكت بلاغية:

الأولى : أسلوب العدول عن الاسم الصريح إلى اللقب (الروح) "وعبر عنه بالروح لأنه يحيى به الخلق في باب الدين أو لأنه روح كله لا كالناس الذين في أبدانهم روح" ^(١) ، وكلمة (الروح) لطيفة لها معنى قلبي تناسب معنى الحياة ولها بلاغتها في اللغة لما تدل "على سعة وفسحة ... والروح جبريل عليه السلام" ^(٢) وفيه نكتة أخرى "فهما حياتان : حياة البدن بالروح وحياة الروح والقلب بالنور ولهذا سمي سبحانه الوحي روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى : ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل/٢] ... فجعل وحيه روحاً ونوراً ، فمن لم يحيه بهذه الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نوراً منه فهو في الظلمات ما له من نور" ^(٣).

الثانية : قوله (الأمين) بأسلوب المبالغة ليدل على مدحه عليه السلام في المنزلة والمكانة أولاً قال ابن كثير : "أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى" ^(٤) ، وكذلك مدحه بالأمانة على ما نزل به فهو "أمين على ما نزل به حفيظ

(١) روح المعاني : ١٠/١٦٢ ، تفسير السمرقندي : ٢/٤٨٣.

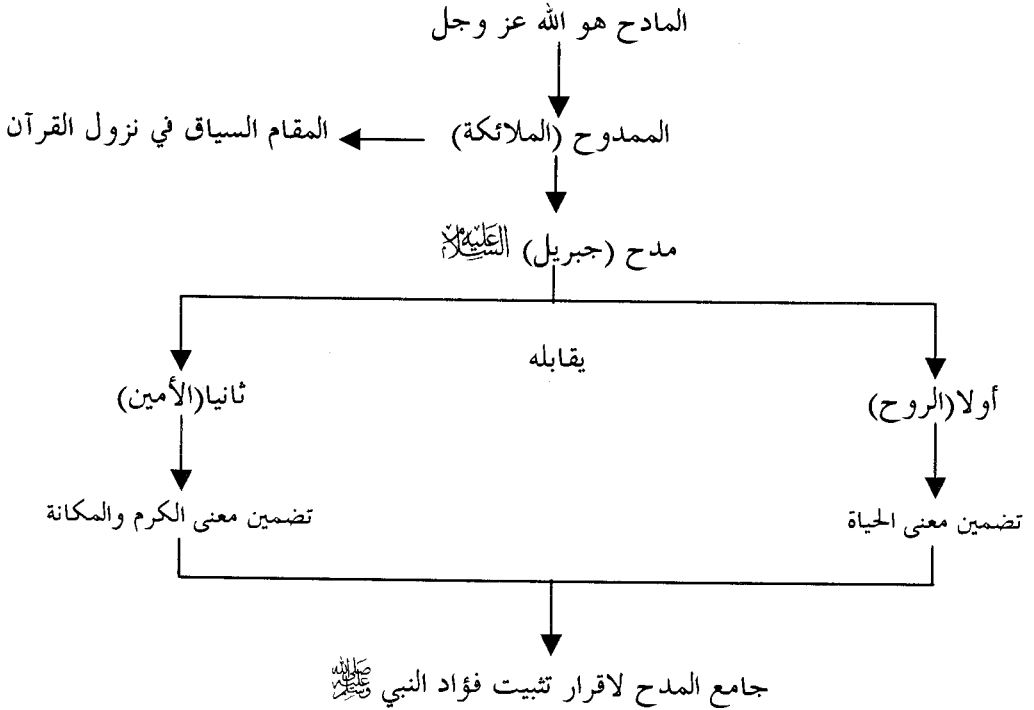
(٢) مقاييس اللغة : ٢/٤٥٤.

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم : ١/١٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣٥١ ، فتح القدير : ٤/١٥٦.

عليه" (١) ، وهو مدح ذاتي له ﷺ في التبليغ من غير تغيير ولا تحريف وهو يعود إلى المدح اللغوي في معنى (الأمانة - التصديق) قال ابن فارس "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما : الأمانة التي هي ضد الخيانة .. والآخر .. التصديق.." (٢) ، وكلا القولين ثناء ومدح له ﷺ.

الثالثة : مدح في قوله (على قلبك) أي قلب النبي ﷺ تشريفاً وتكريماً أي "جعل الله الروح نازلاً به (على قلبك) أي حفظكه وفهمك اياه وأثبتته في قلبك إثبات ما لا ينسى" (٣) أي إثبات القوة والإدراك في لقاء الوحي الإلهي وهذا يعود إلى مدح على من ينزل به وهو جبريل ﷺ لأنه من عالم الروحانيات (٤) ، وهي من بلاغة الاستعارة بالحرف وكما هو مبين في المخطط:



(١) في ظلال القرآن : ٢٤٠/٦ .

(٢) مقاييس اللغة : ١٣٣/١ ، المفردات / ٢٥ .

(٣) الكشاف : ٣٨٠/٣ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٨٩/١٩ ، صفوة التفاسير : ٣٤٠/٢ .

روح القدس

وفي سياق آخر لقبه بـ(روح القدس) قال تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل/١٠٢].

افتتاح الآية بـ(قل) وهذا يفيد قوة الخطاب وأهميته في التبليغ حتى جاء الخطاب من الحق سبحانه وتعالى رداً على من زعم ان القرآن الكريم من كلام النبي ﷺ وأعقبه بصيغة (نزل) مع الإضمار ليناسب قوة المنزل من الآيات بالحق ولما فيه - القرآن - من قوة الإيمان والحق والتقدير أي نزل القرآن المدلول عليه بالآية^(١). وقيل "التشديد لكثرة نزوله"^(٢) ، ثم جاء بديع التعبير القرآني بذكر واسطة النزول وهو جبريل عليه السلام بلقبه (روح القدس) فنجد بلاغة المدح في تسميته بالروح "سمي بذلك لأنه سبب حياة الدين كما أن الروح سبب حياة البدن ولأنه الغالب عليه الروحانية..."^(٣) ، وفيه ثناء ومدح له "والروح من جنس الملائكة لكنه أعظم منهم خلقاً ورتبة وشفراً"^(٤) ، وفي الوصف المضاف إليه (القدس) مدح لأنه يعني الطهارة وفيه معنى التركية ، قال الزمخشري: "أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم"^(٥) ، وفيها نكتة بلاغية أخرى ذكرها الألوسي بقوله : "وأطلق عليه ذلك من حيث إنه ينزل بالقدس من الله تعالى أي مما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الإلهي..."^(٦) ، فهو من اضافة الموصوف إلى صفته يعني الملك المقدس ، ويتبين بلاغة المدح في انتقاء اللفظ (المقدس) لبيان المكانة له عليه السلام "الذي هو الفضل وجلالة القدر"^(٧) ، لذا قال بعدها (من ربك بالحق) أي بالعدل

(١) روح المعاني : ٦٢٩/٧ ، تفسير سورة النحل ، د. محمد البهي / ٧٦.

(٢) تفسير السمرقندي : ٢٥١/٢.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣٣٠/١ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ١ / ٧١.

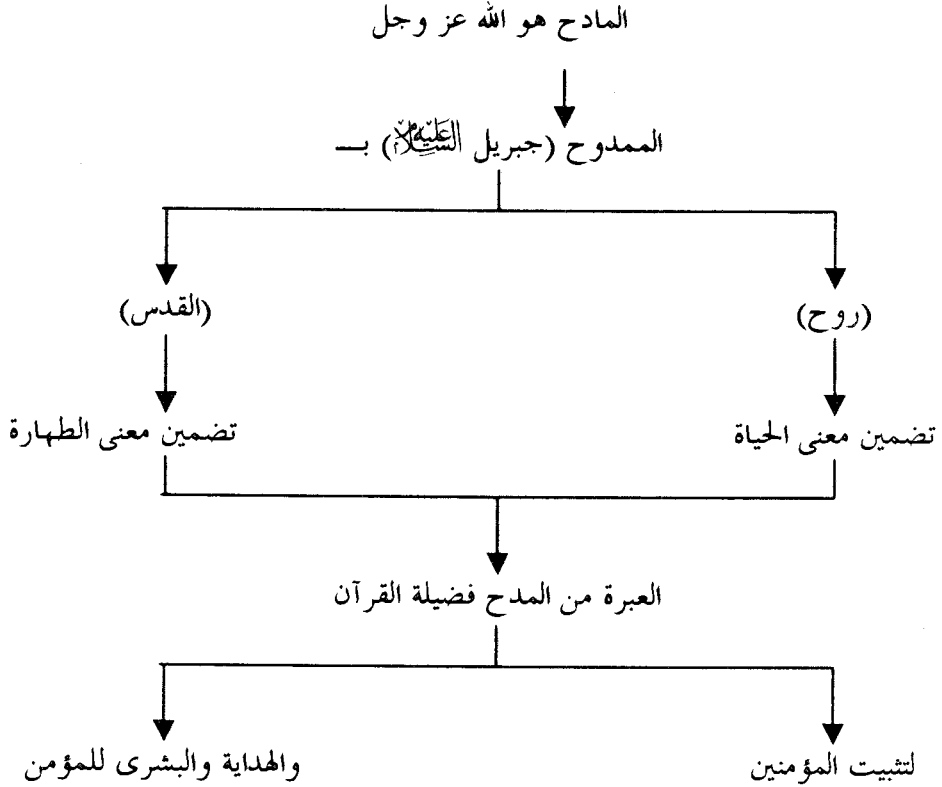
(٤) انشراح الصدر بتحقيق ليلة القدر / ١٥.

(٥) الكشف : ٦٠٢/٢.

(٦) روح المعاني : ٦٢٩/٧ ، فتح القدير : ٢٦٨/٣ ، تفسير البغوي / ٤٧.

(٧) التحرير والتنوير : ٢٨٤/١٤.

والصدق وفيه "تعريض بحصول أصداد هذه الخصال لغيرهم" (١)، وليثبت الصادقين على الحق وهو من بلاغة الأسلوب الحكيم (٢) (*) ، كما هو مبين في المخطط:



المدح بشدة القوة

ومن آيات المدح قوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾

[سورة النجم/ ٥-٦] .

(١) الكشاف : ٦٠٣/٢ ، في ظلال القرآن : ٢٨١/٥ .

(*) يقصد به "تلقي المخاطب بغير ما يترقبه إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله وأما بحمل

كلامه على غير ما كان يقصد ... علم البديع ، عبدالعزيز عتيق/١٨٢ .

(٢) روح المعاني : ٦٣٠/٧ .

وردت الآيات الكريمة في سياق ذكر الرحلة السماوية لمعجزة الإسراء والمعراج للنبي ﷺ ويرشح السياق صفات الصاحب له وهو جبريل عليه السلام "وقد اثنى الله سبحانه وتعالى عليه في القرآن أحسن الثناء ووصفه باجمل الصفات ... وقال تعالى في وصفه "علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى"^(١) ، ونجد مجامع المدح في (ثلاث) نكت بلاغية:

الأولى : قوله (شديد القوى) فقد جمعت الآية مدحه عليه السلام في معنى الصيغة واللفظ مناسباً للمعنى فصيغة (شديد) في وصف قوته فهو "ملك شديد قواه ... وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بشمود فأصبحوا جاشين"^(٢) ، وفيها بلاغة الإيجاز فهو "صفة محذوف يدل على ما يذكر بعد مما هو من شؤون الملائكة أي ملك شديد القوى..."^(٣) ، ثم ناسب الصيغة في معنى القوة في اللفظ بقوله مادحاً (القوى) بياناً وتوضيحاً وذلك يناسب حادثة الإسراء والمعراج لأن "المراد بـ (القوى) استطاعته تنفيذ ما يأمره الله به من الأعمال العظيمة العقلية والجسمانية فهو الملك الذي ينزل على الرسل بالتبليغ"^(٤) ، وهذا له بلاغته فهو يدل على انه "هو كثير القوى عظيم القدرة..."^(٥) ، فحصلت بلاغة المدح في معنى الصيغة ومضمون الاسم (شديد القوى)، وهذا من بديع الإعجاز القرآني .

الثانية : قوله (ذو مرة) وهو يدل على المدح الذاتي فيه عليه السلام قال الزمخشري "ذو حصافة في عقله ورأيه ومثانة في دينه"^(٦) ، وهذا المدح يطلق "على قوة الذات وتطلق على مثانة العقل وأصالته وهو المراد هنا"^(٧).

الثالثة : لم جاء بأسلوب الفصل (ذو مرة) بعد (شديد القوى) ؟ ، فمن بلاغة التعبير القرآني توجيه المعنى في مدح جبريل عليه السلام فجاء بقوله (ذو مرة) حتى لا يصرف

(١) الإيمان (أركان - حقيقته - نواقضه) / ٣٨-٣٩.

(٢) الكشاف : ٢٩٧/٤ ، تفسير السمرقندي : ٢٨٨/٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٩٥/٢٧.

(٤) م، ن : الصفحة نفسها.

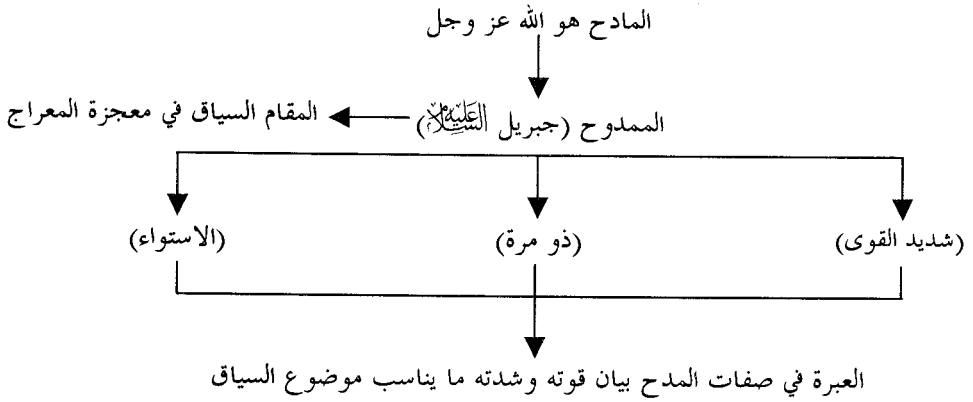
(٥) المفردات / ٤١٩.

(٦) الكشاف : ٢٩٨/٤ ، تفسير القرآن العظيم : ٢٤٠/٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٥٧/١٧.

(٧) التحرير والتنوير : ٩٥/٢٧ ، صفوة التفاسير : ٢٣٦/٣.

الفصل الأول / بلاغية المدح العقائدي

الذهن إلى معان في الشدة أو القوى غير مادحة له ﷺ "فكان الأول وصف بقوة الفعل وهذا وصف بقوة النظر والعقل ... فهو كناية عن ظهور الإثارة البديعة"^(١) لذا جمع له مدحاً بين القوة الذاتية والطاعة لله عز وجل في استخدامها" وقد أثنى الله سبحانه عليه في القرآن أحسن الثناء ووصفه باجمل الصفات ... وقال تعالى في وصفه "علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى"^(٢) وكما هو مبين في المخطط:



ويمكن أن نجد أساليب المدح في الملحق الآتي:

ملحق رقم [٤-١]

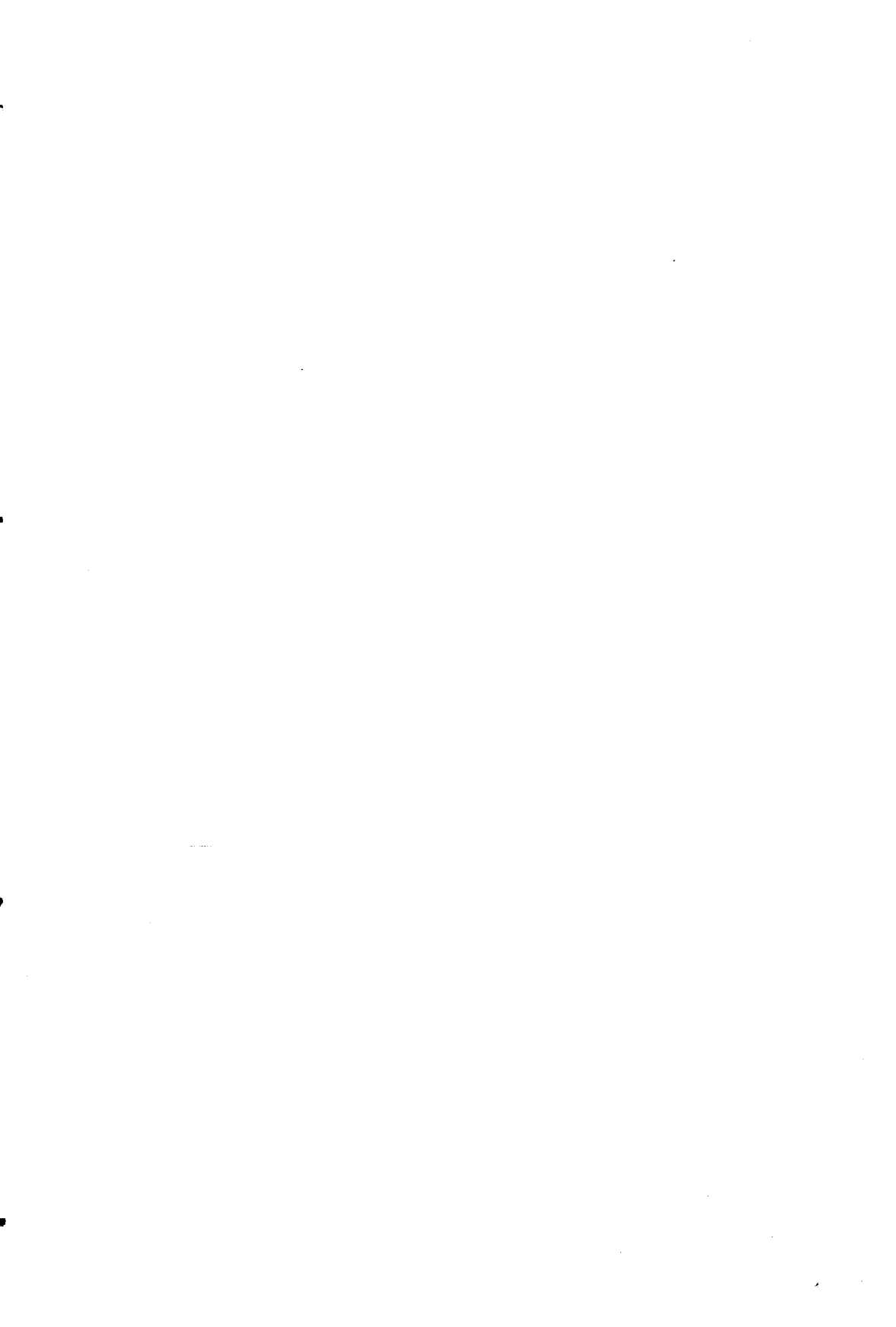
الشاهد البلاغي	الآية القرآنية	ت
أسلوب خبر طلبي	إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ	١
الإضمار	إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ	
تنسيق الصفات	لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ	

(١) روح المعاني : ٦٨/١٤ .

(٢) الإيمان (أركانه - حقيقته - نواقضه) د. محمد / ٣٨-٣٩ .

<p>عطف خاص على عام التقديم والتأخير</p>	<p>(وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) (وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ)</p>	
<p>عطف الخاص على العام الإضمار التعريض الكناية التعريض الوصل</p>	<p>(وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)</p>	<p>٢</p>
<p>بلاغة الإيجاز التفصيل بعد الإجمال الكناية القصر التذييل</p>	<p>(بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)</p>	<p>٣</p>
<p>العدول عن الاسم الصريح المبالغة الاستعارة الحرفية</p>	<p>(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) (عَلَى قَلْبِكَ)</p>	<p>٤</p>
<p>بلاغة الأمر المبالغة الإسناد التعريض</p>	<p>(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)</p>	<p>٥</p>
<p>المبالغة</p>	<p>(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)</p>	<p>٦</p>

الكناية	(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)
الإيجاز	(ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى)
الفصل	(ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى)





الفصل الثاني

بلاغية مدح الشخصيات

توطئة <

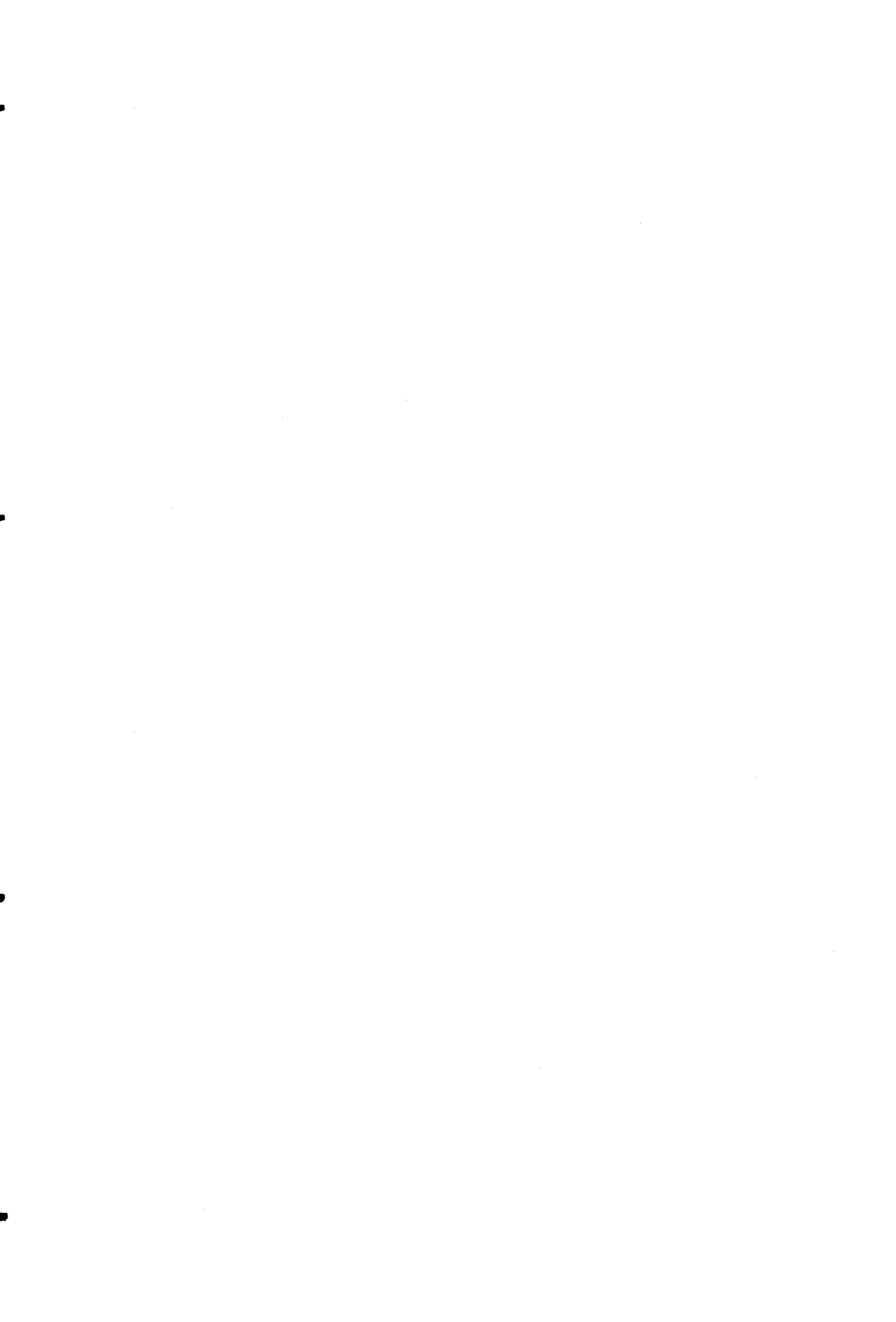
المبحث الأول : أساليب مدح الأمم الماضية <

المبحث الثاني : أساليب مدح أهل الكتاب <

المبحث الثالث : أساليب مدح الأمة المحمدية <

المبحث الرابع : أساليب المدح العام <





توطئة

تعد الشخصية مرتكز القصة ومدار الحدث إذ تعد من أبرز عناصرها وهي التي تشد الأذهان إلى سماع الأحداث وتبعتها، وكلما كانت الشخصية أساسية ومحورية كان الحدث أكثر إثارةً وتشويقاً وتعرف الشخصية "بانها المجموع الكلي للمكونات المختلفة الجسمية والعقلية والنفسية والبيئية وتتحدد تلك المكونات نتيجة التفاعل مع المجتمع فنتمو وتتكامل لتكون فيما بعد وحدةً مميزةً لبناء الشخصية" ^(١) ، وتنوع الشخصية القرآنية حسب السياق والأغراض التربوية والأخلاقية التي أساسها الإيمان والفضيلة وذلك "لأن الشخصيات تمثل أفكاراً وقيماً وسلوكاً يهدف القرآن إلى الكشف عنها" ^(٢) ، سواء أكانت الشخصيات من الرجال أم من النساء وكذلك بين التصريح والتضمين فتكون من المبهمات ولها أسباب منها "تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله : (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) المراد الصديق ﷺ" ^(٣) : و "منها : تنبيه على العموم وانه غير خاص بخلاف ما لو عين نحو (ومن يخرج من بيته مهاجراً) [سورة النساء/ ١٠٠]" ^(٤) ، لأنها نزلت في ضمرة بن جندب ^(٥) وذلك حسب ما يقتضيه السياق من الإرشاد إلى الصفات الخيرية تحفيزاً للمخاطبين للتأسي والتحلي بها ، وقد تمثل الشخصية ثناء ومدحاً في افراد ذكرها بذاتها فلم يصرح القرآن الكريم باسم رجل إلا (زيد) و "هو ابن حارثة .. ولم يذكر في القرآن أحد من الصحابة غيره تعظيماً له" ^(٦) ، ولم يصرح القرآن باسم امرأة إلا مريم عليها السلام فقد "صرح الله تعالى باسمها ولم يكن عنها تأكيداً لأمر العبودية التي هي صفة لها .. وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله" ^(٧) ، ومن ألوان ذكر الشخصية

(١) شخصيات قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم ، نيهان (رسالة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣) / ١١ .

(٢) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ، عماد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل، ١٩٩٢) / ٢٨٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٢٠٦/١ ، وهناك أسباب أخرى .

(٤) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن / ١٠ .

(٥) لباب النقول / ٨٠ .

(٦) معترك الأقران : ٢١٢/٢ .

(٧) البرهان في علوم القرآن : ٢١٠/١ .

المدح الجماعي كما في (أصحاب الكهف) نسبة إلى المكان أو نسبتهم إلى اسم نبي (قوم يونس وقوم موسى) عليهما السلام ، أو قد ينسبهم إلى كتاب سماوي ، كما في قوله (أهل الكتاب) ، وقد يطالعنا المدح في إضافة اسم امرأة إلى طاغية ظالم وهي (امرأة فرعون) بياناً لصرها وقوة إيمانها لبيّن قوة الشخصية المرتبطة بالعقيدة وأثرها في سلوك الفرد وأخلاقه^(١) ، ومن بديع الثناء للنساء في المقابلة القرآنية "ان امرأة إبراهيم عليه السلام عجوز نموذج لقوة العاجز وان امرأة لوط عليه السلام عجوز لعجز القوي"^(٢) ، وقد يكون المدح تضميناً بقوله (ومن الناس) ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة / ٢٠٧] ، نزلت في صهيب الرومي^(٣) ، أو لفظ (الإنسان) كقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الاحقاف / ١٥] ، في أبي بكر الصديق^(٤) ، ومن هذا يتبين لمسار البحث ان السياق يرشح أسماء الشخصيات أو يضمّر ذكرها ولعل النكتة البلاغية دائرة حول الهدف والمغزى المرجو من القصة القرآنية بحيث يدعو إلى ذكرها أو التضمين بها لإظهار مقومات وصفات تتجلى فيها تشد المخاطب إليها^(٥) ، ومن بلاغية المدح ووقوعها في سور قرآنية (سورة آل عمران ، سورة مريم ، سورة الكهف ، سورة المؤمن) .. وغيرها فهي شخصيات فردية أو جماعية^(٦) ، ويبينها القرآن الكريم لما يحيط بها من الدروس والعبر وما تنطوي عليه من الأخلاق العالية أبرزتها السورة في عنوانها ومضمونها رفعة للشخصية الإيمانية الصادقة^(٧) والتي طواها الزمان ومضى عليها وهي تعد "مرتكزاً أساسياً

(١) التصوير الفني في القرآن / ١٥٦ ، قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح / ٢١٢ .

(٢) البيان في إعجاز القرآن ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي / ٣٩ .

(٣) أسباب النزول / ٣٤ .

(٤) منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لابن الجوزي / ٦٥ .

(٥) روائع الإعجاز في القصص القرآني / ٧٠ ، ٧٢ ، سيكولوجية القصة في القرآن / ٣٦٠ .

(٦) أسماء سور القرآن الكريم ، باسل (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل ،

١٩٩٩ / ٢٩٤ .

(٧) الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) د. عائشة عبد الرحمن / ١٢ ، ٢٥ ، البيان القصصي في

القرآن الكريم / ١٢٢ ، التعبير الفني في القرآن ، د. بكري الشيخ أمين / ٢٢١

في الدعوة إلى الله عز وجل لما تملكه من قوة الأسلوب وبراعة الخطاب للتأثير في المخاطب ودعوته إلى الحق وهذا كله نابع من الإيمان لأن بناء الشخصية قائم على الاعتقاد السليم وبه تتميز الاعلام في القرآن الكريم بين مؤمن وجاهد^(١)، ولكثرة الشخصيات القرآنية وتنوعها في السور المكية والمدنية واختلاف عصورها وقوة أحداثها يمكن أن نجعلها ونقسمها إلى (ثلاثة) مباحث (أساليب مدح شخصيات في الأمم الماضية - أساليب مدح شخصيات من أهل الكتاب - أساليب مدح الأمة المحمدية) ، وبما ان هناك صفات عامة في المدح جعلناها في (المدح العام) مبحثاً رابعاً .

(١) النداء في القرآن الكريم ، معن (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ،

١٥٧ / (١٩٩٩) .

المبحث الأول

أساليب مدح شخصيات في الأمم الماضية

ان الموازنة القرآنية قائمة على إثبات الحق وردع الباطل لإقراراً لمبدأ الثواب والعقاب تمييزاً للمؤمنين من الكافرين ، فقد ورد ذكر الأمم الماضية وبيان سبب هلاكهم وعذابهم إلا أن هذا لم يمنع من وجود شخصيات حملت الصفات الإيمانية التي لها أثرها ، فقد قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النساء/ ٢٦] ، قال ابن كثير "يعني طرائقهم الحميدة واتباع شرائعها التي يحبها ويرضاها" (١) ، عنهم لذا جعلها منارةً للاقتداء والهداية في ذكرهم ، وقال تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة هود/ ١١٦] ، فقد أثنى عليهم القرآن من القرون التي خلت ، قال ابن عاشور "والبقية : الفضل والخير وأطلق على الفضل البقية كناية غلبت فسارت مسرى المثل .. وبقية الناس : سادتهم أهل الفضل منهم" (٢) ، وتتنوع شخصيات الأمم الماضية الداعية إلى الإيمان والحق ويمكن أن نجعلها في (أربعة) جوانب :

الأول : أهمها وأعلها في المدح والثناء شخصيات تمثل الدعوة إلى الحق والثبات على العقيدة وعظمة الإيمان في صدر المؤمنين الصادقين لما جباها الله عز وجل مثل صفات أصحاب الكهف "فهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة .." (٣) ، كما في قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [سورة الكهف/ ١٣] ، وقوم يونس عليه السلام لما آمنوا وتابوا ، قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسَّسَ لِمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة يونس/ ٩٨] ، والناصح في سورة مؤمن قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [سورة المؤمن/ ٢٨] ، فنال هذا المدح والتشريف بإخلاصه في دعوته إلى الله عز وجل والعمل الصالح ، والداعية

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٨٥/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ٣٤٥/١١ .

(٣) صفوة التفاسير : ١٥٨/٢ ، قصص القرآن ، عبد الحميد كشك / ٣٨ .

الذي نصح قومه في حياته وبعد موته ^(١) في قوله تعالى : ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [سورة يس / ٢٦-٢٧] ، وقد مدحه بقوله (يسعى) و "هذا ثناء على هذا الرجل يفيد انه ممن يقتدى به في الاسراع إلى تغيير المنكر" ^(٢) ، كما في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة يس / ٢٠] ، وسحرة فرعون الذين أشرق نور الإيمان في قلوبهم وفازوا برضى الله عز وجل فذكر الفعل الممدوح وأردف بالقول كما في قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [سورة طه / ٧٠] ، إذ الغالب في القرآن الكريم أن يذكر الإيمان ويردفه بالعمل الصالح (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) "وقد عبر القرآن عن العقيدة (بالإيمان) وعن الشريعة (بالعمل الصالح) وجاء ذلك في كثير من آياته الصريحة" ^(٣) ، وكذلك مدح غلام الأخدود الذي كان أنموذجاً للتضحية العالية من أجل العقيدة قال تعالى : ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة البروج / ٨] .

الثاني : مدح في الملك والسيادة فقد أثنى القرآن الكريم على شخصية (طالوت) التي جمعت مقومات السيادة الحسنة في العلم والقوة ، قال تعالى : ﴿قَالَ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة / ٢٤٧] ، وكذلك أثنى القرآن على شخصية (ذي القرنين) التي تمثلت في القوة وحب الخير للناس فهو ملك صالح أعطي العلم والحكمة والعدل ^(٤) ، قال تعالى : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبَعِ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف / ٨٤-٨٥] ، قال السيوطي "ولقب ذا القرنين لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب.." ^(٥) ، ومن الشخصيات كذلك (ملكة سبأ) والتي تمثلت في رجاحة عقلها وتمكنها من قيادة

(١) صفوة التفاسير : ١٠/٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٢ / ٢١٣ .

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت / ٢٢-٢٣ .

(٤) رجال ذكرهم القرآن / ٤٧-٤٨ .

(٥) معترك الأقران : ١٧٩/٢ ، إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت / ٨٤ .

قومها بعقل ودراية دون جهل وتسرع في الأمور ، قال تعالى ، حكاية عن الهدهد : ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النمل / ٢٣] .

الثالث : مدح في الجانب التربوي والأخلاقي والذي يمثل التعليم والإرشاد ينبري فيها (لقمان الحكيم) ، في وصايا بلاغية جمعت بين الترغيب والترهيب فقد خصه عز وجل بالحكمة ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان / ١٢] ، فهو مدح لرجاحة عقله وبيان لأسلوبه في الدعوة والنصيحة والتي جمعت معاني البناء الأسري والبناء التعبدي وبناء السلوك الإجتماعي وأدب الداعية ^(١) ، وكذلك (العبد الصالح) الذي حباه الله عز وجل بخصلي (الرحمة والعلم) وهما أساس التربية والإصلاح في الرحلة الإيمانية بينه وبين الكليم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف / ٦٥] .

الرابع : مدح في الجانب الأسري وتنظيم العلاقات الإجتماعية الإيمانية إذ أبرزت شخصيات تحلت بالأخلاق الأسرية والذي ترتب عليها مدح الأسرة الفاضلة كمدح (آل عمران) مرة في سورة آل عمران تبين نسب المسيح عليه السلام الأعلى وتخصيصاً (امرأة عمران) قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [سورة آل عمران / ٣٥] ، وهو مدح لهم في الدين والتقوى والصلاح ^(٢) ، لذا قال "ذرية بعضها من بعض" وفي سياق آخر جاء حكاية على لسان القوم في خطاب مريم عليها السلام في قوله تعالى : ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [سورة مريم / ٢٨] ، وأثنى القرآن على شخصية (مريم) عليها السلام ومدحها بالصديقة في قوله تعالى : ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ [سورة المائدة / ٧٥] ، قال ابن عاشور "وصف الصديق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا

(١) نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن / ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٨٢ ، منهج القرآن في تربية

الرجال / ١٦٣ ، دراسات في التفسير ، د. حبيب السامرائي : ٢٠١/١ .

(٢) صفوة التفاسير : ١٦٥/١ .

لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين" ^(١) ، وقد تمثل المدح كله في (آل عمران) .
ومن بلاغة المدح شخصية بنات شعيب عليه السلام في أخلاقية الحياء كما قال
تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا
سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
[سورة القصص / ٢٥] ، وفي كلامها أمارات الحكمة والفتنة والذكاء ، ومن عجيب
المدح إضافة الشخصية إلى طاغية وظالم وهي (امرأة فرعون) التي جعلها الله عز وجل
مثلاً للمؤمنين إلى يوم الدين وهي تمثل أنموذجاً للفضيلة والثبات على إيمانها ودينها ، قال
تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا
فِي الْجَنَّةِ وَتَجَنِّي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَتَجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة
التحریم / ١١] ، ومن هذا تظهر النكتة البلاغية من "ان القصد من ذكر الأمم السالفة
حيثما وقع في القرآن هو العبرة والموعظة والتحذير من الوقوع فيما وقعوا .. والافتداء في
المحمد" ^(٢) ، وبعد هذا التقسيم يمكن انتقاء نماذج للتحليل .

أصحاب الكهف

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ
هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ
دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [سورة الكهف / ١٣-١٤] .

جاءت آيات المدح والثناء الجماعي لأصحاب الكهف بعد ان عرضت الآيات
السابقة لها أخبار الله عز وجل "عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار
ثم بسطها بعد ذلك" ^(٣) ، في خطاب النبي ﷺ بقوله (أم حسبت) ببلاغة الأطناب لتشويق
المخاطبين إلى الأحداث بعدها ولفت الانظار إليها ، ومن بلاغة النظم القرآني في مدح
الفتية (خمسة) نكت بلاغية :

(١) التحرير والتنوير : ٢٨٤/١٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٩٦/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٧٦/٣ ، دراسات قرآنية ، محمد قطب / ٤٦ .

الأولى : مطلع الآية في قوله (نحن نقص) والذي يدل على عظمة المتكلم سبحانه وتعالى في تعظيم ما بعده وانه حدث جليل يدل على القدرة التي استدعت "تقديم المسند الله على المسند النعمي في جملة (نحن نقص عليك) يفيد الاختصاص أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق" (١) ، وفي هذا تشریف وتكريم لهم مع تشریف المخاطب ﷺ ، وقال (نقص) تمهيداً لإقرار الأمر المترتب على القصص لأنه من أبناء الغيب فيما طوى الزمان ونشرته آيات القرآن الكريم لذا سماه (نبأ) دون (خبر) لأن "النبأ الخبر الذي فيه أهمية وله شأن" (٢) ، عظيم ليكون أوقع في نفوس المخاطبين تحريكاً لهمهم في الاقتداء والتأسي بما فيه الحق لذا قال (بالحق) .

الثانية : قوله تعالى (إنهم فتية آمنوا بربهم) نجد بلاغة التوكيد بـ (ان) مع بلاغة الإضمار وتخصيص الممدوح (فتية) مع ترتيب صفات المدح بعدها ، قال ابن كثير "يذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وانغمسوا في دين الباطل" (٣) ، فتحقق الثناء والمدح في انتفاء لفظ (الفتية) لما فيهم من معاني القوة وهذا يناسب بلاغة الإضمار مدحاً بدل الإظهار "فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أتراباً متقاربي السن وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي وثبات الجأش والدفاع عن الحق" (٤) ، لذا ناسب بعدها قوله تعالى (آمنوا بربهم) أي قوة معنوية في الإيمان فجمع لهم المدح الظاهري (فتية) والمدح المعنوي (آمنوا) .

الثالثة : قوله تعالى (وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم) لماذا بلاغة الوصل ؟ جاء العطف القرآني بعد ان أثبت لهم القوة في الجسد والقلب توكيداً لقوله (إنهم فتية آمنوا) فأتبعه بالتكريم والتشريف لهم بالعطاء الإلهي تعاضداً مع ما سبقته بقوله (وزدناهم

(١) التحرير والتنوير : ٢٧١/١٥ .

(٢) م . ن : الصفحة نفسها ، صفوة التفاسير : ١٦١/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٦/٣ ، أطلس القرآن ، د. شوقي أبو خليل / ١٣٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٦٦/١٥ ، سورة الكهف ، وسن (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠) / ٢٧ .

هدى وربطنا على قلوبهم) تحقيقاً لهم بالصفات الخيرية ونصرة للحق بهم من ظلم الكافر في زمانهم ، قال القرطبي "أي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع إلى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد عن الناس" ^(١) تثبيتاً لهم على الدين .

الرابعة : لم ختم لهم بالمدح بعد الإيمان والهدى بقوله (وربطنا على قلوبهم) ؟ ، وذلك بعد أن أفضى الحق سبحانه على عباده صفات الحق لعدم ميلهم إلى الباطل أردف بقوله (وربطنا) ليشير إلى معنى دقيق وهو ان قلوبهم لن تصرف إلى غيره سبحانه وتعالى ولا تعتزل إلا به مطمئنة إلى قضائه وإرادته وترى أثر الإيمان وقوة العقيدة قولاً وعملاً "والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه .. وتعدية فعل (ربطنا) بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل" ^(٢) ، وهو يعاضد بلاغة الوصل في زيادة الإيمان أي "وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من العز وخصب العيش وفروا بدينهم إلى الكهف" ^(٣) ، بياناً لفضيلة الصبر عندهم وهي خصلة ممدوحة في المرء .

الخامسة : بلاغة الجناس في قوله (اذ قاموا فقالوا) فنجد بلاغة المدح في انتقاء اللفظ جمع بين (القول والفعل) لهم ، فقدم الفعل بالقيام دلالة على الجهد والمهمة فيهم لنصرة الحق وإعلان الوجدانية لله عز وجل فـ "القيام حركة تدل على العزم والثبات" ^(٤) ، على ما قالوا إظهاراً لبواعث الهدى والتقوى (لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً) "أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم" ^(٥) ، ويمكن أن نجد معاني المدح في المخطط الآتي :

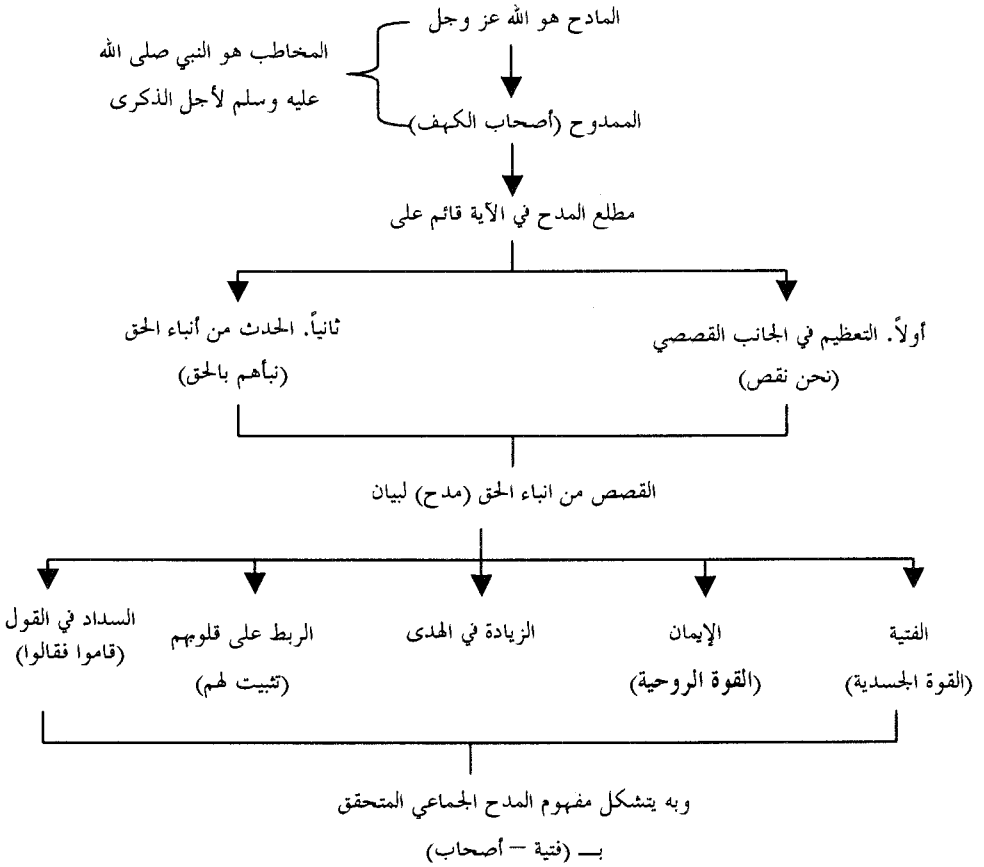
(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٥/١٠ ، المحرر الوجيز / ١١٧٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٧٢/١٥ .

(٣) تفسير البغوي : ٧٧١ .

(٤) في ظلال القرآن : ٣٧٤/٥ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥/٢ .



قوم يونس عليه السلام

قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة يونس / ٩٨] .

فإذا كانت امرأة فرعون ضربت مثلاً وعبرة للمؤمنين ، فإننا نجد بلاغة المدح للأمم الماضية تمثل في قرية جعلت مثلاً للمؤمنين وهم (قوم يونس) عليه السلام ، فبعد ان ذكرت القرية عموماً (فلولا كانت قرية) لأنها وردت (نكرة) لتخصُّ بالثناء والمدح من بين القرى من آمنت وصدقت فكانت عبرة ومثلاً يحتذى به "يقول تعالى فهلا كانت قرية آمنت بكاملها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل.." (١) ، وفي السياق بلاغة الإيجاز أي : أهل القرية ، فأثبت لهم التوبة الصادقة النصوح والندم على الذنب وما مضى منهم "ومفهوم من معنى الآية نفي إيمان أهل القرى ثم استثنى قوم يونس" (٢) ، عليه السلام وفيه ثناء وتكريم لهم لسرعة الاستجابة والطاعة لذا خصهم بقوله (فنفعها إيمانها) وقوله (لما آمنوا) وذلك لما "تضمنته من العظة والعبرة برفع العذاب عن قومه حين آمنوا بعد ان كاد يحل بهم البلاء والعذاب وهذا من الخصائص التي خص الله بها قوم يونس لصدق توبتهم وإيمانهم" (٣) ، وفي اضافة القوم إلى اسم نبيهم عليه السلام نسبة تكريم وتشريف بفضل الإيمان فنالوا انكشاف الخزي عنهم أي الذل والهوان ، والكشف "إزالة ما هو ساتر لشيء وهو هنا مجاز في الدفع" (٤) ، والمتاع إلى حين ، وقد ذكر ابن عاشور حكمتين في نجاتهم :

الأولى : ان تكذيب قوم يونس عليه السلام في دعوته لم يكن ناشئاً عن تصميم على الكفر واستخفافاً بعظمة الله عز وجل .

الثانية : ان يونس عليه السلام لما ترك قومه مغاضباً كان لفائدة الدين فقدر الله إيمان

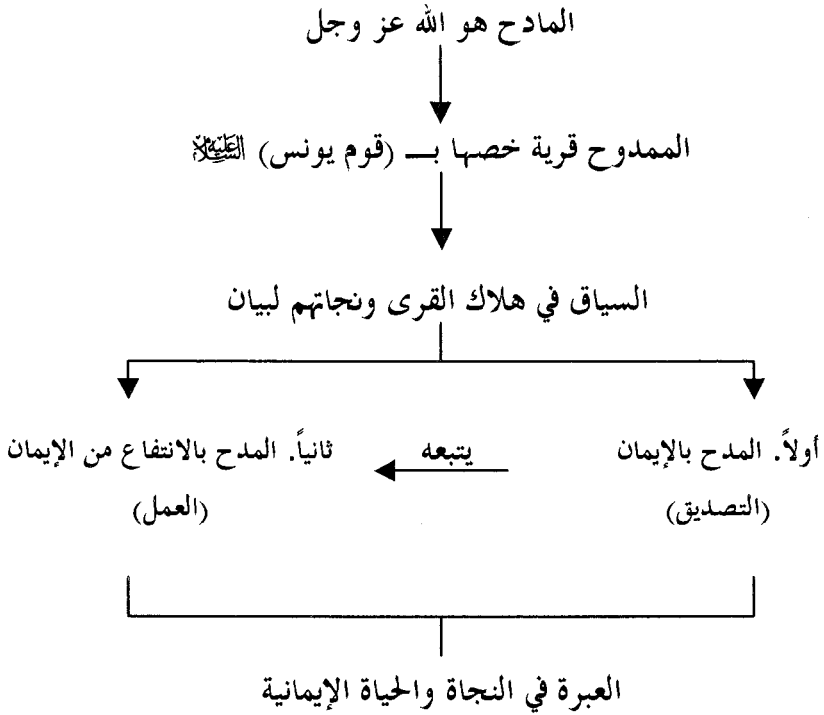
(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٣٠/٢ ، المحرر الوجيز / ٩٢٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٣/٨ ، تفسير البغوي / ٦٠٩ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١ / ٤٤٧ .

(٣) صفوة التفاسير : ٤٨٤/١ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٩٠/١١ .

قومه لعلمه كمال الإيمان والصبر والتسليم لله عز وجل عندهم^(١) .
 ومن الحكمتين نجد أمارات المدح لهم لما فيه سعادتهم وخيرهم تميزاً لهم من بين
 القرى ، وقد ذكر القرطبي بلاغية السياق في ذكر قوم يونس عليه السلام بعد قصة فرعون في
 معاينة العذاب لأنهم آمنوا وتابوا قبل ذلك أما فرعون فقد آمن بظاهرة حين رأى العذاب
 فلم ينفعه ذلك^(٢) ، وهو تعريض بكفار مكة . وكما هو مبين في المخطط الآتي :



(١) م . ن : ٢٩١/١١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٤/٨ .

العبد الصالح

قال تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف / ٦٥] .

يحدثنا القرآن الكريم عن الرحلة العلمية التربوية بين الكليم عليه السلام والعبد الصالح ، ومن بداية الحدث نجد مقومات الشخصية للعبد الصالح "الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما انه أعطى موسى ما لم يعطه الخضر" ^(١) ، وقد جمعت الآية معاني المدح والثناء له في فنون بلاغية :

الأولى : مطلع الآية بالفعل (فوجدنا) مع إضمار ذكر موسى عليه السلام وفتاه تنبيهاً لما بعده في القصة ولما كان يقصدان من سفرهما ، قال ابن فارس : "الواو والجيم والذال يدل على أصل واحد وهو الشيء يلقى ، ووجدت الضالة وجداناً .." ^(٢) .

الثانية : بلاغة النكرة والمعرفة في قوله (عبدًا من عبادنا) فالنكرة تفيد التعظيم له ولما فيه من الصفات الحسنة التي جاء الكليم عليه السلام يطلبها بوحى من الله عز وجل في صحبته ، وزاده في بيان مكانته ومنزلته بقوله (من عبادنا) فقد "وصف بأنه من عباد الله تشريفًا له" ^(٣) ، وإقراراً لصفة العبودية فيه فهو من عباد الله الصالحين لأن لفظ العبودية مدح لمن وصف به فهي أشرف مقامات التقرب إلى الله عز وجل ولها إشراقات في أخلاق العباد لذا قدمها القرآن الكريم ليرتب عليها مدحاً بـ (العلم والرحمة) .

الثالثة : قوله تعالى (آتيناه رحمة من عندنا) فقد قدم (الرحمة) على (العلم) لم ؟ وفيها نكتة بلاغية لتعليم موسى عليه السلام ان الرحمة ثمرة العلم وغاية فيه ، وان ما سيأتي من الأحداث والمشاهد كقصة السفينة والغلام وبناء الجدار قائم على معنى الرحمة والعلم لأن "إيتاء الرحمة يجوز أن يكون معناه انه جعل مرحوماً وذلك بان رفق الله به في أحواله ويجوز أن يكون جعلناه سبب رحمة" ^(٤) ، وكلا المعنيين يدلان على المدح له أي بذاته

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ١٠٠ ، مناهج الجدل في القرآن الكريم / ٣٩٢-٣٩٣ .

(٢) مقاييس اللغة : ٦ / ٨٦ ، المفردات / ٥١٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٦٩ .

(٤) م . ن : الصفحة نفسها .

وأفعاله "أي وهبناه نعمة عظيمة وفضلاً كبيراً وهي الكرامات التي أظهرها الله على يديه" ^(١) ، وهو من معاني تنكير (الرحمة) .

الرابعة : قوله تعالى (وعلمناه من لدنا علماً) في بلاغة الوصل ، فالتكريم والتشريف للعبد الصالح حاصل من عظمة المتكلم سبحانه وتعالى إذ قال (علمناه) والعلم الحق الذي يقذفه الله عز وجل في قلب العبد يجعله على بصيرة وبينة أي هو "مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب" ^(٢) ، الذي يعرف بعلم اللدن ، فعلى أي درجة من المدح والتكريم يكون عليها من يعلمه الله عز وجل ؟ لأن العلم مدار التشريف والتكريم في معرفة إسناد الأمور إلى حقائقها وهو من علم الباطن (وعلمناه) "أي علم الباطن إلهاماً" ^(٣) ، مدحاً لما أوتي موسى عليه السلام إذ "كان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم" ^(٤) ، فقد صرح له القرآن "صفتين إحداهما الرحمة وهي صفة تنبئ عن الخلق الذي يظهر أثره في السلوك .. والصفة الأخرى انه عالم وهذه الصفة هي التي ارتبطت بها المحاوراة" ^(٥) .

الخامسة : المدح في قوله (من عندنا) و (من لدنا) وجامعها (من) وهي "ابتدائية أي آتيناه رحمة صدرت من مكان قريب أي الشرف وهو قرب تشريف بالانتساب إلى الله وعلماً صدر منه ايضاً .. فكأنهما مما يدخر عند الله في مكان القرب التشريفي من الله فلا يعطي إلا للمصطفين" ^(٦) ، فأى مدح لهذا العبد الصالح ؟ فهو إثبات للعلم الراشد الذي ينصح صاحبه وغيره إلى العمل الصالح "فشخصية العبد الصالح في إظهارها العام ترمز إلى العلم اللدني الذي يؤتاه الله سبحانه لمن يشاء بالقدر الذي يشاء .. ويلحظ ان القصة

(١) صفوة التفاسير : ١٧٣/٢ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧/٢ ، في ظلال القرآن : ٣٩٦/٥ .

(٣) تفسير البيهقي / ٧٨٥ ، المحرر الوجيز / ١٢٠٣ .

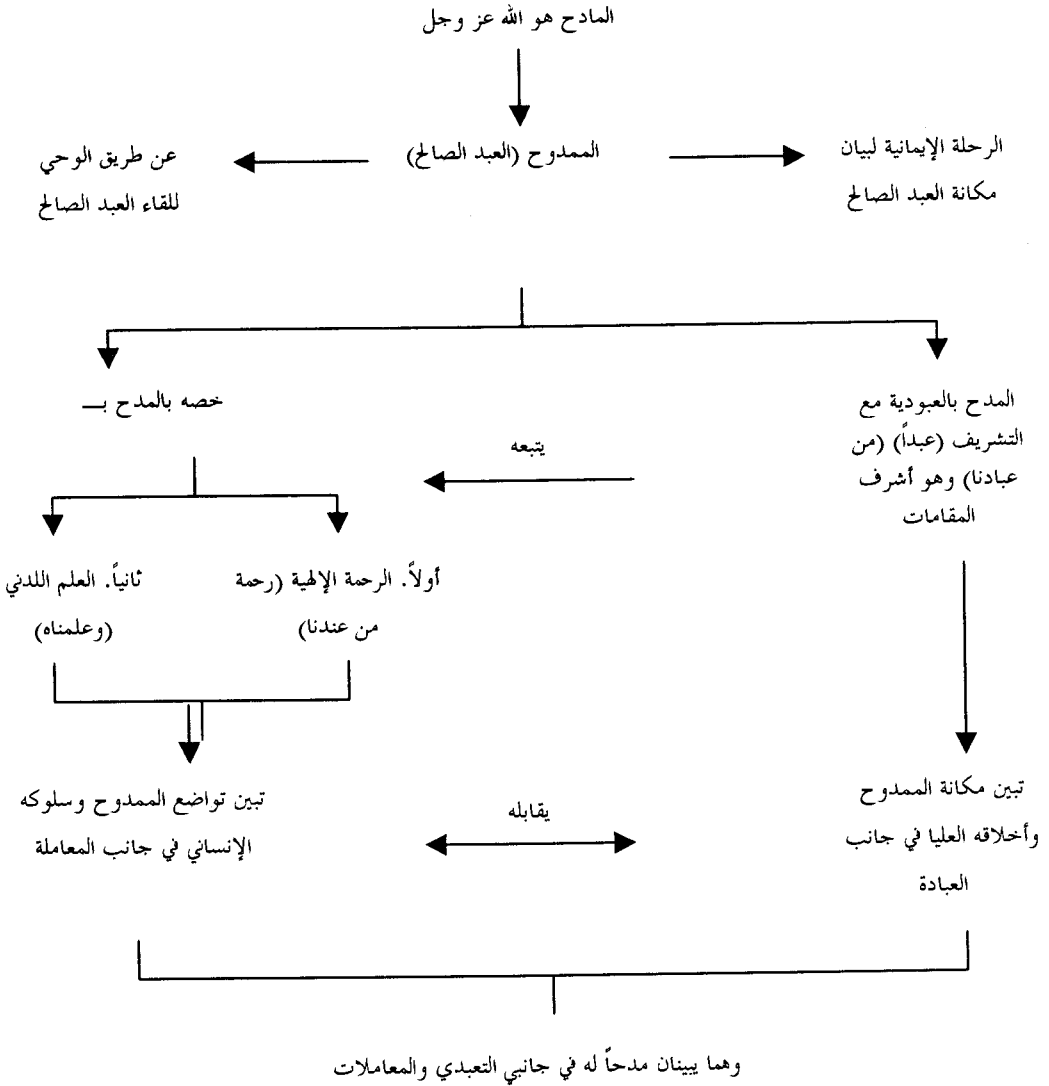
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٦/١١ ، سورة الكهف ، وسن (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠) / ١٥ .

(٥) أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني / ١٤٧-١٤٨ .

(٦) التحرير والتنوير : ٣٦٩/١٥ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

لا تذكر اسم العبد الصالح وإنما اكتفت بذكر صفته مما يتسق مع دلالاته الرمزية" (١) ، على معاني (العبودية والرحمة والعلم) وكما هو مبين في المخطط الآتي :



(١) السبني والدلالات في لغة القصص القرآني ، عماد (رسالة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢) / ٢٩٧ .

مدح مريم عليها السلام

قال تعالى : ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾

[سورة مريم / ١٦] .

من بلاغة السياق تترشح معاني المدح والثناء لشخصية مريم عليها السلام نلمحها

في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : افتتاح القصة بقوله (واذكر في الكتاب) أي يأتي الأمر "لشرف الأمور

وعلو مكانته" ^(١) ، إذ ورد الأسلوب في السورة مع أسماء الأنبياء كقوله تعالى ﴿وَأذْكَرُ فِي

الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ / ٤١ ، ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ / ٥١ ،

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ / ٥٤ ، ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ / ٥٦ ، وهي

الآية الوحيدة التي وردت في ذكر اسم مريم عليها السلام وذلك لما حباها الله عز وجل

من صفات التكريم والتشريف ما جعلها أهلاً لأن تكون حاملة لرسالة في بطنها ومبعث

رسول من غير اب ولأهميتها ومكانتها جاء الخطاب الإلهي للنبي ﷺ بأسلوب الأمر تذكره

وتخليداً لها وتبليغ الناس "أي عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتنا" ^(٢) ، وهي تشتمل على

معاني العفة والحياء والصبر على أمر الله عز وجل "وفي افتتاح القصة بهذا زيادة اهتمام بها

وتشويق للسامع أن يتعرفها ويتدبرها" ^(٣) ، ويتعايش معها على مر الزمان لذا خصها (في

الكتاب) وهو القرآن الكريم لما لها من الخصائص والمقومات الإنسانية حتى نالت هذا

المدح والتكريم .

الثانية : المدح في إظهار الاسم الصريح (مريم) عليها السلام ففيها تذكير بولادتها

ومدح لتلك النية الطيبة لأمرها حين نذرت ما في بطنها لله عز وجل ، وفيها نكتة أخرى

وهي التذكير بانها "فتاة عذراء قديسة وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد لا يعرف

عنها أحد إلا الطهر والعفة .. ولا يعرف عن أسرتها إلا الطيب والصلاح من قديم" ^(٤) ،

(١) بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، د. منير سلطان / ١٥٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٩٠/١١ .

(٣) التحرير والتنوير : ٧٩/١٦ ، التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب / ١٦٠ .

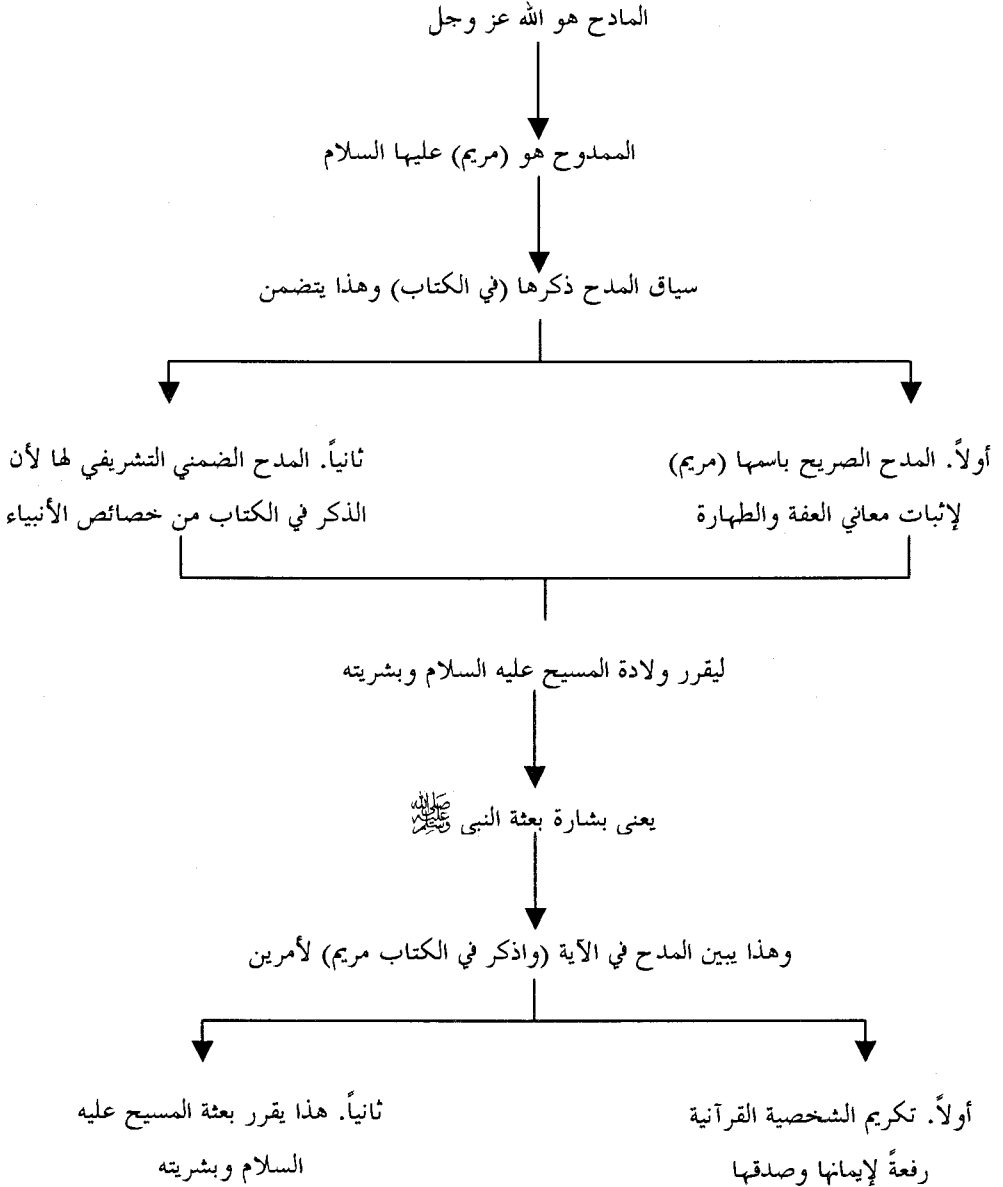
(٤) في ظلال القرآن : ٤٣٠/٥ .

وكذلك لما في ذكرها من العبر والعظات والحكمة ما سيأتي في تفصيل الاحداث ويمهد للقصة وما يترتب عليها من الأمور التي ليست من السهل على أي إنسان ان يتحملها ويصبر عليها لولا من الله عز وجل وفضله واصطفاه لمريم عليها السلام لذا جاء تخليدها في أعظم الكتب السماوية تخليداً لقصة عظيمة وعجبية لولادة ابن من غير أب فذكرها الله عز وجل "ليدل على قدرته وعظمة سلطانه وانه على ما يشاء قدير" (١) ، وذكر ابن عاشور انها تعريض بالنصارى في ما اعتقدوا وعبدوا (٢) .

الثالثة : بلاغة الفصل في قوله (اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) وهو فصل لبلاغة التفصيل في القصة بعد الإجمال (٣) ، تشويقاً للمخاطبين وتسلية للمصطفى ﷺ في دعوته ، وقد ذهبت جهة الشرق لأجل العبادة والتضرع لله عز وجل وهو بداية المدح لها عليها السلام في أثر الحركة والانتباز جهة الشرق "وإنما خص المكان بالشرق لأنهم كانوا يعظمون جهة الشرق من حيث تطلع الأنوار وكانت الجهات الشرقية من كل شيء أفضل من سواها" (٤) ، فهو بيان لعلة التكريم ومدح لأفعالها وحركاتها ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

- (١) تفسير القرآن العظيم : ١١٨/٣ .
 (٢) التحرير والتنوير : ٣٧٨/٢٨ .
 (٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٨/٢ .
 (٤) الجامع لأحكام القرآن : ٩٠/١١ ، المحرر الوجيز / ١٢٢٢ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات



امرأة فرعون

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم/ ١١] .

من بلاغة القرآن حسن الختام في السورة بضرب الأمثال في تثبيت الإيمان وان كانوا مع الكافرين وخص المثل لما فيه من الإيجاز وغازرة المعنى وله أهمية عظمى لا تقابلها أهمية أخرى وله وظيفة لا تنكر فائدتها وله تأثير عجيب في قلوب السامعين للمعنى الذي يتركه في النفس" (١) ، ويضرب المثل لأمر عظيم وحدث جليل فـ "من سنة الله في القرآن انه يستخدم في البيان ضرب الأمثال تقريبا لما يجب ان تنفعل به النفوس وتؤمن به القلوب" (٢) ، انها قصة امرأة مؤمنة مع رجل ظالم كافر فقد "خصها تعالى بأية كاملة فصل فيها حسن عاقبة تلك المرأة المؤمنة وثباتها بالرغم من فتنة فرعون ولجوتها إلى الله تعالى تطلب منه الهدى والسداد والنجاة" (٣) ، وقد أثنى القرآن الكريم عليها في الآية الكريمة ونجد بلاغية المدح تتجلى في نواح :

الأولى : افتتاح الآية بقوله (وضرب الله مثلاً) مع تخصيص المثل (للذين آمنوا) دون (لهم) للدلالة على أنه أمر عظيم ومهم في حياة المكلفين استدعى ضرب المثل للمؤمنين الذين فيهم الهمم العالية مع التصريح بلفظ الجلالة تحريكاً لقلوبهم وشدها إلى استماع المثل "وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين انه لا تضرهم مخالطة الكافرين إذ كانوا محتاجين إليهم" (٤) ، والامتثال إليه وخير حافظ له هو الإيمان الذي يدعو إلى كل فضيلة وخير فهو "حث للمؤمنين على الصبر في الشدة أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون" (٥) ، فأى منزلة ومكانة نالتها بصبرها

(١) أمثال القرآن لابن القيم / ١١ .

(٢) إلى القرآن الكريم / ١٠٢ ، بلاغة القرآن للشيخ محمد خضر حسين / ٢٦ .

(٣) معاني التقديم والتأخير ، قاسم (مجلة الحكمة تصدر في لندن - العدد الرابع - ١٤١٥) / ٩٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٨٥ ، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم / ٢٠٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٢ / ١٨ ، تفسير البغوي / ١٣٣١ .

وثباتها حتى نالت شرف المثل للمؤمنين إلى يوم الدين ؟ وأي ذكرى في القرآن الكريم ؟ وهذا غاية المدح لها .

الثانية : بلاغة الوصل في بيان منزلة (امرأة فرعون) إذ سبقها الحديث عن مثل الكفر والضلال (امرأة نوح وامرأة لوط) فهي "المقابلة بين مصير أهل الإيمان ومصير أهل الطغيان (ضرب الله مثلاً للذين كفروا) و "ضرب الله مثلاً للذين آمنوا" (١) ، ونجد بلاغة انتقاء اللفظ (امرأة) دون (زوج) لأنه "قد تعطلت آية الزوجية بينهما بإيمانها وكفره" (٢) ، وفيه نكتة التذكير لنساء النبي ﷺ فقد "ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم بنت عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين" (٣) .

الثالثة : بلاغة عطف العام على الخاص في مدح قول (امرأة فرعون) وقد جمعتهما في (ثلاثه) مطالب بدأتها بنفسها (قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) ، ففي النداء (رب) إيجاز واختصار والتقدير (يا رب) وذلك لقرنها بإيمانها من الله عز وجل ويقينها بوعد الله عز وجل فقد تضرعت إليه وحده ، إذ طلبت العطاء من صاحب الملك الباقي إعراضاً عن ملك فرعون الزائل "وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربه بيتاً في الجنة وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربه النجاة منه" (٤) ، فقدمت طلب الآخرة رغبة فيها على ما في الدنيا "فهي تطمع في جوار الله قبل طمعها في القصور" (٥) ، لذا قالت (ابن لي عندك بيتاً) ولم تقل (ابن لي بيتاً عندك) .

أما المطلبان الآخران فنجدهما في بلاغة التكرار ليس من فرعون فحسب بل من عمله ايضاً حرصاً على إيمانها ودينها أي "من نفسه الحبيثة وعمله السيئ" (٦) ، والمقصود ظلمه وفيه معنى البراء وكذلك من القوم الذين يعينون الظالم ويناصرونه ، فدعت (ونجني

(١) صفوة التفاسير : ٣٦٠/٣ .

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق / ٢١٣ ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، د. محمد حسين الصغير / ٢٤٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٢/١٨ ، المحرر الوجيز / ١٨٧٥ .

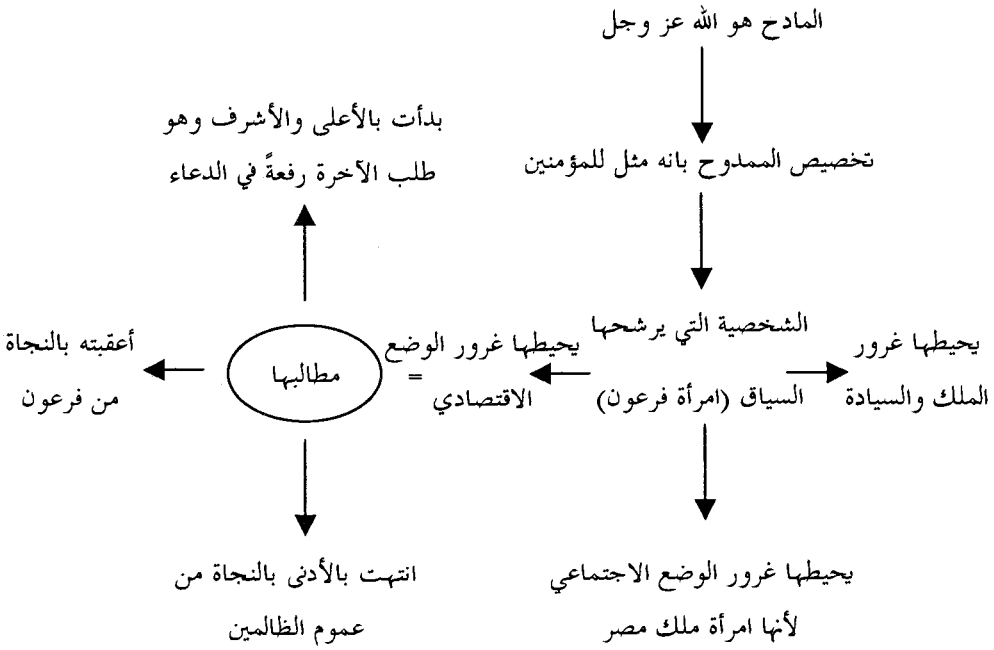
(٤) في ظلال القرآن : ١٧٤/٨ .

(٥) صفوة التفاسير : ٣٥٩/٣ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٧/٢ ، التحرير والتنوير : ٣٧٧/٢٨ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

من القوم الظالمين) لسوء عملهم فلم تجد بداً للبراء إلا أن تعلنها لله عز وجل لصدق إيمانها وقوة عزميتها مع انها تسكن مع سلطان ذي سيادة وملك ومال كثير ومركز إجتماعي فلم يغرها ملك فرعون ولم تطمع فيما عنده من حطام الدنيا ولم تكن تفكر في المنزلة التي هي فيها فهي احق ان تكون مثلاً لكل مؤمن تغره الدنيا بمعطيات (السيادة والمال والمركز الإجتماعي) فامرأة فرعون "نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر وكل هذه المعوقات .. ومن ثم استحققت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد الذي تتردد كلماته في جنبات الكون وهي تنزل من الملائ الأعلى" (١) ، فهل بعد هذا المدح مدح يقال ؟ ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :



(١) في ظلال القرآن : ١٧٤/٨ ، معاني التقديم والتأخير ، قاسم (مجلة الحكمة ، تصدر في لندن ، العدد ٤ ، ١٤١٥هـ) / ٩٠ .

ويمكن أن نلاحظ الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [١-٢]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
تقديم المسند إليه التوكيد والإضمار الإطناب الوصل الوصل والاستعارة الفصل	(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ) (إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا) (إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا) (وَرَزَدْنَاَهُمْ هُدًى) (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) (إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	١
النكرة الإيجاز التكرار الخاص بعد العام المجاز التعريض	(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ) (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ) (فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا) (إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا) (كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	٢
النكرة والمعرفة التقديم اللفظي الوصل والنكرة	(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا) (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)	٣
الأمر الإظهار التعريض الفصل	(وَأذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ) (وَأذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ) (وَأذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ) (إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)	٤

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
التفصيل بعد الإجمال النكرة	(إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَائًا شَرْقِيًّا) (إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَائًا شَرْقِيًّا)	
الوصل الإظهار التضمين الفصل عطف الخاص على العام الأمر المجازي النكرة الوصل والأمر المجازي الوصل والتكرار التذييل	(وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا) (وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا) (امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ) (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا) (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا) (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا) (إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا) (وَوَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) (وَوَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (وَوَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)	٥

المبحث الثاني

مدح شخصيات من أهل الكتاب

ان المتأمل في القرآن الكريم يجد ان أغلب الآيات القرآنية تدل على ذم (أهل الكتاب) باعتبار قرائن السياق إلا أن من الإنصاف ان تأتي الصفات الحميدة والإيمانية التي يتحلى بها أهل الملل والطوائف ، قال تعالى : ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [سورة المائدة/ ٦٦] ، فهو "إنصاف لفريق منهم بعد ان جرت تلك المذام على أكثرهم" (١) ، فقد ورد ذكرهم ليين للمؤمنين صفاتهم وطبائعهم وخلجات نفوسهم وفيه نكتة بلاغية إذ يعد "هذا هو ادب الإسلام في دعوة غير أهله ليعلمنا كيف ينبغي ان نختار عند الدعوة لأحد أحسن ما يدعى به وكيف نستقي ما يناسب ما نريد دعوته إليه" (٢) ، والمقصود بـ (أهل الكتاب) في القرآن قراءة الكتاب (٣) ، ففي نسبتهم إلى كتاب ساوي ثناء ومدح عظيم لما فيه من "التعبير عن عظم الأمانة التي حملوها في الاحكام وتعاليم الكتاب الذي نسبوا إليه وتذكيراً لهم بأنها أمانة من الله عز وجل .." (٤) ، وتتنوع ألفاظ التعبير عنهم فمثلاً (الذين أوتوا العلم) حيثما أطلقت في القرآن دلت على المدح ، وكذلك (الذين آتيناهم) بخلاف (الذين أوتوا الكتاب) فإنها تأتي للذم غالباً .. والتعبير (أهل الكتاب) فيأتي للمدح تارة وللذم أخرى" (٥) ، وكل ذلك منظور فيه السياق ، ومن آيات المدح قوله تعالى : ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [سورة الإسراء/ ١٠٧] ، قال ابن كثير "أي من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابتهم وقيمونه ولم يبدلوه ولا فرقوه" (٦) ، ونجد آيات المدح

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٤/٦ .

(٢) تفسير ابن باديس / ٥٤٦ ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، أحمد الشريف / ٢٣٣-٢٣٤ .

(٣) كشف الأسرار في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد / ٨٣ .

(٤) النداء في القرآن الكريم ، معن (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩ / ١٣٩ .

(٥) فضائل النبي في القرآن ، الغماري / ٦٥ ، النبوة والإعجاز في القرآن والسنة / ٨٧ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٧٢/٢ .

لخيرة أهل الكتاب في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران/ ١٩٩] ، فالمخاطبون "هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هوداً أو نصارى"^(١) ، وفي ذكر الصفات ثناء لهم وتعريض بغيرهم بقوله : (لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً) فهو "مد لهم وذم لسائر كفار أهل الكتاب"^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ [سورة يونس/ ٩٣] ، "فتبوءى بني إسرائيل مَبُوءاً صدق انما يعني إنزالهم منزلة صدق"^(٣) ، وغيرها من الآيات القرآنية إلا أن مدار المدح لأهل الكتاب يتبعه لفظ (قوم موسى) الطَّلِيحَاتُ والحواريون اتباع عيسى الطَّلِيحَاتُ "وهم صفوة الأنبياء عليهم السلام الذين خلصوا وأخلصوا التصديق بهم ونصرتهم"^(٤) ، ويمكن أن نلاحظ أساليب المدح في النصوص الآتية :

تأدية الأمانة

قال تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [سورة آل عمران/ من الآية / ٧٥].

فمن مطلع الآية الكريمة والتبعيض نجد "الإنصاف والحق وعدم البخس والغبن يجري عليها القرآن الكريم في وصف حال أهل الكتاب .. فهو هنا يقرر ان من أهل الكتاب ناساً أمناء لا يأكلون الحقوق مهما كانت ضخمة مغرية"^(٥) ، وبه يتحقق المدح جمعاً في مسألتين:

الأولى : مدحهم بالأمانة مع ذكر القنطار وهو "في هذه الآية : مثال للمال الكثير يدخل فيه أكثر من القنطار وقله"^(٦) ، إقراراً في المدح لمؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٤٩/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٢/٤ .

(٢) المحرر الوجيز / ٥٩٥ .

(٣) لطائف المنان ورائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن ، د. فضل حسن عباس / ١٣٧ .

(٤) معترك الأقران : ١٤٧/٢ .

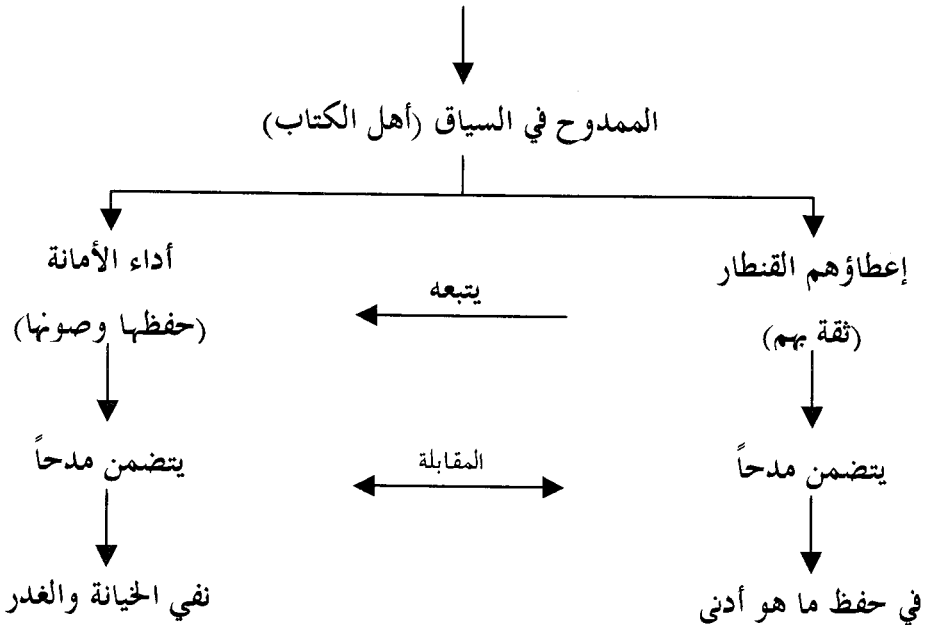
(٥) في ظلال القرآن : ٦١٧/١ .

(٦) المحرر الوجيز / ٣١٨ ، روح المعاني : ٢٢٦/٢ .

سلام وأصحابه ، وذكر القرطبي نكتة أخرى بقوله "ومن حفظ الكثير وأداه فقليل أولى من خان في اليسير أو منعه فذلك في الكثير أكثر" ^(١) ، فقد جعل القنطار دلالة على شدة أمانتهم مدحا لهم.

الثانية : مدحهم بأسلوب الموازنة مع غيرهم فبعد ان أثبت لهم خلة الأمانة في المال أثبت لهم صدق اداءها فقال (يؤدوه اليك) من المال المؤمن عليه "أي وما دونه بطريق الأولى ان يؤديه اليك" ^(٢) ، ومن الموازنة بين الأمانة والخيانة نجد بلاغة تقديم المسند في قوله (ومن أهل الكتاب) مع الإيجاز في العطف لمعنى التعجب "من مضمون صلة المسلم إليهما : ففي الأول التعجب من قوة الأمانة مع إمكان الخيانة ووجود الغدر له في عادة أهل دينه" ^(٣) ، فهو مدح لهم في كونهم أهلاً للأمانة ومدح كذلك في حفظها وصونها وأدائها إلى أهلها، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

المادح هو الله عز وجل



(١) الجامع لأحكام القرآن : ١١٦/٤ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٦٦/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٨٢/١ ، تفسير البغوي / ٢١٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٨٥/٣ ، صفوة التفاسير : ١٧٦/١ .

تعداد الصفات

ومن آيات المدح قوله تعالى : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران/ ١١٣-١١٤] .

نزلت الآية الكريمة في إسلام نفر من اليهود وتحدث عنهم أحبار اليهود وأهل الكفر فقالوا : ما آمن إلا شرارنا ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم ^(١) ، فجاء الدفاع عنهم لصدق إيمانهم وقوة عزيمتهم واتباعهم النبي ﷺ تميزاً لهم من غيرهم أي "من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة فترك الأخرى اكتفاء بالأولى" ^(٢) ، على إيجاز الحذف ، ونجد إشارات المدح القرآني في النكت البلاغية الآتية :

الأولى : بلاغة التقديم والتأخير في قوله (من أهل الكتاب أمة) مع الإظهار لهم "فعدل عن ان يقال : منهم أمة قائمة إلى قوله من أهل الكتاب : ليكون هذا الثناء شاملاً لصالحى اليهود وصالحى النصارى فلا يختص بصالحى اليهود" ^(٣) ، ونجد نكتة بلاغية في مدحهم فقد ورد "أهل الكتاب مع الضمير زيادة في تشریفهم والاعتناء بهم" ^(٤) ، فمن مطلع الآية تتوارد معاني المدح والثناء لهم فهو "تمهيد لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب" ^(٥) .

الثانية : الوصف في المدح (أمة قائمة) ففي إضفاء لفظ الجماعة (أمة) ما يشعر بالقوة والتعاون والألفة التي جمعتهم فكانوا أمة ثم قال (قائمة) "أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعة متبعة نبي الله فهي قائمة يعني مستقيمة" ^(٦) .

(١) أسباب النزول / ٦٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٧٥/٤ ، تفسير البغوي / ٢٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ٥٧/٤ .

(٤) روح المعاني : ٣٤٠/٢ .

(٥) م . ن : ٣٣٩/٢ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٤٠٤/١ ، المحرر الوجيز / ٣٤٤ .

الثالثة : الإطناب في التفصيل بعد الإجمال في تعداد الصفات والمحاسن الحميدة وهي (يتلون آيات الله) (يؤمنون) (يأمرون وينهون) (يسارعون) وكلها وردت بصيغة المضارع الذي يفيد التجدد ويشعر بانه إذا ما تجد ما يدعي بواعث الإيمان انبعث فيهم دواعي العمل لله عز وجل ليلاً ونهاراً ، وقد خصهم بقيام الليل وكثرة التهجد والذكر وعبر عن الصلاة بالسجود بقوله (وهم يسجدون) "لأنه أدل على كمال الخضوع .. واختيرت الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار وكرر الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده له .." (١) ، ويرشح السياق بلاغية أخرى في التعبير عن (يسجدون) "بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح" (٢) ، وهو يدل على مدح في أفعالهم وأقوالهم .. ويتبع هذا الخشوع والتضرع القلبي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببلاغة المقابلة لإقرار مبدأ الثواب والعقاب وبصيغة المضارع ، فمتى ما دعاهم الإيمان إلى الأمر بالفضيلة أمروا بها ، ومتى دعاهم الإيمان للنهي عن الرذيلة نهوا عنها لذا قدم الإيمان وعطف اليوم الآخر ابتغاء لرضى الله عز وجل .

الرابعة : الاستعارة في قوله (يسارعون في الخيرات) لأن "المسارعة مستعارة للإستكثار من الفعل والمبادرة إليه تشبيهاً للاستكثار والاعتناء بالسير السريع لبلوغ المطلوب .." (٣) ، وهو من عطف الخاص على العام لأن الخير يدل على المعروف ، ونجد بلاغة في الدلالة الحركية للأفعال الخيرية حتى بلغوا درجة السباق والمسارعة في الخير .

الخامسة : حسن الختام في الفاصلة بقوله (وأولئك من الصالحين) بتوظيف اسم الإشارة "ليبان علو درجتهم وسمو منزلتهم في الفضل" (٤) ، وبيانا لما في داخلهم "فمن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه" (٥) ، وهذا المدح الجليل في التزكية

(١) روح المعاني : ٣٤١/٢ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٥/١ .

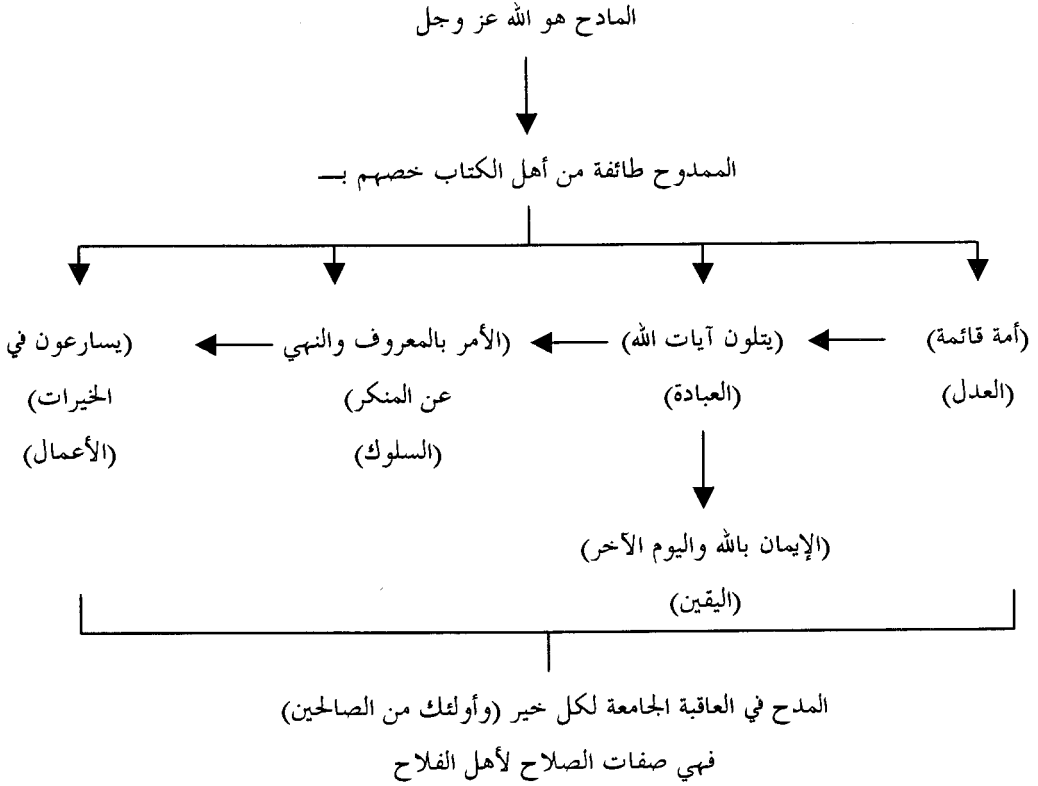
(٣) التحرير والتنوير : ٥٧/٤ .

(٤) صفوة التفاسير : ١٨٨/١ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٥/١ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

الإلهية "صورة مضيئة للمؤمنين من أهل الكتاب فقد آمنوا إيماناً صادقاً عميقاً وكاملاً وشاملاً وانضموا للصف المسلم .. ومن ثم هذه الشهادة العلوية لهم انهم من الصالحين .."^(١) ، في خاتمة الآية ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :



قوم موسى عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف / ١٥٩] .

فمن مطلعها مدح في تشريف وتكريم المضاف المنسوب إلى المضاف إليه (قوم موسى عليه السلام) نسبة إليه والى صفاته في الدعوة والتبليغ وهي "تؤذن بانهم متبعو دينه الذي

(١) في ظلال القرآن : ٣٨/٢ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

من جملة أصوله ترقب مجيء الرسول ﷺ " (١) ، ويمكن أن نجتمع محاور المدح في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : بلاغية التقديم والتأخير في قوله (ومن قوم موسى أمة) أي جماعة على الحق والعدل وذلك لما فيهم تخصيصاً لهم فالتقديم "يقرر حقيقة عن قوم موسى أنهم لم يكونوا جميعاً ضالين" (٢) ، تمييزاً لهم من قومهم ، وذكر ابن عاشور بلاغة الاحتراس مع الوصل "فهذا تخصيص لظاهر العموم الذي في قوله (واتخذ قوم موسى) قصد به الاحتراس لئلا يتوهم ان ذلك قد عمله قوم موسى ﷺ كلهم وللتنبية على دفع هذا التوهم" (٣) .

الثانية : الإطناب بعدها بقوله (يهدون بالحق) ونجد قوة التعبير في المدح بعدوله عن (يهدون إلى الحق) دلالة على أن الحق تمكن في قلوبهم وفاض على جوارحهم في الدعوة والهداية أي كلما تجددت بواعث الإرشاد والاصلاح كانوا أهلاً له ولذا جاء بالفعل المضارع (يهدون) "أي يرشدون ويدعون إلى الحق وقيل معناه : يهتدون ويستقيمون عليه" (٤) ، وقد ذكر ابن عطية نكتة أخرى في معنى الهداية : "وهذا الكلام يحتمل ان يريد به وصف المؤمنين المتقين من بني إسرائيل على عهد موسى .. ويحتمل ان يريد الجماعة التي آمنت بمحمد ﷺ من بني إسرائيل .." (٥) ، وفي كلا القولين مدح وثناء لهم .

الثالثة : حسن ختام الآية في بلاغية التقديم والتأخير بقوله (وبه يعدلون) والسؤال البلاغي : كيف يتحقق المدح بعد قيامهم بالهداية ودعوة الحق بالعدل ؟ فقد أثبت القرآن الكريم لهم الإرشاد والهداية قياماً بالحق قولاً . وبالفعل تطبيقاً وفي الحكم عدلاً وإنصافاً "والمعنى : أنهم يحكمون بالعدل على بصيرة وعلم وليس بمجرد مصادفة الحق عن

(١) التحرير والتنوير : ١٤٢/٩ .

(٢) في ظلال القرآن : ٦٥٢/٣ .

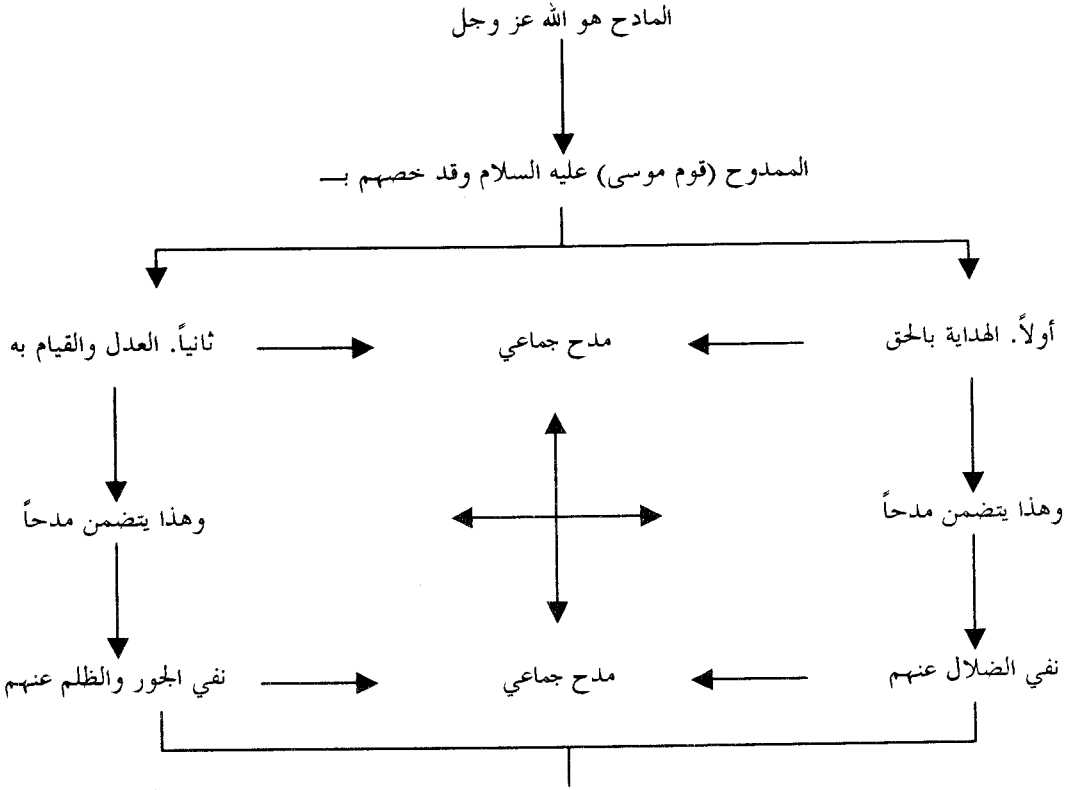
(٣) التحرير والتنوير : ١٤٢/٩ .

(٤) تفسير البغوي / ٤٩٥ .

(٥) المحرر الوجيز / ٧٥٢ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

جهل" ^(١) ، ولذا أعقب بعد الهداية بالعدل "بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه" ^(٢) ، منهم قائمون عليه "ليس ذلك كمدح لليهود؟ وجوابنا انه مدح لمن كان على ملته في أيام حياته لأن تكذيبهم بعبسى ومحمد حدث من بعده ويحتمل انه مدح لقوم يؤمنون بمحمد ﷺ" ^(٣) ، فجمعت الآية معاني المدح والثناء لقوم موسى ﷺ في المدح الجماعي والهداية والعدل وهو منهج في سلوكهم لأجل الاقتداء والتأسي بها ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :



وهما يجمعان لهم المدح بالعبودية والسلوك الاجتماعي بفضيلة الاتباع

(١) التحرير والتنوير : ١٤٢/٩ ، صفوة التفاسير : ٤٠٢/١ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٦٣/١ .

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن / ١٥١ .

النصارى

ومن آيات المدح قوله تعالى : ﴿وَلْتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة
المائدة/ ٨٢] .

نزلت الآية الكريمة في النجاشي وأصحابه لما سمعوا القرآن آمنوا به وصدقوا^(١) ،
"أي نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى فلما
بعث الله محمداً ﷺ آمنوا به فأثنى الله عليهم"^(٢) ، ونجد بلاغة المدح في المؤكدات بـ
(لام القسم) و (نون التوكيد الثقيلة) وتكرار (ان) رفعة لهم وثناء من الحق سبحانه وتعالى
في بيان مودتهم للذين آمنوا "وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة
والرأفة .."^(٣) ، وذكر ابن عطية نكتة بلاغية في قوله (أقربهم) فقال "ولم يصف الله تعالى
النصارى بانهم أهل ود وإنما وصفهم بانهم أقرب من اليهود والمشركين فهو قرب مودة
بالنسبة إلى متباعدين"^(٤) ، ثم بين غاية المدح في بلاغية التفصيل واسم الإشارة في قوله
(ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون) ، وهو تعليل لما سبقه أي "تعليل
لقرب مودتهم أي كونهم أقرب مودة بسبب ان منهم علماء وعباد"^(٥) ، وفيه إشارة إلى
مدح طبعهم في قبول الحق والإذعان إليه "للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على
الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل"^(٦) ، وهو دليل التواضع عندهم وخصهم بالذكر
تصريحاً "لما هو معروف بين العرب من حسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم
وتسامحهم"^(٧) ، ولذا ختم الآية بالتوكيد بـ (ان) مع الإضمار بقوله (وانهم لا

(١) لباب النقول / ٩٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٧/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٩٠/٢ .

(٤) المحرر الوجيز / ٥٦٩ .

(٥) صفوة التفاسير : ٣٠٤/١ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٧٩/١ .

(٧) التحرير والتنوير : ٧/٧ .

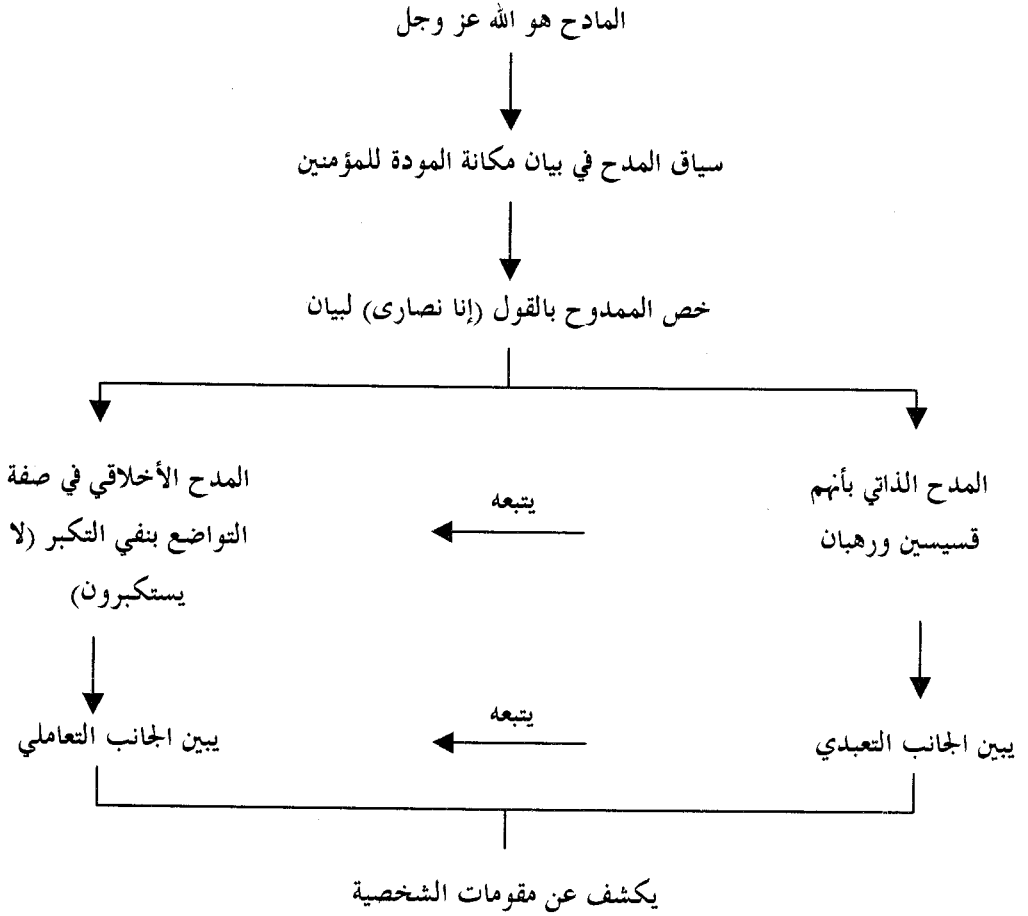
يستكبرون) قال ابن كثير "تضمن وصفهم بان فيهم العلم والعبادة والتواضع ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف" فقال (واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ) أي مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ^(١)، وهو جامع لصفات الإيمان والتقوى ونبع لصفات أخرى فهو "يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً"^(٢)، ولذا نفى الفعل (يستكبرون) الذي يدل على المبالغة لما فيه من معنى التعاضم والمكابرة وعدم قبول الحق^(٣)، وفيه تخصيص صفات المدح لهم ولمن تمثل بها واقتدى لأن "هذا المدح لمن آمن منهم بمحمد ﷺ دون من أصر على كفره"^(٤)، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٩٠/٢ ، في ظلال القرآن : ١٣/٣ .

(٢) تفسير البغوي / ٣٩١ .

(٣) التحرير والتنوير : ٨/٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٨/٦ .



الحواريون

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [سورة الصف / ١٤] ، نجد النكت البلاغية في مدح (الحواريين) في مواضع :

الأول : بلاغة التشبيه في قوله (كما قال عيسى ابن مريم) وجواب الحواريين عليه وهو تشبيه تمثيلي "أي كونوا عندما يدعوكم محمد ﷺ إلى نصر الله كحالة قول عيسى بن مريم للحواريين واستجابتهم له" ^(١) ، فقد افتتحت الآية ببناء المؤمنين المؤكد (يا أيها) توكيداً لما بعده وإثبات صفة الصدق والإخلاص وهو داعية التشبيه "القصص التنظير والتأسي فقد صدق الحواريون وعدهم وثبتوا على الدين ولم ترزعهم الفتن والتعذيب .." ^(٢) .

الثانية : بلاغة الإظهار في مقام الإضمار في قوله (قال الحواريون) ففي انتقاء لفظ (الحواريون) * مدح لهم لأنهم اتباع عيسى ﷺ واصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور وهو البياض ^(٣) ، وفي خطابهم وتخصيصهم مدح لهم أيضاً وجعلهم في الموازنة الإيمانية العالية ثناء عظيم .

الثالثة : بلاغة القصر في كلام الحواريين بقولهم (نحن أنصار الله) بعد سؤال عيسى ﷺ في الاستفهام المجازي (من أنصاري) لتحريك همهم وتحفيزهم إلى الأمر ففي "حكاية جواب الحواريين هنا خصوصية صيغة القصر بتعريف المسند إليه والمسند وخصوصية التعريف بالإضافة" ^(٤) ، قالوا (نحن أنصار الله) دون (أنصارك للحق) لبيان سرعة الاستجابة والتسليم المطلق وحسن الجواب من حسن السؤال في السياق أي أنصار

(١) التحرير والتنوير : ١٩٩/٢٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٠/٢٨ .

* ورد ذكرهم في القرآن الكريم في (٥) مواضع ، المعجم المفهرس / ٢٧١-٢٧٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٨٩/١٨ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩١/٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٠٢/٢٨ ، صفوة التفاسير : ٣٢٦/٣ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

على كل حال لذا أمر الله عز وجل عباده المؤمنين "أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وان يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصاري إلى الله) " (١) ، وهو تعريض بغيرهم من بني إسرائيل .

الرابعة : بلاغة التفريع في مدح من آمن منهم وذم غيرهم في قوله تعالى (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) لأن هذا التفريع يقتضي كلاماً مقدراً أي ان نصرهم وصبرهم يعني استجابة بعض بني إسرائيل وكفر بعضهم (٢) .

ومن هذا تبين أسلوب القرآن الكريم في وسائل دعوة أهل الكتاب فهي "وسيلة مهذبة من وسائل التعبير الفني دون تجريح أو تقرير أو لوم أو تعنيف ... انما يمس النفس مساً رقيقاً ويداعب العواطف مداعبة هادية" (٣) ، تناسب حال المخاطبين لتكون أوقع وأكثر تأثيراً ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٣/٤ ، تفسير البغوي / ١٣٠٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٢/٢٨ .

(٣) أصول البيان العربي ، محمد حسين الصغير / ١٢١ .

الممدوح هو الله عز وجل

الممدوح هم (الحواريون)

السياق في دعوة عيسى عليه السلام لهم (من أنصاري إلى الله) يبين

ثالثاً. سرعة الاستجابة
والطاعة في أفعالهم

ثانياً. الثبات على الحق الذي
نطق به لسانهم

أولاً. بيان فضيلة
الإيمان في صدورهم

كل هذا الثناء والمدح استدعى نداء المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) للاقتداء بهم

ويمكن أن نجد الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٢-٢]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
تقديم المسند الإيجاز والمقابلة	(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ)	١
التقديم والتأخير الإظهار الإطناب الوصل المقابلة الوصل والاستعارة الوصل والتذييل	(لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ) (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ) (يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ) (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) (وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)	٢
التقديم والتأخير الاحتراس الإضمار التقديم والتأخير	(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٍ) (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٍ) (وَبِهِ يَعْدُلُونَ) (وَبِهِ يَعْدُلُونَ)	٣
التوكيد الإضمار التوكيد الخاص بعد العام الإضمار التوكيد والإضمار	(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً) (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً) (قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرَهْبَانًا) (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرَهْبَانًا) (وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)	٤

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
المبالغة والتعريض	(وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)	
النداء	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)	٥
الأمر	(كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ)	
التشبيه التمثيلي	(كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)	
الاستفهام	(مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)	
الإظهار	(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)	
القصر	(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)	
التعريض	(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)	
الطباق	(فَأَمَّنتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةً)	
التفريع	(فَأَمَّنتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةً)	

المبحث الثالث

مدح الأمة المحمدية

ان فضل الأمم ومكانتها تعرف بما تقدمه وما تبذله من طاقة وذلك يتميز بالشخصيات التي تكون ذات صفات قيادية ترتقي في الوصول إلى صفات السيادة لتنال شرف الثناء والتكريم القرآني وأكثر الأمم حظاً وأوفرها تكريماً ومدحاً الأمة المحمدية حملة القرآن الكريم والجيل الأول للدعوة الإسلامية فهو جيل النور والإيمان وهو مدار التزكية لهم في الأخلاق والأفعال النابعة من الإيمان الصادق فإن "التزكية من الله هي المدح والثناء وذلك لا يكون إلا من قبله أو بأمره" (١) ، ولكثرة الآيات القرآنية التي وردت يمكن أن نقسمها إلى (أربع) مجاميع :

الأولى : مدح جماعي عام كمدح الأمة المحمدية بالصفة الخيرية كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران / ١١٠] ، فتحققت لهم الخيرية بدعوتهم إلى المعروف ونهيمهم عن المنكر فنالوا هذا الثناء الخالد عبرةً لغيرهم (٢) ، وكذلك المدح في ذكرهم في الكتب السماوية المنزلة (التوراة والإنجيل) وهي آية فريدة وردت في حسن الختام في قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [سورة الفتح / ٢٩] ، وهذا يتبعه مدح الصفات القويمة فيهم وهي صفات معنوية متنوعة كصفة الصبر والكاظمين الغيظ والحافظين لحدود الله والتقوى وغيرها من الصفات (٣) .

ونجد بلاغية الإطناب في المدح والثناء كبراعة المطلع في سورة المؤمنون ، قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن / ١٠٧ .

(٢) كتاب الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ / ٢٣ .

(٣) أسياذ الدنيا وأسياذ الآخرة / ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، الطبعة البشرية في القرآن الكريم / ٤٤ .

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ*فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْعَادُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١﴾
 [سورة المؤمنون / ١-٩] ، فقد خصهم بالصفات التي جعلتهم أهلاً للتزكية والتربية
 والتفاعل الاجتماعي مدحاً^(١) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
 بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبة / ٧١] ،
 فقد ذم المنافقين والمنافقات فيما يقابلها في قوله تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ
 مِنْ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة / ٦٧] ، وذلك بإثبات الولاية للمؤمنين "لأن المنافقين ليسوا
 متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة .. وكان المؤمنون متناصرين على دين
 الإسلام"^(٢) ، وهو من المقابلة البليغة ، ويتبعه مدح في الأفعال والأقوال "وأكثر انماط
 العطف بين الإيمان والعمل الصالح شيوعاً في القرآن الكريم والتعبير بالفعل الماضي عن
 المعنيين مع تقديم فعل الإيمان على العمل الصالح على هذه الصورة (آمنوا -
 عملوا) .."^(٣).

وكقوله تعالى في مدح الأفعال والأقوال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ
 الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان / ٦٣] ، فقد ورد
 مدح المؤمنين في النداء الخالد بـ (يا أيها الذين آمنوا) في (تسعة وثمانين) موضعاً وهذا
 يعرف بنداء المدح^(٤) ولأهمية الإيمان في سلوك المسلم وبيان معطيات العمل الفردي مع
 الجماعة لذا وردت (سورة المؤمنون) بهذا المطلع التعليمي "فالسورة كلها حديث عن
 المؤمنين وأوصافهم ودلائل الإيمان ودعوة الرسل الناس إلى الإيمان ... فعنوان السورة
 يدل على مضمونها"^(٥) ، وكذلك سورة الشورى في الحديث "عن صفات المؤمنين

(١) منهج القرآن في تربية الرجال / ١٥٩ .

(٢) معترك الأقران : ٧٢/١ .

(٣) بلاغة العطف في القرآن الكريم ، د. عفت الشرقاوي / ٢٢٢ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٢٤٧/٢ ، النداء في القرآن الكريم ، معن (رسالة ماجستير مقدمة إلى

كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩) / ٦٤ .

(٥) أسماء سور القرآن الكريم ، باسل (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل ،

فجعلها صفةً من صفاتهم وهي تنويه بمكانة الشورى في الإسلام" (١) ، وعاقبة الأفعال الحسنة مدح لعاقبة المؤمنين وما يؤول إليه مصيرهم (٢) ، قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة الواقعة / ١٠-١١] ، ومن بلاغية المدح أسلوب نفي الصفات الذميمة ومنها (العلو) كما في قوله تعالى : ﴿تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص / ٨٣] ، قال ابن عاشور "والعلو : التكبر عن الحق وعلى الخلق .. وهو كل فعل مذموم في الشريعة أو لدى أهل العقول الراجحة" (٣) ، فأثبت لهم صفة التواضع الحمودة .

الثانية : مدح شخصيات قرآنية تخص الصحابة رضي الله عنهم فقد نزلت آيات من فوق سبع سماوات إكراماً وثناءً على أفعالهم وخصالهم التي نالوا بها شرف التكريم الخالد من الله عز وجل ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء / ١٠٠] ، فقد نزلت في ضمرة بن جندب ؓ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى*وَهُوَ يَخْشَى﴾ [سورة عبس / ٨-٩] ، "الا ترى انه أثنى عليه بالخشية فقال (وهو يخشى) فشهد الله له بالخشية" (٥) ، وهو ابن مكتوم ؓ ، "ومن مدح بعض الأصحاب الكرام وأتباعهم المحسنين قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة التوبة / ١٠] ، ... ومن مدح جمع خاص منهم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح / ١٠] .. " (٦) ، أو قد يأتي المدح فيما يعم المهاجرين والأنصار ومن آمن غيرهم

.٩٢ / (٢٠٠٠

(١) م . ن / ١٣٧ .

(٢) الرحمن الرحيم ، عبد الرزاق / ١٣٨ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩٠/٢٠ .

(٤) أسباب النزول / ١٠٢ .

(٥) تحصيل نظائر القرآن ، للحكيم الترمذي / ١١٣ .

(٦) إسناد الأعلام إلى حضرة سيد الانام ؓ / ١٤٢ ، دراسات عن سور القرآن : ٣٧٠/١ .

في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سورة محمد / ٢] ، فالإيمان والعمل "يعم المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم" ^(١) ، وقد وردت الآيات ببلاغة الإطناب مع الإضمار ، ولم يصرح القرآن الكريم إلا باسم (زيد) في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأحزاب / ٣٧] ، ومن المدح ذكر الأعراب لبيان صدقهم في الإنفاق كما في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة / ٩٩] .

الثالثة : مدح أحص لآل بيت المصطفى ﷺ بالطهارة والتزكية في بلاغة أسلوب القصر ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب / ٣٣] ، "فهذه تزكية من الله تؤكد لنا ان القرآن يعترف لمن بالمكانة الفضلى وان الله يريد تعزيز شأمنهم ... " ^(٢) ، وقد يأتي المدح لبيان منزلة نساءه عليه الصلاة والسلام في الخطاب الإلهي المباشر لمن يضافتهن إلى (النبي) في قوله تعالى : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [سورة الأحزاب / ٣٢] ، وهذا التفضيل على شرط التقوى "وقد حصل لمن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء" ^(٣) ، وإكرامهن في المنزلة والمكانة على سائر النساء ، في قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب / ٦] ، وكذلك مدح المرأة المؤمنة التي وهبت نفسها للنبي لصدق نيتها في بلاغة التضمين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ﴾

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٠٠/٢ ، القرآن الكريم يقول (في الإيمان والمؤمنين ، في المادة والماديين ، في السلوك والمواقف) / ٩-١٠ .

(٢) من النساء المذكورات في القرآن الكريم (نساء النبي ﷺ) عبد اللطيف السبكي (مجلة منبر الإسلام، القاهرة ، العدد ٢٨ ، لسنة ٢٦) / ٥٣ .

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : ١٣٧/٣ .

من ذون المؤمنين ﴿ [سورة الأحزاب / ٥٠] ، واما قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الممتحنة / ٦] ، فهي في حق زوج رسول الله ﷺ رملة بنت أبي سفيان ^(١) .

فقد "نالت المرأة على يد القرآن أكرم حظ من الرفعة والشرف والاستقلال والشخصية والحقوق والواجبات كإنسانة كرمها الله وأعلى من شأنها وأمرها ونهاها واعتبرها أهلاً للتكاليف وحمل التبعات والمسؤوليات والمشاركة في تحقيق خلافة الله في أرضه وتعميرها" ^(٢) .

الرابعة : بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدْرِ وَأَتَيْتُمْ أَذِلَّةً﴾ [سورة آل عمران / ١٢٣] ، فقوله (أذلة) فهو من "قلة العدد والعدة والآلات والخوف من غلبة الكفار ولم يرد الذل الذي يجري مجرى الذم والنقص .." ^(٣) ، عليهم لأنها مدح فيهم يوم بدر إذ تحقق لهم النصر والتأييد وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [سورة التوبة / ١٠٢] ، "فان قوله تعالى على طريقة المدح لهم (فأخرون اعترفوا بذنوبهم) يدل على انه أتوا بالاعتراف على طريقة التوبة ولذلك قال في آخره (عسى الله ان يتوب عليهم) وهذا بين" ^(٤) ، فهو دلالة التوبة عندهم .

وأما قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [سورة الشورى / ٣٩] ، نجد صفة (الانتصار) ، قال السيوطي : "كيف ذكر الانتصار في صفات المدح ؟ .. ان المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا يباطل .. وان مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزاً ممن بدأ الظلم وكان المدح انما هو بترك الابتداء بالظلم" ^(٥) . وهذا من بديع النظم .

(١) نساء أنزل الله فيهن قرآناً : ١٧١-١٧٢ .

(٢) المرأة في رحاب القرآن ، عبد اللطيف (مجلة منبر الإسلام ، العدد ١ ، لسنة ١٣٨٩هـ) / ١٠١ .

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن / ٧٦ .

(٤) متشابه القرآن : ٣٤٥/١ .

(٥) معترك الأقران : ٤٢٨/٢-٤٢٩ .

ومنه قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [سورة الواقعة / ٢٥-٢٦] ، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وذلك "لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأنيب فهو مدح لهم بإفشاء السلام وهذا كقول القائل : لا ذنب لي إلا محبتك .." (١) ، وقد جاء المدح القرآني "بأساليب متنوعة في توجيهاته ووجوه خطابه نظراً لاختلاف المخاطبين في أحوالهم ومستوياتهم وتعدد الأغراض التي قصد إليها والمواضيع التي عالجها والحقائق المختلفة التي كشف لهم عنها" (٢) ، ولأجل بيان الأساليب البلاغية يمكن الوقوف عند النماذج التحليلية الآتية :

المهاجرون والأنصار والتابعون

قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة / ١٠٠] .

تطالعنا بلاغية المدح في عظمة الإيمان الصادق الذي تمثل في الشخصيات الأولى لنواة الإسلام ابتداءً بالمهاجرين في مكة وإحاقاً بالأنصار في المدينة ومن اقتفى أثرهم وقد أثبت القرآن الكريم هذا السبق والفضل لهم ثناء وتكريماً ، فجاء بأسلوب الوصل بعد ان ذكر الأعراب فقد "ذكر المهاجرين الأنصار وبين ان منهم السابقين إلى الهجرة وان منهم التابعين وأثنى عليهم .." (٣) ، وذلك يتحقق في مسألتين :

الأولى : المدح الجماعي في قوله : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ فقد جاء المدح بالأسلوب الخبري الابتدائي لابتداء مدح أحوالهم وأفعالهم وحقيقة إخلاصهم لله عز وجل وهي حقيقة لا يجهلها المؤمنون تتطلع إليها نفوسهم في ذكر فضل الجيل الأول للإسلام لذا لم يؤكد الخبر ، فهم ليسوا سابقين فحسب بل الأولون وهو عنوان الرضى عنهم حيث "يخبر تعالى عن رضاه عن

(١) صفوة التفاسير : ٢٧٥/٣ .

(٢) لغة القرآن الكريم / ٢٨٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٥/٨ ، كتاب الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ / ٣٦ .

السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاًؤهم عنه بما أعد لهم من جنات" ^(١) ، وقد خصوا بالذكر لأنها "كانت تؤلف القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم" ^(٢) .

ومن بلاغة النظم انتقاء لفظ المهاجرين من الفعل (هجر) وهو مظنة المشقة والتعب والجهد و "الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيرهما بالبدن أو باللسان أو بالقلب ... وقيل مقتضى ذلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها" ^(٣) ، وهذا يناسب حالهم وفعلهم فهم "الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وشاركوا أوطانهم" ^(٤) ، وكذلك لفظ (الأنصار) من الفعل (نصر) وفيه دلالة القوة والتمكين وأعطاء الكلمة الصادقة فـ "النصر والنصرة العون ... ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده والقيام بحفظ حدوده ورعاية عهوده واعتناق أحكامه واجتناب نهيه" ^(٥) ، وكذلك لفظ (الأتباع) الذي يدل على صدق النية والعمل اقتداءً بما سبق من أهل الفضل "يقال تبعه واتبعه قفا اثره وذلك تارةً بالارتسام والائتمار" ^(٦) ، وكل هذا داعية إلى المدح والثناء الذي جعلهم محط الاقتداء لغيرهم فهم "القدوة الصالحة والمثل الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله ليحتذي متطلب الصلاح حذوهم ولئلا يخلو تقسيم القبائل الساكنة بالمدينة وحواليها وبواديها عن ذكر أفضل الاقسام تنويهاً به" ^(٧) ، ثم جاء ببلاغة الوصل في قوله (والذين اتبعوهم بإحسان) وهي صفة مدح للمهاجرين والأنصار لتزكية أنفسهم ورفعتهم بالإيمان في حياتهم للتأسي بهم ومعنى الاتباع "سلكوا طريقهم واقتدوا بهم في سيرتهم الحسنة وهم التابعون ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة" ^(٨) ،

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٨٢/٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤١٩/١ .

(٢) في ظلال القرآن : ٢٩٢/٤ .

(٣) المفردات / ٥٣٦-٥٣٧ .

(٤) تفسير البغوي / ٥٧٨ ، المحرر الوجيز / ٨٧٥ .

(٥) المفردات / ٤٩٥ .

(٦) م . ن / ٧٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ١٧/١١ .

(٨) صفوة التفاسير : ٤٧٤/١ .

تزكية لأقوالهم وأفعالهم ، وقد ذكر ابن عاشور نكتة في المدح بصفتي (الإخلاص والاحسان) لهم بقوله : " وإنما قيد هذا الفريق خاصةً لأن السابقين الأولين ما بعثهم على الإيمان إلا الإخلاص فهم محسنون واما الذين اتبعوهم فمن بينهم من آمن اعتزازاً بالمسلمين حين صاروا أكثر أهل المدينة فمنهم من آمن وفي إيمانه ضعف وتردد مثل المؤلفلة قلوبهم .. فاذا بلغوا رتبة الاحسان دخلوا في وعد الرضى من الله وإعداد الجنات" ^(١) .

الثانية : بعد ان مدح الأصناف الإيمانية رتب لهم في المدح حسن العاقبة التي ترتبت في (الرضى) و (إعداد الجنات مع الخلود) و (الفوز العظيم) وهو الجزء المترتب على الأفعال والصفات الحسنة وفي السياق نكتة الإيجاز في حذف الحرف (من) والغالب قوله (تجري من تحتها) وذلك ان السياق إذا لم يذكر (من) فانما هو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء ، واذا ذكرها كان لقوم عام فيهم الأنبياء ^(٢) . فنجد في قوله (رضى الله عنهم) انهم قد بلغوا مرتبةً من الفضل والقبول ، حتى نالوا شرف الثناء والمدح القرآني "وهذا أرقى المراتب التي يسعى إليها المؤمنون ويتنافس فيها المتنافسون ان يرضى الله تعالى عنهم ويرضاهم" ^(٣) ، وفيه إشارة إلى التكريم الإلهي في المثوبة لمنزلتهم العليا واما رضاهم عنه "فهو كناية عن كثرة احسانه إليهم حتى رضيت نفوسهم لما اعطاهم رهم" ^(٤) ، من الجنات والنعيم الدائم ثم ختم بقوله : (ذلك الفوز العظيم) فقال (ذلك) "البيان بعد منزلتهم في الفضل وعظم الدرجة" ^(٥) ، فهو فوز ما بعده فوز وهذا من بديع حسن التذليل ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) التحرير والتنوير : ١١/١٨ .

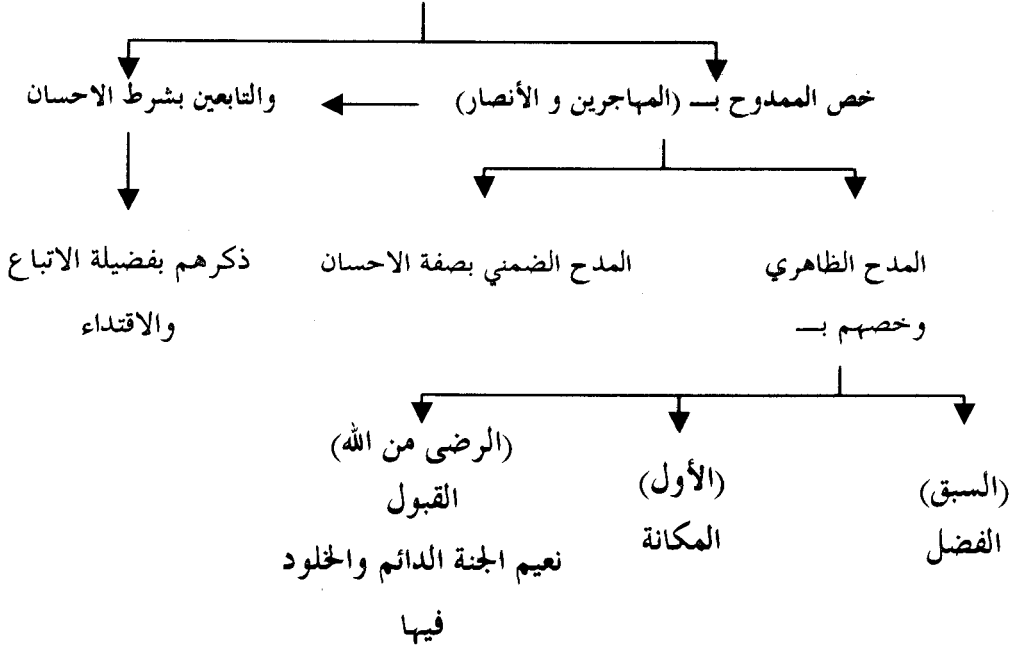
(٢) التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي / ١٣٤ .

(٣) صفوة التفاسير : ٤٧٤/١ .

(٤) التحرير والتنوير : ١١/١٩ .

(٥) روح المعاني : ١٥/٦ .

المادح هو الله عز وجل



عباد الرحمن

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان / ٦٣] .

يمكن أن نقف عند بلاغية المدح في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : قوله (وعباد الرحمن) المتحققة في بلاغة الوصل الذي يرشح المدح في اللفظ المضاف (عباد) "وقد شرفهم الله بان جعل عنوانهم عبادة"^(١) ، ومدح من المضاف إليه (الرحمن) في الأسلوب الخبري وهو "مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال الكافرين عن عبادته والسجود له"^(٢) ، رفعة لهم ومن تعليق المضاف بالمضاف إليه نجد بلاغة التخصيص والتفضيل (عباد الرحمن) "يعني أفاضل العباد ، وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله"^(٣) ، وقد بين الألوسي نكتة المدح بقوله : "وإضافتهم إلى الرحمن دون غيره من اسمائه تعالى وضماؤه عز وجل لتخصيصهم برحمته أو لتفضيلهم على من عداهم لكونهم مرحومين منعماً عليهم كما يفهم من فحوى الإضافة إلى مشتق وفي ذلك ايضاً تعريض بمن قالوا (وما الرحمن) [الفرقان / ٦٠].." ^(٤) ، وهو تهيد في المدح والثناء لهم "بصفتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة وكانما هم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال .. ها هم أولاء بصفتهم المميزة ومقومات نفوسهم وسلوكهم وحياتهم"^(٥) ، وفيه نكتة أخرى تبين رفعتهم "وهي صورة تجمع بين العقيدة المستقرة في القلب والسلوك الأخلاقي في المصاحب لها في الواقع المشهود"^(٦) ، وهي شهادة قرآنية لهم .

(١) التحرير والتنوير : ٦٧/١٩ ، منهج القرآن في تربية الرجال / ٨٨ .

(٢) تفسير أبي السعود : ٢٤/٥ ، صفوة التفاسير : ٣١٩/٢ .

(٣) تفسير البغوي / ٩٣١ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٤٦/٢ .

(٤) روح المعاني : ٥٧/١٠ - ٥٨ ، أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته / ١٤٤ .

(٥) في ظلال القرآن : ١٨١/٦ .

(٦) دراسات قرآنية ، محمد قطب / ١٣٨ .

أخلاقهم الإيمانية التي تجعلهم بصفة الملائكة "فأما هؤلاء فانهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشعر ولا بطر" ^(١) ، إلا أن الملائكة خلقهم الله للطاعة والعبادة ، فذكر الفعل (يمشون) لأنه "مدح لمشية بالارجل" ^(٢) ، أي بتواضع وسكينة والتي تدل على شخصيتهم القويمة وقد خص المشية لأنها "ككل حركة تعبير عن الشخصية وعمما يستكن فيها من مشاعر والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة فيها وقار وسكينة وفيها جد وقوة" ^(٣) ، وفيه بلاغة الكناية حيث "تكتنف الدلالة فيها بالصفة (هونا) وهي تشير إلى معنى الرفق الذي يتحلى به هؤلاء الموصوفون بانهم (عباد الرحمن) بهذه الاضافة التي ترفعهم وتخصصهم" ^(٤) ، ولذا خصهم بـ (هونا) لأن "المراد مدحهم بالسكينة والوقار فيه" ^(٥) .

فهو مدح معنوي لما فيهم يتبعه المدح الحسي في المعاملة والتصرف "وذكر المشي لما انه انتقال في الأرض وهو يستدعي معاشرة الناس ومخالطتهم واللين مطلوب فيها غاية الطلب" ^(٦) ، لذا خصهم به .

الثالثة : قوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) مدح لهم في أول تجربة إذا واجهتهم انه إذا خاطبهم الجاهلون برزت فيهم خصلة ممدوحة وخلة حميدة تمثلت في جواهرهم (قالوا سلاماً) وقد عدل عن الإظهار إلى الإضمار إكراماً لهم ورفعاً لهم عن الجهل وأهله تعاضده بلاغة التقديم في (خاطبهم) وآخر الفاعل (الجاهلون) للاهتمام بالعباد والتكريم لهم رفعةً عن خطاب الجاهل فهو ثناء عليهم في رائعة التعبير القرآني "أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيئ لم يقابلوههم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣٢٩ ، المحرر الوجيز / ١٣٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩/٦٨ .

(٣) في ظلال القرآن : ٦/١٨٢ .

(٤) الكناية في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥ / ١٨٣ .

(٥) روح المعاني : ١٠/٥٨ .

(٦) روح المعاني : ١٠/٥٩ .

خيراً" (١) ، فهو بيان لصفاتهم الحسنة وأفعالهم الحميدة الجليلة ، ونجد الخلتين الممدوحتين بهما تجمع صفات ما ابتدأ المدح به بـ (عباد الرحمن) وبيان لغيرها فقد "قرن وصفهم بالتواضع في سمتهم ، وهو المشيء على الأرض هونا بوصف آخر يناسب التواضع وكراهية التطاول وهو متاركة الذين يجهلون عليهم في الخطاب بالأذى والشتيم" (٢) ، وخص في الجواب بـ (سلاما) الذي يومئ للكشف والبيان "لحسن معاملتهم وتحقيق ليلينهم عند تحقق ما يقتضي خلاف ذلك إذا خلى الإنسان وطبعه" (٣) ، ثم فصل القرآن مدحاً في صفاتهم "وفي الإطناب بصفاتهم الطيبة تعريض بأن الذين أبوا السجود للرحمن وزادهم نفوراً هم على الضد من تلك المحامد" (٤) ، التي جمعت فيهم وكانت داعية خلود ذكرهم إلى يوم الدين و "هذه الخصائص الموضوعية والأسلوبية في المدينة أصبحت تستدعي التفصيل في التشريع وفي بناء المجتمع الجديد فكان لا بد ان يطنب القرآن.." (٥) ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣٣٥ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٣/٦٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩/٦٩ .

(٣) روح المعاني : ١٠/٥٩ .

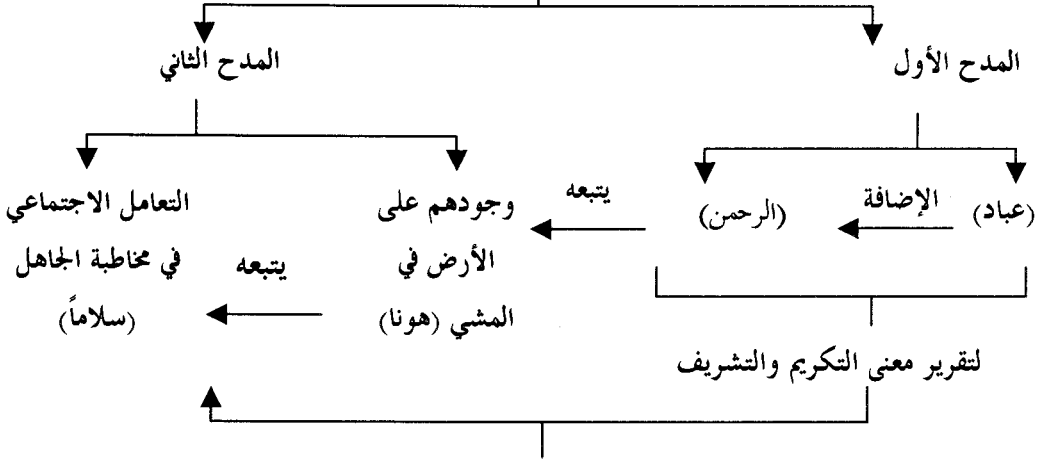
(٤) التحرير والتنوير : ١٩/٦٧ .

(٥) مباحث في علوم القرآن ، صبحي / ١٨٤ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

الممدوح هو الله عز وجل

الممدوح هم الصحابة خصهم بـ



من آثار العبودية السكينة والوقار في مشيهم وتعاملهم

الصحابة في التوراة والإنجيل

قال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيْعِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح / ٢٩] .

من حسن ختام السورة الثناء الفريد والمدح للصحابة رضي الله عنهم في "ختامها بتلك الصورة المضيفة التي يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله ﷺ وبذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التي رضي عنها" (١) ، فقد ذكرهم في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء من أولي العزم ويرشح السياق بلاغية مدحهم في (أربع) نكت بلاغية :

الأولى : مطلع الآية الكريمة في قوله : (محمد رسول الله والذين معه) بذكر الاسم الصريح (محمد) ﷺ في الأسلوب الخبري الابتدائي و "هو ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي ﷺ" (٢) ، تعظيماً وكراماً لمن بعده وتمهيداً لهم بالثناء العاطر على أصحابه رضي الله عنهم من المؤمنين الصادقين (٣) ، ثم ذكر صفات المدح بقوله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) في المقابلة القرآنية ، فقد مدحهم بالشدة فيما يخصها فصرح بلفظ (الكفار) أولاً ثم أثنى عليهم بالرحمة فيما يخصها وأضمر لفظ المؤمنين فقال (بينهم) "وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار رحيماً براً بالأخيار غضوباً عبوساً في وجه الكافر ضحوكاً بشوشاً في وجه اخيه المؤمن" (٤) بحيث "لا يقف السياق عند هذا الحد من تأثير وحدة التحالف وإنما يمتد ليجلي لنا الصلة الحقيقية بين محوري التقابل (الكفار) و (المؤمنين) من خلال التركيب (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم

(١) في ظلال القرآن : ٥١٣/٧ ، المشاهد في القرآن الكريم / ٣٣٨ .

(٢) المحرر الوجيز / ١٧٣٩ .

(٣) صفوة التفاسير : ١٩٥/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ١٩٧/٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٣/١٦ .

في الإنجيل) ان هذا التركيب يكشف بدقة عن العلاقة بين المحورين" (١) ، وهو مدح لسلوكهم وتصرفاتهم النابع من العقيدة لبيان فضل الإيمان الذي يقوم جوارحهم والسؤال الذي يرشحه السياق : كيف تكون الشدة مدحاً ؟ قال ابن عاشور مجيباً "هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم وهذا وصف مدح لأن المؤمنين الذين مع النبي ﷺ كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام ... وأصحاب النبي ﷺ أقوى المؤمنين إيماناً من أجل إشراق أنوار النبوة على قلوبهم فلا جرم أن يكونوا أشداء على الكفار" (٢) ، وكذلك الرحمة فهي نابعة من الإيمان ثمرة في أفعالهم وفيه نكتة بلاغة الاحتراس ففي "وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس فانه لو اكتفى بالوصف الأول لربما توهم ان مفهوم القيد غير معتبر فيتوهم الفظاظ والغلظة مطلقاً فدفع بإرداف الوصف الثاني وقال ذلك انهم مع كونهم أشداء على الاعداء رحماء على الإخوان" (٣) ، وحاصل ذلك انه متى ما دفعهم الإيمان إلى أن يكونوا أشداء كانوا كذلك ومتى ما دفعهم إلى أن يكونوا رحماء كانوا كذلك طاعةً لله عز وجل فقد "أثنى عليهم بالشدة على الكفار والرحمة للمؤمنين" (٤) ، وان كانت الصفتان متضادتين إلا أن جامعتهما كما بينا هو الإيمان بالله عز وجل وفيه نكتة أخرى وهي "إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم وانهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجلبية وعدم الرؤية" (٥) ، وهو مدح لبواطنهم وما يصدر عنها.

الثانية : قوله تعالى : (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة) فقد افتتح المدح بالصلاة وكثرة العبادة فقد "وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز

(١) التقابل والتماثل في القرآن الكريم / ٣٣٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٠٤ .

(٣) روح المعاني : ١٣ / ٣٨٦ .

(٤) درة التنزيل وغرة التأويل / ٤٨ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٠٥ .

وجل" ^(١) ، فهو وصف الهيئة لهم في أكمل صورها لذا اختار "لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها فهو أثر هذا الخشوع" ^(٢) ، وهو مدح ضمنى لإيمانهم الذي يبرز في العلامة والسمة في الوجه وهو أعلى شيء يدل على تكريم الإنسان وهذا من أثر العبادة والمداومة عليها ، ويعاضد المدح بلاغة إيثار الفعل المضارع (يبتغون) فقد ورد "للدلالة على تكرار ذلك أي تراهم كلما شئت ان تراهم ركعاً سجداً وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس ... وفي مسوق هذا مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه ... " ^(٣) ، وقد تحقق في بلاغة الفصل على تقدير السؤال أي "كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلاً من الله" ^(٤) .

ثم أعقب هذا المدح الثناء بقوله (ذلك مثلهم في التوراة) ليدل على عظم ومكانة هذه الأمة الخيرية التي ذكرت في الكتب السالفة "فان هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة" ^(٥) ، ووظف اسم الإشارة للبعيد (ذلك) لنكتة بلاغية وهي الإشارة "إلى ما ذكر من نعمتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل" ^(٦) ، وهو يبين عظم الصفات الممدوحة فيهم وعلو شأن الممدوح حتى جاء الحق عز وجل بهذا التعبير الدال عليها "والمثل يطلق على الحالة العجيبة ويطلق على النظير أي المشابه" ^(٧) ، وقد جعل ابن قتيبة معنى المثل بالوصف أي ذلك وصفهم إذا لم يضرب المثل لهم في مطلع الآية ^(٨) ، وقد

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١٩٧ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤١٣ / ٢ .

(٢) في ظلال القرآن : ٥١٤ / ٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٠٥ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٨ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١٩٨ ، تفسير جزء الأحقاف ، عفيف طبارة / ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦) تفسير أبي السعود : ٦ / ١٠٨ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٠٧ .

(٨) تأويل مشكل القرآن / ٥٧ .

صرح باسم الكتاب (التوراة) عبرة وتعلima لمن أراد الاقتداء بهم وتعريضاً بغيرهم .
 الثالثة : قوله (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ) ، فبعد ان ذكر صفاتهم في التوراة مدحاً أعقب ضرب المثل لهم في الإنجيل في بلاغة التكرار مع الإضمار "وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها" (١) ، ليكون أوقع في نفوس المخاطبين وداعية إلى التطلع وسامع ما تضمن المثل من معاني الحكمة في إصابة المعنى في حسن التشبيه (٢) ، ثم جاء الوصف والمدح بتشبيهم بالزرع يبدأ بالدقة أي القلة ثم قوي وتأزر وكثر حتى استغلظ "فالتشبيه بالزرع ينم على حيوية ونشاط وخصوصاً بأحكام المشبه به بمؤازرة الشطء والاستغلاظ والاستواء مع ما تفيد الفاء من سرعة في النماء" (٣) ، وهو تشبيه تمثيلي (٤) ، لأن صورة المشبه به متعددة وهي صورة حركية للعطاء والخير ورمز القوة والتعاون لأن مفهوم الزرع جامع لمعاني الخير والنفع وهو مثل للنبي ﷺ وأصحابه "قيل (كزرع) محمد (أخرج شطأه) أبو بكر (فآزره) عمر (فاستغلظ) عثمان للإسلام (فاستوى على سوقه) علي بن أبي طالب .." (٥) ، وتعاوض الاستعارة (أخرج شطأه) و (آزره) مع بلاغة التشبيه قال ابن عاشور : "استعار الإخراج إلى تفرع الفراع من الجنة لمشاهاة التفرع بالخروج ومشاهاة الأصل المتفرع عنه بالذي يخرج شيئاً من مكان ... وصيغة المفاعلة في (آزره) مستعارة لقوة الفعل مثل قولهم : عافاك الله ... (٦) ، وهذا من التناسق الزمني "وهو ان تكون مدة عرض الصور متناسبة والغرض الذي سيقى من أجله والمعنى الذي تصوره فمن الصورة ما يعرض بطيئاً في تراخ وتؤدة كأنه أعد لتتملأه العيون ببطء كالزرع الذي يمثل محمداً ﷺ وأصحابه ويدل على رقي الإسلام وتدرجه صعوداً" (٧) ، ثم ختم لهم بالجزاء الأعلى فقد "أعقب تنويه شأنهم والثناء عليهم

(١) تفسير أبي السعود / ٦ / ١٠٧ .

(٢) الأمثال في القرآن ، د. محمد جابر الفياض / ٨٧ ، ١٠٧ .

(٣) جماليات المفردة القرآنية ، د. أحمد ياسوف / ١٣٨ .

(٤) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، واجدة الأطرقجي / ١٤٠ .

(٥) تفسير البغوي / ١٢١٦ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٠٨ .

(٧) الطبيعة في القرآن الكريم ، د. كاصد الزيتي / ٤٧٥ .

عليهم بوعدهم بالجزاء على ما اتصفوا به من الصفات التي لها الأثر المتين في نشر ونصر هذا الدين^(١) ، بالمغفرة والأجر العظيم .

الرابعة : لم خصّ المدح المعنوي بصفاتهم الحميدة في التوراة ، ولما خصّ المدح الظاهري بصفاتهم الحسنة في الإنجيل ؟ وذلك لنكتين بلاغيتين :

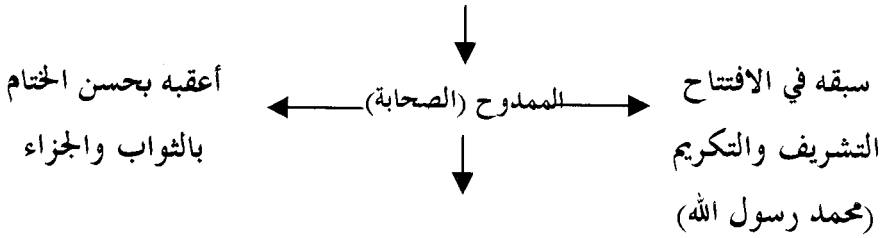
الأولى : التعريض بذم صفات أهل الكتاب فالغالب في عبادة النصارى الروحانية والرهبانية والتبتل فجاء بما يناسب حالهم في التعريض بذكر الشيء الحسي الظاهر وهو الزرع ونماؤه وخروجه لتحقق الموازنة في العبادة بين الجانب الروحي والمادي دون الغلو فيه، ومناسبة حال اليهود المادي في التعامل وحب المال والتحريف والتغيير من أجل ذلك فجاء بالصورة التعبدية في كثرة الصلاة والسجود والعبادة تعريضاً بهم ليوافقوا في مفهوم العبادة بين الجانب المادي والروحي دون الإفراط والتفريط في العبادة ، ومدح الأمة المحمدية بالوسط والاعتدال بينهما ومدحهم في جانب العبادات والمعاملات .

الثانية : تضمين المدح ليس لأصحاب رسول الله ﷺ فحسب ولكن لكل "من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم وهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم"^(٢) ، لذا ذكرهم تخليداً في أعظم الكتب السماوية وهو القرآن الكريم بعد ذكرهم في التوراة والإنجيل وهذا غاية المدح ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

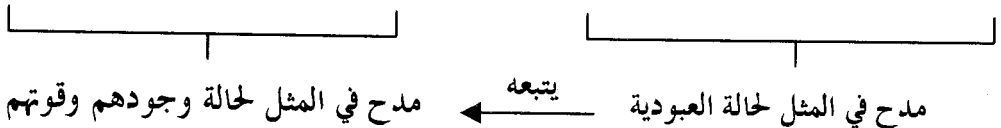
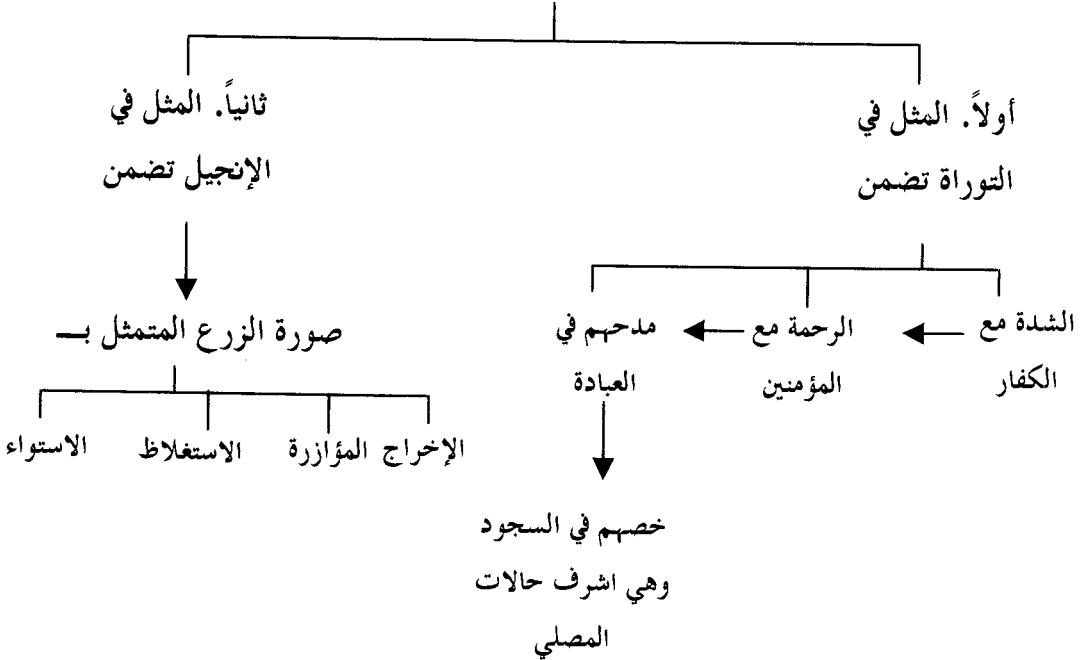
(١) التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢١٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١٩٨ ، خصائص الأمة المحمدية ، محمد علوي / ٣٨ .

المادح هو الله عز وجل



خصهم بالمدح ذكرهم في الكتب السماوية



الصحابي صهيب

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة / ٢٠٧] .

قبل المسار إلى النكت البلاغية لمدح الشخصية القرآنية نتطلع إلى سبب نزول الآية الكريمة عندما أراد الصحابي صهيب رضي الله عنه ان يهاجر من مكة تبعه نفر من قريش وأرادوا منعه لأجل ان يترك ماله لهم فقبلوا منه فلما وصل المدينة وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى فنزلت هذه الآية ^(١) ، ومن وقائع الحدث يمكن أن نحدد بلاغية المدح في النكت الآتية :

الأولى : بلاغية المدح في مطلعها بقوله (ومن الناس) عموماً مع ان الآية في سياقها نزلت في حق صحابي جليل ، فقد سبق الآية الحديث عن صفة المنافقين و "لما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر صفات المؤمنين الحميدة" ^(٢) ، تعليماً لجميع المؤمنين فضل حسن العاقبة في الأمور وما دعى إليه ذكره ورفعته مكائمه رضي الله عنه ، وكذلك فيه عبرة لأهل مكة في سبب خروجه مهاجراً رغباً لله ورسوله فهو من الناس الذي طوى في صدره الإيمان وانبعثت فيه بواعث العمل والقيام لهمة العالية التي ليست في كل الناس تعريضاً بمن لم يؤمنوا لذا ذكره بلفظ العموم (ومن الناس) .

الثانية : قوله : (من يشري نفسه) فهو بائع نفسه طاعة لله ورسوله وان المال مقدم في رضا الله عز وجل لأن "يشري هنا معناها يبيع فهو يبيع نفسه كلها لله ويسلمها كلها لا يبتغي منها بقية ولا يرجو من وراء أدائها ويبيعها غايةً إلا مرضاة الله" ^(٣) ، عز وجل ، لما استقر من الإيمان في قلبه فهو نموذج عال لكل مسلم وخص السياق لفظ (النفس) تعبيراً عن الأصعب والأشق في الجود الأدنى داخل تحته فلم يقل (يشري ماله) أي فمن جاد بالنفس فالمال تبع له فهو مدح ضمنى في فعله رضي الله عنه يتبعه مدح لنتيته في الهجرة فبذل نفسه "التي هي أنفس الأشياء عليه للهلاك لأجل تحصيل ما يرضي الله تعالى، وإنما

(١) لياح النقول / ٤٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٥٩/١ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٣ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٩٦/١ ، تفسير أبي السعود : ٢٥٥/١ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

رضى الله تعالى بفعل الناس للخير الذي أمرهم به" (١) .

ومن بلاغة السياق المجاز في الفعل (يشري) لأنه استعمل "هنا في البذل مجازاً والمعنى ومن الناس من يبذل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله ... وهو أعلى درجات الإيمان لأن النفس أعلى ما عند الإنسان" (٢) ، لذا أعقب بقوله بياناً لذلك (ابتغاء مرضاة الله) فهو مدح جامع لنيته المقترنة بعمله .

الثالثة : تذييل في قوله (والله رؤوف بالعباد) مع بلاغة إظهار لفظ الجلالة بدل الإضمار تعظيماً لما بعده وانه هو خالقهم وربهم فهم عباده الصالحون المؤمنون ، والرأفة في السياق "كناية عن لازمها وهو إيتاء الخيرات كالرحمة" (٣) ، وخص لفظ (العباد) تكريماً وتشريفاً بدل لفظ (العبيد) لأن "العباد مصطلح قرآني جديد يعني عباد الله الصالحين وان العبيد مصطلح قرآني جديد يعني الناس الذين يعرضون عن طاعة الله وعبادته" (٤) ، وهو لفظ عام وذلك لنكتة بلاغية وهي "ترجية تقتضي الحض على امتثال ما وقع به المدح في الآية" (٥) ، لأن يرتقوا إلى الفوز بهذا العرض الإيماني فهو مدح عام لكل عبد اتصف بهذه الصفات، وهو مدح لمن نزلت الآية في حقه فهو مستحق الرأفة على فعله ومستحق الثواب على ما نوى وسعى من أجله ترغيباً لغيره بالتخلق بالصفات التي دعت إلى تخليد ذكره إلى يوم القيامة لذا عدل عن الإضمار إلى الإظهار ، أي دون رؤوف بهم "ليكون هذا التذييل بمنزلة المثل مستقلاً بنفسه وهو من لوازم التذييل وليدل على أن سبب الرأفة بهم انهم جعلوا أنفسهم عباداً له" (٦) ، فناسب مدح المطلع بلفظ العموم (ومن الناس) حسن الختام مدحاً بلفظ العموم (العباد) لما فيه من الدروس والحكم التي لها أثرها في تركية وتربية المخاطبين و "معانٍ من معاني أدب النفوس ومراتبها

(١) التحرير والتنوير : ٢٧٢/٢ ، صفوة التفاسير : ١٠٩/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٧٣/٢ .

(٣) م . ن : الصفحة نفسها .

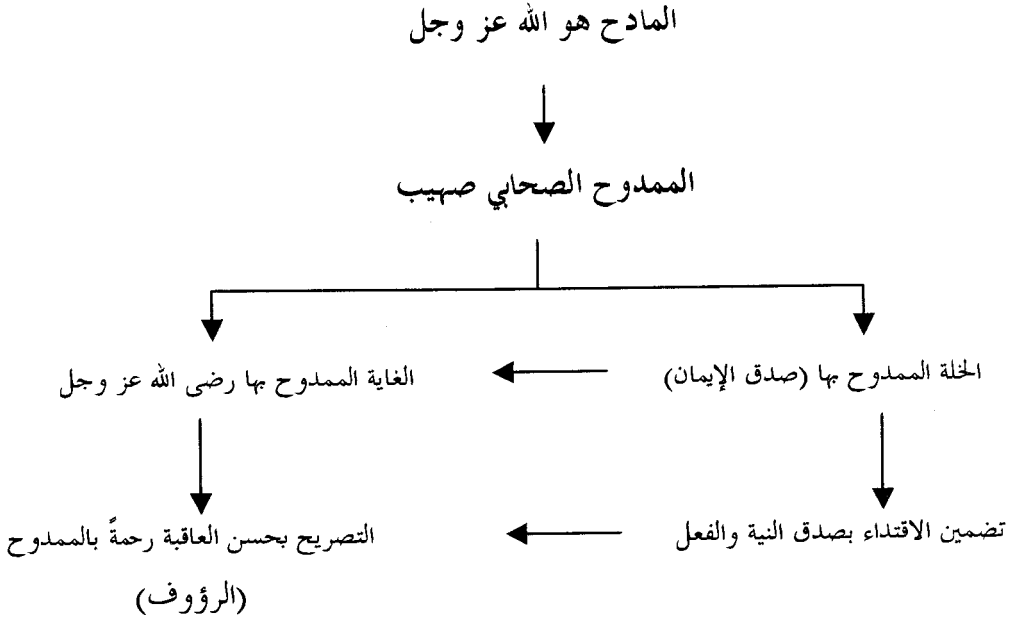
(٤) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم / ١٤٦ .

(٥) المحرر الوجيز / ١٨٤ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٤/١ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٧٤/٢ ، أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته / ١٥٩-١٦٠ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

وأخلاقها تعلم المؤمنين واجب التوسم في الحقائق ودواخل الأمور وعدم الاغترار بالظواهر إلا بعد التجربة والامتحان ... " (١) ، وكل ذلك تخلق به الممدوح في الآية، وكما هو مبين في المخطط الآتي :



(١) التحرير والتنوير : ٢٧٤/٢ .

ويمكن أن نلاحظ أساليب المدح في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٢-٣]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل وأسلوب خبري ابتدائي التقديم اللفظي والوصل الإضمار الكناية التذييل	(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)	١
الوصل مع الإسناد مع التعريض الكناية الوصل مع الإضمار مع التعريض التقديم والتأخير الإطناب	(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ) (وَإِذَا خَاطَبَهُمْ) (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) (قَالُوا سَلَامًا)	٢
أسلوب خبري ابتدائي الإضمار المقابلة مع الاحتراس مع الإضمار المبالغة الإضمار التشبيه مع الوصل الاستعارة التعريض	(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ) (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) (أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ) (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)	٣
الوصل	(وَمِنَ النَّاسِ)	٤

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
المجاز	(مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ)	
الفصل	(اِبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ)	
الإظهار	(وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ)	
الإظهار مقام الإضمار	(وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ)	
التذييل	(وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ)	

المبحث الرابع

المدح العام

ان الناظر في الآيات القرآنية يجد ان المعاني دائرة حول بناء الإنسان وتوجيه فكره للتأمل إقراراً لصفاء العقيدة بالله عز وجل في داخله والإيمان الذي يبعث على العمل الصالح ليتحلى بالصفات الحميدة بعداً عن الصفات الرذيلة لينشأ مفهوم التزكية والتربية القرآنية فيترقى الإنسان بالآداب التي يتحلى بها " وكل فعل كسبي من أفعال القلوب أو الأبدان مدحه الله أو مدح فاعله لأجله أو رتب عليه خيراً عاجلاً أو آجلاً فهو مأمور به " ^(١) ، ويمكن أن نجعله في (ثلاثة) أمور :

الأول : مدح الأمكنة التي هي رمز العبادة وتوثيق الصلة بالخالق عز وجل تأكيداً على الوجدانية لله تعالى ومنها المساجد وهي مشتقة من (السجود) وأغلبها ذكراً (المسجد الحرام) و(المسجد الأقصى) ، كما في قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء / ١] ، ومن الأماكن التي تعدد ذكرها واسمها تكريماً وتعظيماً لها (مكة) فقد سميت (الكعبة والبيت العتيق) كما في قوله تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [سورة المائدة / ٩٧] ، فـ (البيت الحرام) جاء عطف بيان على جهة المدح ^(٢) ، وكذلك لفظ (بكة) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران / ٩٦] ، وكذلك المدح في قوله تعالى : ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج / ٣٣] ، قال ابن عطية : "العتيق : صفة مدح تقتضي جودة الشيء" ^(٣) ، وكذلك المدح المكاني (مقام إبراهيم عليه السلام) ، ومن المدح العام تسمية موطن ولادة النبي صلى الله عليه وآله بالبلد الأمين في قوله تعالى : ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [سورة التين / ٣] ، ومدح مسجد قباء في قوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز / ٢٠٦ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٨٤/١ .

(٣) المحرر الوجيز / ١٣١٠ .

فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿ [سورة التوبة / ١٠٨] ، وجامع الثناء والمدح لها في انها موضع سجود وخضوع لله عز وجل ، وهذا غاية المدح لها تضميناً لمدح من وجد فيها .

ومن الأماكن التي ورد الثناء بذكرها (الأرض المقدسة) في قوله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة / ٢١] ، "وسميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين" ^(١) .

ومن الألفاظ التي تدل على مقام العبودية مدحاً لأصحابها (المحراب) فهو "سيد المجالس ومقدمها وأشرفها وكذلك هو من المساجد" ^(٢) ، فهو موضع المجاهدة فقد سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى وقيل سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريياً من أشغال الدنيا ومن توزع الخواطر ... " ^(٣) ، لذا فقد ورد اقتران ذكره مع ذكر الأنبياء كما في قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [سورة آل عمران / ٣٩] ، أو مع ذكر الصالحين وهي مريم (عليها السلام) ، كما في قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [سورة آل عمران / ٣٧] ، فالمحراب "هو المكان الشريف المخصص لذوي الشرف والمكانة" ^(٤) ، فهو مدح مكاني للعبادة والعباد .

الثاني : مدح عام في الصفات أو ألفاظ التزكية كمدح الصفات في المحبة الإلهية لما لها من أثر عظيم في تزكية المخاطبين والمجاهدة العالية لأصحابها حتى نالوا هذا الثناء والتكريم من الله عز وجل فكانت سجية فيهم ، فقد وردت كلها بالأسلوب الخبري مرةً الابتدائي ومرةً المؤكد كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران / ١٤٦] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة / ٤] ، وجامع الصفات التي وردت مدحاً هي : (المحسنين - التوابين - المتطهرين - المتقين - الصابرين -

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٦١/١ .

(٢) مجاز القرآن : ٩١/١ .

(٣) المفردات / ١١٢ .

(٤) التطور الدلالي / ١٩٨ .

المتوكلين - المقسطين - المطهرين) وأغلبها وروداً (المحسنين - المتقين - المقسطين) ^(١) ، لأنها من الصفات التي تحتاج إلى توطيد النفس ومجاهدتها وتقديمها وردع الهوى ، والزيف عن الحق وهو "ما يدل على انه يخص بالفضل من يستحق المدح" ^(٢) ، لأن "الآيات القرآنية التي أثبتت حب الله للعباد تصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هي أمهات الأخلاق ومنابع الفضيلة النفيسة" ^(٣) ، ومنه انتقاء اللفظ مدحاً في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات / ٩] ، "أي العادلين المحقين" ^(٤) ، في سعيهم للإصلاح بين الناس وإقامة العدل على مقابل لفظ (القاسط) ذمماً ، في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [سورة الجن / ١٥] ، ومن تلك الألفاظ مدح (أولياء الله) عبرةً في الاقتداء بصفاتهم الإيمانية كما في قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس / ٦٢-٦٣] ، وكذلك المدح العام في تنوع الألفاظ الدالة على فضيلة العقل ومدح المعبرين والمفكرين بـ (أولي الالباب - أولي النهى - ذي حجر - أولي الابصار) فقد وردت "في معرض المدح والثناء وذلك لأنهم بلغوا مرتبةً عالية في النظر والتفكير والتذكر إلى آخر هذه الوظائف العقلية التي تعلق بصاحبها إلى أن يصير لبيباً" ^(٥) ، ولما لأصحاب العقول منزلة متميزة في إدراك عواقب الأمور جاء نداؤهم من الحق سبحانه وتعالى (يا أولي الالباب) تشريفاً وتكريماً فـ "ذو اللب هو صاحب الوعي والفكر الإيماني ولذلك أثنى القرآن عليه وهو أحد مصاديق هذا الوصف ولكنه ليس وحده فيه بل هناك غيره ممن خلق الله إلا أنه متميز من غيره يقوده وعيه العقلي" ^(٦) ، وهذا يؤول إلى مدح العاقبة في الآخرة كما في قوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٢٣٥ .

(٢) متشابه القرآن : ١٨٩/١ .

(٣) روح الدين الإسلامي / ١٤٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣١٦/١٦ .

(٥) القرآن والنظر العقلي ، فاطمة / ٧٣ ، الطبيعة البشرية في القرآن الكريم ، د. لطفى / ١٩ ، ٤٠ .

(٦) الألفاظ العقلية في القرآن الكريم ، روعة (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة

الموصل ، ١٩٩٦) / ٣٠ .

خَيْرٌ وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿ [سورة النحل / ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء / ٣١] ، قال ابن عاشور "والمعنى ندخلكم مكاناً كريماً أو ندخلكم دخولاً كريماً والكريم هو النفيس في نوعه .

فالمراد إما الجنة وإما الدخول إليها والمراد به الجنة" (١) . ومدح لعاقبة الطاعة لكل مؤمن في حسن الصحبة كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء / ٦٩] ف (حسن) "فعل مراد به المدح ملحق بنعم مضمن معنى التعجب من حسنهم .. لقصد المدح والتعجب" (٢) . وكذلك المدح تضميناً للأبرار — (كتاب الأبرار) في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة المطففين / ١٨-٢١] ، ومدح الحور العين في قوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [سورة الرحمن / ٥٦-٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن / ٧٠-٧٤] .

الثالث : مدح عام للجن الصالح منهم وذلك في موطن حسن استماع القرآن الكريم حتى الفراغ من قراءته وقيامهم بالدعوة إلى الإسلام ، كما في قوله تعالى : ﴿وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [سورة الاحقاف / ٣٠] ، فالإنصات من أمارات التدبر والفهم وهي من أخلاق حملة القرآن، وفي موضع آخر جاء مدح قولهم في استماع القرآن كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

(١) التحرير والتنوير : ١٠٤/٤ .

(٢) م . ن : ١٨٢/٤ .

عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَاْمَنَّا بِهِ وَكُنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿﴾ [سورة الجن / ١-٢] ، فقد قالوا (عجبا) لما بلغ من التأثير فيهم أي "بديعا مبينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة" (١) ، لذا أشر بالإيمان الصادق عندهم فقد "حصل لهؤلاء النفر من الجن شرف المعرفة بالله وصفاته وصدق رسوله ﷺ وصدق القرآن وما احتوى عليه ما سمعوه منه فصاروا من خيرة المخلوقات وأكرموا بالفوز في الحياة الدنيا" (٢) ، ومن بديع النظم نجد مدح العلم وتفضيله على مدح القوة في سياق طلب سليمان ﷺ من يحضر عرش بلقيس كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [سورة النمل / ٣٩-٤٠] ، ويمكن أن نقف عند بلاغية المدح العام في النماذج التحليلية الآتية :

بكرة - مقام إبراهيم ﷺ

قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران / ٩٦-٩٧] .

يبدأ سياق الآية بالمدح مكانياً عن أشرف المساجد في العبادة وأكرمها على الله عز وجل إذ كان لها السبق في التقديم "فهذا هو البيت الذي اختاره الله للمسلمين قبله هو بيت الله الذي جعل له هذه الكرامة وهو أول بيت أقيم في الأرض للعبادة .." (٣) ، ويمكن أن نقف عند النكت البلاغية الآتية :

الأولى : بلاغة التوكيد بـ (ان) وتخصيص المؤكد بلفظ (أول) تشريفاً وتكريماً على غيره من الأماكن ومقصود الزيارة إليه من كل مكان لذا جعله الأول أي "يخبر تعالى

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٣٣/٢ ، إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت / ١٥٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٢١/٢٩ .

(٣) في ظلال القرآن : ١٤/٢ .

ان أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده (للذي بيكة) .. " (١) ، وهو بيان لفضيلة الكعبة وحرمتها ، وجاء التوكيد لتقرير هذه الحقيقة وتوكيدها في نفوس المؤمنين بياناً لعظم هذا البيت عند الله عز وجل .

وخص لفظ المدح (بيت) دون غيرها من الألفاظ للدلالة على معنى البناء والجهد فيه تذكيراً بعهد الخليل عليه السلام وابنه في رفع القواعد ليقرر أمراً وبنه عليه وهو أهمية البناء الإنساني المتحقق في نسكه والبناء الإيماني المقصود من وجوده لإقامة شعائر الدين وتعظيماً له سماه (بيكة) وهي "من أسماء مكة على المشهور قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابة بمعنى انهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل لأن الناس يتباكون فيها أي يزدهمون" (٢) ، وهذا يناسب لفظ (الناس) عموماً وذلك لاختلاف الأزمنة على مر الأيام فإن الزائر للبيت من أجناس مختلفة في الأرض مع تنوع الأمصار والاماكن القادمين منها لذا قال (للناس) وفيه بلاغة التعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأجل الإيمان والاتباع (٣) .

الثانية : بلاغة الإيجاز بالحذف في قوله (للذي بيكة) "أي للبيت الذي بيكة أي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم مالا يخفى" (٤) ، وكذلك بلاغة العدول عن الاسم المشهور "وهو الكعبة إلى تعريفه بالموصولية بانه (للذي بيكة) لأن هذه الصلة صارت أشهر في تعيينه عند السامعين لذا ليس في مكة يومئذ بيت للعبادة غيره بخلاف اسم الكعبة" (٥) ، وكلا الاسمين دال على الثناء المكاني التشريفي "وسبب إيرادها بالباء في آل عمران ان الآية في سياق الحج .. فجاء بالاسم (بيكة) من لفظ (البك) الدالة على الزحام

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٠/١ ، الأنبياء في العراق ، د. رعد شمس الدين الكيلاني / ٢٢٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٩١/١ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٣/٤ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٥/٢ ، من أسرار الأسماء في القرآن الكريم / ٧٧ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٤/٤ .

لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أي يزحم بعضهم بعضاً" (١) .

الثالث : بلاغة التفصيل مدحاً في كونه (مباركاً - الهدى - الآيات البيّنات) فقال (مباركاً) فهو كثير الخير وسبب للرحمة والمغفرة لمن حجه أو اعتمر إليه لتضاعف العمل فيه فقد جعلت البركة فيه دلالةً على كثرة الخير والنفع لمن قصده (٢) ، لذا أورد نكرة تفيد التعظيم والتفخيم (٣) ، ثم عطف (وهدي) مع بيانه (للعالمين) أي عموماً لأنه مصدر الهداية والنور للعالم كله "وجعله هدى للعالمين كلهم لأن شهرته وتسامع الناس به يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه ، وانه لتوحيد الله وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهندي بذلك المهتدي ويرعوي المتشكك" (٤) ، وفي السياق نكتةً بلاغيةً أخرى "لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته" (٥) .

الرابعة : بلاغة التقديم والتأخير تعاضدها بلاغة الإضمار (فيه آيات بينات) وخص منها تصريحاً (مقام إبراهيم) عليه السلام ، وهو مدح مكاني ايضاً يعاضد المدح المكاني لمكة لما خصها الله عز وجل وحباها بالدلائل على الوحدانية فهو "استئناف ثناء على هذا البيت بما خص به من المناقب والمزايا فغير الأسلوب للاهتمام - لأن مباركاً وهدي وصفان ذاتيان له.. " (٦) ، فجمع النظم إليهما مدحاً (المقام - الأمان) "لأن فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة" (٧) ، وهي تدرك بالحواس مما يزيد البيت تعظيماً في قلوب السامعين لما فيه من العلامات الواضحات التي "تدل على شرفه وفضله على سائر المساجد منها (مقام إبراهيم)" (٨) ، دلائل الحنفية

(١) التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي / ١٥٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٣٨/٤ .

(٣) في جمالية الكلمة ، د. حسين / ٧٣ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٦/٤ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٦-٥/٢ .

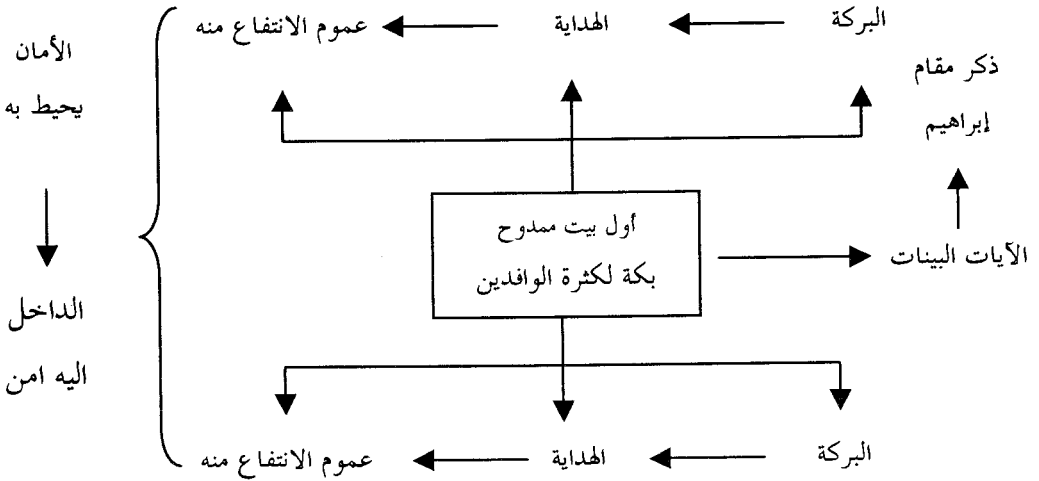
(٦) التحرير والتنوير : ١٦/٤ .

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧١/١ .

(٨) صفوة التفاسير : ١٨٢/١ .

الفصل الثاني / بلاغية مدح الشخصيات

وهو من ذكر الخاص بعد العام "باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالة على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم عليه السلام كقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل / ١٢٠] أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة" ^(١) ، وكذلك بلاغة الوصل في دخوله آمناً فهو "عطف على مزايا البيت وفوائده من الأمن فيه على العموم وامتنان بما تقرر في ماضي العصور فهو خبر لفظاً مستعمل في الامتنان" ^(٢) ، ثم ختم الآية تأكيداً لحرمة ومكانته بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) "فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيداً لحقه وتعظيماً لحركته" ^(٣) ، وغلظ على من جحدته بقوله (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) والآية الكريمة رسمت موضع البيت كما هو مبين في المدح البياني الآتي :



(١) تفسير أبي السعود : ٦/٢ ، روح المعاني : ٣٠٤/٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٨/٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٤٢/٤ .

أولياء الله

قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة يونس / ٦٢-٦٤] .

ومن ألفاظ المدح عموماً من خصهم الله عز وجل بفضله وكرمه وجعل لهم المنزلة العظيمة لما فيهم من صفات المجاهدة والترقي إلى منزلة الولاية القرآنية في الصفات الإيمانية وكفى مدحاً ان المادح لهم هو الله عز وجل فهي تزكية عظيمة لهم وغاية المدح كما ورد في الاضافة التكريمية (أولياء الله) ويمكن أن نجد معاني الشناء والمدح في (أربع) نكت بلاغية :

الأولى : براعة المطلع في التنبيه (ألا) والتوكيد (ان) فقد "صدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها.."^(١) ، وهو من الأسلوب الخبري الإنكاري وجاء به لتقوية قلوب أولياء الله الصادقين وتثبيتهم على الإيمان وبيان حسن عاقبتهم فالإنكار بعيد عمّن اصطفاهم الله عز وجل ، ثم جاء بالمدح التصريحي دون ضمير الخطاب (أوليائي) لأنه "يؤذن بان المخاطبين قد تحقق لهم انهم من أولياء الله مع إفادة حكم عام شملهم وشمل من يأتي على طريقته"^(٢) ، لذا جاء بمطلعها بـ (ألا) التي "تفيد تحقق ما بعدها .. والآية تؤكد ان الذين اتخذوا الله ولياً أو والا هم الله سبحانه وتعالى بعيدون عن ان ينالهم خوف أو حزن"^(٣) ، ومن عظمة المضاف إليه المصرح به (الله) في التعبير القرآني نجد معاني المدح للأولياء تترشح في نكتة بلاغية "وهي الولاية الكاملة التي يتحقق منها إحسانه وتفضيله بالكرامة والرضا في الدنيا والآخرة"^(٤) .

(١) تفسير أبي السعود : ٢٥٤/٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢١٦/١١ .

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها ، علم المعاني ، د. فضل حسن عباس / ١١٧ ، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين ، هادي / ٤٢ .

(٤) المضاف إلى لفظ الجلالة الله في القرآن الكريم ، لقاء (رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩) / ٢٧ .

الثانية : قوله تعالى : (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومن الكرامة لهم نفي الخوف والحزن عنهم وهو يبين المدح التكاملية لهم فيما يدور في خلجات نفوسهم من التفكير ومحاسبة النفس لأن الخوف يكون على ما سيقع في المستقبل "أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة" ^(١) ، والحزن يكون على ما مضى لفوات مأمول يرتجى أي "على دنياهم لتعويض الله إياهم في أولاهم وأخراهم لأنه وليهم ومولاهم" ^(٢) ، ولما كان الخوف قد غلبهم فيما سيؤول إليه مصيرهم وكأنه حال ملازم له جاء بالجملة الاسمية المنفية وذلك "لما كان ما يخاف منه من شأنه ان يحزن من يصيبه كان نفي الحزن عنهم مؤكداً لمعنى نفي خوف خائف عليهم" ^(٣) ، وكفى به ثناء عظيم ثم عطف عليه (ولاهم يحزنون) في بلاغة "إيراد الفعل بعده مسنداً مفيداً تقوي الحكم لأن الحزن هو انكسار النفس من أثر حصول المكروه عندها فهي لا توجد حقيقته إلا بعد حصوله والخوف يكون قبل حصوله .." ^(٤) ، وفيه نكتة بلاغية وهي ان "المراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما .." ^(٥) .

الثالثة : قوله تعالى : (الذين آمنوا وكانوا يتقون) جاء بلاغة الفصل على ترتيب السؤال "وهو بيان وتفسير لهم وإشارة إلى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال" ^(٦) ، وجمع لهم خير الصفات النابعة منها الأخلاق العالية لأن الإيمان "ما وقر في القلب وصدقه العمل والعمل هو تنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه .." ^(٧) ، وهو جامع أمر التقوى في الأمر بالطاعات واجتناب المنكرات لذا قدم الإيمان وعطف التقوى عليها وهو ملاك أمر الولاية الجامع للثناء عليهم أي "انه وصف

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٢٠/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٧/٨ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢١٨/١١ .

(٤) م . ن : ٢١٧/١١ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٢٥٤/٣ .

(٦) تفسير أبي السعود : ٢٥٥/٣ .

(٧) في ظلال القرآن : ٤٥٠/٤ ، صفوة التفاسير : ٥٠٠/١ .

مادح للأولياء" ^(١) ، ونجد نكتة بلاغية في إيراد الإيمان بالفعل الماضي (آمنوا) والتقوى بالفعل المضارع (يتقون) ، لأن الإيمان هبة الله عز وجل لعباده لصدق نيتهم وصفاء سريرتهم وبواطنهم في الحق ، وإذا دعى باعث العمل والإيمان للطاعة أمروا وامثلوا وإذا رأوا المنكر ردعوا ونهوا عنه وهم يتقون بذلك لذا خصهم الله عز وجل بالبشرى في أسلوب التقديم والتأخير بقوله (لهم البشرى) في الدارين بالرؤية الصالحة في الدنيا والكرامة في الجنة في الآخرة ^(٢) ، وهو مدح لحسن عاقبة الأولياء يعاضده بلاغة المقابلة بين (الجزن - البشرى) و (الدنيا - الآخرة) ، في كمال الاطمئنان إلى وعد الله عز وجل لهم ولمن اتصف بصفاتهم .

الرابعة : لم عقب بعد نفي الخوف والجزن بقوله (لهم البشرى) ؟ وذلك لنكتة بلاغية وهي مناسبة السياق "وتقديم الأول لما ان التخلية سابقة على التخلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن مآل المؤمنين وسوء حال المفترين .. لإظهار كمال العناية بالأولياء.. " ^(٣) ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

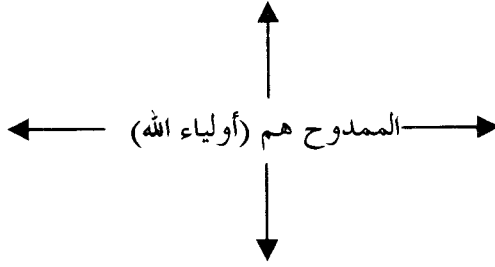
(١) تفسير أبي السعود : ٢٥٥/٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٢١/٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٤٠/١ .

(٣) تفسير أبي السعود : ٢٥٦/٣ .

المدح الأعلى لأنه كلام الحق بالبشرى لهم

الأمان في نفي
الخوف فيما
سيقع



الأمان في نفي الحزن
على ما مضى

مدح لهم بالاستقامة يرشح

ذكر الصفات التي أهلتهم للمدح وهي

ثبات الإيمان بلفظ (آمنوا) يتبعه تجدد التقوى بلفظ (يتقون)

فهو مدح تكاملي تكاملت فيه صورة المدح والثناء

المدح الذاتي

قال تعالى: ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ...﴾ [سورة النمل / ٣٩-٤٠].

جاء هذا الجواب بعد العرض الذي دعا إليه سليمان عليه السلام فيمن يقدر على أن يأتي بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين قبل ان تأتي هي ليكون سبباً في دعوتها إلى الإيمان بالله عز وجل ، فجاء التنافس في المدح الذاتي بين (القوة والعلم) وفضل العلم

ويمكن أن نتأمل أسرار التعبير القرآني في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : بلاغة الإظهار في القائل (قال عفریت من الجن) ، قال ابن قتيبة "أي شديد وثيق وأصله (عفر) زيدت التاء فيه .." (١) ، وذكر ابن فارس معاني (عفر) ومنها ما يدل على الشدة والقوة (٢) ، وهو يناسب السياق تمهيداً لما بعده في بيان قوته وقدرته في الأمور الخارقة وذلك لإتيان عرش ملكة سبأ بشرط ان لا يقوم سليمان عليه السلام من مجلس حكمه لأنه كان يجلس إلى نصف النهار (٣) ، بقوله (قبل ان تقوم من مقامك) للوصول إلى المدح الذاتي في تقرير الأمر وتوكيده في قوله (واني عليه لقوي أمين) تحقيقاً وتوكيداً لفعله وانه على حمله مقتدر لقوته الظاهرة "والقوة صفة تصدر عنها الأفعال الشاقة ويطبقها من قامت به لتحمل الأجرام العظيمة لذا اختير قوي على قادر هنا" (٤) ، فاللفظ يوحي بما فيه من القدرة العظيمة التي دفعته إلى التقدم في إجابة سليمان عليه السلام ثم بين هذه القوة مدحاً بـ (أمين) التي تدل على المبالغة لما فيه من الجواهر التي يؤتمن عليها في إيصاله كاملاً (٥) ، بما مكنته الله عز وجل وهذا يناسب عظم العرش وما فيه لذا خصه بصيغة المبالغة في القوة والأمانة .

الثانية : قوله تعالى : (قال الذي عنده علم من الكتاب) ومن هنا نجد المدح القرآني فيما آتاه الله عز وجل من فضله وهو العلم "وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود" (٦) ، الذي يكشف عن المكانة والمنزلة التي تبرز المدح الذاتي ، وقد ذكر القرطبي نكتة مدحه بصفة الصديقية وإجابة الدعاء فقال "وكان صديقاً بحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به اعطي وإذا دعي به أجاب" (٧) ، وهو يدل على شرف العلم الذي عنده والحكمة التي ينطق بها ، فمن قوله "نفهم انه رجل مؤمن على اتصال بالله

(١) غريب القرآن / ٣٢٤ .

(٢) مقاييس اللغة : ٦٥/٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٤/١٣ .

(٤) روح المعاني : ٢٦٥/١٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٨/٣ .

(٦) تفسير أبي السعود : ٨٥/٥ .

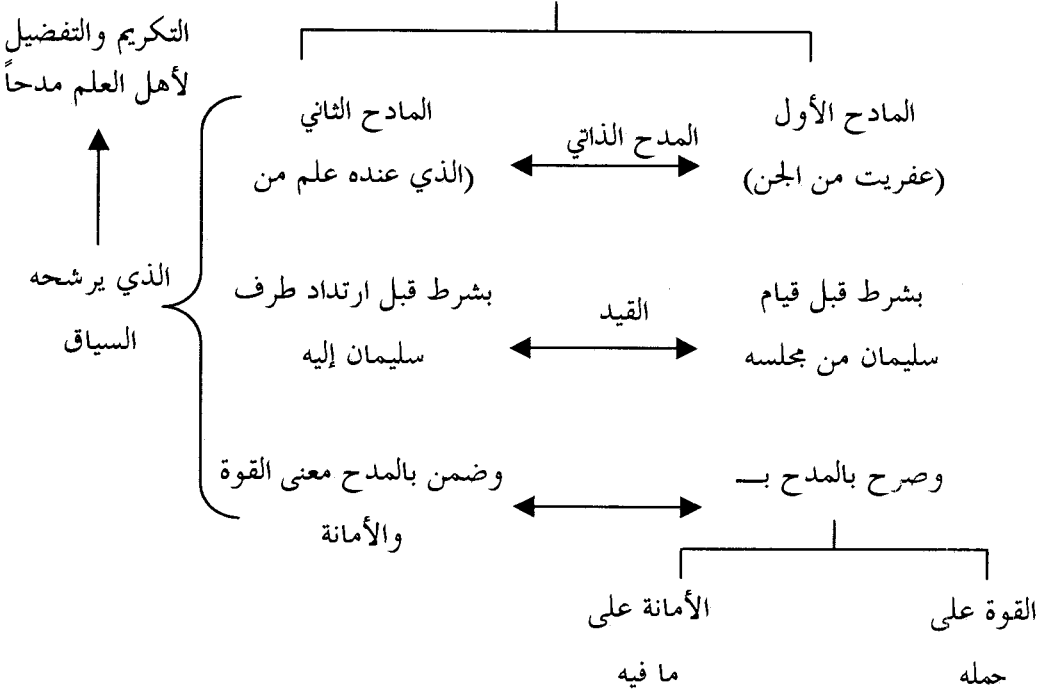
(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٤/١٣ ، صفوة التفاسير : ٣٥٣/٢ .

موهوب سرّاً من الله يستمد به القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد" ^(١) ، وكل هذه الصفات تكميلية في الشخصية القرآنية ، ثم جاء المدح الذاتي أثر هذا المدح بقوله (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) لبيان القدرة على إتيانه قبل ارتداد الطرف "والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية الإسراع ومثل به" ^(٢) ، وبين ابن عاشور بلاغة الاستعارة فيه لأن "ارتداد الطرف حقيقته رجوع تحديق العين من جهة منظورة تحول عنها لحظة، وعبر عنه بالارتداد لأنهم يعبرون عن النظر بإرسال الطرف وإرسال النظر فكان الارتداد إستعارة مبنية على ذلك" ^(٣) .

الثالثة : لم لم يؤكد مقول القول مع ارتداد الطرف كما اكد في الأول بـ (اني) ؟ وذلك لنكتة بلاغية وهي انه "لما لم يكن هذا الوعد وانجازه مدة كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوي عند الحكاية ذكر الإتيان به للإيدان بانه أمر متحقق غني عن الإخبار به" ^(٤) ، وهذا يؤول إلى حكمة تعليمية ودروس قرآنية بليغة ففي "هذه المناظرة بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يأتي بالحكمة والعلم مالا يأتي بالقوة وان الحكمة مكتسبة ... " ^(٥) ، وفي كلا السياقين نجد بلاغة "تقديم المسند إليه على خبره الفعلي ما يأتي دالاً على الوعد والضمأن" ^(٦) ، ليكون أوقع عند المخاطب في قوله (أنا آتيك به) ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

- (١) في ظلال القرآن : ٢٧٤/٦ .
- (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٧/٢ .
- (٣) التحرير والتنوير : ٢٧٨/١٩ .
- (٤) تفسير أبي السعود : ٨٦-٨٥/٥ .
- (٥) التحرير والتنوير : ٢٧٨/١٩ .
- (٦) التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد العامري / ٧٠ .

السياق في سؤال سليمان عليه السلام من يحضر
عرش ملكة سبأ



كتاب الأبرار

قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [سورة المطففين / ١٨-٢٢] .

وردت الآيات في سياق الثناء والتكريم بعد ان ذكرت مصير كتاب الفجار لتحقق بلاغة المقابلة في مدح الأبرار "وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين" ^(١) ، اقراراً لمبدأ الوعد للأبرار والوعيد للفجار ومنها يمكن أن يرشح السياق (أربع) نكت بلاغية :

الأولى : قوله (ان كتاب الأبرار) مدح لهم تمثل في التقرير والتحقيق بالتوكيد — (ان) و (اللام) إذ يوحي بأهمية الأمر المؤكد تنبيهاً للمخاطبين على ما سترتب بعده ، ثم قال (كتاب الأبرار) رفعة لهم وبياناً لمنزلة كتابهم على غيرهم فقد رشح مطلع الآية الافتتاح — (كلا) فهي "ردع وزجر أي ليس الأمر كما يزعمون من مساواة الفجار بالأبرار بل كتابكم في سجين وكتاب الأبرار في عليين" ^(٢) ، ومن صفة المضاف إليه (الأبرار) نجد بلاغة المدح للممدوح فاذا كان كتابهم في عليين فكيف بهم ؟ وعليون "علم لديوان الخير الذي دون في كل ما علمته الملائكة وصلحاء الثقلين .. سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة واما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً" ^(٣) ، وله بلاغته في مدح صفاتهم في علو النية ومكانة العمل الصالح في رضى الله عز وجل حتى جاء الجزء من جنس العمل فهو "مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم" ^(٤) ، فقد أصبح عنوان حياتهم وسعادتهم في الآخرة تمثل في دقة اللفظ في النظم القرآني (عليون) فقد "اشتق هذا الاسم من العلو وهو علو اعتباري أي رفعة في مراتب الشرف والفضل وصيغ على صيغة جمع المذكر لأنه أصل تلك الصيغة ان تجمع بها أسماء العقلاء وصفاتهم فاستكمل له صيغة جمع العقلاء المذكور

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤/٤٧٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ٥٧٨/٢ .

(٢) صفوة التفاسير : ٣/٤٧١ .

(٣) تفسير أبي السعود : ٦/٣٩٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٩/٢٦٢ .

تماماً لشرف المعنى باستعارة العلو وشرف النوع باعطائه صيغة التذكير^(١).

الثانية : المدح والثناء في أسلوب الاستفهام (وما أدراك ما عليون) في خطاب النبي ﷺ لبيان مكانتهم ومنزلتهم العالية "على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة"^(٢) ، وخص لفظ (وما أدراك) لأنه أمر غيب وفيه تشويق للمخاطبين للتطلع إلى معرفته "فهو أمر فوق العلم والإدراك"^(٣) ، ولنكتة أسلوبية أخرى وهي ان "الدراية اخص من المعرفة والخاصة البيانية لهذا الأسلوب (وما أدراك) استعماله فيما يجاوز دراية المسؤول إما لجلال الأمر وعظمه ... وإما لكونه من الغيب المتعلق بالمصير في اليوم الآخر يتجاوز دراية البشر ويعيهم إدراكه وتمثله كآيات... ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [سورة الحاقة / ١-٣] .. ﴿إِنْ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُونَ﴾ [سورة المطففين / ١٨] .."^(٤) ، إلا أن الحق سبحانه وتعالى بين ذلك في الجواب لتقرير حقيقتين جمعهما بقوله (كتاب مرقوم) و (يشهده المقربون) .

الثالثة : تقرير حقيقة كتاب الأبرار ثناءً على الأبرار ومدحاً لهم لأن كتابهم مرقوم وعدل عن الإضمار لإظهار مكانته وتأكيداً على أمره وشأنه فهو المرقوم أي "المكتوب كتابة بينة تشبه الرقم في الثوب المنسوج وهذا الوصف يفيد تأكيد ما يفيد لفظ الكتاب"^(٥) ، أي مكتوب فيه أعمالهم الصالحة والخيرية والنورانية التي أهلتهم لهذه المكانة التي يشهدها المقربون من الملائكة فهم "يشهدون هذا الكتاب ويرونه وتقرير هذه الحقيقة يلقي ظلاً كريماً طاهراً ربيعاً على كتاب الأبرار فهو موضع مشاهدة المقربين من الملائكة ومتعتهم بما فيه من كرائم الأفعال والصفات وهذا ظل كريم شفيف يذكر بقصد التكريم"^(٦) . فهو ثناء لهم وتكريم عظيم في شهادة الملائكة على أعمالهم ولولا

(١) التحرير والتنوير : ٢٠٣/٣٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٣/١٩ .

(٣) في ظلال القرآن : ٥٠٦/٨ .

(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة بنت الشاطي : ١٧٨-١٧٩ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٩٦/٣٠ .

(٦) في ظلال القرآن : ٥٠٦/٨ .

فضيلة الأعمال المزكاة ما كانت أهلاً لرؤية الملائكة "وهو إعلان تنويه بصاحبه كما يعلن عن أسماء النابغين في التعلم وأسماء الأبطال في الكتائب" ^(١) ، وذكر الألووسي ان في السياق نكتة الكناية بقوله "وحضوره كناية عن حفظه في الخارج ويشهدون بما فيه يوم القيامة" ^(٢) .

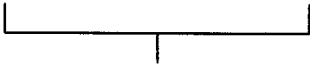
الرابعة : النكتة البلاغية في المدح الأعلى للأبرار بعد ذكر كتابهم فقد استكمل المدح والثناء عليهم فلم ذكر (يشهده المقربون) ؟ لأن ذلك الأمر يخص الأبرار فذكر (الشهادة) لأنهم شهدوا على أنفسهم بالحق وإقامة الحق طاعةً لله عز وجل في أعمال الخير والبر والمعروف وهذه الأعمال الصالحة تقربوا من أجل رضى الله عز وجل وكانوا أهلاً للقرب والمحبة واطلاع الملائكة على أعمالهم فكان الجزاء بالشهادة للملأ الأعلى لهم من جنس عملهم ونيتهم لذا أكد ذلك بقوله (ان الأبرار لفي نعيم) في المدح الجامع لكل ذلك ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط المتمثل في المدح التصاعدي لهم :

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٤/٣٠ .

(٢) روح المعاني : ٣٩٤/١٥ .

(يشهده المقربون)

(كتاب مرقوم)



جاء الجواب لبيان ذلك في



السؤال (وما أدراك) لكمال
تشريف والفضل من الله

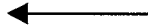


(لفي عليين) لكمال رفعة
الممدوح والدرجة العليا



مدح المنزلة والمكانة لبيان
ذلك

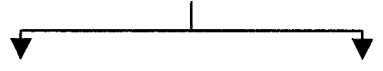
يكشف عن



المادح هو الله عز وجل



المختص بالمدح



تصريحاً بمدح
كتاب الأبرار

ضمناً بمدح
الأبرار

مدح الخلة

قال تعالى : ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف

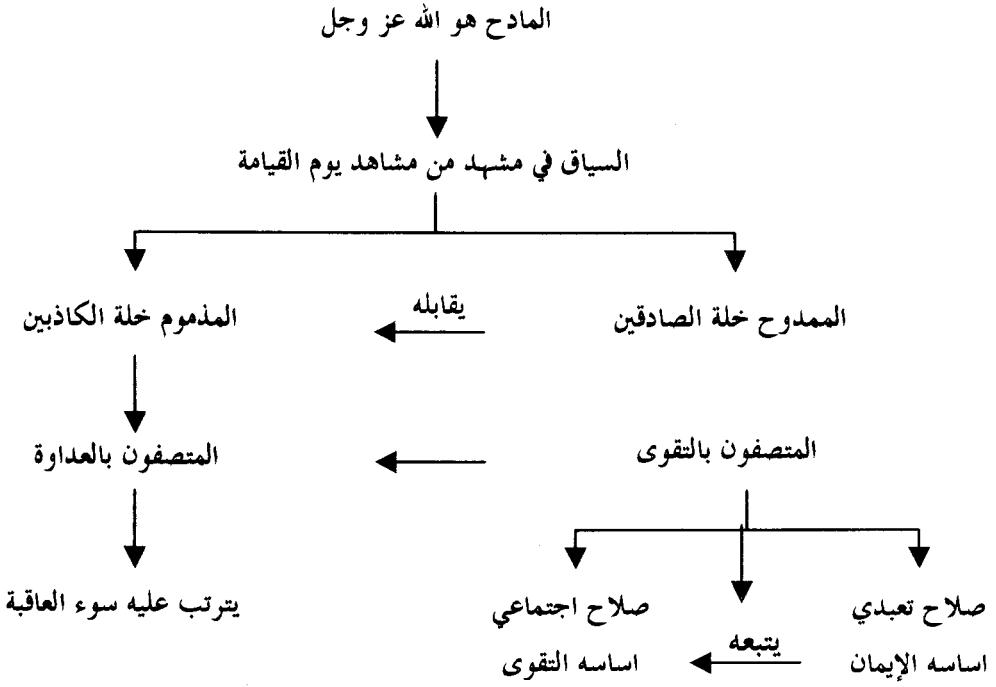
. [٦٧ /

في مشهد من مشاهد يوم القيامة تنقطع العلاقات والروابط إلا ما كان خالصاً لله عز وجل بل تتحول إلى عداوة ، ومن بين الناجين من كانت خلتهم صادقة لله عز وجل فقد افتتحت الآية بالأسلوب الخبري الابتدائي (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) لبيان فضل الصداقة التي تبني على أساس التقوى ولكونها حقيقة لاشك فيها لم يؤكد الكلام "أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتاً إلا خلة المتصادقين لله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله" ^(١) ، ومما يرشح مدح خلة الصادقين المتقين عداء الأخلاء الذي "ينبع من معين ودادهم لقد كانوا في الحياة الدنيا يجتمعون على الشر ويملي بعضهم لبعض في الضلال فالיום يتلاومون واليوم يلقي بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر واليوم ينقلبون إلى خصوم يتلاومون من حيث كانوا أخلاء يتناجون" ^(٢) ، وجاء الاستثناء القرآني في بيان فضل الأخلاء المتقين في المدح العام لأن "الآية عامة في كل مؤمن ومتق وكافر ومضل" ^(٣) ، فهي تبين الوعد للمؤمنين في خلتهم لله عز وجل ووعيد الأخلاء الذين جمعهم الدنيا وفرقتهم الدنيا فهو بيان عام لعاقبة الصحبة والمودة ، بين الناس ونجاة المتقين ترغيباً في خصلة التقوى التي هي أساس صلاح كل عمل وتقويمه ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

(١) الكشاف : ١٦٦/٤-١٦٧ تفسير القرآن العظيم : ١٢٩/٤ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣٥٠/٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٠٩/١٦ .



الهور العين

قال تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [سورة الرحمن / ٥٦-٥٨] .

قال تعالى : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن / ٧٠-٧٤] .

أعد الله عز وجل لعباده الصالحين دار المقامة فضلاً منه وتكرماً وأعد فيها من النعيم الكثير وقد فصل القرآن في ذكرها ومنها نساء الجنة وهم الحور العين ، وقد أثنى القرآن عليهن بصفات التكريم ويمكن أن نجدها في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : بلاغة أسلوب القصر بقوله (فيهن قاصرات الطرف) وهي من الصفات التي تمتدح بها المرأة ان تكون قاصرة الطرف فهي تومئ إلى العفة والحياة "فهن عفيفات الشعور والنظر لا يمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن مصونات لم يمسهن إنس ولا جان" (١) ، ومن البديع ان "يعبر البيان القرآني بالكلمة والكلمتين عن الجمال الشكلي وجمال المضمون الخلقى ومنه قوله تعالى : (فيهن قاصرات الطرف) فعبّر بهاتين الكلمتين عن عفافهن وشرفهن.." (٢) .

ومن بلاغة المدح في النظم القرآني إيجاز حذف الموصوف فقاصرات "صفة لموصوف محذوف تقديره نساء وشاع المدح بهذا الوصف في الكلام حتى نزل منزلة الاسم" (٣) ، وبعد هذا الثناء أعقبه ببيان انهن أبقار بقوله (لم يطمئنن إنس قبلهم ولا جان) وهو "تتميم واحتراس وهو إطناب دعا إليه ان الجنة دار ثواب لصالحى الإنس والجن فلما ذكر (الإنس) نشأ توهم ان يمسهن جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس" (٤) ، وجعلها

(١) في ظلال القرآن : ٦٨٨/٧ ، من قراءة في سورة الرحمن ، د. إبراهيم السامرائي (مجلة الحكمة ، تصدر في لندن ، العدد ١٦ ، ١٤١٩هـ) / ٣٠٣ .

(٢) جماليات المفردة القرآنية / ٢٧٨ ، دراسات قرآنية ، عبد المتعال الصعيدي / ٨٥ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٦٩/٢٧ ، الحذف والإضمار في العربية / ١٢٧ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٧١/٢٧ .

من النعم والآلاء التي تستحق الذكر والشكر لعظمها ثم أعقبه "ينعتن بالخطاب (كأنهن الياقوت والمرجان) في صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان هنا اللؤلؤ" (١) ، فهو مدح لمن في صفاء وبياض بشرتهن فهن ناضرات أي "مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة والمرجان أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره" (٢) ، فبعد المدح المعنوي في قصر الطرف بالحياء والعفة أعقبه بالمدح الحسي في جمالهن وحسن التشبيه لمن .

الثانية : مدح نساء الجنة في الجنتين الأخرتين بقوله (فيهن خيرات حسان) في بلاغة التقديم والتأخير تخصيصاً لمن بهذا الثناء والمدح فهو "صفة لمحدوف يناسب صيغة الوصف أي نساء خيرات .. ومعنى (خيرات) انهن فاضلات النفس كرائم الأخلاق" (٣) ، فهو مدح لما فيهن من الخير وهن في دار السلام - الجنة - دار الكرامة والتفضيل "فالخيرات ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار آدميين" (٤) ، بياناً لما حباهم الله به على نساء أهل الدنيا ، ثم زاد لهم في المدح بقوله (حسان) فهن حسان الخلق والخلق فهن نساء صالحات حسان الوجوه (٥) ، وهي من الصفات المحمودة في النساء لكن هذا المدح لا يصل إلى درجة المدح لمن وصفهن الله عز وجل تشبيهاً بالمرجان والياقوت في بيان فضل كل النساء في الآخرة لأنه غاية الحسن والجمال فالمدح هناك أبلغ .

الثالثة : المقابلة في مدح نساء الجنة بقوله (حور مقصورات في الخيام) "وهناك قال (فيهن قاصرات الطرف) ولا شك ان التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وان كان الجميع مخدرات" (٦) ، إلا أن قاصرات الطرف زادهن في الثناء والوصف

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٧٠/٤ .

(٢) تفسير أبي السعود : ١٨٢/٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٧٣/٢٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٨٧/١٧ ، نظرات في سورة الرحمن ، عبد الكريم الخطيب / ١١٣ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥٦/٢ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٢٧٢/٤ ، التعبير القرآني / ١٩٣ .

بقوله (كأنهن الياقوت والمرجان) ، وقوله (حور) مدح لجمالهن وبشرتهن " وهي التي في عينها حور أي شدة بياض بياض العين وشدته سواد سوادها ولا يقال حوراء إلا للبيضاء مع حورها" (١) ، وهو مما توصف به النساء (مقصورات) أي "لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن قد قصرن في خدورهن في خيام اللؤلؤ" (٢) ، تكريماً لهن وتشريفاً وجاء ببلاغة المدح تشبيهاً، قال الجرجاني: "فإن كان مدحاً كان أهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للألف وأجلب للفرح وأغلب على الممدح .. وأولى بان تعلقه القلوب وأجدر" (٣) ، ثم قال (لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان) وهو من بلاغة التكرار في اشتراك نساء اللجنة القاصرات الطرف مع المقصورات في الخيام هذه الصفة التكريمية جزاءً للمؤمنين والصالحين ويمكن أن نجد ذلك في المخطط الآتي :

(١) اتفاق المباني وافتراق المعاني ، الدقيقي / ٢٣٨ - ٢٣٩ .

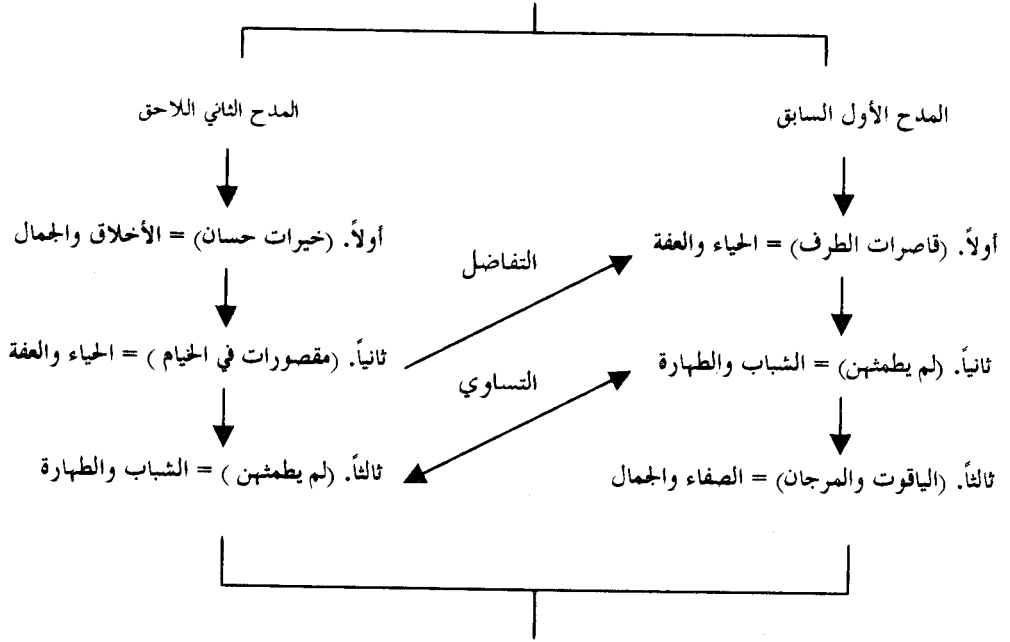
(٢) صفوة التفاسير : ٢٦١/٣ .

(٣) أسرار البلاغة / ٩٣ .

المادح هو الله عز وجل

سياق المدح لنساء الآخرة

تمثل في المقابلة التي تكشف عن



مدح تكاملي جمع المدح الشكلي والمدح المضموني هن

ويمكن أن نلاحظ أساليب المدح العام في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٢-٤]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
التوكيد إيجاز بالحذف مع العدول النكرة الوصل الفصل التقديم والتأخير الإضمار ذكر الخاص بعد العام الإضمار	(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ لِّلَّذِي بُكِّئَ) (مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)	١
التوكيد الإظهار الفصل والوصل التقديم اللفظي الإطناب التقديم اللفظي التقديم والتأخير الطباق	(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ) (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ) (لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (لَهُمُ الْبُشْرَى) (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)	٢
الإظهار الإسناد	(قَالَ عَفْرَيْتُ) (أَنَا آتِيكَ بِهِ)	٣

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
التوكيد المبالغة النكرة الإسناد الاستعارة	(وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ) (أَنَا آتِيكَ بِهِ) (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)	
التوكيد الإظهار الاستفهام الاستعارة الكناية التقديم التوكيد مع الإظهار	(إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ) (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ) (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)	٤
الأسلوب الخبري الابتدائي حسن الختام	(الْأَخْلَاءُ يُومِنُدْ بَعْضُهُمْ) (إِلَّا الْمُتَّقِينَ)	٥
التقديم والتأخير إيجاز بالحذف الاحتراس الوصل التشبيه التقديم والتأخير	(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) (لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِمْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) (لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِمْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ)	٦

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
إيجاز بالحذف الفصل التكرار مع الوصل	(فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) (لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)	



الفصل الثالث

بلاغية الذم العقائدي

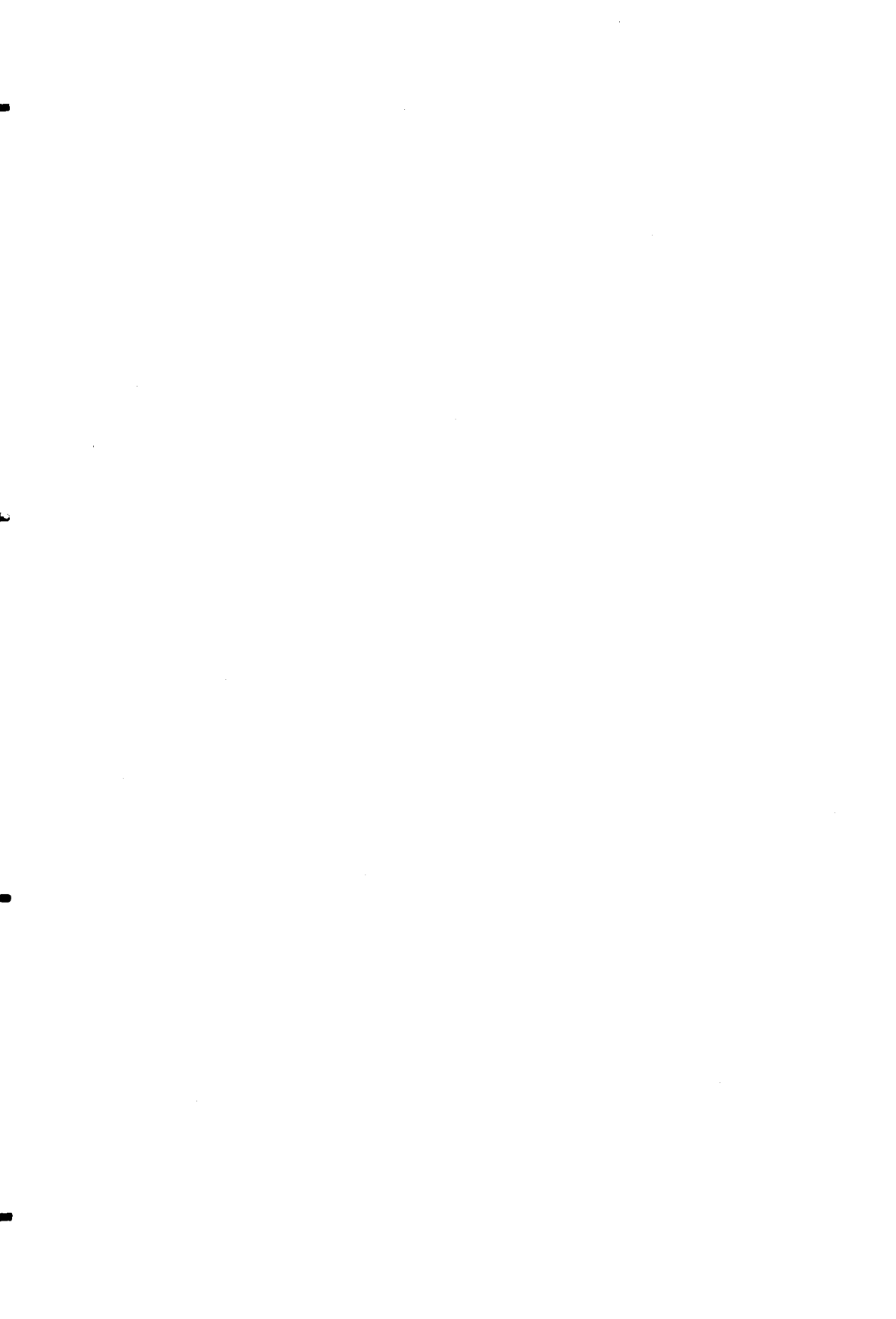
توطئة <

المبحث الأول : أساليب ذم الكفار والمشركين <

المبحث الثاني : أساليب ذم المنافقين <

المبحث الثالث : أساليب ذم أهل الكتاب <





توطئة

من بديع النظم القرآني الموازنة في المقابلة بعد ان مدح المؤمنين بصفاتهم تميزاً لمن خلق الله عز وجل وأكرمه بالعقل والإدراك فنالوا شرف الثناء والذكر لفضيلة الإيمان والمعتقد بالله عز وجل جاء كذلك الذم لغيرهم ممن لم ينتفعوا بعقولهم فاتخذوا من دون الله الهةً تعبد على معتقدات فاسدة وباطلة والذي يتبعه الانحراف الفطري في السلوك والتصرف فينشأ الذم العقائدي ، وأصل معنى (العقد) الجمع بين الأشياء ، قال الأصبهاني "العقد الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما" (١) ، ومنه ما يرتبط به المؤمن مع خالقه عز وجل بالعبادات والمعاملات الذي يجمع كل خلة حميدة حسنة ، ويرتبط غيره مع الأصنام والأوثان في عبادته الذي يجمع كل خلة مشينة سيئة "هذا قد يكون مؤشراً على أن الذم قائم على أساس الانحراف في المنهج الذي اعتمد عليه الكفار" (٢) ، وكان أشد الناس عداوةً للدعوة الإسلامية هم الكفار والمشركون في مكة والمنافقين وأهل الكتاب في المدينة لذا جعلناهم مدار الذم العقائدي في (ثلاث) مباحث :

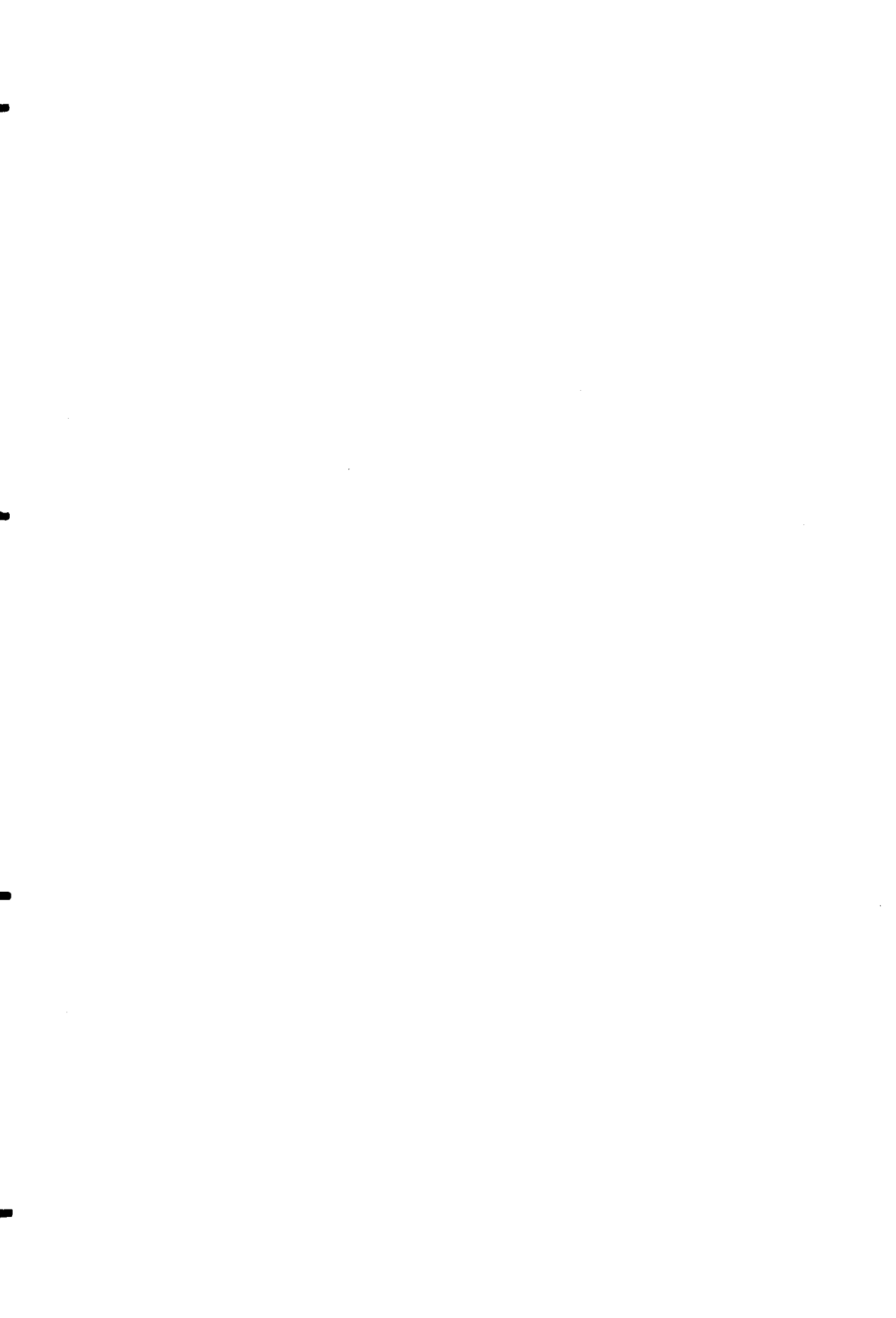
المبحث الأول : أساليب ذم الكفار والمشركون .

المبحث الثاني : أساليب ذم المنافقين .

المبحث الثالث : أساليب ذم أهل الكتاب .

(١) المفردات / ٣٤١ .

(٢) التفكير بين الانحياد والانحياز ، علوي / ٤ .



المبحث الأول

أساليب ذم الكفار والمشركين

ذم الكفار

فالكفر في اللغة يعني الستر والتغطية ومنه الماء إذا غطى ما فيه فهو نهر كافر أو بحر كافر^(١) ، ومنه "وصف الليل بالكافر لستره الأشخاص والزراع لستره البذر في الأرض.." ^(٢) ، وله دلالاته في القرآن الكريم كمصطلح من مصطلحات العقيدة فهو "الذي لا يؤمن بآيات ربه ولا يشكر نعمته يكون كمن سترها وغطاها فلا يراها هو ولا يريد ان يراها أحد" ^(٣) ، وقد ورد لفظ (الكفر) في القرآن الكريم على (أربعة) وجوه :

الأول : الكفر بالله كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة / ٦] .

الثاني : الكفر بمعنى الجحود كقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة / ٨٩] ، وهم يعرفونه ومنه قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران / ٩٧] ، يعني من كفر بالحج إلى البيت ولم يقر بان الحج واجب فقد جحده .

الثالث : الكفر كفر النعمة كقوله تعالى : ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ [سورة البقرة / ١٥٢] ، يعني لا تكفروا النعمة ، ومنه قوله تعالى : ﴿لِيَلْبُوْنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [سورة النمل / ٤٠] ، يعني أم اكفر النعمة .

الرابع : الكفر يعني البراءة كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [سورة العنكبوت / ٢٥] ، يعني يتبرأ بعضكم من بعض ، ومنه حكاية عن إبليس في قوله تعالى : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة إبراهيم / ١٤] ،

(١) مقاييس اللغة : ١٩١/٥ ، - تاج العروس : ٥٣٦/٣ .

(٢) المفردات / ٤٤٣ .

(٣) التطور الدلالي / ٢٧٢ ، دراسات قرآنية في جزء عم ، د. محمود نحلة / ١٣٨-١٣٩ .

يعني تبرأت (١) .

وقد تنوعت ألفاظ (الكفر) في القرآن الكريم وأكثر الصيغ وروداً الفعل الماضي (كفروا) فقد ورد في (أربع وتسعين ومئة) آية ، والاسم جمعاً (الكافرون) في (تسع وعشرين ومئة) آية ، وهو يدل على رسوخ الكفر فيهم وتطبعهم به ، لذا تنوعت الصيغ الذميمة الدالة عليهم بين (كفار - كفور - كافر) وقد ذكر الكفوي الفروق بينها في قوله "والكفر تغطية نعم الله بالجحود وهو بالدين أكثر والكفران أكثر استعمالاً في جحود النعمة والكفور فيهما جميعاً والكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً والكفرة في جمع كافر النعمة أكثر استعمالاً" (٢) .

والناظر في جميع الآيات القرآنية التي صرحت بأصل كل صفة ذميمة في الذم العقائدي وهي (الكفر) يمكن أن يجمعها في (تسعة) معانٍ تكشف عن الأساليب البلاغية فيها:

الأول : ذم عقائدي عام لكل من كفر بالله ورسوله كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء / ١٣٦] ، في بلاغة الإطناب ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران / ١٧٧] ، في بلاغة الاستعارة ، وهذا يؤول إلى "الضلال المبين في صورته المختلفة : الضلال العقائدي والضلال السلوكي بدءاً بالكفر بالله وانتهاءً بالفساد الشخصي والإفساد للآخرين" (٣) .

الثاني : ذم ظاهري في الأقوال كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة العنكبوت / ١٢] ، في بلاغة الطباق ، ومنه قوله تعالى : ﴿رَبِّمَا يُوَدُّ

(١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل ابن سليمان : ٩٥-٩٧ .

(٢) الكلبيات / ٧٦٣ ، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ، د. عودة القيسي / ٣٠٩ .

(٣) خطاب القرآن للأمم الماضية وتوجيهه للمعاصرين ، د. محمد (مجلة جامعة القرآن الكريم - السودان ، العدد الثالث ، ١٩٩٧) / ٦٣ .

الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿ [سورة الحجر / ٢] ، في الذم المعنوي في نوايا الكافرين وصفاتهم تمثلت في الأسلوب الخبري وهذا يتبين في قوله تعالى : ﴿ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمًا أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ [سورة آل عمران / ١٦٧] ، في بلاغة الطباق .

الثالث : ذم في الاقتران الثنائي في بلاغة الوصل كذم (المنافقين والكفار) في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [سورة التوبة / ٦٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب / ١] ، وأغلب الذم في الاقتران الثنائي بين الصفات يظهر في تنوع الأساليب البلاغية كما بين (الكفر والكذب) في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الحديد / ١٦] ، وكذلك بين (الكفر والظلم) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [سورة النساء / ١٦٨] ، ومن أساليب الذم ذم حالات شعورية كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الزمر / ٤٥] ، قال ابن عاشور "ومقابلة الاستمزاز بالاستبشار مطابقة كاملة لأن الاستمزاز غاية الكراهية والاستبشار غاية الفرح" ^(١) ، وهم صفتان نقيضتان فيهم ترشح بلاغة التعريض بذكرهم بقوله (لا يؤمنون) .

الرابع : ذم سلوكهم وتصرفاتهم كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [سورة محمد / ١٢] ، و"القصد من وجود هذه الحيوانات في الصورة الفنية تبين تدني مستوى الكافرين وشناعة تصرفاتهم وبعدهم عن الصفات الادمية"^(٢) ، وهذا غاية الذم لهم في بلاغة التشبيه ، ويتبعه ذم أفعالهم في الصلاة بأسلوب القصر والمشكلة كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [سورة الأنفال / ٣٥] ، ومما

(١) التحرير والتنوير : ٢٤ / ٣٠ .

(٢) جماليات المفردة القرآنية / ١٣٣ ، أسلوب السحرية في القرآن الكريم / ١٤٥ .

يرشحه السياق ذم أعضاء الكافرين لعدم الانتفاع منها كقوله تعالى : ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [سورة الحج / ٧٢] ، وذم العين في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة القلم / ٥١] ، وغيرها من الآيات التي عليها مدار الذم حول المعتقد في ارتضاء الكفر .

الخامس : ذم في المقابلة القرآنية وهو كثير الوقوع في القرآن الكريم في بيان منزلة الكافرين في مقابل منزلة المؤمنين كقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [سورة الزمر / ٧١] ، مقابل قوله : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر / ٧٣] ، ومنه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [سورة محمد / ١-٢] ، ومن بديع المقابلة ذكر الألوان كما في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران / ١٠٦] ، فمن بلاغة "استخدام الألوان للإنذار والتخويف من عذاب الله والتشبيه بالكفار والمجرمين .. اللون الأسود في وجوه الكافرين .. واستخدام اللون الأبيض لإثارة المؤمنين للتطلع إلى نعيم الجنة .." ^(١) ، في دلالة اللون الأبيض .

السادس : ذم بطريق الأمثال والتشبيه كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [سورة إبراهيم / ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت / ٤١] ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَّثَلٌ

(١) دلالة الألوان في آيات القرآن ، د. أحمد عطية (مجلة الحكمة تصدر في لندن ، العدد ٢٠ ،

١٤٢٠هـ) / ٣٨٤ .

(٢) النكت في إعجاز القرآن ، الرماني / ٨٤ .

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿ [سورة الحج / ٧٣] ^(١).

السابع : ذم يوهم المدح وهم من الأساليب البلاغية البديعة الذي يكشف عنها السياق، كما في قوله تعالى : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [سورة القمر/ ٤٣] ، إذ لا خير في الكفر ولكن ليس هناك عبرة من كفر الأمم الماضية ، والمعنى على تقدير النفي أي ليس كفاركم يا أهل مكة خير ممن مضى في النجاة من العذاب ^(٢) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [سورة التوبة/ ١٢] ، فالأئمة ذم فيهم "وكل شيء في القرآن من ذكر الصبر محمود إلا قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [سورة الفرقان/ ٤٢] ، قوله : ﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَا ﴾ [سورة ص/ ٦] ، فانه المراد بها الأصنام" ^(٣) ، وهو من الصبر المذموم بدلالة السياق ، وقد يجمع لهم الذم في اعتقادهم الباطل للأصنام ونسبة الضلال إلى الرسول كما في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان/ ٤٢] ، فهو ذم في "نفاخرهم بتصلبهم في دينهم ... ومن خلافة المغالطة إسنادهم مقارنة الإضلال إلى الرسول دون أنفسهم ترفعاً أن يكونوا قاربوا الضلال عن آلهتهم مع ان مقارنة لإضلالهم تستلزم اقتراهم من الضلال" ^(٤) ، فذكر الصبر وهي صفة ممدوحة إلا أن السياق يبين انها ذميمة في تعلقهم بالأصنام ، ومنه انتقاء اللفظ في بلاغة الاستعارة التهكمية ذماً لهم كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ [سورة الكهف/ ١٠٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [سورة الكهف/ ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ ﴾

(١) للاطلاع على الأمثلة الجمان في تشبيهات القرآن لابن نايقا / ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ،

٢٨١ ، ٣٢١ ، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم : ١/ ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ١٤٥ ، القرآن والمجتمع الحديث ، عبد الرزاق نوفل / ١٢٨ .

(٣) أفراد كلمات القرآن الكريم لأحمد بن فارس (مجلة الحكمة ، تصدر في لندن ، العدد ٢٢ ،

١٤٢٢هـ) / ١٣٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٩/ ١٣ .

السَّعِيرِ ﴿سورة تبارك / ١١﴾، وفي سياق يوظف (أهل النار) "فمثلاً قوله تعالى : (ان ذلك لحق تخاصم أهل النار) ، فتراه قد استخدم كلمة (أهل) وهي هنا أولى بهذا المكان من كلمة (أصحاب) لما تدل عليه تلك الإقامة في النار والسكنى بها" (١) .

الثامن : ذم شخصيات قرآنية رجالية ونسائية سواء من الأمم الماضية أو من كفار مكة وقد جعلنا لها مبحثاً خاصاً .

التاسع : ومن بديع النظم في ذم الكفار ذكر (الجاهلية) لما لدلالة المصطلح القرآني على معاني الجهل وهو ضد العلم وفيه معنى الخفة ، قال ابن فارس : "الجيم والهاء واللام أصلان أحدهما خلاف العلم والآخر الخفة وخلاف الاستقامة" (٢) ، فهما من الصفات الذميمة إذا توفرتا في إنسان (الجهل - الخفة) يكون بمعنى "اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه" (٣) ، ويمكن أن نقف عند مفهوم (الجهل) في قول الراغب الاصفهاني "الجهل على ثلاثة اضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم هذا هو الأصل .. والثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، الثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل .. والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم وهو الأكثر.." (٤) ، وقد ورد لفظ (الجهل) ومشتقاته في النص القرآني في (أربع وعشرين) آية (٥) ، ويمكن أن نحدد معاني الذم العقائدي في مفهوم (الجاهلية) في (أربع) آيات ، والغالب عليها الأسلوب الخبري الابتدائي لتقرير الحقائق التي لا تحتاج إلى توكيد ، بل تحتاج إلى تغيير في واقعها وهي :

قال تعالى : ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران / ١٥٤] .

قال تعالى : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة / ٥٠] .

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم / ٢٨ ، علم البيان : د. بدوي طبانة / ١٩٨ .

(٢) مقاييس اللغة : ٤٨٩/١ .

(٣) التعريفات / ٤٩ .

(٤) المفردات : ١٠٢ .

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٢٢٥-٢٢٦ .

قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ﴾ [سورة الأحزاب / ٣٣] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [سورة الفتح / ٢٦] .

فقد ابتداء الذم في العقيدة والعبادة - ثم ذكر الذم في القضاء والحكم - ثم أتبعه بالذم الاجتماعي في التبرج - والذم في الاعتزاز بالمبدأ الفاسد (حمية الجاهلية) "وهكذا يظهر ان مصطلح الجاهلية الذي صنعه القرآن الكريم مستمد من الجهل بمعنى السفه والطيش والإعراض .." (١) ، ومن هذا كله يتبين لمسار البحث ان "القرآن إذن يهدف إلى هدم موقف المشركين في أصعب نقطة يدور حولها الصراع بين الإسلام والمشركين وهي نقطة العقيدة منيراً للمشركين كل وجهة ينظرون إليها مبصراً إياهم بالضلال الكبير" (٢) .

ذم المشركين

ان الوقوف عند أصل الفعل (شرك) في المعجم العربي تجده يدل على المشاركة بين أمرين ، قال ابن فارس "الشين والراء والكاف أصلان أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد والآخر يدل على امتداد واستقامة ، فالأول الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ويقال شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك.." (٣) ، ويعني ان المشرك بالله من عبد غيره معه فهو كافر ذميم الأفعال والصفات ، وقد فصل الكفوي في أهل الملل والطوائف من المشركين في عباداتهم لبيان أنواع الشرك ، فقال: "والشرك أنواع : شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك الجحوس ، وشرك التبعض وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى ، وشرك التقريب : " وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية وشرك التقليد : وهو عبادة غير الله تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية وشرك الأسباب : وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على

(١) التطور الدلالي / ١٥٠ ، العقل والعلم في القرآن الكريم ، د. يوسف القرضاوي / ١٣٠ .

(٢) أسلوب السخرية في القرآن الكريم / ٣٥٧ .

(٣) مقاييس اللغة : ٢٦٥/٣ .

ذلك .. " (١) ، وكل هذا مذموم فعله وفاعله ، أما لفظ (المشركون) فـ "كل شيء في القرآن ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة التوبة / ٧٤] ، فهو للمشركين" (٢) ، وقد توزعت الآيات القرآنية في السور مع تنوع ألفاظها (٣) ، والنظر فيها يجد ان الشرك "ضربان : أحدهما : الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى يقال اشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وقال أيضاً ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ .. والثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله : (شركاء فيما آتاهم الله فتعالى الله عما يشركون - وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) .. " (٤) ، وكلاهما مذموم سواء في المعتقد أو في العمل ، وقد ورد (الشرك) في القرآن الكريم على (ثلاثة) وجوه :

الأول : الشرك يعني الإشراف الذي يعدل به غيره كقوله تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء / ٣٦] ، أي لا تعدلوا به غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء / ٤٨] ، يعني من يعدل به غيره .

الثاني : الشرك في طاعة الله من غير عبادة كقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأعراف / ١٩٠] ، يعني جعلوا له إبليس شريكاً في الطاعة في اسم ولدهما من غير عبادة "أي تنزهه وتقدس الله عما ينسبه إليه المشركون" (٥) .

الثالث : الشرك في الأعمال وهو الرياء كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف / ١١٠] ، أي

(١) الكلبيات / ٥٣٣ .

(٢) الكلبيات / ٨٠٢ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٤٦٦-٤٦٩ .

(٤) المفردات / ٢٥٩-٢٦٠ .

(٥) صفوة التفاسير : ٤١١/١ .

من خلقه (١).

وكما بينا أساليب ذم (الكفار) يمكن أن نبين أساليب ذم (المشركين) في (ثمانية)

معان:

الأول : الذم العام (الذم العقائدي) الذي يتمثل في الأسلوب الخبري ، كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء / ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة التوبة / ٣] ، لذا ذكر الله عز وجل الأمم الماضية للاعتبار من حالهم السيء وما كانوا عليه كقوله تعالى : ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الروم / ٤٢] ، وان كان "المراد بالمشركين في القرآن الكريم هو عرب الجزيرة العربية الذين لم يكن لديهم كتاب وإنما اتبعوا أهواءهم وعبدوا أشياء كثيرة مثل الأوثان والأصنام.." (٢) ، ولكن هذا لا يمنع من وجود هذه الصفة الذميمة عند غيرهم .

الثاني : ذم الأقوال النابع من الذم العقائدي في تفكيرهم وإيمانهم الباطل بأسلوب القصر (إنما) كقوله تعالى : ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الأعراف / ١٧٣] ، فاين عقولهم وإدراكهم ؟

الثالث : ذم عليهم بأسلوب إقامة الحجة على المخاطب يتعاضد فيه أسلوب التوبيخ والاستفهام ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَلَّا تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة يونس / ٣٤-٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَأَللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس / ٥٩] ، وهذا كله ذم للأصنام والأوثان التي عبدوها وأشركوا بها مع الله عز

(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / ٣٥ .

(٢) التطور الدلالي / ٢٧٤ ، أسياذ الدنيا وأسياذ الآخرة ، ماهر الصوفي / ٦٠-٦١ .

وجل .

الرابع : ذم في عدم التشبه بهم في (صفاتهم وأحوالهم) تنفيراً من الصفات السيئة، كما في قوله تعالى : ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة القصص / ٨٧] ، لذا قال تعالى في آية أخرى : ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة / ٧] ، ثم ذكر الصفات الذميمة بعدها في بلاغة الإطناب (العداوة - الفسق - الاشتراء بالآيات لسوء أفعالهم) .

الخامس : ذم في الاقتران الثنائي في بلاغة الوصل كاقترانهم مع المنافقين في قوله تعالى : ﴿يُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب / ٧٣] ، وضمهم مع اليهود في قوله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة البقرة / ٩٦] .

السادس : ذم لسوء عاقبة المشركين بأساليب بلاغية متنوعة ، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة / ٧٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج / ٣١] ، وجامع ذم عاقبة المشركين بانه (ظلم عظيم) ، كما في قوله تعالى : ﴿يَأْبُنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان / ١٣] ، إذ الغالب عليها الأسلوب الخبري المؤكد كما هو مبين في السياق زيادة في الذم وتحذيراً من سوء عاقبة الإشراف .

السابع : وقد يجمع لفظ (الكفر) و (الشرك) في سياق واحد مرةً ببلاغة الاستعارة كقوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران / ١٥١] ، ومرةً ببلاغة الوصل في قوله تعالى : ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ [سورة غافر / ٤٢] ، لأن أحدهما أسوأ من الآخر حالاً "ويمكن أن يكون الكافر والمشرك كلاهما شخصا واحداً .. وذلك ان الكافر هو

الذي لا يؤمن بآيات الله والمشارك هو الذي يعبد آلهة أخرى مع الله ويمكن أن يجتمعا في نفس واحدة .. ولكن المشارك أبعد في الضلالة من الكافر .. والمشارك يحتاج للعودة إلى دين الله ان يكفر أولاً بآلهته وان يؤمن ثانياً بالله مع ان الكافر لا يحتاج إلا للإيمان بالله.. " (١) ، فالمشرك أسوأ حالاً من الكافر .

الثامن : وكما ورد في القرآن الكريم ذم المشارك فقد ورد ذم الملحّد وهو في اللغة بمعنى الميل "وألحد فلان مال عن الحق ، والإلحاد ضربان ، إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول ينافي الإيمان ويطله والثاني يوهن عراه ولا يطله ومن هذا النحو قوله (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) وقوله (الذين يلحدون في أسمائه) .. " (٢) ، واما عدد الآيات القرآنية التي تتحدث عن ذم الملحدين فهي (أربع) آيات والغالب عليها الأسلوب الخبري وهي :

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف / ١٨٠] ، وهو ذم عقائدي .
قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل / ١٠٣] ، وهو ذم في تغيير الحق وانكاره .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [سورة فصلت / ٤٠] ، وهو ذم في الإيمان والاتباع بدليل الانحراف عنه .
وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [سورة الحج / ٢٥] ، وهو ذم مكاني لكل من ينوي السوء في مكة .
وبعد هذا يمكن اتقاء النماذج للدراسة والتحليل .

الكفر والكذب

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة

(١) التطور الدلالي / ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) المفردات / ٤٤٨ .

من بلاغة مطلع الآية بالوصل (والذين) في مقابلة منزلة المؤمنين بعد مدحهم بالاقتران الثنائي (آمنوا وعملوا الصالحات) جاء بالذم في الاقتران الثنائي (الكفر والكذب) مع بيان سوء المصير لتمييز صفات الثناء من صفات الذم "وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجور فيه بل هو الحكم العدل الحكيم القدير" ^(١) ، ونجد الذم في صفتي (الكفر والكذب) لنكتة بلاغية وهي ان الكفر ضد الإيمان أي انه غير مصدق وهو جامع لكل شر ، والكذب خلاف الصدق وهو جامع لكل الصفات الرديئة لذا جمع بينهما فالكفر في اعتقاد صاحبه، والكذب ظاهر في أقواله فجمع لهما الذم الباطني والذم الظاهري وقدم الكفر لأنه أسوأ في الذم العقائدي وقال (بآياتنا) لأنها دلائل الوحداية لله عز وجل وهي منار الدعوة إلى الإيمان والتسليم المطلق لله عز وجل ، وأشد حالات الإعراض عن الدين هي التكذيب بالآيات لذا خصها بالذكر وعظمها في إضافتها إلى المتكلم سبحانه وتعالى ، وكذلك لنكتة انها آيات ظاهرة لمن أراد ان يعتبر بها ويؤمن وهو ذم لجميع الكفار ^(٢) .

ثم ختم الآية بقوله (أولئك أصحاب الجحيم) في توظيف اسم الإشارة للبعيد لبيان حالهم في بعد منزلتهم عن سماع الحق واتباعه ، ولبعد نفوسهم عن الترقى لتلقي أمارات الإيمان في الآيات الظاهرات وتطهير الألسنة من الكذب والخداع ، ويرشح السياق بلاغة الاستعارة التهكمية بقوله (أصحاب) ذماً لسوء عاقبة الكافرين ، فالصاحب يدل على الملازمة للشيء "ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته ويقال للمالك للشيء هو صاحبه وكذلك لمن يملك التصرف فيه والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع لأجل ان المصاحبة تقتضي طول لبثه فكل اصطحاب إجتماع .." ^(٣) ، وله دلالاته على المكان ولا يمكن لاحد أن يكون صاحباً للنار أو يملكها أو ان يجتمع معها في مكان فهو ذم وتوبيخ لمن ارتضى الكفر في حياته ومنهجه وجعل الكذب غايته ، وذكر ابن عاشور

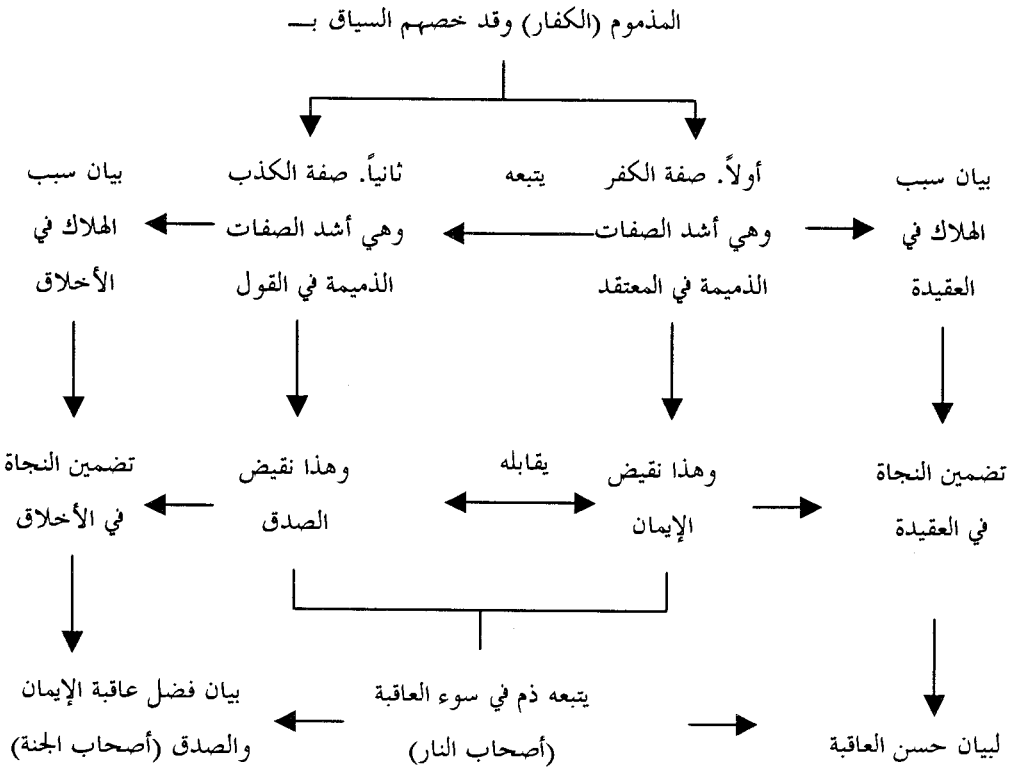
(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٤/٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥٨/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١١٠/٦ .

(٣) المفردات / ٢٧٥ .

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي

بلاغة أسلوب القصر فهو "قصر ادعائي لأنهم لما كانوا أحق الناس بالرحيم وكانوا خالدين فيه جعلوا كالمفردين به أو هو قصر حقيقي إذا كانت إضافة (أصحاب) مؤذنة بمزيد الاختصاص بالشيء .. فيكون وجه هذا الاختصاص انهم الباقيون في الرحيم ابداً" (١) ، وكلا المعنيين ذم لهم ، وقد جاء بالجملة الاسمية للدلالة الثبوت وتأكيد الأمر في ردع المخاطبين "وانهم في دركات الرحيم دائمون في العذاب" (٢) ، لأنهم صحبوا الكفر والكذب منهجاً لهم في حياتهم فكانوا بصحبة الرحيم في عاقبتهم ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :



(١) التحرير والتنوير : ١٣٧/٦ .

(٢) صفوة التفاسير : ٢٧٦/١ .

الأفعال

قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الأنفال / ٣٥] .

جاءت الآية الكريمة بعد نفي الولاية عنهم وان كانوا يصلون عند البيت لانتفاء التقوى في صدورهم وانتفاء العلم في تفكيرهم بقوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٤] ، تعريضاً بهم ، وقد نزلت الآية الكريمة في ذم الأفعال عند البيت من قريش الذين كانوا يطوفون بالبيت يصفقون ويصفرون ويضعون حدودهم على الأرض ^(١) ، فهو ذم للمكاء والتصدية وهو "من جملة قبائحهم أي ما كانت عبادة المشركين وصلاتهم عند البيت الحرام إلا تصفيراً وتصفيقاً وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم .." ^(٢) ، لذا جاء بأسلوب القصر بـ (ما - الا) تشبيهاً لفعالهم واستبدالهم العظمة البيت بالخشوع والانكسار والتبتل لله عز وجل والتقرب إليه في سوء فعلهم باللعب واللهو والسخرية وهذا يؤول إلى ذم تفكيرهم في العبادة و "بان شرعهم وعبادتهم لم تكن رهبة ولا رغبة انما كانت مكاء وتصديّة من نوع اللعب" ^(٣) ، واللهو وهذا يبين ذم سلوكهم عموماً فاذا كان هذا فعلهم وتصرفهم عند البيت باللهو واللعب إذ "لا وقار فيه ولا استشعار لحرمة البيت ولا خشوع لهيبة الله" ^(٤) ، فكيف في مكان آخر ؟ والسؤال الذي يرشحه التعبير القرآني : لم أطلق لفظ الصلاة على فعلهم القبيح ؟ وفيه نكتة بلاغية إذ "لا تعرف للمشركين صلاة فتسمية مكائهم وتصديتهم صلاة مشاركة تقديرية لأنهم لما صدوا المسلمين عن الصلاة وقراءة القرآن في المسجد الحرام عند البيت كان من جملة قرائن صددهم إياهم تشغييهم عليهم وسخريتهم بهم

(١) أسباب النزول / ١٣٥ .

(٢) صفة التفاسير : ٤٢٥/١ .

(٣) المحرر الوجيز / ٧٩٦ .

(٤) في ظلال القرآن : ٨٥١/٣ .

يحاكون قراءة المسلمين وصلاتهم بالمكء والتصدية" ^(١) ، فلم تكن للمشركين صلاة "فإطلاق الصلاة على المكء والتصدية مجاز مرسل" ^(٢) ، لأنه نفى عنهم الإيمان وحسن العمل الصالح في سوء عاقبتهم بقوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وله نكتة بلاغية لما سبقه في ذم الكفار لأن "مساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم المسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته" ^(٣) ، وفي استعمال فعل الأمر (فذوقوا) نكتتان بلاغيتان :

الأولى : فعل الأمر الصادر من الحق سبحانه وتعالى "اذ الأمر هنا للتوبيخ والتغليظ وذلك هو العذاب الذي حل بهم يوم بدر" ^(٤) ، مع ذكر علة العذاب وسببه وهو الكفر .
الثانية : دقة التعبير في انتقاء اللفظ (الذوق) "فإن ما يكثر منه يقال له الأكل واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وان كان في التعارف للقليل فهو مستصحب للكثير.. وكثر استعماله في العذاب" ^(٥) ، تهكماً بالمخاطب فهي أشد حالات الألم لهم مناسبة لشدة تعنتهم في الدعوة والصد عن الحق وللتنبيه على سوء العاقبة والمصير لذا عدل عن الغيبة إلى المخاطب في بلاغة الاستعارة ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

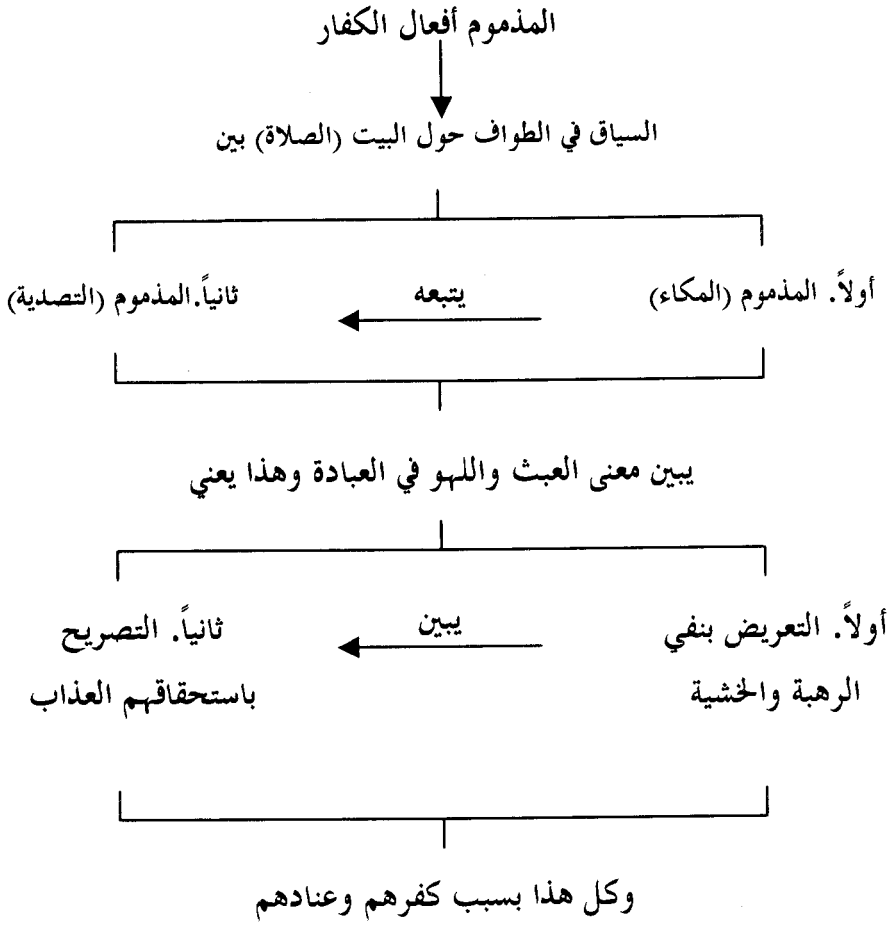
(١) التحرير والتنوير : ٣٣٩/٩ .

(٢) م . ن : الصفحة نفسها .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٨٣/١ .

(٤) التحرير والتنوير : ٣٣٩/٩ .

(٥) المفردات / ١٨٢ .



الجاهلية

قال تعالى : ﴿أَفْحُكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة / ٥٠] .

نزل القرآن الكريم بأحكام وتشريعات فيها حياة الناس في الدارين وارتضاء غيرها منهجاً وفكراً وحكماً هو عين الجهل ، والظلم للنفس ان يستأثر الإنسان بأحكام عقلية على إحكام ربانية لذا قال تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) في الاستفهام التوبيخي والإنكار على ما ارتضوه عدولاً عن الحق أي "ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند إلى شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم .. " (١) ، فاين عقولهم ومداركهم ؟ فهو التقليد الأعمى والاتباع بغير الإدراك أو معرفة عواقب الأمور ومنه يحدد التعبير القرآني ذم الجاهلية في بلاغة تقديم المفعول به لأن "معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص فالجاهلية كما يصفها الله ويحددها قرآنه هي حكم البشر للبشر لأنها هي عبودية البشر للبشر والخروج من عبودية الله ورفض ألوهية الله " (٢) ، فهذا مذموم فكيف بمن يريد لها حكماً له ؟ وهو تعريض بهم ، ونجد نكتة التقديم والتأخير فقدم قضية الحكم للاهتمام بها فمن ابتغى حكم الجاهلية لسلوكه وحياته كانت عقباه الخسران والندم وكان جاهلياً مذموماً لأنه يبغى "الميل والمراهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى" (٣) ، وقد حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ذماً لهم والتقدير : قوم يبغون (٤) ، وهذا من جهة وكذلك لسيطرة الأحكام الوضعية عليهم وسلطانها المتغلغل في نفوسهم والاعتقاد العصبي بها لذا قدمها ثم عطف عليه قوله (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فقد تصدر مطلعها الاستفهام بـ (الهمزة) وختمت بالاستفهام بـ

(١) تفسير القرآن العظيم : ٧١/٢ .

(٢) في ظلال القرآن : ٧٥١/٢ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٧٠/١ .

(٤) المحرر الوجيز / ٥٥١ .

(من) تحريكاً لعقول المخاطبين ورفعتهم إلى التطلع إلى الأمر المستفهم منه وذلك لأهميته في ترقية وتزكية عقولهم في التأمل في الأفضل والأحسن فهي دعوة من الله عز وجل للإقبال والإيمان والطاعة وإقامة شرائع الدين الحنيف ، والاستفهام على معنى النفي وهو "على جهة الإنكار بمعنى لا أحد أحسن" ^(١) ، مدحاً لمنهج الله عز وجل وشرعه القويم الذي لا يخضع إلى الهوى والميل تعريضاً لأحكام الجاهلية "أي ومن أعدل من الله وحكمه وأصدق في بيانه وأحكم في تشريعه لقوم يصدقون بالعلي الحكيم" ^(٢) ، ثم لما خص حسن الخاتمة بقوله (لقوم يوقنون) ؟ وذلك لنكتة بلاغية وهي لأنهم "هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون ان لا أحد أحسن حكماً من الله سبحانه وتعالى" ^(٣) ، لما لديهم من اليقين النابع من نور الإيمان الذي يجعل الإنسان متتور الفكر والرأي تمييزاً له من الجاهلي وغيره لأن "اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية .. وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم" ^(٤) ، وهو يناسب حالة المخاطبين لتقرير حكم الله عز وجل "لمن عقل عن الله وشرعه وآمن به وأيقن وعلم ان الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فانه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء" ^(٥) ، ذمّاً لحكم الجاهلية ومن ارتضى بها إلى يوم القيامة ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢١٦/٦ ، التحرير والتنوير : ٢٢٧/٦ .

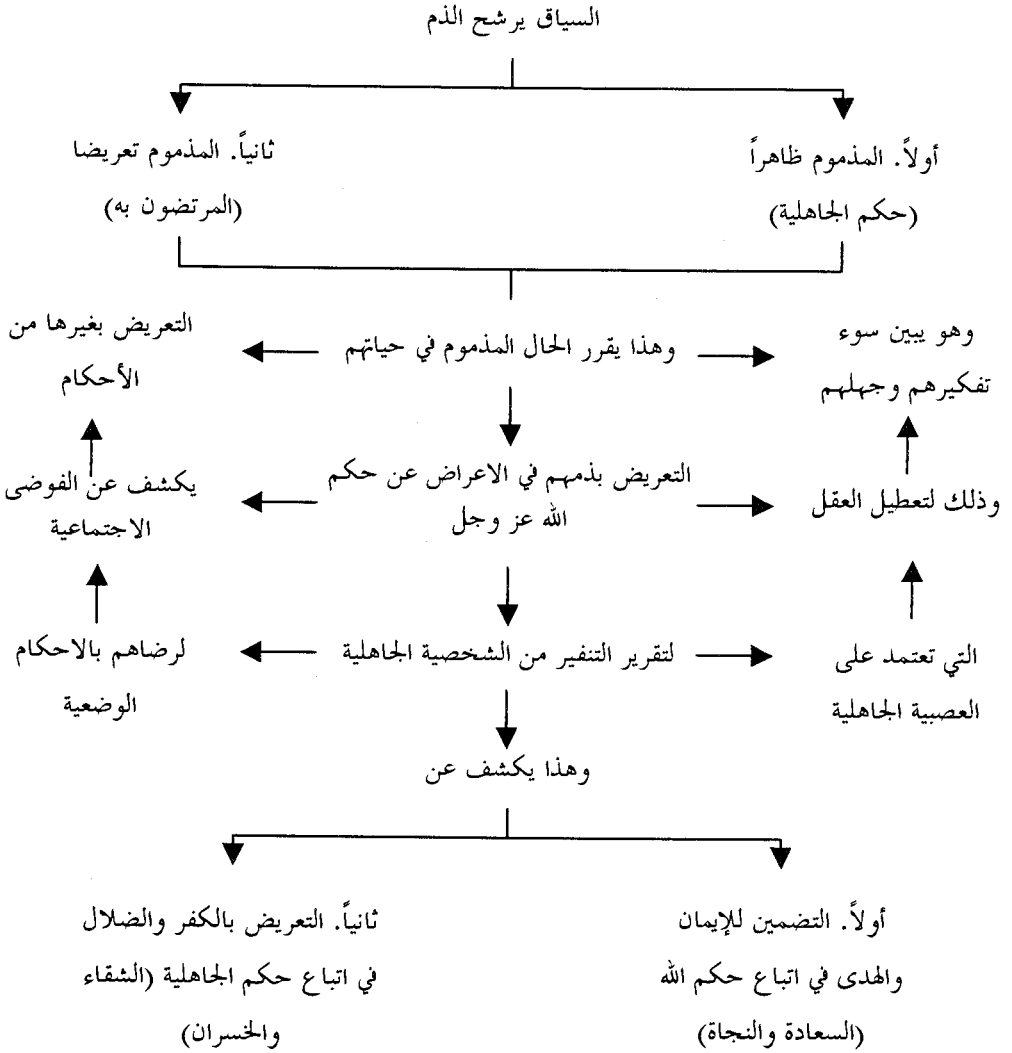
(٢) صفوة التفاسير : ٢٩١/١ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٧٠/١ .

(٤) المفردات / ٥٥٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٧١/٢ .

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي



الإشراك

قال تعالى : ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج / ٣١] .

افتتحت الآية الكريمة بقوله (حنفاء لله) مع تضمين المعنى بياناً في قوله (غير مشركين به) لأن معنى حنف "هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة .. وتحنف فلان أي تحرى طريق الاستقامة" ^(١) ، وهو المؤمن بالله عز وجل غير مشرك به ولخطورة الشك وما يتبعه من الصفات الذميمة "ضرب للمشرك في ضلاله وبعده عن الهدى فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء)" ^(٢) ، وفي السياق بلاغة العدول عن إضمار لفظ الجلالة إلى الإظهار بقوله (بالله) تمهيداً لما بعده من الأمور العظيمة التي لا يدرك عاقبتها إلا الله عز وجل ولا ينجو منها أحد إلا بفضل الله عز وجل ثم جاء بالتشبيه التمثيلي في صورته المتعددة ، ويمكن تأمل التصوير القرآني في ذم المشبه المشرك في (ثلاث) مراحل :

الأولى : قوله (فكأنما خر من السماء) لدلالة المعنى على عدم القدرة والسيطرة على نفسه وهو تصوير ذميم لحال المشرك المضطرب "فهو بمنزلة من خر من السماء فهو لا يقدر ان يدفع عن نفسه" ^(٣) ، شيء وذلك في لمح البصر "بمعنى خر سقط سقوطاً .. وغير ذلك مما يسقط من علو" ^(٤) ، وله بلاغته في ذم المشرك لبعده عن الإيمان ومنابع التصديق "لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر" ^(٥) ، فمن ينفعه أو ينقذه ؟ وبدأ بالسماء لأنها محط نزول الخير والرحمة والبركة والمشرك قد حرم نفسه منها لأنه بعيد هو عنها ، وعن فضل الله عز وجل ورحمته فنجد التدرج القرآني من الأعلى في المهالك إلى تقرير إحدى النتيجةين .

(١) المفردات / ١٣٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٢٤/٣ ، المحرر الوجيز / ١٣١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٥٥/١٢ .

(٤) المفردات / ١٤٤ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٨/٢ .

الثانية : قوله (فتخطفه الطير) والخطف فيه دلالة السرعة في أخذ الشيء واستلامه وهذا هو استعماله في القرآن ^(١) ، فالفعل (تخطفه) "مضاعف خطف للمبالغة .. والخطف : أخذ الشيء بسرعة سواء كان في الأرض أم كان في الجو ومنه تخطف الكرة" ^(٢) ، وله بلاغته في السياق على معنى عدم الخلاص والنجاة والحيرة "والملاحظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ (بالفاء) وفي المنظر بسرعة الاختفاء على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير" ^(٣) ، فكيف هو مصير من تقطعه الطير بمخالبتها في الهواء؟ انها صورة ذميمة للمشرك بالله عز وجل تومئ بالخوف والتهديد وهي النتيجة الأولى.

الثالثة : قوله (أو تهوي به الريح في مكان سحيق) وهي النتيجة الثانية ولها بلاغتها في بيان الصفة الذميمة التي تدل على التيه وعدم الاستقرار أو الثبات على المبدأ لأن "الهوي سقوط من علو إلى سفلى .. والهوي ذهاب في انحدار" ^(٤) ، فكيف هو حال من عصفت به الريح وكانت نهايته إلى ضلال وهلاك؟ فهو "من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكاً يشبه أحد الهالكين" ^(٥) ، وفيه نكتة أخرى في ذم عاقبة المشرك فهي "اياء إلى أن من المشركين من شركه لا يرجى منه خلاص كالذي تخطفته الطير ومنهم من شركه قد يخلص منه بالتوبة إلا أن توبته أمر بعيد عسير الحصول" ^(٦) ، لأنه استبدال الأعلى بالأدنى وعدول عن الإيمان الفطري بالله عز وجل ، ومن المشبه به المتعدد الصور التي تجمع صفات المشرك الذميمة نجدها في (البعد عن الرحمة) ، والذي تمثل في (السماء) و (الحيرة والضياغ) الذي تمثل في (التخطف) و (التيه وعدم الاستقرار) الذي تمثل في (سحيق) ويجمع المعاني كلها دلالة السرعة (خر -

(١) مقياس اللغة : ١٩٦/٢ ، اختلاف صيغ الفعل المشتقة من جذر واحد في القرآن الكريم ، هلال

(رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٥٧/٢٠٠٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٥٥/١٧ ، صفوة التفاسير : ٢٥٠/٢ .

(٣) في ظلال القرآن : ٥٩٧/٥ .

(٤) المفردات / ٥٤٨ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٨/٢ .

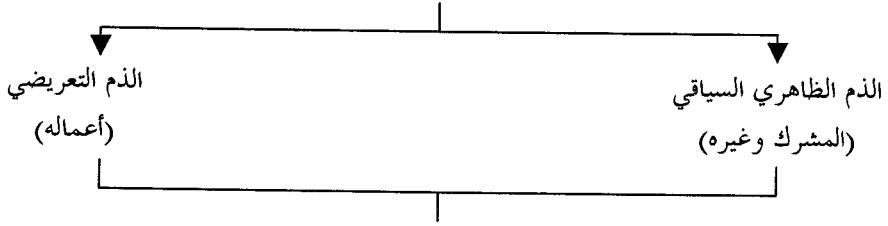
(٦) التحرير والتنوير : ٢٥٥/١٧ .

خطف - هوى) تعريض للكفار في مكة ، "والقرآن بطبيعة الحال لا يهدف إلى تصوير الحياة العربية أو غيرها لذات ذلك وإنما ليتخذ منها وسيلة في تقريب دعوته إلى أذهان العامة والوصول إلى نفوسهم وعواطفهم وعقولهم من أقرب طريق.." (١) ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

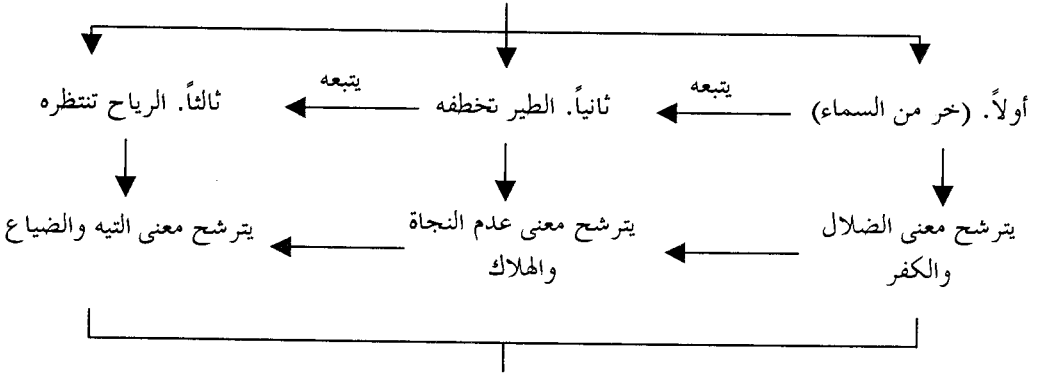
(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم / ٤٠٠ .

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي

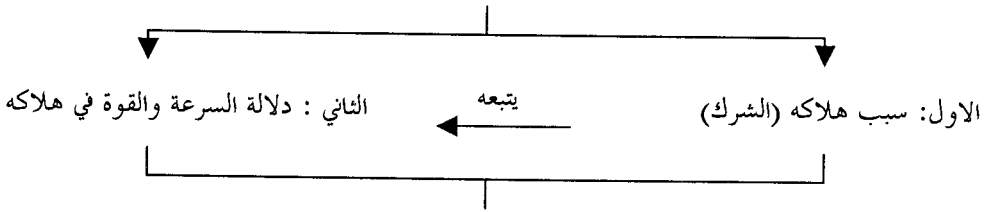
سياق الذم بالتشبيه



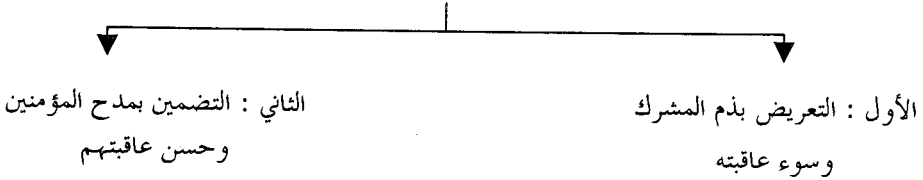
السياق يرشح صورة عمل المذموم في



الصورة الذميمة قائم على أمرين



ومنهما يتضح امران



أعمال الكفار

قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [سورة إبراهيم/ ١٨].

ان صفة الكفر ذميمة وما يتبعها من آثار في سلوك الكافرين فهو مذموم ويأتي التصوير القرآني في حالة عجيبة عنهم وهي تشبيه أعمالهم باستخدام الأمثال عبرة في حالهم، ان ما يعتز به الإنسان في حياته هو ما يقدمه من الأعمال التي تخلد ذكره وتبين وجوده وتفاعله في المجتمع ان كان صالحاً ، ولذا خص أعمال الكفار في صورة المشبه بقوله (مثل الذين كفروا برهم أعمالهم) وفيه بلاغة الإيجاز بحذف الخبر و "التقدير فيما يتلى عليكم أو يقص (مثل الذين كفروا برهم)" (١) ، ويبدأ التشبيه في ذم ما اعتقدوا وبنوا عليه أعمالهم إذ هو "مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت" (٢) ، وخص لفظ (الرب) ذماً لهم وتذكيراً بحق الربوبية عليهم بانه خالقهم والمتفضل عليهم بالنعم التي لا تحصى فحقه ان يعبد ويستوجه إليه لا إلى غيره ، ومن صورة المشبه به نجد معاني الذم في نكتتين :

الأولى : قوله (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) وهي أول صورة الذم للمشبه وفيها معانٍ فقد "شبهت أعمال الكفرة ومسايعهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها بالرماد الذي تذرره الريح وتفرقه لشدته حتى لا يبقى أثر ولا يجتمع منه شيء" (٣) ، عبرة في نهاية العمل إلى فناء أو فيه معنى الإحباط في عدم قبولها عند الله عز وجل "والمعنى أعمالهم محبطة غير مقبولة والرماد وما بقي بعد احتراق الشيء فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في انه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٣/٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٥٢٣/٢ .

(٣) المحرر الوجيز / ١٠٥٢ .

عاصف" ^(١) ، يتبعه ذم في تصرفاتهم لأن "هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار .. مفككة كالهباء والرماد ولا قوام لها ولا نظام .." ^(٢) لهم .

ووجه ابن عاشور الرماد إلى أفضل أعمالهم في الكرم ولكم العبرة في خواتيم الأعمال فقال "ومن لطائف هذا التمثيل ان اختير له التشبيه هيئة الرماد المتجمع لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا واشيعها بينهم وهو قرى الضيف حتى صارت الرماد كناية في لسانهم عن الكرم" ^(٣) ، إذ يرشح السياق دلالة نهاية الشيء وعلامة العذاب لأن (الريح) ترد في سياق العذاب وقد خص (يوم عاصف) "ووصف به زمانه للمبالغة كقولهم : نهاره صائم وليله قائم.. لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها إليه" ^(٤) ، وهو مجاز عقلي أي عاصف ريحه .

الثانية : قوله (لا يقدرון مما كسبوا على شيء) في بلاغة الفصل فهو "بيان لجملة التشبيه أي ذهبت أعمالهم سدى فلا يقدرون ان ينتفعوا بشيء منها" ^(٥) ، وهذا يناسب حال المخاطبين فيما بنوا عليه أعمالهم وهو يومئ إلى الحسran الكبير لذا قال في خاتمها (ذلك هو الضلال البعيد) وأكد بالضمير المنفصل لأنهم ضلوا عن سواء السبيل وضلوا طريق العمل الصالح الذي ينفعهم في الآخرة "أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه" ^(٦) ، ولزيادة ذم حالهم استعمل النظم القرآني (البعيد) لأن "المراد بالبعيد نهاية ما تنتهي إليه ماهيته أي بعيد في مسافات الضلال" ^(٧) ، فلا يرتجى منه شيء قطعاً لأي أمل أو رجاء يرتجى ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٣/٩ .

(٢) في ظلال القرآن : ١٤٧/٥ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢١٣/١٣ ، أسلوب السخرية في القرآن / ١٥٣ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥١٦/١ .

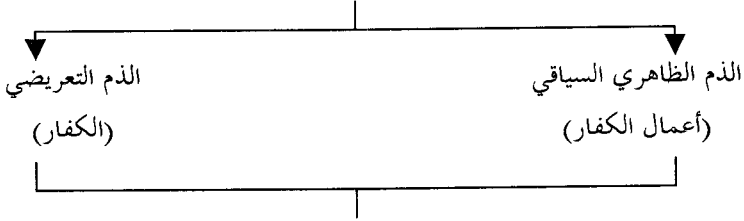
(٥) التحرير والتنوير : ٢١٣/١٣ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٥٢٤/٢ .

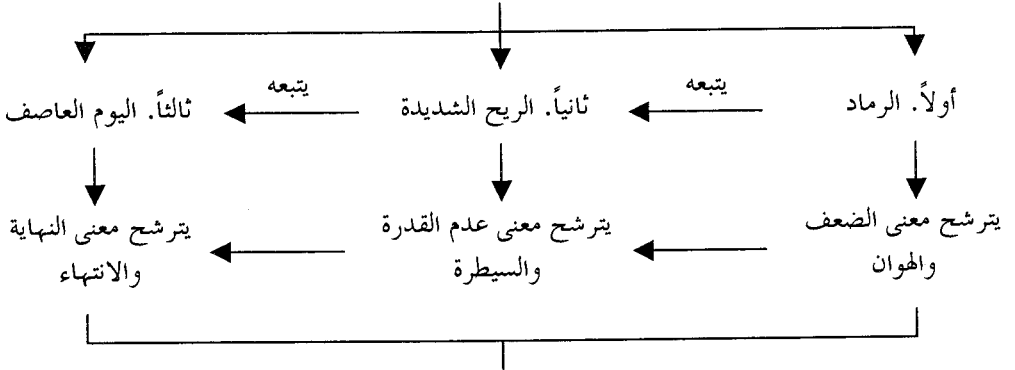
(٧) التحرير والتنوير : ٢١٣/١٣ .

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي

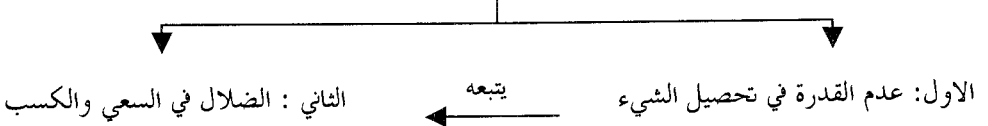
سياق الذم بالتشبيه



السياق يرشح صورة عمل المذموم في



الصورة الدميمة تبين سوء حال المذموم وذلك



ذم يوهم المدح

قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف/

. [١٠٦]

من أساليب التعبير القرآني في الذم الجمع بين (الإيمان والإشراك) في سياق له دلالاته على العابد الذي لا يعرف إلا قبلة التوحيد ، وهو من التناقض في توجيه ما أعطاه الله عز وجل من مدارك وأحاسيس في حياة الكفار إذا ما سئلوا عن خلق السموات والأرض كان جوابهم الله "وهذا هو الشرك الأعظم يعبد مع الله غيره" ^(١) ، ومما يرشح السياق قوة النفي بـ (ما) مع الاستثناء بـ (الا) في نكتتين بلاغيتين :

الأولى : قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله) ففي نفي الإيمان عن أكثر المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان كما ذكر ابن عباس : انها نزلت في تلبية مشركي العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ^(٢) ، تبين سوء حال الأكثر منهم ومن بلاغة السياق ذكر لفظ (الإيمان) لبيان المعنى اللغوي وهو التصديق "فسماه ايماناً وان أعقبه إشراكهم بالأوثان والأصنام فهذا الإيمان لغوي فقط من حيث هو تصديق ما" ^(٣) ، لحالة الرؤية التي تدعو إلى التصديق لذا جاء بالفعل المضارع، فافتتحت الآية بدم ظاهري للمشركين في سلوكهم ، وفي قوله (أكثرهم) بلاغة العدول عن الإظهار بقوله (أكثر المشركين) تعريضاً بهم وعدم ذكر اسمهم الذميمة بيان لسوء حالهم في العبادة "والمراد بـ (أكثر الناس) أهل الشرك من العرب وهذا إبطال لما يزعمونه من الاعتراف بان الله خالقهم .. وبأن الإيمان بالله كالعدم لأنهم لا يؤمنون بوجود الله إلا في تشريكهم معه غيره من الآلهة" ^(٤) ، وهذا ينافي الإيمان .

الثانية : قوله في الاستثناء (إلا وهم مشركون) من باب تأكيد الشيء بضده ذماً للمخاطبين في إثبات كذبهم ودواعي الغفلة عندهم ورداً للإيمان الذي لا يناسب حال

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٩٠/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٢/٩ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩٨/١ .

(٣) المحرر الوجيز / ١٠٢٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ٣٦٠/١٣ .

فعلهم "أي لا يؤمن من أكثر هؤلاء المكذبين من قومك إلا إذا أشركوا مع الله غيره فانهم يقرون بأن الله هو الخالق الرزاق ويعبدون معه الأصنام" (١) ، فهو ذم جماعي لأفعالهم مترتب على الذم الجماعي في أقوالهم المتحقق في بلاغة "إسناد هذا الحكم إلى (أكثرهم) باعتبار أكثر أحوالهم وأقوالهم لأنهم قد تصدر عنهم أقوال خالية عن ذكر الشريك وليس المراد ان بعضاً منهم يؤمن بالله غير مشرك معه إلهاً آخر" (٢) ، وجامع العطف في الآية انه في مطلعها نفى عنهم الإيمان العقائدي وختم الآية في نفى الإيمان العقائدي لهم ولكن لم ختم بالجملة الاسمية ؟ وذلك لنكتة بلاغية إذ "المقصود من هذا تشنيع حالهم والأفضل أن يكون هذا من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده على التهكم" (٣) .

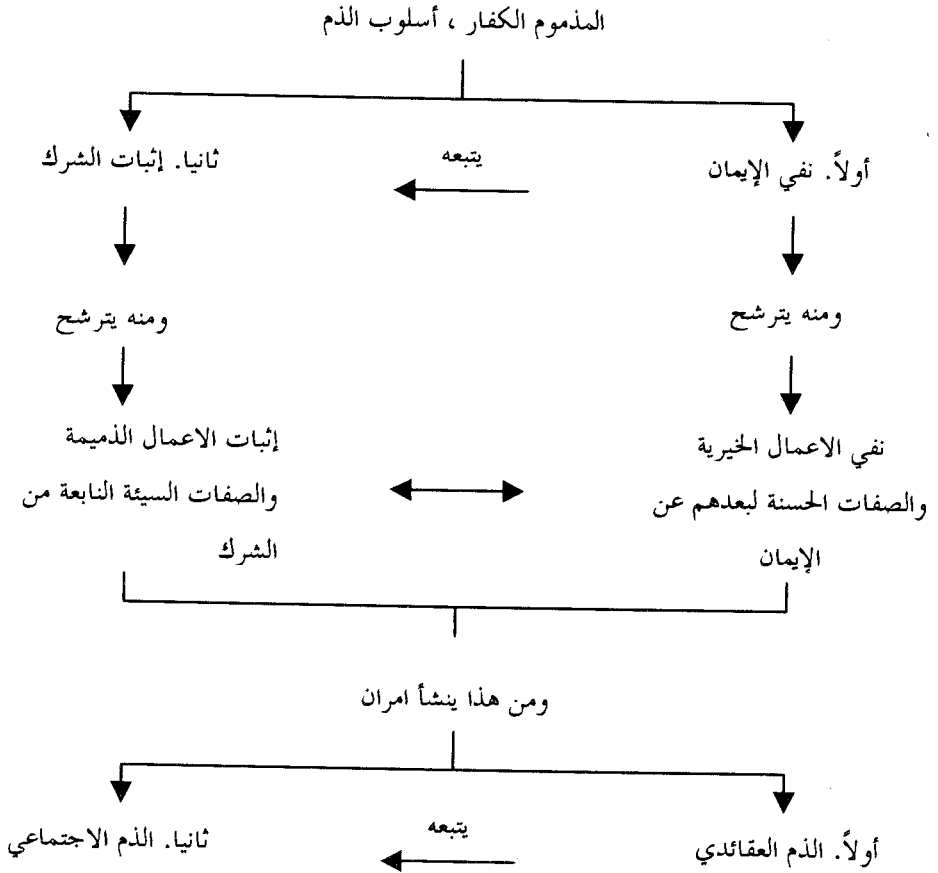
هم إذ كيف يؤمنون ويشركون ؟ وكذلك لبيان حال باطنهم من إقرار الشرك وتعلقهم بظواهر الأشياء فهم "مشركون قيمة من قيم هذه الأرض في تقريرهم للأحداث والأشياء والأشخاص مشركون سبباً من الأسباب مع قدرة الله في النفع أو الضر سواء" (٤) ، لذا ختم بالجملة الاسمية في الذم الباطني لعقيدتهم وكما هو مبين في المخطط الآتي:

(١) صفوة التفاسير : ٦٣/٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٤/١٣ .

(٣) م . ن . ن : ٦٣/١٣ - ٦٤ .

(٤) في ظلال القرآن : ٥٣/٥ .



سورة الكافرون

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون / ١-٦] .

نزلت الآية الكريمة في نفر من قريش قالوا للنبي ﷺ اتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة وان كانت آلهتنا خير أصابك منها وان كان في إهلك خير أصبنا منه ، فقال النبي ﷺ : معاذ الله ان اشرك به غيره ^(١) ، ومن هذا "يتبين ان تسمية السورة بـ (الكافرون) لأنها اختصت بمخاطبتهم والرد "عليهم" ^(٢) وليس هذا فحسب بل نجد جوانب أخرى ترشحها الوحدة الموضوعية للسورة كلها وذلك في (ثلاثة) أمور:

الأول - ذم الكافرين عن طريق خطاب النبي ﷺ بـ (قل) للتبليغ وإقامة الحجة وتميز المؤمنين من الكافرين في عقيدتهم .

الثاني - ذم الكافرين في عبادتهم وذمهم في معبودهم من دون الله عز وجل .

الثالث - ذم الكافرين في سوء العاقبة في الحد الفاصل بين الإيمان والكفر بقوله (لكم دينكم ولي دين) .

فهي "سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه" ^(٣) ، فمن مطلعها نجد قوة التبليغ الذي يناسب أسباب النزول في حادثة القصة في بلاغة أسلوب الأمر (قل) "للاهتمام بما بعد القول بانه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على انه مرسل بقول يبلغه والا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه" ^(٤) ، وكذلك للتنبية على خطورة ما بعده ، لذا خصه ببلاغة النداء (يا أيها الكافرون) وقد

(١) أسباب النزول / ٢٦١ .

(٢) أسماء سور القرآن الكريم ، باسل (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩ / ٢٨٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٥٥٦/٤ ، التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز / ٦٠٣ .

(٤) التحرير والتنوير / ٣٠ / ٥٨٠ .

عرفه الزركشي بأنه خطاب الذم لهم^(١) ، وقد وقع نداءهم في القرآن الكريم في موضعين فقط "لتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضوعين وكثر الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) على المواجهة وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعرافاً عنهم كقوله (ان الذين كفروا) (قل للذين كفروا)^(٢) ، فقد ناداهم بحقيقتهم ووصفهم بصفتهم انهما ليسوا على دين وليسوا بمؤمنين وإنما هم كافرون فلا التقاء إذن بينك وبينهم في طريق"^(٣) ، وقد خاطبهم بالجملة الاسمية لثبوت الكفر في قلوبهم ورسوخه فيهم وليبان سوء عاقبتهم فهو "خطاب لمن سبق في علم الله انه يموت على كفره كان المراد بهذا العموم خصوص من كان كذلك"^(٤) ، ثم جاء التبليغ بقوله (لا أعبد ما تعبدون) في الحال والمستقبل في ذم عابد الأوثان والأصنام وتنزيه الخالق جل وعلا لذا جاء بالأسلوب الخبري الابتدائي بعد الأسلوب الانشائي الطلبي لتشريف المخاطب ﷺ وتركيبته تعريضاً بهم في عبادتهم واعتقادهم على وجه الثبات والدوام وهذا تناظر جميل^(٥) ، ثم بين ذم العبادة بقوله (ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، أي لا أعبد ما عبدتم مثل عبادتكم ولا أنتم عابدون ما أعبد أي مثل عبادتي وهي التوحيد الخالص لله عز وجل^(٦) ، ومن بلاغته أسلوب التكرار "في اللفظ دون المعنى من قبل ان التقابل يوجب أن يكون ولا أنتم عابدون ما عبدت فعدل عن لفظ عبدت إلى أعبد اشعاراً بان ما عبد في الماضي هو الذي يعبد في المستقبل .. وقال (ما أعبد) ولم يقل : من أعبد ليقابل به (ولا انا عابد ما عبدتم) وهي أصنام وأوثان ولا يصلح فيها إلا (ما) دون (من) .. "^(٧) ، وبه تحققت بلاغة الطباق السلب (لا أعبد) في نفيها وقوله (ما تعبدون) وهو تعريض بالمشركين في

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢٣٠/٢ .

(٢) البرهان : ٢٣٠/٢ ، النداء في القرآن الكريم ، معن (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ،

جامعة الموصل ، ١٩٩٩ / ١٥١ .

(٣) في ظلال القرآن : ٦٨٨/٨ .

(٤) فتح البيان : ٤١٩/١٥ .

(٥) التعبير القرآني / ٣٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٨/٢٠ .

(٧) م . ن : الصفحة نفسها ، التفسير القيم / ٥٣٢ .

مكة "وفائدة هذا التأكيد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار بموافاتهم الكفر وانهم لا يسلمون أبداً" (١) ، وفي حسن الختام جاء التعبير بـ (لكم دينكم ولي دين) في بلاغة تقديم المسند على المسند إليه في الموضوعين ليفيد بلاغة "قصر المسند إليه على المسند أي دينكم مقصور على الكون بانه لكم لا يتجاوزكم إلى الكون لي وديني مقصور على الكون بانه لا يتجاوزني إلى كونه لكم أي لأنهم محقق عدم إسلامهم" (٢) ، وهذا يعني البراء منهم "فالقسمة إذن ثنائية دين الحق وهو الإسلام ودين الشرك وهو كل ما عدا الإسلام من الأديان" (٣) ، من هذا نرى ان افتتاح الآية جاء ببراعة المطلع بزم الكافرين وجاء حسن ختامها بزمهم ، إذ "لما كان المقصود براءته من دينهم بدأ به في أول السورة ثم جاء بقوله (لكم دينكم) مطابقاً لهذا المعنى أي لا أسألكم في دينكم ولا أوافقكم عليه بل هو دين تختصون أنتم به ولا أشرككم فيه ابداً فطابق آخر السورة اولها فتأمله" (٤) ، وهو من بديع الوحدة الموضوعية ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) اعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين : ٤٣٢/٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٨٤/٣٠ ، من بلاغة القرآن / ١٥٥ .

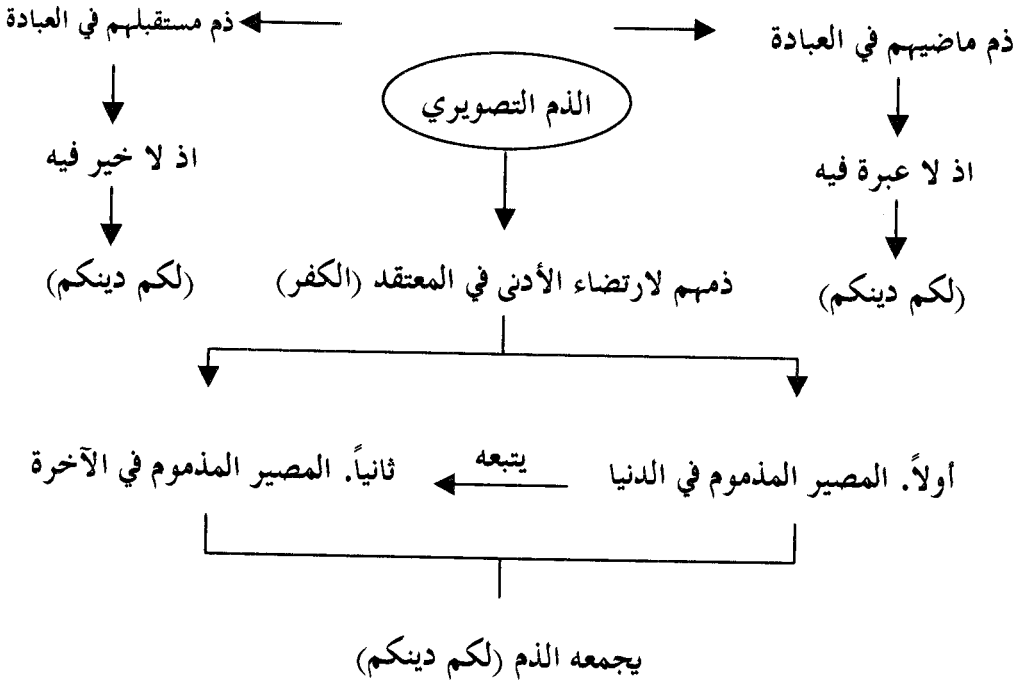
(٣) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم / ٤١٧ ، تفسير جزء عم ، نعمة الله / ٢٧٦ .

(٤) بدائع الفوائد : ١٤٠/١ .

الخطاب الاعلى من الحق إلى رسوله (قل) لتقرير

(ولي دين)

المذموم في السياق (الكافرون)



ويمكن أن نلاحظ الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [١-٣]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل التقديم والتأخير الإضمار الاستعارة التهكمية	(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا) (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)	١
القصر الإضمار والمشكلة المجاز المرسل الأمر ، الاستعارة الالتفات	(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) (إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) (فَذُوقُوا الْعَذَابَ) (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)	٢
الاستفهام التقديم والتأخير التعريض الاستفهام النكرة التذييل	(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ) (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا) (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)	٣
الخبر الابتدائي ، الإضمار الإظهار التشبيه الوصل ، المبالغة	(حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ) (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) (فَتَخَطَّفَهُ الطُّيْرُ)	٤

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
التقديم والتأخير الإضمار	(فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ) (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ)	
الإضمار التشبيه الإطناب مجاز عقلي الفصل التوكيد ، التذييل	(مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ) (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) (فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) (لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ) (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)	٥
الوصل ، القصر الإضمار العطف ، الإضمار	(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا وَهُمْ) (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ) (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)	٦
الأمر ، النداء أسلوب خبري ابتدائي الوصل والفصل الفصل والتقديم المسند حسن الختام	(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)	٧

المبحث الثاني

أساليب ذم المنافقين

ان مصطلح المنافقين في القرآن الكريم له دلالاته على الذم العقائدي لما يخفي المنافق من الكفر ويظهر من الإسلام وهذا مما يدل عليه المعنى اللغوي المشتق من النفق فهو "سرب في الأرض له مخلص إلى مكان .. ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتفم خلاف ما يظهر فكان الإيمان يخرج منه أو يخرج هو من الإيمان في خفاء .. والنفق .. المسلك النافذ الذي يمكن الخروج منه" (١)، ومنه الدلالة في النص القرآني بقوله تعالى : ﴿فَإِنْ اسْتِطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأنعام/ ٣٥] ، فالمنافق له ظاهره الذي يخالف باطنه "وهو الدخول في الشرع من باب والخروج منه من باب وعلى ذلك نبه بقوله (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون من الشرع وجعل الله المنافقين شرراً من الكافرين فقال (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار)" (٢)، والذي تحقق في بلاغة التوكيد مع الإظهار ، إما عدد الآيات القرآنية التي ورد الذم صريحاً في لفظ (النفاق) فهي (سبع وثلاثون) آية (٣) ، وإما الآيات التعريضية فهي كثيرة توزعت معها الأغراض والمعاني حسب ما يقتضيه السياق ويمكن أن نجمع أساليب الذم في (ستة) معانٍ :

الأول : ذم جماعي بأسلوب الاقتران الثنائي مع الكفار في بلاغة الوصل والإظهار، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب/ ٤٨] ، وكذلك ذمهم مع المشركين ، في قوله تعالى : ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب/ ٧٣] ، وهو يرجع إلى الذم العقائدي في سلوكهم كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ

(١) مقاييس : اللغة : ٤٤٥/٥ .

(٢) المفردات / ٥٠٢ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٨٠٩ .

آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿سورة النساء/ ١٣٧﴾ ، والذي تحقق ببلاغة الطباق ، وليس هذا فحسب بل جاء ذمهم بالاقتران مع ذكر اليهود كما في قوله تعالى : ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة/ ١٤] ، في بلاغة الاستفهام الانكاري مع الإضمار بذكرهم زيادة في الذم .

الثاني : ذم في الصفات كنفى الفقه والعلم في بلاغة إظهار اسم المنافقين في الفاصلة القرآنية ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ﴾ [سورة المنافقون/ ٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون/ ٨] ، وكذلك في بلاغة الإضمار في قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة/ ١٢] ، ومن الصفات الذميمة الجامعة للخصال الرذيلة هي (الكذب والخداع المتحققة في الأسلوب الخبري المؤكد في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون/ ١] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [سورة النساء/ ١٤٢] ، واما قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ [سورة النساء/ ١٤١] ، فإن التربص "صفة للمنافقين وحدهم بدليل قوله (وان كان للكافرين نصيب) والتربص حقيقة في المكث بالمكان .. " (١) ، ومن بديع النظم القرآني آية جمعت ذم المنافقين (لما في دواخلهم وذم أفعالهم وذم نيتهم) كما في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الممتحنة/ ٢] ، في بلاغة الإطناب ، وغيرها من الصفات التي وردت في الآيات القرآنية (٢) .

الثالث : ذم في انتقاء اللفظ ودقة التعبير الذي يرشح بلاغة الاستعارة التهكمية كما في قوله تعالى : ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء/ ١٣٨] ، إذ لا بشرى لهم في الخير فهي استعارة تهكمية بهم وليس هناك بشرى في العذاب ، ومنه قوله

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٧/٥ ، المنافقون في القرآن الكريم ، السيد حسين / ٧٥ .

(٢) أسلوب السخرية في القرآن الكريم / ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٧ .

تعالى : ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة الحشر/ ١١] ، في ذم لإخوتهم في الضلال والكفر وليس في الخير ، ومما جاء الذم لهم في سوء الحال قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء/ ١٤٥] ، فهم "في أدل منازل العذاب لأن كفرهم أسوأ الكفر لما حُف به من الرذائل" (١) ، ومن بديع دقة التعبير آيات التمثيل والتشبيه ، كما في قوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة/ ١٧] ، ومن فنون الذم المجاز المرسل في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة/ ١٦] ، والمجاز العقلي في قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) ، ومن أساليب الذم تشبيههم بالشیطان في أسلوبه وحيله في قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الحشر/ ١٦] ، "أي مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان الذي أغرى الإنسان بالكفر ثم تخلى عنه وحذله" (٢) .

الرابع : ذم بأسلوب التعريض بهم ، كما في قوله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف/ ٣] ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء/ ١١٤] ، "وقد نهى الله المسلمين عن التجوى غير مرة لأن التجاوي كان من شأن المنافقين" (٣) .

الخامس : أسلوب ذم في إلزام المخاطب الحججة كتقاعسهم عن الجهاد في قوله تعالى : ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ

(١) التحرير والتنوير : ٢٤٤/٥ .

(٢) صفة التفاسير : ٣٠٩/٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩٨/٥ ، البناء القرآني للأخلاق ، الشاكر / ١١٨ .

نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴿ [سورة آل عمران / ١٦٧] ، المتحقق في بلاغة الطباق ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء / ٦١] ، وذلك لسوء أعمالهم وتصرفاتهم وهذا يؤول إلى الذم العقائدي "بل يؤكد القرآن ان عدم استعداد طبعهم للإيمان يجعل كل حواسهم مغلقة أي توجيهه إلى الإيمان أو تذوق أي موعظة تهدي إلى العقيدة" (١) .

السادس : من أساليب ذم المنافقين ذم يجمع بين (الكفر والنفاق) في ذم الأعراب في قوله تعالى : ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة / ٩٧] ، وذلك "لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لأهل الخير والصلاح" (٢) الذي تحقق في الأسلوب الخبري الابتدائي ، وكذلك ذم أهل المدينة في بلاغة التقديم والتأخير ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة / ١٠١] ، وقد جمع ذم الأعراب وأهل المدينة ، ومن هذه الأساليب في ذم المنافقين يمكن أن نجد النكتة البلاغية وهي "اذا كان هناك ذم في القرآن فانما هو لبيان حقيقة حالهم وقبح تصرفهم لقصد الوعظ والإنذار لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً فالذم لم يكن لأشخاص معينة وإنما كان بأسماء عامة كالمنافقين والظالمين والفاستقين والمجرمين والمشركين" (٣) ، وهذا من أدب الخطاب القرآني ، واذا كانت (سورة المنافقون) قد جمعت صفاتهم الذميمة من دلالة عنوان اسمها "فقد ورد ذكر المنافقين ووصفهم ووصف أحداثهم في (ثلاث عشرة) سورة من السور المدنية البالغ عددها ثلاثون وهي : البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنفال - التوبة - النور - الأحزاب - محمد - الحديد - المجادلة - الحشر -

(١) أسلوب السحرية في القرآن الكريم / ٢٩٨ .

(٢) صفوة التفاسير : ٤٧٣/١ .

(٣) لغة المنافقين في القرآن ، د. عبد الفتاح : ١٥/١ .

المنافقون" (١) ، وليس هذا بقليل وذلك لخطورة أفكارهم وسلوكهم ضد الدعوة الإسلامية في مرحلتها الثانية في المدينة المنورة تحذيراً للمؤمنين منهم وتنفيراً لهم من صفاتهم وأكثر الصور القرآنية في ذم المنافقين إطناباً سورة التوبة ، فقد ورد ذمهم من الآية [٤٢-١١٠] ، لذا بينا معاني الذم فيها ، وأما (سورة المنافقون) فقد صرحت بدمهم فقد "استهزأ الله سبحانه بهم في كتابه الكريم دلالة على تحقير شأنهم وبغض الله لهم" (٢) ، لذا جعلناها نموذجاً للدراسة والتحليل .

المنافقون كما عرضتهم سورة التوبة

ويمكن أن نقسم الآيات القرآنية إلى (ست) مراحل ، وكما هو مبين :

الأولى : ذمهم في التقاعس عن الجهاد كما بينت الآيات القرآنية : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنْ مَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابْغَاءَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾ .

اذ نجد "الآيات نزلت في غزوة تبوك على وجه الذم للمتخلفين والمدح

(١) م . ن : ١٤/١ .

(٢) أسياد الدنيا وأسياد الآخرة / ٧١ ، أمراض المجتمع في القرآن الكريم ، علاء / ٢٣ .

للمبادرين"^(١)، ومن السياق نجد صفات الذم في الأسلوب الخبري والإطناب وهي :
الكذب في ادعائهم مع نفي الإيمان عنهم وإثبات الريبة في قلوبهم - عدم الاستقرار
الفكري في تردددهم يبين ذم نيتهم في الخروج لنفي الإرادة عندهم وهذا يكشف عن ذمهم
في القعود فهي "مذمة لهم لأن القاعدين هم الذين شأنهم القعود عن الغزو وهم الضعفاء
من صبيان ونساء"^(٢) ، ذم وجودهم مع المجاهدين (أفعال وصفات) وذمهم في ابتغاء
الفتنة في قوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) فهو تأكيد الذم بما يشبه المدح "أي
ما زادوكم قوة أو شيئاً مما تفيد زيادته في الغزو نصراً على العدو"^(٣) ، وهو يؤول إلى
صفة التخاذل وترويح الأخبار الكاذبة لذا ختمت الآية بصفة (الظلم) الدالة على أشد
صفات الذم وهو الكفر والشرك وهو من بديع بلاغة التذليل ، أما قوله (وقلبوا لك
الأمور) فهو ذم يناسب حالهم في عدم التثبت على حال فقال (قلوبوا) "مبالغة في قلب
الأمر إذا أخفي ما كان ظاهراً منه وأبدي ما كان خفياً"^(٤) ، فهو "ذم المنافقين المتشاكليين
والمعتذرين والمستأذنين في التخلف بلا عذر وصفات أهل النفاق من جبن وبخل وحرص
على أخذ الصدقات مع انهم ليسوا بمستحقينها"^(٥) ، وكل ذلك تحقق في بلاغة الإطناب
والتذليل في الفاصلة القرآنية .

الثانية : ذم سلوكهم الاجتماعي : وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ
كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَارَهُونَ (٥٤) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ
وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَعَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ

(١) لغة المنافقين في القرآن : ١٨٢/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢١٥/١٠ ، المنافقون في القرآن الكريم / ٢٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢١٦/١٠ .

(٤) م . ن : ٢١٩/١٠ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٠٠/١٠ .

يَجْمَحُونَ (٥٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ .

فبدأ الحديث في ذمهم في ذكر المال والتصرف به وعدم قبول الإنفاق لعله الفسوق دون ذمهم بالتصريح بـ (النفاق) بقوله (انكم كنتم قوماً فاسقين) "وإنما اختيار وصف الفاسقين دون الكافرين لأنهم يظهرون الإسلام ويبتلون الكفر فكانوا كالمائلين عن الإسلام إلى الكفر"^(١)، وقد تبين ذلك في بلاغة التوكيد مع الإضمار، ثم أطنب في ذمهم لعدم قبول أعمالهم وخصهم السياق بـ (الكسل والكرهية) فذكر الكسل مع أعظم العبادات وهي الصلاة وذكر الكراهية مع المعاملات في الإنفاق "إلا ان ذكر هذين السبيين إشارة إلى تمكن الكفر من قلوبهم إلى مذمتهم في النفاق الدال على الجبن والتردد فذكر الكفر بيان لذكر الفسوق"^(٢)، بأسلوب القصر، ثم أعقبه بقوله (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) فبعد ان قطع رجاءهم من منافع الآخرة أعقبه بقطع رجائهم من منافع الدنيا في المال والأولاد^(٣)، ثم ذكر السياق ذمهم في الحلف في تعاملهم وتوددهم إلى المسلمين - ثم خصهم بصفة القدح والتعيب في الصدقات لما يتمنون من العطاء والرضى عن المؤمنين وهذا من حرصهم وطمعهم لعدم القناعة بما قسم الله عز وجل تمثلت في بلاغة طباق السلب (اعطوا - لم يعطوا) مع بلاغة الإضمار الغالب في السياق ذمًا لهم .

الثالثة : ذم المنافقين في المعتقد : وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) يَحْذَرُ

(١) م . ن : ٢٢٦/١٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٢٧/١٠ .

(٣) متشابه القرآن ، القاضي عبد الجبار : ٣٣٨/١ ، لغة المنافقين في القرآن : ١٩٣/١ .

الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْتُهُمْ كَأَنَّهُمْ مُجْرِمِينَ (٦٦) .

ولخطورة الجانب العقائدي في حياة المؤمنين أعاد هذا الجانب تأكيداً عليه فمدار الذم العقائدي حول الإيمان بالله ورسوله ، فقد جمعت الآيات بين الصفات الذميمة وأشدّها كما صرح السياق الإيذاء ولكن مع من ؟ مع النبي ﷺ بذريعة انه إذن وقد تحقق هذا في بلاغة التشبيه البليغ مع الإضرار إعراضاً عن ذكرهم ، وهذا يبين ذمهم في صفة الخديعة في طلب رضى المؤمنين دون رضى الله عز وجل ورسوله ، في بلاغة الوصل والفصل ، وذمهم في المحاددة لشرع الله عز وجل جاء السياق بلاغة الاستفهام والإضرار بذكرهم تبعه ذم بواطنهم فيما ينزل من آيات القرآن الكريم في الأسلوب الخبري المؤكد وأكد لأن الأمر خفي في داخلهم والله مطلع عليه وهو يبين ذمهم مع الآيات القرآنية فبدل الخشوع والخضوع نجد الاستهزاء واللعب - كما صورته أسلوب القصر بانما - ذم عاقبتهم بالكفر وبأنهم مجرمين في التذييل المؤكد بـ (ان) مع إضرار ذكرهم، وتعاوض الفنون البلاغية التي ترسم صورة لأحوالهم الذميمة .

الرابعة : ذم حقيقة المنافقين والمنافقات : وذلك في قوله تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴿

افتتحت الآية بدم الجنسين الذكر والأنثى فهم بعض من بعض في بلاغة الإطناب والوصل والفصل وهو يكشف عن الذم النابع من بواطنهم في المخالفة فهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ^(١) - ذم بصفتي البخل والشح بقوله (ويقبضون ايديهم) وهو "كناية عن الشح وهو وصف ذم لدلالته على القسوة لأن المراد الشح عن الفقراء" ^(٢) ، وهذا "التصوير الكنائي يوحي بقوة هذه الصفة في شخصية المنافقين وتمكنها في أنفسهم" ^(٣) . ومنه ذمهم بصفة الفسوق وذم عاقبتهم جمعاً مع الكفار في النار ومنه التشبيه بدم حالهم بحال من سبق في غرورهم وعدم الاعتبار به وهو من بلاغة الإطناب "والغرض منه الذم والتوبيخ" ^(٤) ، وفي الختام مدح المؤمنين والمؤمنات في سلوكهم الإيماني وما أعد الله عز وجل لهم من الفضل والرضوان تعريضاً بالمنافقين والكفار في بلاغة المقابلة فقال مع المؤمنين (بعضهم أولياء بعض) "لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين فكان بعضهم ناشئ من بعض في مذامهم" ^(٥) ، لذا قال (بعضهم من بعض) .

الخامسة : ذم صفات المنافقين : وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا

(١) ينظر القرآن والمجتمع ، د. محمد / ١٣٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٥٤/١٠ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٢٤١/٣ .

(٣) الكناية في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل ، ١٩٩٥) / ١٧١ .

(٤) صفوة التفاسير : ١ / ٤٦٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٦٢/١٠ .

أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدِّقَنَّ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) ﴿

فبدأ الذم في سوء عاقبة المنافقين (وبئس المصير) وأمر النبي ﷺ بجهادهم فافتتح الآية ببلاغة النداء وأسلوب الأمر وبلاغة الوصل - وذمهم في الحلف الباطل الذي تحقق في بلاغة الطباق - ومما يرشح السياق بلاغة تأكيد الذم بما يشبه المدح في قوله (وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وهو يبين ذمهم في العهد وعدم الرضى في الصدقات إذ يكشف عن صفة السخرية فيهم "فجعلهم بقدرته سخرية للمؤمنين وللناس أجمعين حيث فضح نفاقهم وكشف صغارهم ثم توعدهم بعذاب أليم من بعد ذلك" (١) ، وهذا يرشح بلاغة المشاكلة لسوء فعلهم، ثم اتبع السياق ذمهم بصفتي (الكفر - الفسوق) في الأسلوب الخبري مع الإطناب، وذم المتخلفين عن الجهاد في حالة الفرح بدل الحزن والنكد ، وكذلك ذمهم في أقوالهم لتثييط المجاهدين عن النفير في الحر في بلاغة

(١) من ادب القرآن ، د. أحمد / ١٤٥ .

أسلوب النهي وبلاغة الأمر، ثم جاء التذييل في بيان ذم عاقبة حياتهم بالموت على الكفر وهم فاسقون - وكذلك ذمهم في قبول القعود عن الجهاد "وتخصيص (اولوا الطول) بالذكر لأن الذم لهم الزم لكونهم قادرين على أهمية السفر والجهاد .." (١) ، و ذمهم في طلبهم أن يكونوا مع الخوالم وهن "النساء اللاتي تخلفن في البيوت فلا يبرحن وذلك أبلغ في الذم في إلحاقهم بالنساء .. وفي ذلك تهجين لهم ومبالغة في الذم" (٢) ، وقد تحقق في بلاغة الاستعارة - ثم كرر ذمهم مع ذكر الأموال والأولاد "اذ المقام مقام ذم أموالهم إذ لم ينتفعوا بها" (٣) إطناباً .

السادسة : ذم الأعراب ومن أهل المدينة : وذلك في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٩٠) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ(٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٩٣) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٩٤) سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٩٦) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٩٧) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَاتِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ

(١) لغة المنافقين في القرآن : ٢٣٥/١ ، السور المدنية ، د. عهد / ٦١ .

(٢) م . ن : الصفحة نفسها .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٨٧/١٠ .

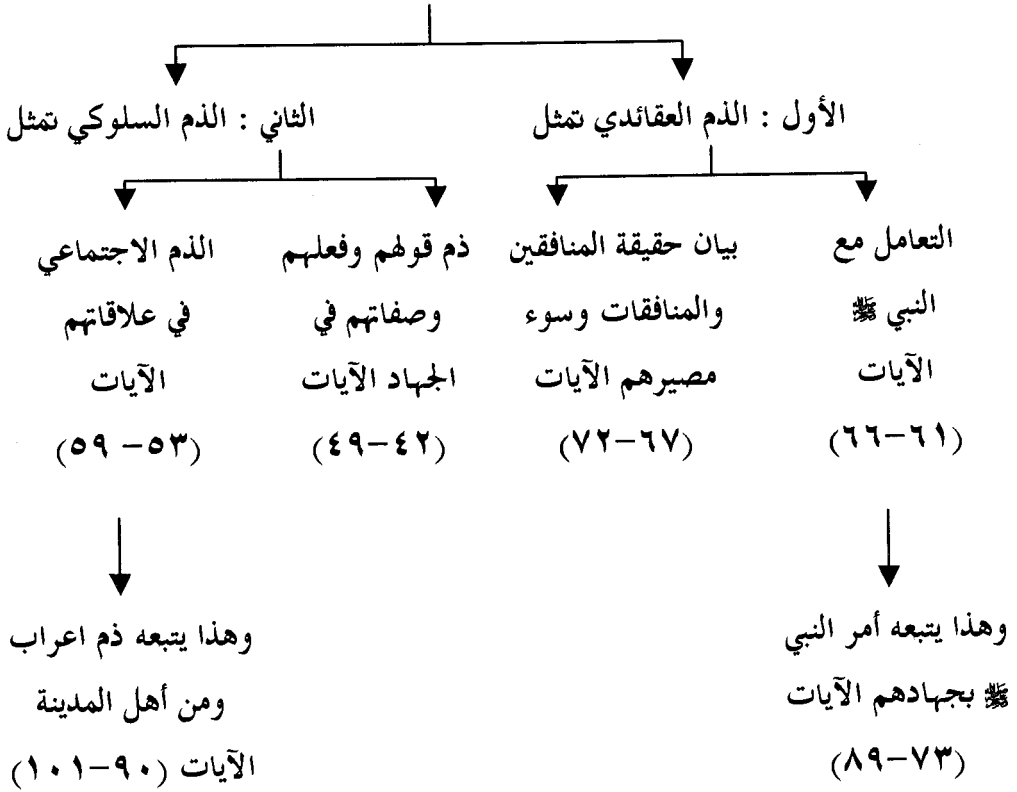
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذْخَلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠) ﴿

فقد بدأ السياق بزم الأعراب بصفة التخلف لذكهم وكفرهم تمثل في بلاغة الأسلوب الخبري مع بلاغة الإطناب والإضمار ثم أعقبه بزم الاغنياء في عدم تسخير أموالهم وأنفسهم لله وضم صفة الحلف بالباطل لأنهم رجس في بلاغة التوكيد ثم جاء السياق في بيان سوء العاقبة والمأوى (جهنم) في بلاغة الوصل والفصل مع ذمهم في اتخاذ الناس غايةً للرضى بعد رضى الله عز وجل لأنهم فاسقون - ذم الأعراب بالشدة بصفتي الكفر

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي

والنفاق فهو تعريض بأخلاقهم لسوء طبعهم وجفائهم وبعدهم عن سماع القرآن الكريم^(١) ثم خص السياق ذم الأعراب في نية الإنفاق في ذلك بقوله (مغرمًا) ثم اتبعه في الذم بالاقتران الثنائي الأعراب ومن أهل المدينة لسوء حالهما ، ثم ذم الأفعال عند المنافقين لسوء نيتهم في بناء مسجد ضرار لأجل التفريق ومحاربة المسلمين بذريعة العمل الصالح إلا أنهم كاذبون كشفت عنهم بلاغة الإطناب والإضمار ويمكن أن نجمع معاني الذم في السورة إيجازاً في المخطط الآتي :

سورة التوبة (صفات المنافقين)



(١) تفسير الجلالين / ٢٢٨ .

(سورة المنافقون)

ان الناظر في الآيات القرآنية يجد معاني الذم تدور حول (ثلاثة) أمور (الذم العقائدي - ذم الأعضاء - ذم صفات سلوكية) وهي مدار سورة المنافقون لذا جعلناها محاور التحليل :

الذم العقائدي

قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ﴾ .

فهؤلاء المنافقون إذا حضروا مجلس الرسول ﷺ بادروا إلى الشهادة كما بين السياق وهي "اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ، ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة لأنهم لم يعتقدوا ذلك" ^(١) ، وأكدوا كلامهم بـ (ان) و (اللام) لنكتة بلاغية وهي "للإيدان بان شهادتهم هذه صادرة من صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم" ^(٢) ، ولنكتة أخرى فقد أكدوا "كلامهم بان واللام لإعلامه بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم ومعلوم ان هذا غير مطابق للواقع لأنهم قالوا ذلك عن غير اعتقاد منهم" ^(٣) ، ومن بلاغة مطلع السورة الكريمة نجد "أخلاق المنافقين وصفاتهم الذميمة التي من أظهرها الكذب ومخالفة الظاهر للباطن فانهم يقولون ما لا تعتقده قلوبهم" ^(٤) ، ثم يرشح السياق بلاغة الجملة التعريضية (والله يعلم انك لرسوله) لغرض الاحتراس "فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين ولولا هذا التحفظ لاهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة وليس هذا هو

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩٥/٢ .

(٢) تفسير أبي السعود : ٢٥٠/٦ .

(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن / ١٢٧ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣٣٤/٣ .

المقصود وإنما المقصود تكذيب إقرارهم فهم يقررون الرسالة حقاً ولا يشهدون بها خالصي الضمير" (١) ، ليعين كذبهم وادعائهم في ذلك ، لذا أعقبه بقوله (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) في بلاغة إظهار لفظ الجلالة بدل الإضمار تعظيماً للأمر وجاء بالفعل (يشهد) "في الإخبار عن تكذيب الله تعالى إياهم للمشاكلة حتى لا يكون إبطال خبرهم مساوياً لأخبارهم" (٢) ، وقدم المسند إليه (الله) على الفعل يشهد ليؤكد الحكم ويقويه ويلزمهم ثبوتاً إلى يوم القيامة ، وأكد بـ (ان) و (اللام) ليثبت انهم مذمومون في المعتقد بأقبح الصفات وهي الكذب "أي فيما أخبروا به وان كان مطابقاً للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم" (٣) ، الفاسد والباطل الذي نشأ منه الكلام الكاذب ، وعدل عن الإضمار إلى الإظهار بذكر (المنافقين) "لذمهم والإشعار بعلّة الحكم" (٤) .

ثم أعقبه بقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) وهو ذم لهم في اتخاذ الأيمان لعلّة الصد عن الدعوة الإسلامية والهدى "أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الأثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جبلة أمرهم" (٥) ، وهو نوع من المراوغة والحيلة وهذا يوافق ذمهم في الشهادة الذي يبين بلاغة الاستعارة التبعية "والمعنى جعلوا أيمانهم كالجنة يتقى بها ما يلحق من أذى فلما شبهت الإيمان بالجنة على طريقة التشبيه البليغ اتبع ذلك بتشبيه الحلف باتخاذ الجنة أي استعمالها ففي (اتخذوا) إستعارة تبعية" (٦) ، ثم جاءت بلاغة التفرّيع في صدهم عن الحلف الكاذب لذمهم بصفتي الكفر والمكر ، لذا ختمها بقوله (انهم ساء ما كانوا يعملون) ، ببلاغة التوكيد بـ (ان) مع إضمار ذكرهم للتبنيّه على ذم أعمالهم "أي بمسئ أعمالهم الخبيثة من نفاقهم وأيمانهم

(١) في ظلال القرآن : ١٠٦/٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٣٥/٢٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٩/٤ - ٣٦٠ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٢٥١/٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٠/٤ ، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم ، عبدالله / ١٧٩ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٣٦/٢٧ .

الكاذبة وصددهم عن سبيل الله" (١) ، ووظف لفظ (العمل) دون غيره من الألفاظ والتعابير لأنه جامع لنتيهم وما تطوي نفوسهم الخبيثة وما يتبعها من آار ذميمة لذا قال (يعملون) دون (يحلفون - يصنعون) ليؤكد حقيقة الذم العقائدي في حركاتهم .

ثم بين هذا الذم جلياً في قضية (الإيمان والكفر) بقوله (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون) ، فمن بلاغة السياق في الذم العقائدي توظيف اسم الإشارة للبعيد لما "فيه من معنى البعد مع قرب العهد إليه لما مر مراراً من الإشعار ببعده منزلته في الشر" (٢) ، ولخطورة الأمر والتصديق وأهميتها في حياة المكلفين أكد بـ (ان) مع الإعراض عن ذكرهم ببلاغة الإضمار مرة أخرى ليشير إلى القضية الأساسية والجوهرية في حياتهم التي تتعاضد مع بلاغة الطباق (آمنوا وكفروا) ، والسؤال البلاغي الذي يترشح : كيف سماه ايماناً مع نفاقهم وكفرهم؟ "فالمعنى ذلك بأنهم أظهروا الإيمان ثم كفروا في باطن أمرهم فسمي ذلك الإظهار إيماناً" (٣) ، لزيادة ذمهم ، وليس هذا فحسب بل ذمهم في رسوخ الكفر في قلوبهم، ومن بديع النظم توظيف حرف العطف (ثم) وهي "للتراخي الترتيبي فإن إبطال الكفر مع إظهار الإيمان أعظم من الكفر الصريح وان كفرهم أرسخ فيهم من إظهار الإيمان" (٤) ، وهذا يبين ترددهم في العقيدة وعدم استقرار الإيمان واستبدال الضلال بالهدى ، فإن قلوبهم لا يرتجى منها خيراً ولا صلاح لذا قال (فطبع على قلوبهم) فهي "كناية قائمة في بنيتها على الاستعارة كالختم حيث شبه سبحانه قلوب المنافقين التي آمنت ثم كفرت بالوعاء المطبوع عليها فلا يدخل إليه شيء فقلوبهم مغلقة عن الإيمان" (٥) ، فاذا كان هذا ذم لقلوبهم فكيف بغيرها؟ ثم جاء ببلاغة التفريع (فهم لا يؤمنون) على قوله (آمنوا وكفروا) ليبين التعبير القرآني ما آلو إليه من ان "كفرهم بعد

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٢٤/١٨ .

(٢) تفسير أبي السعود : ٢٥١/٦ .

(٣) المحرر الوجيز / ١٨٥٩ ، تفسير البغوي / ١٣١٦ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٣٧/٢٧ .

(٥) الكناية في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ،

الإيمان على الوجوه السابقة سبباً في سوء أعمالهم بمقتضى بقاء السببية وسبباً في انتفاء إدراكهم الحقائق النظرية بمقتضى فاء التفرع" (١).

وهذا من بديع توظيف الحرف في النظم ، فهم لا يدركون ثمره الإيمان في حياتهم ، لذا ذلت الآية بنفي الإيمان عنهم ، ويمكن أن نجمع معاني الذم بما يأتي :

- ذم في الشهادة المخالفة لما في بواطنهم بدليل كذبهم .
- ذم في علة اتخاذ الإيمان وقاية لهم ليصدوا عن سبيل الله .
- ذم عاقبتهم في عدم الاستقرار على الإيمان والطبع على قلوبهم .

ذم الأعضاء

قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَاتْلُوهمْ اللَّهُ أَلَىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾ .

فمن بلاغية مطلع الآية نجد خطاب النبي ﷺ في النظر إلى أجسامهم والاستماع إلى حسن كلامهم ، فبعد ان ذمهم بعدم التعقل في الأمور "اتبع .. بالتبنيه على عدم الاعتراض بحسن صورهم فإنها أجسام خالية عن كمال النفس.." (٢) ، وليس هذا الوصف مدحاً لهم ولخطورة ما في السياق من معانٍ افتتح مطلعها بخطاب النبي ﷺ ، ويمكن أن نقف عند الأساليب البلاغية في نكتتين بلاغيتين :

الأولى : أسلوب الوصل بينهما بدل الفصل وقد "أوثر العطف للتبنيه على أن هاتين صفتان تحسبان كملاً وهما يقتضيان لعدم تناسقهما مع شأنه أن يكون كملاً فإن جمال النفس كجمال الخلقه انما يحصل بالتناسب بين المحاسن والا فربما انقلب الحزن موجب النقص" (٣) ، وذلك لدلالة السياق عليه في خطاب المنافقين .

الثانية : السدم بالتشبيه (كأنهم خشب مسندة) وذلك "لأنهم كانوا رجالاً أجمل شيء وأفصحه فكان منظرهم يروق وقولهم يخلب لكن الله تعالى جعلهم كالخشب المسند

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٨/٢٧ .

(٢) التحرير والتنوير : الصفحة نفسها ، المنافقون في القرآن الكريم / ٧٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٣٩/٢٧ .

إذ لا أفهام لهم نافعة ولا نظر يصيب" ^(١) ، فهم بدون علم أو تدبير وذلك لفساد بواطنهم فهم أجسام بلا عقول ولكنها ليست خشباً فحسب بل أعقبها بقوله (مسندة) "ووصف (الخشب) بـ (المسندة) فيه مبالغة في عدم نفعهم لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبها به في عدم الانتفاع وتشديد (مسندة) للمبالغة" ^(٢) ، ليرشح معنى الإهمال وعدم الالتفات إلى أقوالهم التي تصدر عنهم دون تفكير ، فجاء السياق ليكشف عن أسرارهم وعيوبهم التي تخفى على المؤمنين بقوله (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم) ، وهو يناسب ما قبله في ذم اعضاءهم فـ "هم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والحين ولهذا قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم)" ^(٣) ، لاستقرار الرعب فيهم ولكن هم العدو الذي يخشى دسائسه ومكره ، ثم ذيلت بقوله (قاتلهم الله انى يؤفكون) في الدعاء عليهم مع بلاغة الاستفهام الإنكاري وهو "تذليل فانه جمع على الإجمال ما يعني عن تعداد مذامهم .. مسوق للتعجب من حال توغلهم في الضلالة والجهالة وبعدهم عن الحق" ^(٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٥) .

فمن بلاغة السياق نجد بيان حالة من أحوال المنافقين في الدعوة مع الرسول ﷺ في دعوتهم إلى الاستغفار فبدل من الاستجابة لهذا الطلب الإيماني وإظهار أمارات الطاعة يبرز السياق حالة ذميمة في حركة جسدية عبر عنها القرآن الكريم بقوله (لوا رؤوسهم) ، وهذه "الكناية تدل بالتشديد على أنهم قد اعتادوا هذه الحركة بكثرة لأن تضعيف العين في الفعل يدل على تضعيف الفعل أي أنهم قد كرروا هز رؤوسهم

(١) المحرر الوجيز / ١٨٥٩ ، من بلاغة القرآن / ٢٠٠ .

(٢) لغة المنافقين في القرآن : ٢٢٩/٢ ، جماليات المفردة القرآنية / ١٢٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٠/٤ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٤٢/٢٧ .

وتحريكها" ^(١) ، ورتب ذماً عليها في خطاب النبي ﷺ بقوله (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ، أي الصد مع التكبر عن الإيمان والإجابة فهم قد (لوا رؤوسهم) "ترفعاً واستكباراً وهذه وتلك سمتان متلازمتان في النفس المنافقة وان كان هذا التصرف يجيء عادةً مما لهم مركز في قومهم ومقام ولكنهم هم في ذوات أنفسهم أضعف من المواجهة فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل" ^(٢) ، لذا جاء بالفعل (يصدون) لإعراضهم عن الإيمان فكلما جاءت دعوة الاستغفار أعرضوا وهو كناية عن التكبر والإعراض "ليدل على أن الصد يتجدد منهم مع الاستمرار فيه كما يدل على استحضر هذه الصورة الذميمة من الماضي البعيد وكأنها حاضرة مشاهدة وهم لم يكتفوا بالصد والإعراض فقط بل أضافوا إلى ذلك صفة أخرى ذميمة وهي الاستكبار والترفع عن هذا النصح والإرشاد" ^(٣) ، لذا ذيلت بها الآية الكريمة ، ويمكن أن نجمع معاني (ذم الاعضاء) بما يأتي :

- ذم المنافقين بانهم خشب لا فائدة لهم إذ لا عبرة في أجسامهم ولا ألسنتهم فهي مسندة.

- ذم الحركة الرأسية في عدم الطاعة والاستجابة للرسول ﷺ .

- ذم الحركة في الإعراض لإثبات صفة التكبر الذميمة في قلوبهم الظاهرة على سلوكهم .

ذم صفاتهم السلوكية

الصفة الأولى (الفسوق) في قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٦) .

جاء جزاء عدم الطاعة في الاستجابة والاستخفاف بالاستغفار كما يرشحه التعبير في بلاغة الاستفهام والطباق السلب سواء استغفر لهم الرسول ﷺ أم لم يستغفر لهم

(١) الكناية في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥ / ١٧٧ .

(٢) في ظلال القرآن : ١١٤ / ٨ .

(٣) لغة المنافقين في القرآن : ٢٣٤ / ٢ .

بالوعيد المترتب على ذلك (لن يغفر الله لهم) في بلاغة النفي المؤكد بـ (لن) مع إضمار ذكرهم أي "ابداً لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر" (١) ، ثم أكد المسألة في تعليل انتفاء المغفرة عنهم بقوله (ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) وخصهم بهذه الصفة الذميمة التي تعني "الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق" (٢) ، تعريضاً بهم وبغيرهم ، لذا عدل عن الإضمار إلى الإظهار ليكشف عن تغلغل الفسق في نفوسهم حتى أصبح صفة طاغية في سلوكهم تجعلهم يقولون ما يدل على جهلهم ، كما بين ذلك في قوله تعالى : ﴿ هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) ﴾ ، فحتم الآية بظاهر عيب لما قالوا ذما لهم وهو يكشف "عن مكرهم وسوء طواياهم انتقالاً من وصف إعراضهم عند التقرب من الرسول ﷺ إلى وصف لون آخر من كفرهم وهو الكيد للدين في صورة النصيحة" (٣) ، لذا فصل بينهما لعدم حب الخير في الإنفاق على أصحاب النبي ﷺ وجاء الرد عليهم في بلاغة التقديم والتأخير (ولله خزائن السماوات والأرض) ليكشف عن نوايا المنافقين وما قالوا "فأعلم الله رسوله مباشرةً وأعلمهم تبعاً بان ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع" (٤) ، مما يتصورون ويدركون ، وفي الفاصلة القرآنية ذماً لهم في الصفة الثانية ليؤكد عدم إدراكهم لدقائق الأمور وكنهها بقوله (ولكن المنافقين لا يفقهون) فهي صفة ذميمة و "ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون" (٥) ، فهم لا يفقهون حكمة الله تعالى فيما خلق "فما أغياهم وأقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين" (٦) ، ثم أثبت لهم عدم العلم فيما قالوا في "استئناف ثانٍ على أسلوب التعداد والتكرار ولذلك لم يعطف ومثله يكثر في مقام

(١) تفسير أبي السعود : ٢٥٢/٦ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩٦/٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٤٦/٢٧ .

(٤) م . ن : ٢٤٨/٢٧ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٢٥٢/٦ .

(٦) في ظلال القرآن : ١١٥/٨ .

التوبيخ" (١).

ثم ختم ذمهم بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ نُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨).

وهي الصفة الثالثة التي ذمهم السياق بها ، وهذا يدل على خبث نواياهم وما يدور في نفوسهم من بذور التفرقة والغرور بأنفسهم بان القوة والعزة لهم وهو قول المنافق عبدالله بن سلول (٢) ، في بلاغة الطباقي بين (العزة - والذل) "وقد تستعار العزة للحمية والأنفة المذمومة" (٣) ، كما في قول المنافقين وجاء بالقسم وبالتوكيد في الآية لبيان القرآن الكريم شدة كراهية المنافق للدعوة الإسلامية ولأصحابها وقوة كيدهم ولذا أبطل الله عز وجل كلامهم في بلاغة التقديم والتأخير بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) حيث "توهموا ان العزة بكثرة الأموال والأتباع فبين الله ان العزة والمنعة والقوة لله" (٤) ، الذي خلق كل شيء والذي بيده مقاليد الأمور فإن العزة المطلقة لله عز وجل ولرسوله ولأوليائه الصالحين لا لأعدائه وأعداء رسوله ، وقد عدل عن إضمار ذكر المنافقين لبيان صفة ذميمة أخرى ، بعد ان أثبت لهم عدم الفهم سابقاً "مع ان المقام للإضمار لزيادة الذم مع الإشارة إلى علة الحكم في الموضوعين" (٥) ، ولنكتة أخرى وهي "انما نفى عنهم هنا العلم تجهيلاً بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط فلم يفظنوا للإقبال الذي يظهر في أحوال المسلمين وازدياد سلطانهم يوماً فيوماً وتناقص من أعدائهم فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون ان عزتهم أقوى من عزة قبائل العرب الذين يسقطون بأيدي المسلمين كما غزوه من يوم بدر فما بعده" (٦) ، وهو يدل على ذمهم وجهلهم وتأكيد الصفة الذميمة في ذواتهم وسلوكهم "وكيف يعلمون وهم لا يتذوقون هذه العزة ولا

(١) التحرير والتنوير : ٢٤٩/٢٧ .

(٢) أسباب النزول / ٢٤٤ .

(٣) المفردات / ٣٣٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٢٩/١٨ .

(٥) لغة المنافقين في القرآن : ٢٣٧/٢ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٥٠/٢٧ .

يتصلون بمصدرها الأصيل" (١) ، ومن بديع المقابلة القرآنية ان مع الرزق نفى الفقه عنهم لأن الرزق مرجعه إلى الحكمة والمعرفة وهم لم يدركوا حكمة الفقه والغنى في الحياة ، ومع العزة نفى العلم عنهم لأن العزة والكرامة من العلم الإلهي و "لأن الأول متصل بقوله (ولله خزائن السماوات والأرض) وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فطنة وفقه فناسب نفى الفقه عنهم والثاني متصل بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وفي معرفتها غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نفى العلم عنهم" (٢) ، ومن سياق الآيات يتبين معاني الذم :

- إثبات صفة الفسوق فيهم وهو ذم لأفعالهم وسلوكهم في الخروج عن الشريعة والابتعاد عنها .

- إثبات صفة عدم الفقه في الأمور وعواقبها خص الإنفاق لبخلهم وغرورهم .

- إثبات صفة عدم العلم لإثبات صفة الجهل الذميمة فيما ظنوا من ان العزة بالمال والولد من دون الله عز وجل .

ويمكن أن نلاحظ معاني ذم المنافقين في (سورة المنافقون) كما موضح في المخطط الآتي :

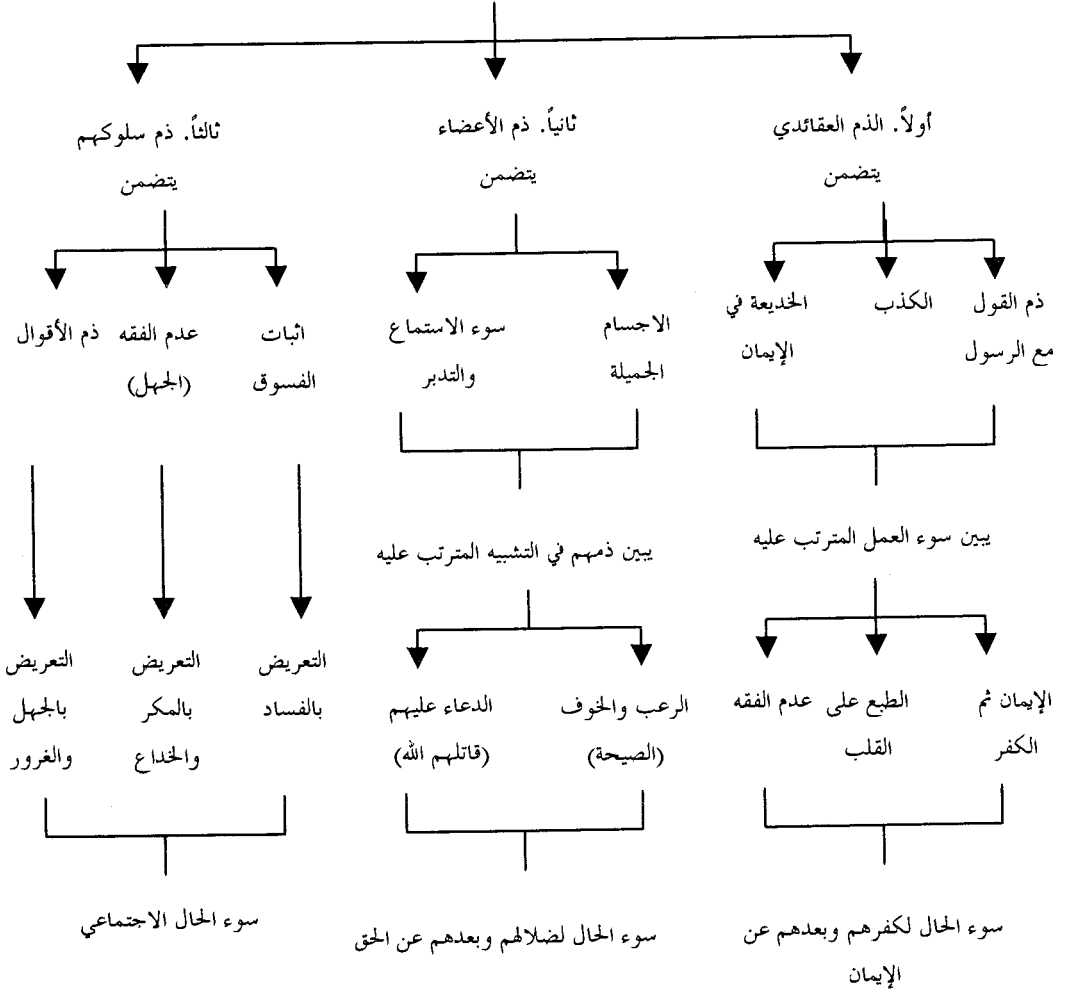
(١) في ظلال القرآن : ١١٦/٨ ، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم / ١٨١ .

(٢) فتح الرحمن / ٤٢٣ - ٤٢٤ .

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي

سورة المنافقون (حسب الآيات القرآنية الواردة)

يترتب الذم على



ويمكن أن نلاحظ الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٢-٣]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الإضمار الإظهار التوكيد والإضمار الاحتراس الإظهار الإضمار المشاكلة تقديم المسند إليه الإظهار التوكيد مع التذييل	(إِذَا جَاءَكَ <u>الْمُنَافِقُونَ</u>) (إِذَا جَاءَكَ <u>الْمُنَافِقُونَ</u>) قَالُوا نَشْهَدُ <u>إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ</u> (وَاللَّهُ <u>يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ</u>) (وَاللَّهُ <u>يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ</u>) (وَاللَّهُ <u>يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ</u>) (وَاللَّهُ <u>يَشْهَدُ</u>) (وَاللَّهُ <u>يَشْهَدُ</u>) (إِنَّ <u>الْمُنَافِقِينَ</u> لَكَاذِبُونَ) (إِنَّ <u>الْمُنَافِقِينَ</u> لَكَاذِبُونَ)	١
استعارة تبعية التفريع التوكيد مع الإضمار التذييل	(اتَّخَذُوا <u>أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً</u>) (فَصَدُّوا <u>عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ</u>) (إِنَّهُمْ <u>سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ</u>) (إِنَّهُمْ <u>سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ</u>)	٢
التوكيد مع الإضمار الطباق التفريع والاستعارة التذييل	(ذَلِكَ <u>بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا</u>) (ذَلِكَ <u>بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا</u>) (فَطَبَعَ <u>عَلَى قُلُوبِهِمْ</u>) (فَهُمْ <u>لَا يَفْقَهُونَ</u>)	٣
الوصل	(وَإِذَا <u>رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ</u>)	٤

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل التشبيه المبالغة الفصل الإضمار الاستفهام مع التذييل	(وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) (كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ) (كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ) (يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) (هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) (قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَلَىٰ يُؤْفَكُونَ)	
الوصل الإضمار والأمر الكناية عن صفة الوصل التذييل والمبالغة	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) (لَوْوَا رِعْوسَهُمْ) (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)	٥
الاستفهام الطباق السلب التوكيد والإضمار التوكيد التعريض	(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ) (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ) (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)	٦
الفصل والنهي التقديم والتأخير الإظهار	(هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا) (وَلِلَّهِ خِزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)	٧
التوكيد	(يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا)	٨

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الطباق التقديم والتأخير والوصل الإظهار	(<u>الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ</u>) (<u>وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ</u>) (<u>وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ</u>)	

المبحث الثالث

أساليب ذم أهل الكتاب

تتميز المرحلة الثانية من الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة بثبيت أسس بناء المجتمع الجديد في توطيد العلاقات التي تجعله أهلاً للتكاليف الشرعية وحمل الرسالة بالأخلاق العليا ، ولذا نجد الآيات القرآنية تركز على الجانب التشريعي والأحكام ولكن مع هذا لم تخل من التركيز على الجانب العقائدي فهو أساس كل عمل صالح وخلق نبيل ، فاذا كان الكفار والمشركون في مكة أشد على المسلمين فإن اليهود والنصارى في المدينة أخطر لما يحملونه من طبائع قبيحة وأفكار سيئة وصفات ذميمة فقد فصل القرآن الكريم في الحديث عن أهل الكتاب ولاسيما في سورتي البقرة وآل عمران ، ففي هاتين السورتين نجد "العناية تتجه أولاً إلى بناء هذا المجتمع من داخله ببناء عقيدته وتصوراته وأخلاقه ومشاعره وتشريعاته وأوضاعه إلى جانب تعليم الجماعة المسلمة كل شيء عن طبيعة أعدائها ووسائلها وتحذيرها من كيدهم ومكرهم"^(١) ، وتتلون أساليب التعبير في ذم أهل الكتاب بين دقة الوصف الذي يبنى عن سوء أحوالهم والتعامل الذي يكشف عن نواياهم وتفكيرهم في الحدث القرآني^(٢) ، وأساليب أخرى حسب ما يقتضي السياق ، ويمكن أن تجمع في (سنة) أساليب :

الأول : أسلوب ذم اليهود باضافتهم إلى اسم نبي بقوله (بني إسرائيل) وإسرائيل هو لقب نبي الله يعقوب عليه السلام "معناه عبدالله وقيل صفوة الله وقيل سري الله لأنه أسري لما هاجر"^(٣) ، وقد وردت الآيات القرآنية لتكشف عنهم في مدار الذم العقائدي (باللعن والكفر) في بلاغة الإطناب وهذا أسوأ الأحوال في ذمهم كما في قوله تعالى : ﴿لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة

(١) في ظلال القرآن : ٣٨٨/٢ ، اليهود في القرآن الكريم ، صلاح / ٣٠-٣١ ، ٣٥ .

(٢) تقسيمات أهل الكتاب في القرآن الكريم ، محمود (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإمام الأعظم ،

بغداد ، ٢٠٠١) / ٣ ، ٣٧ .

(٣) التحرير في علم التفسير ، السيوطي / ٦٧٠ .

المادة / ٧٨-٧٩] ، وقد جمع لهم في الذم الاقتران الثنائي بين (الإفساد والطغيان) في بلاغة الوصل في قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء / ٤] ، ونجد بلاغة الإطناب في ذكر الصفات الذميمة في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة / ١٣] ^(١) ، ومن أساليب ذمهم الافتتاح بالوصايا القرآنية ليختم لهم بسوء حالهم في التولي والإعراض كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة البقرة / ٨٣] ، فقد جمع لهم الذم الظاهري في الإعراض والذم الباطني في التولي "اذ المعنى ثم وليتم عن الوفاء بالعهد وأتم معرضون عن النظر والفكر في عاقبة ذلك" ^(٢) ، وقد يأتي ذكر (بني إسرائيل) على سبيل المدح لمن آمن واتبع ، وأحياناً على سبيل الذم والتوبيخ تعريضاً بهم ^(٣) .

الثاني : أسلوب ذم علماء اليهود بتنوع الألفاظ السياقية بين (الذين أوتوا الكتاب) وهو الغالب ، وقوله (الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) وقوله (الذين أوتوا الكتاب) وكلها جاءت في سياق تكشف عن مكر علماء بني إسرائيل وخداعهم والذي يجمعها سوء المعتقد ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة / ٢٩] ، وكذلك ذمهم في الولاية مع الكفار في بلاغة الوصل في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

(١) من حديث القرآن عن بني إسرائيل ، الشيخ عبد اللطيف (مجلة منبر الإسلام ، العدد ٥ ، ١٣٨٧ / ٤٧ .

(٢) فتح الرحمن في كشف ما يلتبس في القرآن / ٣٢ ، ٦٢ .

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، طنطاوي : ١٤٥ / ١ - ١٥٥ ، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم ، صابر / ١٩ .

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [سورة المائدة / ٥٧] ، بل هم أسوأ حالاً من المشركين في حبهام الدنيا كما بين قوله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة البقرة / ٩٦] ، "فاليهود أحرص الناس على مطلق حياة وهم أحرص من الذين أشركوا لأنهم يتمنون مطلق الحياة" (١) ، وان كانت ذليلة خسيصة كما بينت بلاغة النكرة ، ومن صفات الذم عنادهم وتكبرهم عن اتباع الحق والرضى بالكفر كقوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالَّذِينَ﴾ [سورة النساء / ٤٦] ، قال القرطبي "وذمهم الله تعالى بذلك لأنهم يفعلونه متعمدين" (٢) ، واذا كان القرآن الكريم قد ذمهم في الاعتداء على الكتاب المنزل (التوراة) بالتحريف والتبديل فإن أشد الاعتداء هو قتل الأنبياء والذين يأمرون بالحق معهم وهذا غاية ذم أفعالهم كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران / ٢١] ، و "فيه زيادة تشنيع وتوبيخ لأولئك فهم يقتلون النبيين دون أي مسوغ وهم يعلمون ان ذلك القتل بغير حق.." (٣).

ومن بديع أساليب القرآن الكريم تأكيد الشيء بما يشبه ضده بما يوهم المدح لأن العلم مدعاة إلى كل فضيلة وأشرفها الإيمان وان التصديق لا يدعو إلى الجهل والاختلاف وطلب السيادة وحب الذات وفي سياق يبين ذمهم بذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران / ١٩] ، لذا جعل سوء الذم بالتشبيه في عاقبتهم في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة

(١) اليهود في القرآن : ٣٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٣/٥ .

(٣) لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن ، د. فضل / ٣٣ .

الثالث : ذم عام يشمل اليهود والنصارى بقوله (أهل الكتاب) وقد توزعت الآيات القرآنية في ذمهم بالاقتران مع المشركين في سوء العاقبة في بلاغة الوصل ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة/ ٦] ، وهذا الذم يشمل ذم (النية والأقوال والأفعال والصفات) ، فمن ذم نواياهم قوله تعالى : ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة البقرة/ ١٠٥] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ١٠٩] ، ومما ورد في ذم أقوالهم الذي يكشف عن صفة الكذب والخداع قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران/ ٧٢] ، وغيرها من الصفات الذميمة ككتمان الحق واللعب والهزء بالأحكام والآيات كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة / ٥٧] ، وقد تحقق في بلاغة الإطناب والأسلوب الخبري "فاليهود إذن كما يقرر القرآن الكريم وكما يؤكد تاريخهم كله .. ليس في طبيعتهم الاستعداد للإيمان ومبدأ الاعتقاد وهو أوضح تعليل للنفاق.." (١) ، وفي سياق آخر قال تعالى : ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة/ ٦٢-٦٣] ، "فبئس ما كان يصنع علماؤهم من الرضى بهذه المعاصي وترك نصيحهم وعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم / ٢٤٩ .

عن المنكر" (١) ، وهذا غاية الذم لهم .

الرابع : ذمهم في أسلوب الخطاب (يا أهل الكتاب) فهو خطاب الإهانة والتوبيخ كما سماه السيوطي (٢) ، وفي هذا الخطاب خصوصية في سياق ذكر الصفات الذميمة فهو "احتجاج عليهم بان الإيمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الإيمان بالكتاب الذي جاء به لأنه من جنسه" (٣) ، تعريضاً بهم، وكل النداءات القرآنية تشهد للذم العقائدي ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران / ٧٠-٧١] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران / ٩٨-٩٩] ، في بلاغة التكرار ، وهي تكشف عن صفاتهم في تضليل المؤمنين وصددهم عن دينهم فوصفهم بأهل الكتاب ذمًا "وتبكيता لهم على ما كانوا يرتكبون من أفانين التضليل وأنواع التشكيل التي كانوا يحاربون بها الدعوة المحمدية" (٤) .

الخامس : ذم في القصص القرآني فإن أكثر الأنبياء عناءً وشدة مع قومه هو موسى عليه السلام ومنها ذمهم في عبادة العجل في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة البقرة / ٥١] ، وكذلك الأمر عند دخول البيت المقدس تبدو صفتهم الذميمة في قوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة / ٥٩] ، وفي قصة البقرة بيان لأساليب المراوغة والحيلة عندهم وعدم الامتثال والاستجابة لموسى عليه السلام وغيرها من الآيات التي تظهر موقفهم وسلوكهم

(١) اليهود في القرآن / ٥١ .

(٢) معترك الأقران : ٣ / ٣٧٦ .

(٣) تفسير ابن باديس : ٥٤٦ .

(٤) تفسير القرآن الكريم / ١١٨ .

السيئ^(*) ، وجاء بالأسلوب القصصي ليركز على الأحداث التي تكشف عن أخلاقية القوم في تعاملهم مع أنبيائهم ومنهم موسى عليه السلام وتكشف عن التعامل الإجتماعي الذي يبين سلوكهم وتصرفاتهم ، ولتكون أوقع في نفوس المخاطبين تأثيراً وتحذيراً للمؤمنين منهم ، وأشدها صفة الغدر والخيانة والعدوان^(١) .

السادس : ذم النصارى في قولهم وصفاتهم في بلاغة الإطناب في قوله تعالى :
 ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ
 الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة
 المائدة/ ١٤] ، والذم العقائدي فيما قالوا ، كما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ
 ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة/ ١٧] ، والذي تمثل في
 الأسلوب الخبري المؤكد ، وذمهم في مشهد يوم القيامة تعريضاً بهم في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ
 قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ
 سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
 نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة/ ١١٦] ، و"الن
 تجد على وجه الأرض كتاباً أعطى صورة أمينة عن اليهود سوى القرآن الكريم الذي سرد
 قصصهم فأجلى صفاتهم وكشف دخالهم وغوائلهم ولا غرابة في هذا فهو سجل
 الإنسانية الخالد " ^(٢) ، ومن الآيات القرآنية يمكن الوقوف عند النكت البلاغية في
 النماذج التحليلية الآتية :

بنو إسرائيل

قال تعالى : ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

(*) الآيات من سورة البقرة (٨٣- ٨٥ ، ٩٣- ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥) .

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم / ٢٦٤ ، ٢٦٩ .

(٢) صورة اليهود كما رسمها القرآن الكريم ، الشيخ أحمد (مجلة منبر الإسلام ، العدد ١١ ، ١٣٩٣) /

عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ [سورة المائدة/ ١٣] .

تجمع الآية الصفات الذميمة لليهود وسببها ومبتدأها نقض الميثاق "أي بسبب نقضهم الميثاق طردناهم من رحمتنا" (١) ، ولسوء فعلهم جاء بقوة ما يدل على ذلك بالتوكيد بـ (ما) "وذلك انها تؤكد الكلام بمعنى تمكنه في النفس من جهة حسن النظم ومن جهة تكثيره للتوكيد" (٢) ، ودلالة النقض لغةً فهو "من انتشار العقد من البناء والحبل والعقد وهو ضد الإبرام .. ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد.. " (٣) ، ولهذا أضمر ذكرهم إعرافاً عنهم وتنبهاً على صفاتهم ، ثم فصل القول بعدها في بلاغة الإطناب ليرشح التعبير (خمس) صفات ذميمة (اللعن - القلوب القاسية - التحريف - النسيان - الخيانة) ، فقد "أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده ، بقوله (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي أبعدهناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى" (٤) ، وجاء ببلاغة الوصل بقوله (وجعلنا قلوبهم قاسية) فلا يرتجى منها خير أو صلاح في حياتهم ، وإذا قست القلوب فكيف بأعضائهم؟ و"قساوة القلب مجاز إذ أصلها الصلابة والشدة فاستعيرت لعدم تأثر القلوب بالمواعظ والنذر" (٥) ، فهي ليست مكاناً للإيمان ونزول الخير عندهم ، وخص القلوب لأنها موطن الخير والرحمة ، ومن آثار ذم الأعضاء قوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) في بلاغة الفصل لأنه "استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه" (٦) ، فبعد ان ذم باطنهم أعقبه بدم ظاهرهم وهو يؤول إلى ذم تفكيرهم ، قال ابن كثير "أي فسدت فهمهم وساء تصرفهم في آيات الله

(١) صفوة التفاسير : ٢٧٩/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١١٤/٦ .

(٣) المفردات / ٥٠٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣٦/٢ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٤٣/٦ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥٩/١ .

وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل" (١) ، وهذا يكون ذمياً "بسوء التأويل اتباعاً للهوى ويكون بكتمان أحكام كثيرة مجارة لأهواء العامة .. وجيء بالمضارع للدلالة على استمرارهم" (٢) ، وعطف عليه قوله (ونسوا حظاً مما ذكروا) لإثبات عدم اهتمامهم بالميثاق الذي أخذ عليهم وتركهم العمل تجاهلاً منهم بعظم هذا الأمر مع تذكيرهم "أي تركوا العمل به رغبةً عنه .. وتركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطرة مستقيمة ولا أعمال قويمه" (٣) ، فما يرتجى لهم من حياتهم ؟ إلا الرضى بالأدنى منها وفيه نكتتان بلاغيتان :

الأولى : التعبير بالفعل الماضي (ونسوا) "لأن النسيان لا يتجدد فاذا حصل مضى

حتى يذكره مذكر" (٤) ، وهو كناية عن تهاونهم بالذكرى والانتفاع بها .

الثانية : النكرة في قوله (حظاً) لأنه بمعنى التعجب "وتنكيره هنا للتعظيم أو

التكثير بقريئة الذم وما ذكروا به هو التوراة" (٥) ، ثم ختم لهم بالصفة الذميمة الثابتة فيهم وهي الخيانة والغدر بقوله (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) ذمهم لهم ولأجدادهم

"والمعنى ان الخيانة والغدر من عاداتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم" (٦) ،

لمكربهم ولسوء فعلهم ضد الدعوة الإسلامية مع معرفة الحق "والاطلاع هنا كناية عن

المطلع عليه أي لا يزالون يخونون فتطلع على حياتهم .. وصيغة الأفعال فيه مجرد

المبالغة" (٧) ، في ذم وصفهم بالخيانة ، ومن بلاغة السياق الإيجاز في حذف الموصوف

وإثبات الصفة "تبقى الخيانة وحدها مجردة تملأ الوجود وتلقي ظلالها وحدها على القوم ،

فهذا هو جوهر جبلتهم وهذا هو جوهر مواقفهم مع الرسول ﷺ ومع الجماعة

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٦/٢ ، المحرر الوجيز / ٣٦٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٤٣/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣٦/٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٤٤/٦ .

(٥) م . ن : الصفحة نفسها .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥٩/١ .

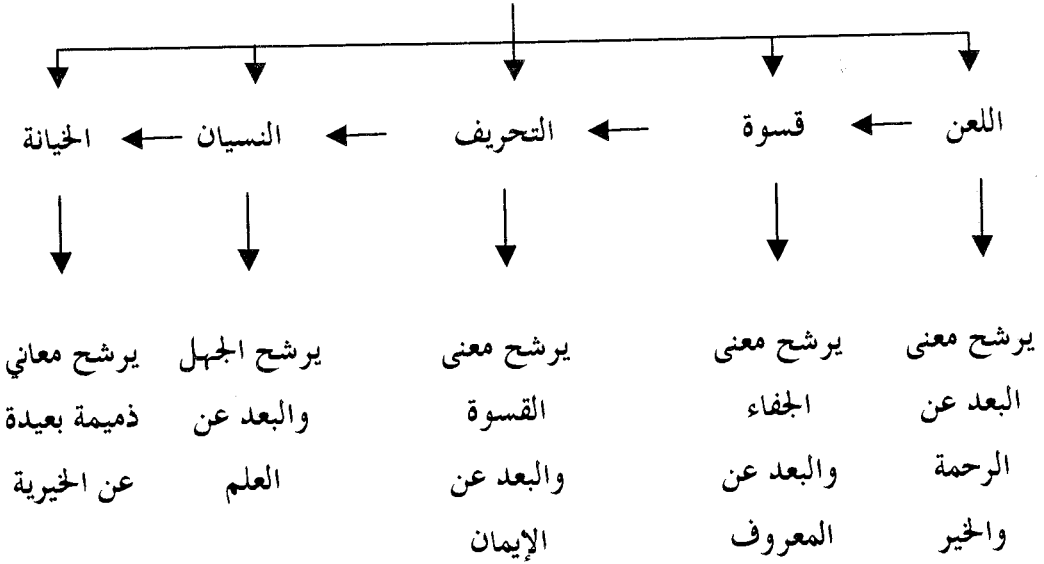
(٧) التحرير والتنوير : ١٤٤/٦ .

الفصل الثالث / بلاغية الذم العقائدي

المسلمة^(١) ، وختم بذكر الاحسان في العفو والصفح تعريضاً لهم وكما هو مبين في المخطط الآتي :

المذموم (اليهود) خصهم بـ (بني إسرائيل)

السياق في نقض الميثاق (الغدر) والصفات الذميمة (ذم عقائدي)



(١) في ظلال القرآن : ٦٧٨/٢ .

الذين أوتوا الكتاب

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران / ١٨٧] .

افتتحت الآية في خطاب النبي ﷺ بقوله (واذ) في بلاغة الإيجاز أي اذكر يا محمد ذلك الأمر ومن مطلعها نجد التذكير في إقامة الحجة على المكلفين ، ولخطورة الأمر وأهميته افتتح بخطاب النبي ﷺ بياناً لعظم الأمر المذكور بعده وهو الميثاق وجاء بلفظ الجلالة تصريحاً لتقرير أهمية الإيمان وما ينبعث منه من التسليم والوفاء في الإيمان بالرسول ﷺ وما جاء به ، وخص المأخوذ منهم الميثاق بـ (أوتوا الكتاب) وهم العلماء لأنهم أكثر الناس معرفة بالله وليبين ما يترتب عليه من أمانة العلم لذا جاء بالأسلوب الخبري الابتدائي فهو "توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء ان يؤمنون بمحمد ﷺ وان يفوهوا بذكره في الناس فيكونوا على اهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعوه فكنتموا ذلك" (١) ، وكذلك لبيان الأمر المسند إلى الذين أوتوا الكتاب وهو البيان وعدم الكتمان لذا قال (لتبيننه للناس ولا تكتموننه) وهذا أمر فطري فقد "أخذ عليهم الميثاق بأمرين : هما بيان الكتاب أي عدم إجمال معانيه أو تحريف تأويله وعدم كتمانه أي إخفاء شيء منه" (٢) ، وهو ذم ضمنى لحالم لأنه لما بعث إليهم الرسول ﷺ فقد أمروا بالإيمان "وبيان أمره فكنتموا نعته فالآية توبيخ لهم ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم" (٣) ، ونجد نكتة بلاغية في العدول فلم "يقبل تكتمنه لأنه في معنى الحال أي لتبينه غير كاتمين" (٤) ، وأكد بالقسم وبتون التوكيد زيادة في الذم لأنهم أهل علم ومعرفة ، فلا ينبغي ان يصدر منهم مثل هذا الفعل ، ثم جاء البيان القرآني في الصفات الذميمة للذين أوتوا الكتاب في (النبد والاشتراء) والنبد في اللغة يعني الطرح والترك ولكن

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٤٣/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩١/٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٤/٤ .

(٤) م . ن : ٣٠٥/٤ .

أين ؟ وراء ظهورهم وهو "مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات" (١) .

الى هذا الميثاق، ومن أمارات الذم الوصل بالفاء "الدالة على التعقيب للإشارة إلى مسارعته إلى ذلك والذين نذوه هم علماء اليهود في عصورهم الأخيرة القريبة من عهد الرسالة الحمديّة" (٢)، وعطف عليه (واشترؤا) لأن النبذ والاشترؤ تجمعها الاستعارة القرآنية وهي نكتة لطيفة فقد "شبه عدم التمسك والعمل به بالشيء الملقى خلف ظهر الإنسان وباشترؤا شئ قليل ما تعوضوه من الحطام على كتم آيات الله" (٣) ، وليبيان طمعهم في متطلبات الأرض وحب التعلق بها قال (شئاً قليلاً) تحقيراً لما استبدلوا به الميثاق "بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف فبعست الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم" (٤) وكلها دعوى الهوى والآراء الفاسدة وتضليل الناس عن بيان الحق فقد ختم لهم بسوء الخاتمة بقوله (فبئس ما يشترؤن) فهم ذم سلوكي لأفعالهم ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٩٤/١ ، في ظلال القرآن : ١٨٣/٢ .

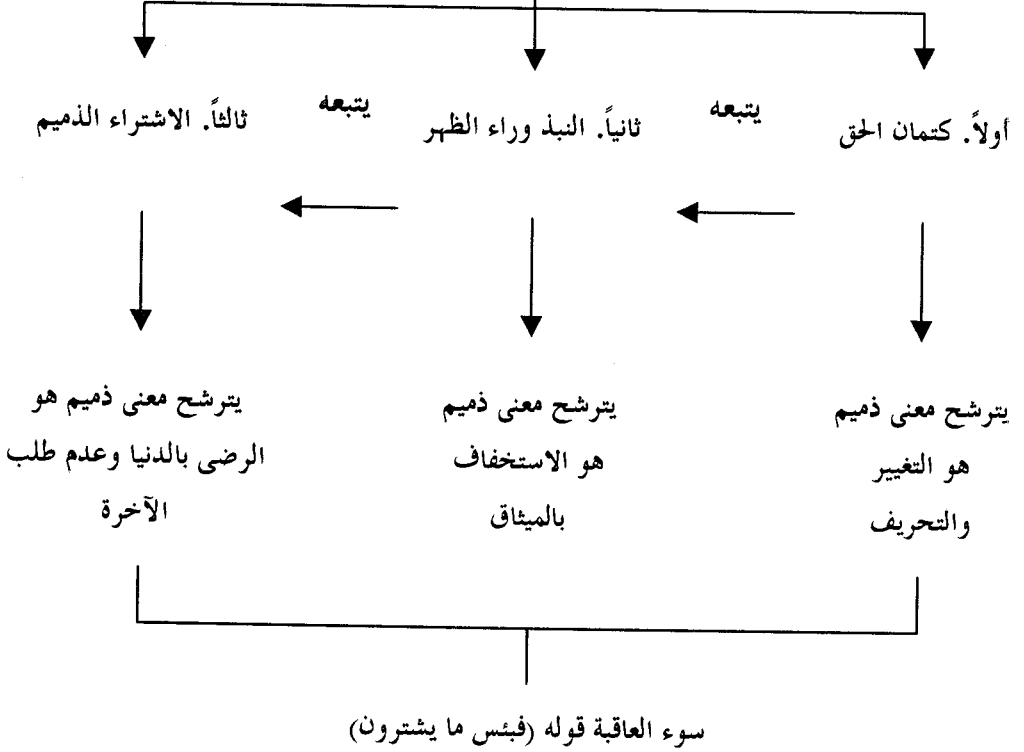
(٢) التحرير والتنوير : ١٩١/٤ .

(٣) صفوة التفاسير : ٢٠٩/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤٤٣/١ .

المذموم (أهل الكتاب) والمخصوص بالذم علمائهم

يترتب عليه



الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء/ ٤٤-٤٥] .

من بديع التعبير القرآني التنوع اللفظي في ذم أحبار اليهود فبعد ان ذم الذين أوتوا الكتاب جاء السياق لبيان حال الذين أوتوا "حظاً يسيراً من علم التوراة لأن المراد أحبار اليهود" (١) ، وهو أشد ذمًا من سابقه ، ونجد قوة الحدث في الخطاب القرآني للنبي ﷺ بقوله (ألم تر) بالاستفهام التعجبي تمهيداً لما بعده من الأمور التي ينبغي أن يكون عليها الداعية من الإرشاد والصلاح وهذا يستند إلى العلم الذي فضلوا به فقد "كان من شأن ان يؤتوا نصيباً من الكتاب الهداية فقد آتاهم الله التوراة على يد موسى ﷺ لتكون هداية لهم من ضلالتهم الأولى" (٢) ، فهو ذم تمهيدي لما بعده في إقرار أمرين :

الأول : قوله تعالى (يشترون الضلالة) ويستبدلونها بالهدى ويرضون بالأدنى من الدنيا بدل الكرامة في الآخرة فالسياق يرشح بلاغة الإيجاز بالحذف "تقديره يشترون الضلالة بالهدى" (٣) ، وهو ذم عقائدي "والاشتراء مجاز في الاختيار والسعي لتحصيل الشيء لأن المشتري هو أخذ الشيء المرغوب فيه من المتبايعين .. وهذا يدل على انهم اقتحموا الضلالة عن عمد لضعف إيمانهم بكتابتهم وقلة جدوى علمهم عليهم" (٤) ، فهم يؤثرون الكفر على الإيمان وهذا يناسب مطلع الآية في بلاغة الاستفهام التعجبي "ففي أيديهم الهدى ولكنهم يتركونه يأخذون الضلالة .. وهو أمر عجيب مستنكر يستحق التعجب منه والاستنكار" (٥) ، وهو يعاضد ما افتتحت به الآية .

الثاني : قوله تعالى في بلاغة الوصل (ويريدون ان تضلوا السبيل) فبعد الذم

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢١٧/١ .

(٢) في ظلال القرآن : ٤٩٢/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٢/٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧١/٥ .

(٥) في ظلال القرآن : ٣٩٢/٢ .

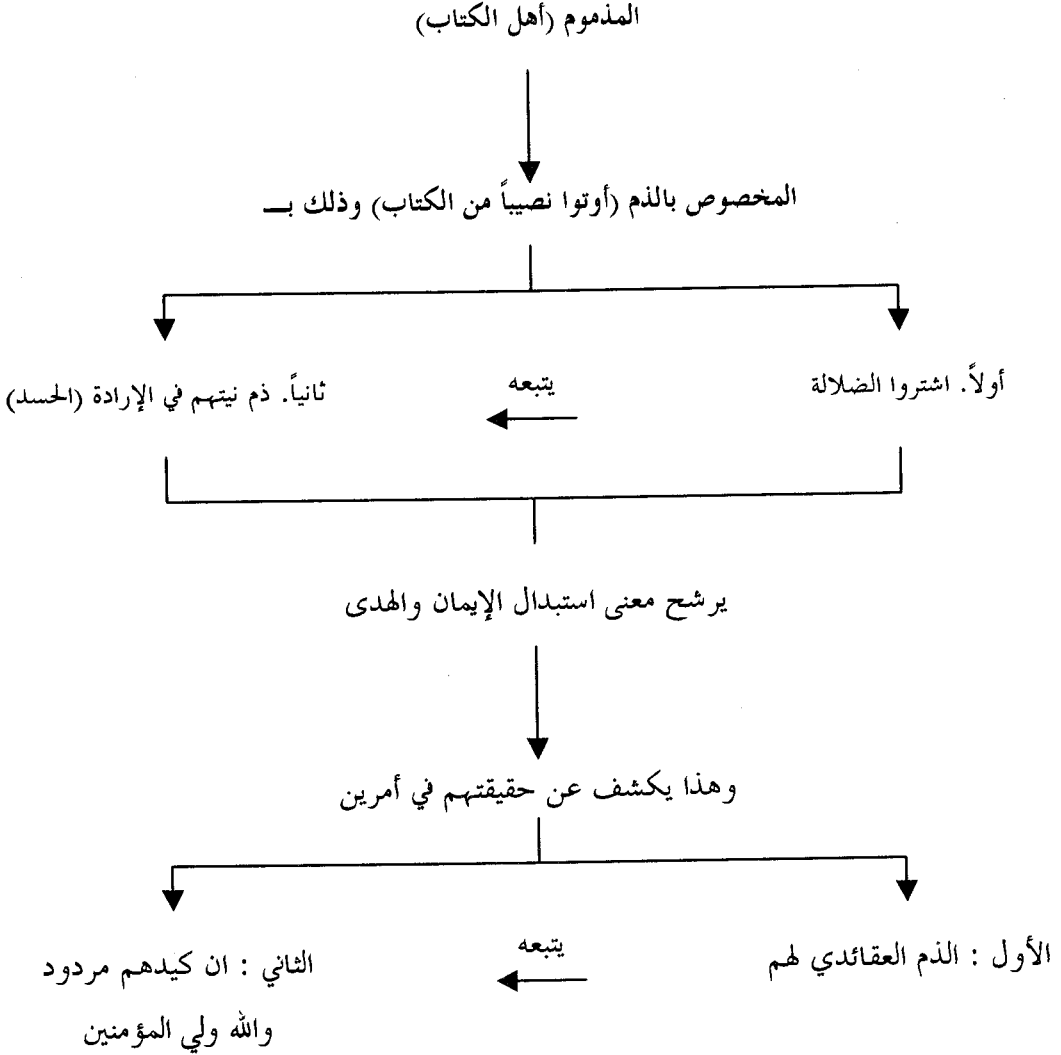
العقائدي عطف عليه ما ينتج عنه من أفعالهم الذميمة ونواياهم لأنهم "يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتركون ما هو عليه من الهدى والعلم النافع" (١) ، وجاء بالفعل المضارع للدلالة على سوء نواياهم المتجددة الذي يدل على تربصهم بالمؤمنين ليضلّوهم ونجد نكتة أخرى في ذمهم "فهم لا يكتفون بضلال أنفسهم الذي يشترونه بل يحاولون طمس معالم الهدى من حولهم حتى لا يكون هناك هدى ولا مهتدون" (٢) ، ثم عطف بالجملة التعريضية مع إظهار لفظ الجلالة بقوله (والله أعلم بأعدائكم) لنكتة بلاغية "وهي تعريض فإن إرادتهم الضلال للمؤمنين عن عداوة حسد" (٣) ، أي بإثبات العداوة لهم وبيان علة عدم استصحاب من يضمر الكراهية والحقد ، ثم ختم في رائعة النظم في التناظر البلاغي للآية الكريمة قوله (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) في الكشف عن صفات اليهود الذميمة "فكان قوله (وكفى بالله ولياً) مناسباً لقوله (ويريدون ان تضلوا السبيل) أي إذا كانوا مضميرين لكم السوء فالله وليكم يهديكم ويتولى أموركم شأن الولي مع مولاه وكان قوله (وكفى بالله نصيراً) مناسباً لقوله (باعدائكم) أي فالله ينصركم" (٤) ، فهو تذييل لتطمئن نفوس المؤمنين لوعده الله الحق وذم اليهود لأنهم ليسوا أهلاً للولاية ولا للنصرة ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥١٤/١ .

(٢) في ظلال القرآن : ٣٩٢/٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٧٢/٥ ، صفوة التفاسير : ٢٣٣/١ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧٣/٥ .



الذم بالتشبيه

قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة/ ٥] .

من لطائف التعبير القرآني ان يذم القرآن الكريم أقواماً هم من أهل الكتاب بمثل فيه ذكر الكتاب "يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة والعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً" ^(١) ، وفي التعبير عدول عن التصريح إلى اسم الموصول (الذين) ليجمع لهم من الصفات ما بين خطرهما في سلوكهم والتناقض الفكري لديهم ، ان تكون التوراة عندهم ولكن لا يعملون بها فقد "ضرب الله هؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لا حظ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم" ^(٢) ، لإثبات صفة ذميمة فيهم وهي تضييع الأمانة وعدم إدراك عظم الأحكام المنزلة في التوراة التي لا تخضع للاهواء والاراء "لكن سيرة بنو إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم وكما هي في حقيقتها لا تدل على انهم قدروا هذه الأمانة ولا انهم فقهوا حقيقتها ولا انهم عملوا بها" ^(٣) ، فكان سوء حالهم كحال الحمار ، وهذا ما يرشح الطباق السلب في (حملوا - لم يحملوا) في نكتة بلاغية بيانا لما "شرع تعالى في ذم اليهود الذين أكرمهم الله بالتوراة فلم ينتفعوا بها ولم يطبقوها" ^(٤) ، وذكر ابن عاشور بلاغة الوصل بـ (ثم) وهي "للتراخي الترتيبي فإن عدم وفائهم بما عهد إليهم أعجب من تحملهم إياه" ^(٥) ، لعلة الإعراض عن المنهج فهم "قد تعاملوا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها" ^(٦) ، ولنكتة أخرى "لأن الغرض توجه الذم إلى من أتعب نفسه

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٥/٤ ، المحرر الوجيز / ١٣١٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢١٣/٢٨ .

(٣) في ظلال القرآن : ٩٨/٨ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣٣٠/٣ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢١٤/٢٨ .

(٦) الجمان في تشبيهات القرآن / ٣١٢ .

في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به للجهل" (١) ، الذي حل به ، لذا جعل سوء الحال بالتشبيه بصورة الحيوان "لإظهار الجهل والبلادة وذلك في الحمار أظهر ، ومنها ان في الحمار من الذل والحقارة ما لا يكون في غيره (٢) ، فهم أسوأ حالاً لأن لهم إدراكاً وعقولاً لكنهم لم ينتفعوا بها لذا ذكر (الأسفار) "وهي جمع سفر وهو الكتاب الكبير الذي يسفر عن المعنى إذا قرئ" (٣) ، ثم ختم بالذم بقوله (فبئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) تعريضاً بهم وبياناً لجامع الذم في صفة (الكذب) مع إظهار لفظ الجلالة تعظيماً لحرمة الآيات ومكانتها في تنوير القلوب بدل التكذيب بها "أي ساء حال الذين كذبوا بكتاب الله فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكديماً بآيات الله وهي القرآن" (٤) ، وفيه نكتة بلاغية للمخاطبين ففي "هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء" (٥) ، ثم ذيلت الآية في إظهار لفظ الجلالة بدل الإضمار في تقرير الحكم الإلهي لعاقبة الكذب والظلم ، لذا وظف الجملة المنفية (لا يهدي) ذماً لهم في سوء عاقبتهم ، "فالتشبيهاً القرآنية خالدة لأنها مستمدة من البيعة ومؤثرة في العواطف الإنسانية تأثيراً قوياً ترغيباً وترهيباً" (٦) ، وكما هو موضح في المخطط الآتي :

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / ١٠٠ .

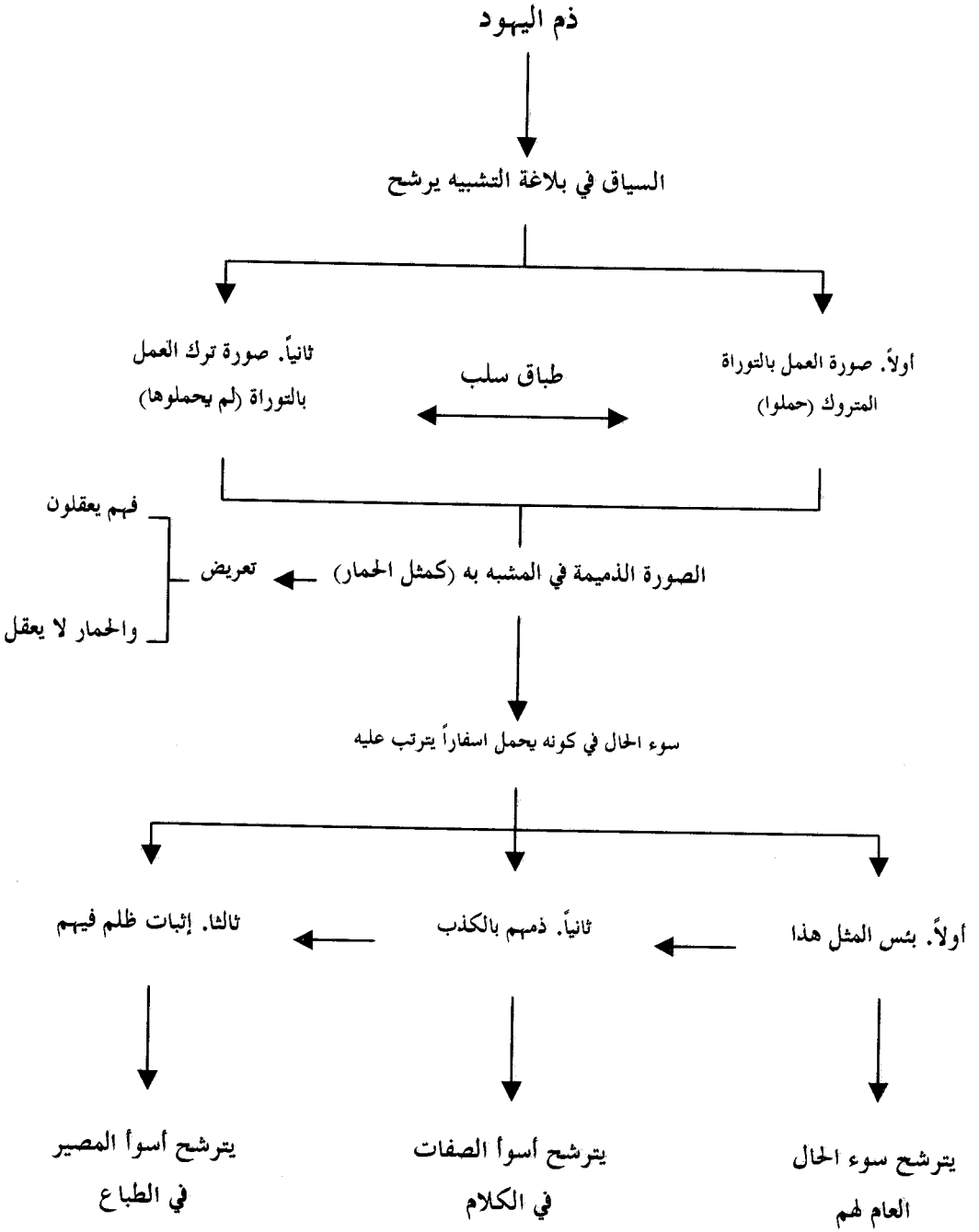
(٢) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د. فتحي عامر / ٣٠٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٩٤/١٨ ، من بلاغة القرآن / ١٩٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٨/٢١٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٩٤/١٨ ، اليهود في القرآن / ٦٢ .

(٦) البلاغة التطبيقية ، د. محمد / ١٣٨ .



أهل الكتاب

قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة/ ١٠٩] .

تتحدث الآية الكريمة عن الكثير من أهل الكتاب في سياق آخر تكشف عن الخفايا في أنفسهم ، فقد نزلت الآية في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد : ألم تروا إلى ما حل بكم ولو كنتم على الحق لما هزتمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم ^(١) ، وان كان السياق عموماً في ذم اليهود والنصارى فقد افتتح بالأسلوب الخبري الابتدائي لتقرير الأمر في نفوس المؤمنين الذي يصدقون الحق سبحانه بلا تأكيد وفيه نكتة خبرية أخرى إذ "يحذر تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم له في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين" ^(٢) ، فهي أمنية الكثير منهم لبيان السياق حقدهم وما ينتج عنهم "وذلك ما يفعله الحقد اللئيم في النفوس الراغبة لسلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون لماذا ؟ لا لأن هذه النفوس الشريرة لا تعلم ولكنها لأنها تعلم" ^(٣) ، لذا خص الخطاب بـ (أهل الكتاب) ، وجاء التعبير القرآني بالفعل المضارع في أعظم أمانتهم العقائدية وهي (الردة) بقوله (لو يردونكم) "دون كفرتم يشار إلى أن وداوتهم ان يرجع المسلمون إلى الشرك لأن الرد انما يكون إلى أمر سابق" ^(٤) ، لتربصهم بالمؤمنين وذكر الإيمان تشنيع لسوء النية عندهم في أسوأ حالة وهي الكفر والذي تحقق في بلاغة الطبايق بين الكفر والإيمان ، فبعد الذم العقائدي أعقبه بالذم الاجتماعي التابع من خبث نفوسهم وهي صفة الحسد لأن "الحسد نوعان : مذموم ومحمود فالمذموم ان تمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم .. وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه .. وإنما كان مذموماً لأن فيه تسفيه الحق سبحانه وانه أنعم على من لا

(١) أسباب النزول / ١٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٦٧/١ .

(٣) في ظلال القرآن : ١٣٧/١ .

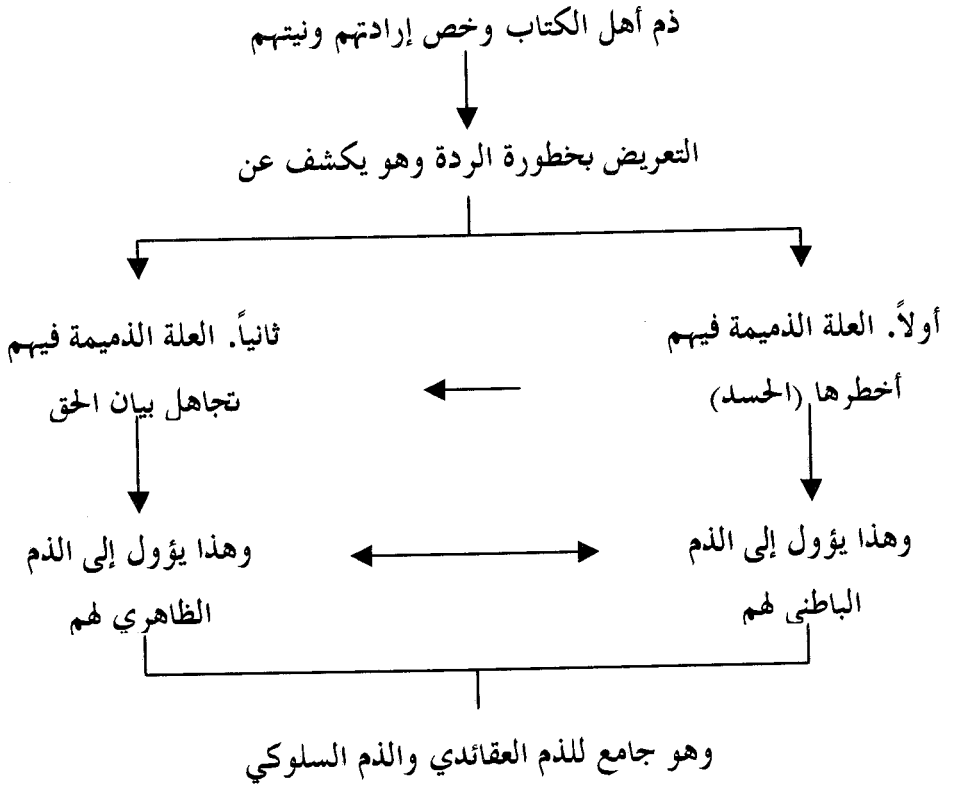
(٤) التحرير والتنوير : ٦٧٠/١ .

يستحق" (١) ، ولخطورة هذه الصفة الذميمة فيهم جاء السياق بالنكرة (حسداً) لتقع في نفوس المؤمنين الرهبة والحذر منهم ، ثم زاد في ذمهم في بلاغة الإطناب بقوله (من عند أنفسهم) وقوله (من بعدما تبين لهم الحق) ، فهي صفة فيهم ليست على جهل أو عدم دراية بالأمر بل على معرفة واطلاع فقال (من عند) للإشارة إلى تأصيل هذا الحسد فيهم وصدوره عن نفوسهم وأكد ذلك بكلمة عند الدالة على الاستقرار ليزداد بيان تمكنه" (٢) ، فهو مستقر وتمكن فيهم وجاء ببلاغة الإضمار (لهم) إعرافاً عنهم وتثبيتاً للحق في بعثة الرسول ﷺ وقوله (من بعد ما تبين لهم الحق) "أي من بعد ما تبين لهم وهو محمد ﷺ والقرآن الذي جاء به" (٣) ، ثم أمر المؤمنين ان يتجملوا بالأخلاق الحسنة الحميدة في العفو والصفح مقابل الصفات الذميمة لأهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا . وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٧٠/٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٧٠/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٧٠/٢ .



النصارى

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة/١٤] .

من مطلع الآية نجد ذمهم في الادعاء الذي تمثل في جملة مقول القول (انا نصارى) خلافاً لما في بواطنهم وما تضمنه نفوسهم فهم "ادعوا لأنفسهم انهم نصارى متابعون المسيح بن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهد والميثاق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود وخالفوا الميثاق ونقضوا العهد" ^(١) ، فالميثاق على التوحيد الخالص لله عز وجل والنبوة إلا أنهم خالفوا ما قالوا بدليل قوله تعالى (فنسوا حظاً مما ذكروا)، وهي من الصفات الذميمة البينة في نقض الميثاق "وهو الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام أي لم يعملوا بما أمروا به وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سبباً للكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم" ^(٢) ، وجاء النظم ببلاغة النكرة (حظاً) تعظيماً لما أخذ عليهم وما فيه من الخير وهذا يعاضد الذم العقائدي في مطلع الآية "فهذا اللقب وهو النصارى حجة عليهم قائمة بهم متلبسة بجماعتهم كلها .. فمعنى (قالوا انا نصارى) انهم زعموا ذلك بقولهم ولم يؤيده بفعلهم" ^(٣) ، لذا عدل في السياق عن قوله (من النصارى) وذلك "انما قاله توبيخاً لهم لأنهم كانوا كاذبين في دعواهم انهم نصارى" ^(٤) ، ثم جاء بالجزء في عاقبتهم بقوله (فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) "فالإغراء بالشيء الإلصاق به من جهة التسليط عليه" ^(٥) ، وليس هذا في الصفات الحميدة بل يكون قد جمع لهم من الصفات الذميمة ما أظهرها في العداوة والبغضاء ، والعداوة من "العدو التجاوز ومنافاة الالتتام

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٧/٢ ، في ظلال القرآن : ٦٨٠/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١١٧/٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٤٦/٦ .

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن / ٩٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ١١٨/٦ .

فتارةً يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعادة .. وتارةً في الإخلال بالمعاملة فيقال له العدوان والعدو..^(١) ، أي فيه معنى الاعتداء والظلم وأشدّه في العقيدة التي يدينون بها وتجاوز الحق إلى الباطل ، وأما بغض فهو "نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب .. يقال بغض الشيء بغضاً وبغضته بغضاً"^(٢) ، فهو ينافي الألفة والمحبة ، فكلا الصفتين تجمع لهما الذم الباطني في نواياهم والذم الظاهري في سلوكهم ، ومن بديع النظم بلاغة الاستعارة "فاستعير الإغراء لتكون ملازمة العداوة والبغضاء في نفوسهم أي لزومهما لهم فيما بينهم شبه تكوين العداوة والبغضاء مع استمرارهما فيهم بإغراء أحد أحداً بعمل يعمل تشبيهه معقول بمحسوس^(٣) ، وليس لفترة زمنية مؤقتة أو جيل منهم بل (إلى يوم القيامة) وفي الختام تهديد ووعيد لهم لإقامة الحجة عليهم تعريضاً بهم بقوله (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) قال ابن كثير "وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبه من الكذب على الله وعلى رسوله وما نسبوه إلى الرب عز وجل وتعالى وتقديس عن قولهم علواً كبيراً"^(٤) ، وفي بلاغة الإضمار (بينهم) وبلاغة تقديم المفعول نكتة بلاغية وذلك ليكون أوقع في نفوس المخاطبين وأشد تخويفاً ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) المفردات / ٣٢٦ .

(٢) م . ن / ٥٥ .

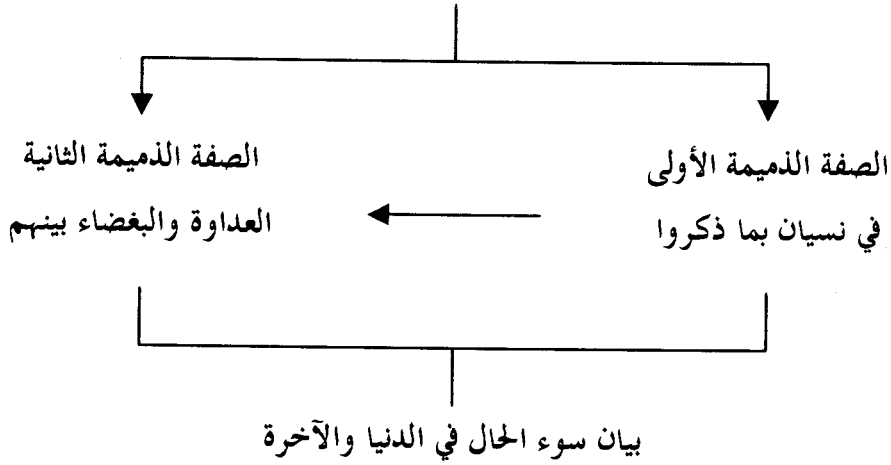
(٣) التحرير والتنوير : ١٤٧/٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣٧/٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥٩/١ .

السياق في ذم النصارى لادعائهم (إنا نصارى)



يرشح إقامة الحجة عليهم في الميثاق



تأكيد الذم بما يشبه المدح

قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْغِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران / ١٩].

في مطلع الآية الكريمة يترشح الأسلوب الخبري الطلبي المؤكد بـ (ان) ليرشح بلاغة التعريض بدم أهل الكتاب من الذين كفروا ثم جاء ببلاغة الوصل بقوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) لنكتة بلاغية وهي الإخبار "عن حال أهل الكتاب من سوء تلقيهم لدين الإسلام ومن سوء فهمهم في دينهم" ^(١) ، وهذا يبين ان الخطاب في الآية لأصحاب العلم ولمن عندهم البصيرة التي تدعوهم إلى قول الحق والدعوة إليه فمن أين يكون الاختلاف والضياع ؟ فقد "أخبر تعالى بان الذين أوتوا الكتاب الأول اما اختلفوا بعدما قامت عليهم الحجة بإرسال الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم" ^(٢) ، فهو اختلاف على طلب الدنيا وبما ان العلم يدعو صاحبه إلى طلب العلا والرفعة والمنزلة العليا التي تميزه عن غيره الجاهل ، إما أن ينشأ الاختلاف فهو تأكيد الشيء بضده ، فقد جمع أهل الكتاب بين ضدين لأن الاختلاف لم يكن "على علم منهم بالحقائق وإنما كان بغياً وطلباً للدنيا" ^(٣) ، والسياق يرشح بلاغة القصر "لبين سبب اختلافهم وكان اختلافهم أمراً معلوماً للسامع وهذا أسلوب عجيب في الإخبار عن حالهم إخباراً يتضمن بيان سببه وإبطال ما يترأى من الأسباب غير ذلك .. ومنها التنبيه على أن اختلاف أهل الكتاب حصل مع قيام أسباب العلم بالحق فهو تعريض بأنهم أساءوا فهم الدين" ^(٤) ، تكبراً وظلماً، والذي تمثل في قوة النفي مع الاستثناء ، وفي السياق بلاغة الإيجاز بحذف متعلق الاختلاف لنكتة بلاغية وذلك "ليشمل كل اختلاف فيهم من مخالفة بعضهم بعضاً في الدين الواحد ومخالفة أهل كل دين لأهل الدين الآخر ومخالفة جميعهم للمسلمين في صحة

(١) التحرير والتنوير : ١٩٦/٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٣/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٤٤/٤ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٩٧/٣ .

الدين" (١)، لذا قال إضماراً (بينهم) زيادة في ذمهم لعدم وجود التنصيح والتدبر لإعلاء كلمة الحق ، فأبي علم هذا عندهم ؟ وبين ذلك في النكرة (بغياً) "أي حسداً كائناً بينهم حملهم حب الرئاسة" (٢) ، وتضيق العلم والعمل ثم عطف عليه الذم العقائدي بقوله (ومن يكفر بآيات الله) مع بلاغة التذييل لما قبله لنكتة بلاغية وهي "ان هذا الاختلاف والبغي كفر لأنه أفضى بهم إلى نقض قواعد أديانهم وإلى نكران دين الإسلام ولذلك ذيله بقوله (ومن يكفر بآيات الله)" (٣) ، وهو وعيد لهم ، وخص آيات الله لأنها أبين الدلائل على وحدانية الله وبعثة نبيه محمد ﷺ وهي داعية إلى الإيمان الذي يكون العلم رانداً لها ثم ختم مؤكداً بقوله (فان الله سريع الحساب) في بلاغة إظهار لفظ الجلالة وهو كناية عن الجزاء "أي فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه" (٤) ، وفيه نكتة بلاغية أخرى ففي "ذكر هذه الأحوال الذميمة من أحوال أهل الكتاب تحذير للمسلمين ان يقعوا في مثل ما وقع فيه أولئك" (٥) . لأن العقاب والحساب مصير كل المكلفين ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) م . ن : ١٩٨/٣ .

(٢) صفوة التفاسير : ١٥٩/١ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٩٩/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٣/١ ، في ظلال القرآن : ٥٩٩/١ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٩٩/٣ .

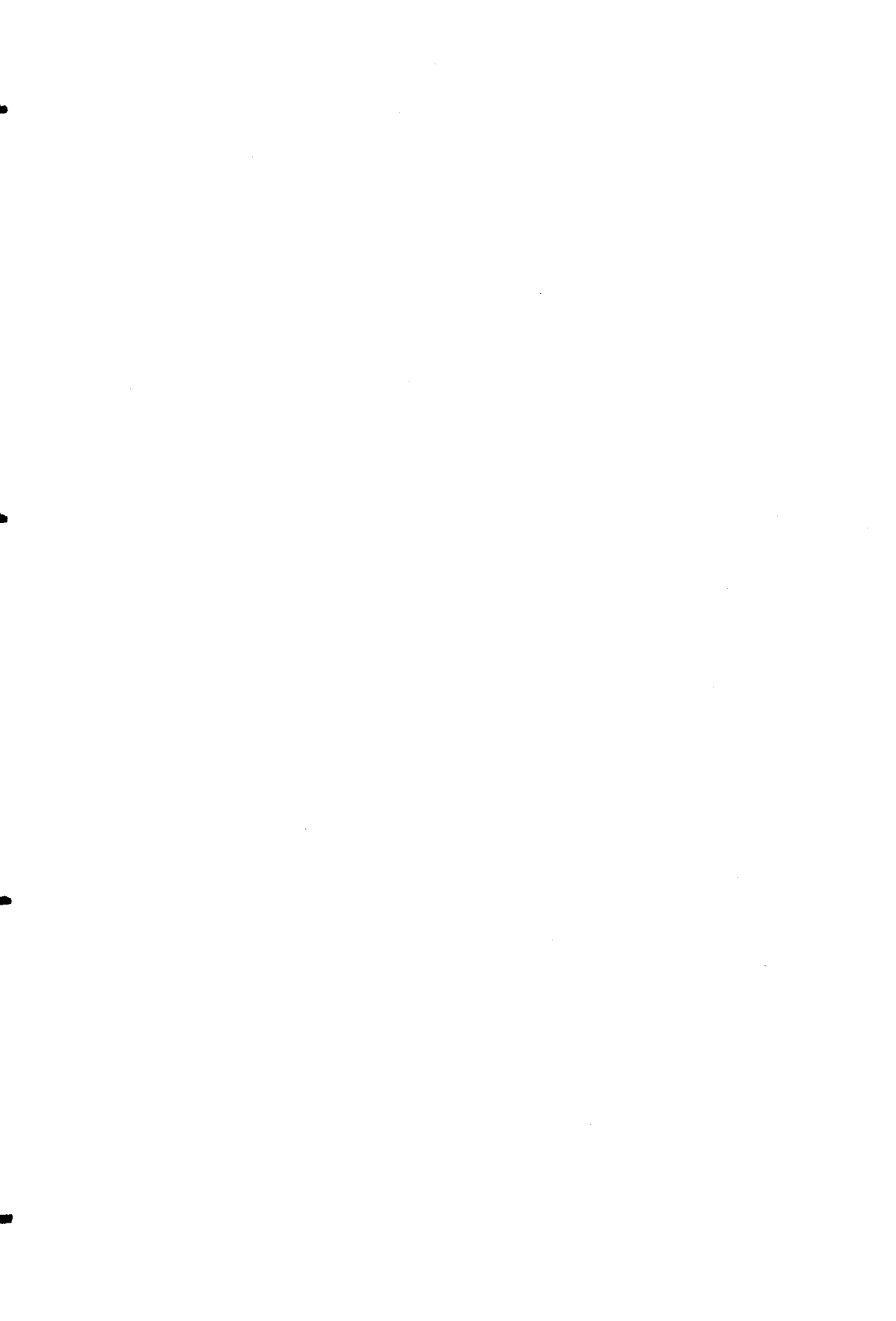
ويمكن أن نلاحظ الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٣-٣]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
التوكيد والاستعارة الإضمار الوصل والمجاز الوصل والفصل الكناية النكرة الكناية الإضمار	(فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) (فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) (وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا) (وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا) (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ)	١
الإيجاز الإظهار أسلوب خبري ابتدائي التوكيد الوصل الوصل والاستعارة الاستعارة التذييل	(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ) (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ) (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) (وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)	٢
الاستفهام المجاز الإيجاز	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا) (يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ) (يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ)	٣

ت	الآيات القرآنية	الشاهد البلاغي
	(وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ) (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ) (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا)	الوصل الجملة التعريضية التناظر البلاغي
٤	(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ) (تَمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا) (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)	الإضمار الطباق التشبيه التمثيلي الفصل والتعريض الإظهار مع التذييل
٥	(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) (مَنْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا) (مَنْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا) (مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ) (مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا)	أسلوب خبري ابتدائي الطباق النكرة الإطناب الإضمار الأمر
٦	(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) (أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا) (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ) (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)	التوكيد الإضمار النكرة الاستعارة الوصل
٧	(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)	التوكيد

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل القصر والإيجاز التعريض والإضمار النكرة الإظهار والكناية	(وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ) (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ) (إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) (بَعِيًّا بَيْنَهُمْ) (فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)	



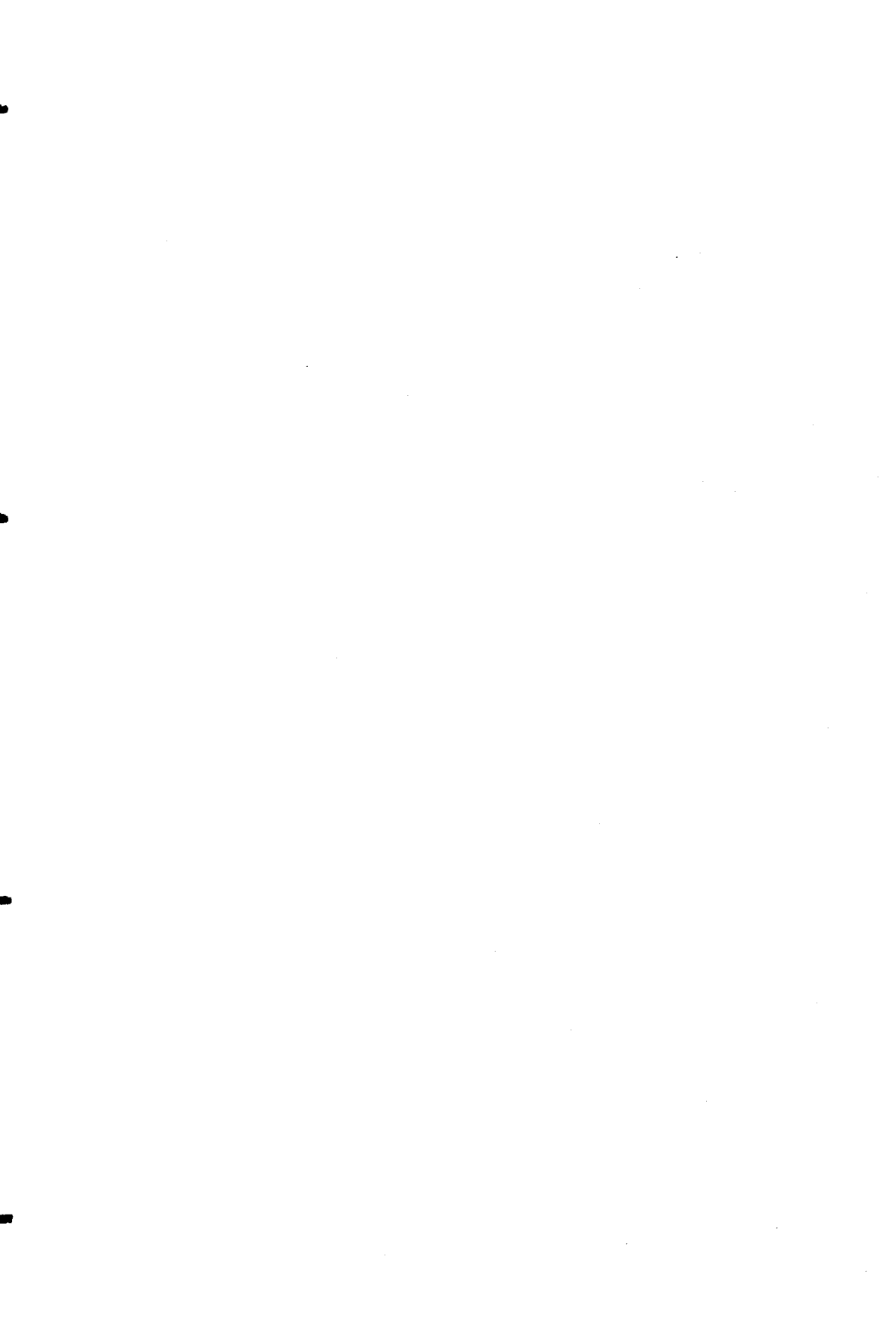


الفصل الرابع

بلاغية ذم الشخصيات

- ◀ توطئة
- ◀ المبحث الأول : أساليب ذم شخصيات في الأمم الماضية
- ◀ المبحث الثاني : أساليب ذم شخصيات في الدعوة الإسلامية
- المبحث الثالث : أساليب الذم العام





توطئة

ان مما اقتضته حكمة الله عز وجل من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام هداية البشرية إلى الصراط المستقيم وإصلاح العقائد الفاسدة وإعلان فضيلة الأخلاق في سلوكية الناس والذي يتمثل في دعوة الأنبياء والمرسلين إلى الإصلاح الإجتماعي والقضاء على الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيسارع أهل الخير والصالح لإجابة دعوتهم ، ويعارض أهل الهوى والزيغ عن اتباع الحق فتبرز فيهم صفات ذميمة سجلها القرآن الكريم على مر الأزمان ، وقد "يعوق الفطرة عن هداية الله والإيمان به والخضوع لرسالته داءان وبيلان هما الجحود والجمود فانهما إذا ما نشبا في النفس أو أصيبت بأحدهما عميت عن الحق وأعرضت عن سبيله" ^(١) . والنظر في آيات الذكر الحكيم يجد شخصيات الأمم الماضية في اعتراضها دعوة الرسل فقد يصرح باسم الشخصية أو ينسبها إلى اسم نبي أو يعرض بها تويخاً لأصحابها على أفعالهم والى جنبها نجد شخصيات كافرة ذمها القرآن في الصد عن دعوة المصطفى ﷺ وهذه الشخصيات يجمعها العناد والكبرياء في اتباع الحق وكذلك نجد صفات عامة ذميمة وردت ترهيباً منها وترغيباً في العمل الصالح تجمع في سياق (الذم العام) لذا جعلنا الفصل في (ثلاثة) مباحث :

المبحث الأول : أساليب ذم شخصيات في الأمم الماضية .

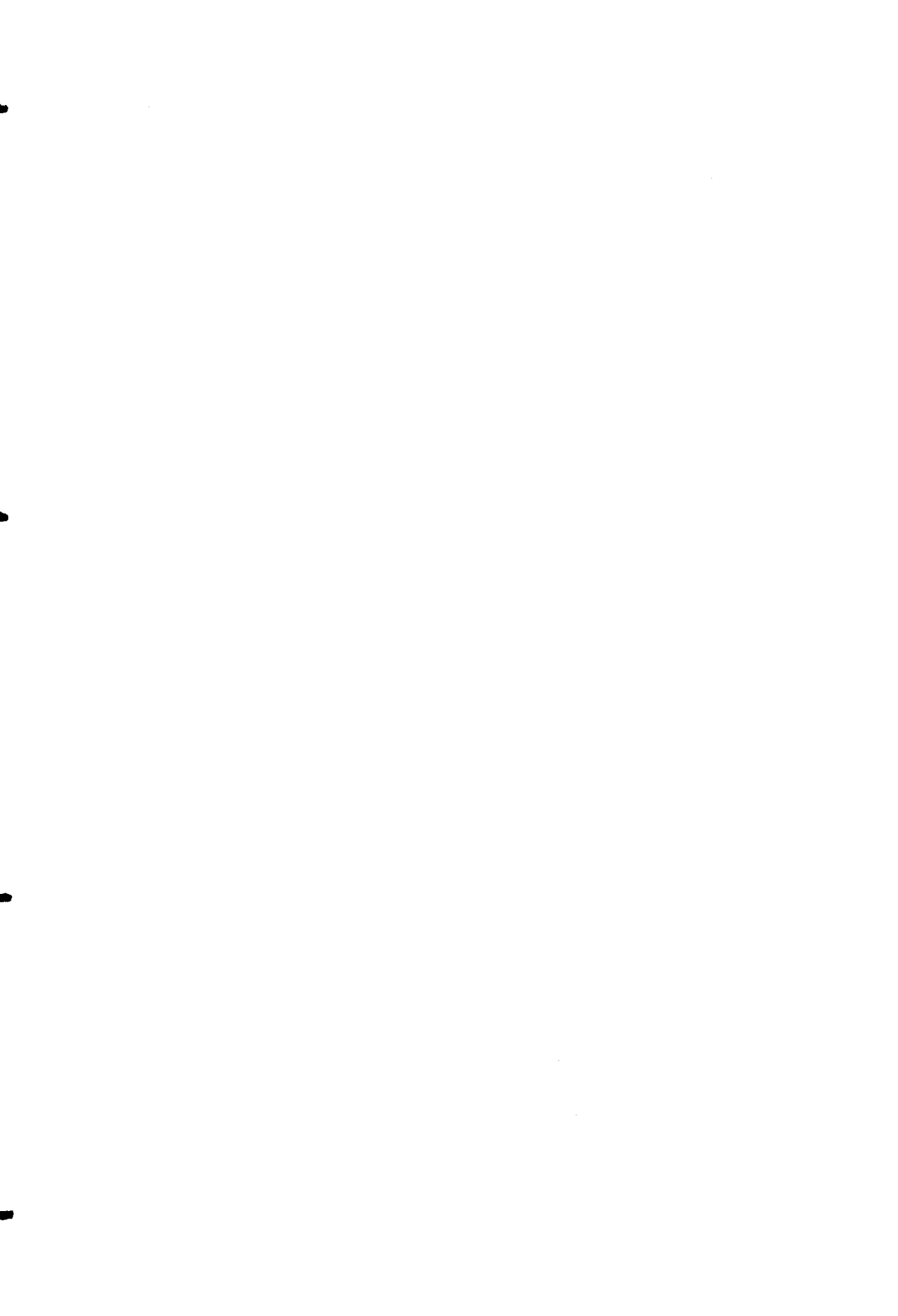
المبحث الثاني : أساليب ذم شخصيات في الدعوة الإسلامية

المبحث الثالث : أساليب الذم العام .

وفي القرآن الكريم أساليب كثيرة في إعراض المنكرين عن الدعوة والسخرية والمخالفة ^(٢) .

(١) الإسلام وبناء المجتمع ، د. أحمد / ٨١ .

(٢) ينظر أساليب منكري النبوات في القرآن الكريم ، عبد الجبار (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإمام الأعظم ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢) / ٥٩-٧٢ .



المبحث الأول

أساليب ذم شخصيات في الأمم الماضية

لا يخلو الحديث في القرآن عن معاملة الأقوام وسلوكهم على مر الزمان مع الأنبياء والمرسلين أو غيرهم وأكثر المواقف وأشدّها هي الإعراض والصد عن إجابة الحق على لسان الأنبياء والمرسلين والتي تكشف عن صفات الأمم الذميمة في الجفاء وسوء المعاملة في الأقوال والأفعال فقد "دأب القرآن الكريم في أسلوبه البياني على وصف ما حل بالأقوام السابقة.. ليكسب الصورة الفنية القرآنية خلوداً في الأذهان بمدى بطاقتها ايحائية حية لها صفة الديمومة" (١) . ويمكن أن نجعلها في (ثلاثة) مطالب :

الأول : ذم شخصيات الأمم الماضية تعريضاً بذكرهم بأسلوب ذكر الأقوام المنسوبين إلى الأنبياء والمرسلين بأشد الصفات الذميمة وأقبحها وهي الكذب كما في قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء/ ١٠٥] وقوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِي وَنُذْرِي﴾ [سورة القمر/ ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف/ ٩٢] ، لذا جاء الخطاب للنبي ﷺ تسلياً له في تكذيب قومه له في ذم الأقوام على صفة الكذب بقوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة آل عمران/ ١٨٤] ، وكذلك ذمهم بصفة (التكبر) كما في قوله تعالى ذمّاً لقوم صالح عليه السلام ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [سورة الأعراف/ ٧٥] ، وقوله تعالى في ذم قوم شعيب عليه السلام ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ [سورة الأعراف/ ٨٨] ، ومن أساليب بلاغة ذم الشخصيات (ذم الفعل الجماعي) كذم فعل قوم صالح عليه السلام في عقر الناقة في قوله تعالى : ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [سورة هود/ ٦٥] / قال القرطبي "انما عقرها بعضهم وأضيف إلى الكل لأنه كان برضى الباقين" (٢) .

(١) الوصف في القرآن الكريم ، يونس / ٧٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦٠/٩ ، من قضايا الإعلام في القرآن / ٩١ .

ومن بلاغة ذمهم الاقتران بذكر الأمم الماضية في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ [سورة النجم/ ٥٢] ، وهم قوم (عاد - ثمود - نوح) ، وقوله تعالى في قوم (عاد وثمود) ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [سورة الفجر/ ١١] ، وقد يكون الذم بذكر العدد كما في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة النمل/ ٤٨] ، والمدينة هي حجر ثمود وكان هؤلاء التسعة من عتاة وجبايرة القوم (١) .

ومن بديع النظم في ذم الأمم الماضية ان يرد الذم حكاية عن الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر/ ٥٨-٥٩] ، لذا فقد ورد ذم عاقبة الأمم الماضية لأجل الاعتبار والموعظة في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ [سورة الرعد/ ٦] ، "أي قد أوقعنا نقمنا بالأمم الخالية وجعلناها عبرة وعظة لمن اتعظ بهم" (٢) .

وقوله تعالى في ذم عاقبة قوم عاد ﴿كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ [سورة القمر/ ٣١] ، وقوله تعالى في ذم عاقبة قوم نوح ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [سورة الأعراف/ ٦٤] ، وعاقبة قوم صالح عليه السلام في قوله تعالى : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [سورة الأعراف/ ٧٨] .

الثاني : ذم شخصيات ظالمة ومفسدة وقد توزعت في القرآن الكريم كشخصية فرعون* (٣) نموذجاً في الملك والسيادة والتسلط على الأمم في الألوهية والربوبية التي ادعاها لنفسه كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص/ ٣٨] ، وقوله تعالى : ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات/ ٢٤] ، لذا جعل له سوء العاقبة في الدنيا باللعنة والقبح في الآخرة في قوله تعالى : ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي

(١) التحرير والتنوير : ٢٨٢/١٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٩٧/٢ .

(٣) وهو أكثر الشخصيات ذكراً فقد وردت في (٧٤) موضعاً وهي جامعة لمعاني الذم العقائدي والذم السلوكي له ، ينظر المعجم المفهرس للألفاظ والقرآن : ٦٢٦-٦٢٧ .

هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةٌ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿سورة القصص/ ٤٢﴾ ، "أي جعله قبيحاً بين الناس في أعماله أي مذموماً"^(١) ، وشخصية هامان المتبع لضلال فرعون في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ الْأَسْبَابَ﴾ [سورة غافر/ ٣٦] ، وشخصية قارون المغرور بحاله وما أوتي من العطاء الإلهي في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [سورة القصص/ ٧٦] ، وشخصية السامري في الضلال العقائدي لبني إسرائيل والانحراف الفكري في تضليلهم واتخاذ العجل إله لهم في قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [سورة طه/ ٨٥]^(٢) ، وشخصية جالوت في التعالي والسيادة ، قال تعالى : ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة / ٢٥١] .

ومن الشخصيات التعريضية في ذم الأفعال ذم يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض في قوله تعالى : ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الكهف/ ٩٤] ، وذم أصحاب الأخدود في قوله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [سورة البروج/ ٤] ، "أي قاتل الله ولعن أصحاب الأخدود"^(٣) ، وقوم أصحاب الفيل فيما أرادوا من هدم الكعبة بسوء العاقبة في قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل/ ٥] ، وقد يكون الذم في الاقتران الجماعي كما بين (فرعون وهامان وقارون) في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة غافر/ ٢٤] ، ومن بديع ذم الشخصيات ذكر (آل فرعون) في (١٥) موضعاً^(٤) ، كقوله تعالى : ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنفال/ ٥٢] ، وقوله تعالى : ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ

(١) التحرير والتنوير : ١٢٧/٢٠ .

(٢) القصص القرآني تفسير اجتماعي ، د. راشد/ ١١١ ، من أسرار الأسماء في القرآن الكريم ،

بسام / ١١٣ .

(٣) صفوة التفاسير : ٥٥/٣ .

(٤) كلها في ذم (آل فرعون) إلا في موضع واحد وردت في مدح مؤمن آل فرعون ، المعجم

المفهرس/ ١٢٠ .

مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿ [سورة الأنفال / ٥٤] ، في أسلوب الخطاب لفرعون ومن تبعه ، في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ [سورة طه / ٦٤] ، لأن "الاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم وقد يكون طلب العلاء أي الرفعة وقوله تعالى (وقد افلح اليوم من استعلى) يحتمل الأمرين جميعاً" (١) ، فهو ذم باعتبار الطاغية المتكلم فرعون ، وغيرها من الشخصيات التعريضية في ضرب الامثال .

الثالث : ذم شخصيات نسائية كذم الاقتران الثنائي بين امرأة نوح وامرأة لوط في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم / ١٠] ، والتعريض في ذكر امرأة العزيز حكاية على لسان نسوة المدينة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة يوسف / ٣٠] ، فقد "قلن ذلك ذمًا لها وطعنا فيها وتحقياً لبراءة يوسف وإنكاراً لذنبه" (٢) ، وامرأة لوط عليها السلام في سوء عاقبتها بالهلاك مع الغابرين في قوله تعالى : ﴿ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت / ٣٣] ، "والقرآن لم يبرز هذا العنصر لذاته ولكن للتأسي بالشخصية الخيرة والتنفير من الشخصية الشريرة مثل أسماء الأنبياء وأعدائهم ممن تحدوا دعوات السماء كموسى وهارون وفرعون وقارون" (٣) ، ويمكن أن نجد بلاغية ذم الأمم الماضية في النماذج التحليلية الآتية :

النمرود

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

(١) المفردات / ٣٤٥ .

(٢) المنتخب من مدونات التراث / ٥٦ .

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن ، د. النهامي / ٣٦٠ .

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿سورة البقرة/ ٢٥٨﴾ .

من بلاغة القرآن في ذم الشخصيات التعريض بصفاتهم دون التصريح بأسمائهم
ومنها (النمرود بن كنعان) الذي غره ملكه وسلطانه ونجد محاور الذم في (أربع) نكت
بلاغية :

الأولى : مطلع الآية الكريمة (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) في أسلوب
الاستفهام بالهمزة في خطاب النبي ﷺ الذي يفيد التعجب ، وخص الرؤية (الم تر) في
التعبير لأجل الاعتبار وتأكيد الحدث وكأن المخاطب ينظر إليه ليكون أوقع في نفوس
المؤمنين تنفيراً من صفاته فهو "تعجب من محاجة النمرود وحقاقته" (١) ، وفي السياق نجد
بلاغة العدول عن اسمه إلى الاسم الموصول لتأكيد الصفة الذميمة العجيبة التي افتتحت
الآية بها والتنويه عليها في الذم العقائدي في محاجة الخليل ﷺ في قضية الربوبية لقوله
(في ربه) فلم "يذكر السياق اسمه لأن ذكر اسمه لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية شيئاً ..
ان هذا الملك الذي حاج إبراهيم في ربه لم يكن منكراً لوجود الله أصلاً وإنما كان منكراً
لوحدايته في الألوهية والربوبية ولتصرفه للكون وتدييره لما يجري فيه وحده.." (٢) ،
وذكر القرطبي نكته أخرى بقوله "فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والجواب
والمجادلة في الدين لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض
حجة الباطل" (٣) ، ثم يذكر السياق العلة من المحاجة وهي قوله (ان آتاه الله الملك)
غروراً وطغياناً بدل شكر النعمة وإظهار العبودية "أي لأن آتاه الله الملك فطغى أي كانت
تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه" (٤) ، فهي صفة ذميمة وعليها يترتب نكتتان
بلاغيتان : "أحدهما : حاج لأن آتاه الله الملك على معنى ان إتياء الملك أبطره وأورثه

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٦/١ .

(٢) في ظلال القرآن : ٤٣٤/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٦/٣ .

(٤) تفسير البغوي : ١٦٠ .

الكبر والعتو فحاج لذلك .. والثاني : حاج وقت ان آتاه الملك" (١) .

الثانية : ذم النمروذ في الحجة الأولى بقوله (اذ قال إبراهيم رب الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي واميت) إذ يرشح السياق بلاغة الإيجاز بقوله (إذ) في خطاب النبي ﷺ أي اذكر ذلك تعريضاً بالكفار المعاندين ، وفي السياق بلاغة القصر بقوله (ربي) مع بلاغة الطباق (يحيي ويميت) بصيغة المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار في إظهار قدرة الله عز وجل وحده على الحياة والموت لأنها من صفات الكمال لله عز وجل قال ابن كثير "انما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدتها.." (٢) ، وفي السياق نكتة أخرى فلم "يقول يحيي ويميت ربي والفرق كبير فقولته (ربي الذي يحيي ويميت) يفيد انه لا محيي ولا مميت إلا الله ، ولو قيل يحيي ويميت ربي لكان المعنى ان الله قادر على الإحياء والإماتة ولا مانع ان يقدر عليهما غيره" (٣) لذا جاء الجواب ليعبر عن خفة عقله وكبريائه في عفوه عن القاتل وقتل غيره بقوله "قال أنا أحيي وأميت" (٤) ، وذكر ابن عاشور بلاغية الإدماج في تقديم الاستدلال بالقدرة على الحياة والموت بقوله "وفي تقديم الاستدلال بخلق الحياة إدماج لإثبات البعث لأن الذي حاج إبراهيم كان من عبدة الأصنام وهم ينكرون البعث" (٥) .

الثالثة : ذم النمروذ في عاقبة الحجة الثانية بقوله (قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المغرب فأت بها من المغرب) بالتأكيد بـ (ان) مع إظهار لفظ الجلالة وهذا يناسب حال المخاطب المنكر المعاند في بيان عظمة الخالق عز وجل لذا جاء بأسلوب الأمر المجازي (فات بها) للتعجيز وإظهار ضعفه ، ويرشح السياق بلاغة الطباق بين (المشرق - المغرب) لكمال قدرة الله عز وجل على كل شيء أبدهه وأوجده ومنها

(١) الكشف : ٢٧٣/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٢٣/١ ، الجدل في القرآن / ٥٣ .

(٣) البلاغة فنونها وأفتانها ، علم المعاني / ٢٠٨ ، من بلاغة القرآن / ٣٧٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣٢٣/١ .

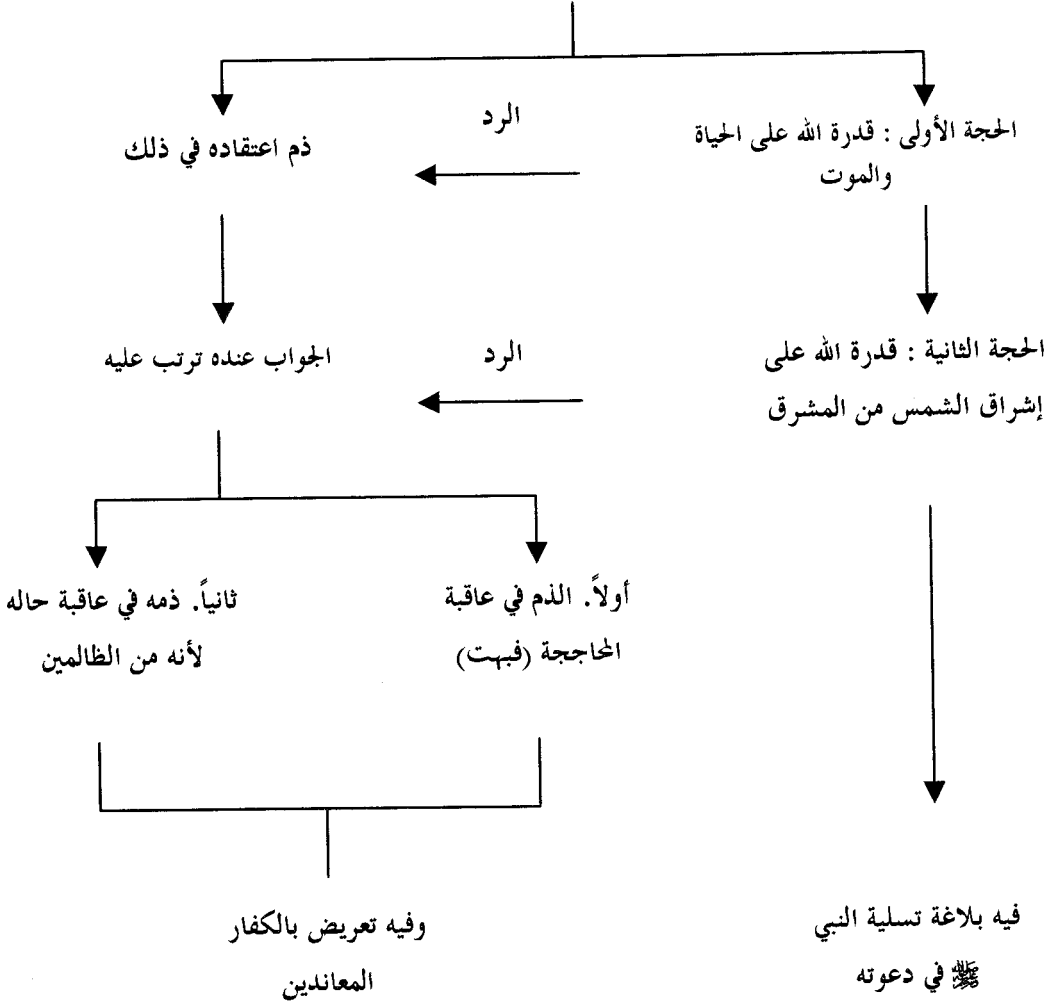
(٥) التحرير والتنوير : ٣٣/٣ .

حركة الشمس وما يتعلق بها من منافع جمّة ، والمناسبة بين الحجّة الأولى والثانية " هو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره لا عن حجة إلى أخرى" ^(١) ، ليقرر أقبح الصفات الذميمة في سوء الخاتمة في ظلمه نفسه بقوله (فبهت الذي كفر) "أي تحير ودهش وانقطعت حجته" ^(٢) ، وفي إثبات صفة الكفر عليه وهو أصل في معناه اللغوي قال ابن فارس "الباء والهاء والتاء أصل واحد وهو كالدهش والحيرة ، يقال بهت الرجل يبهت بهتاً.." ^(٣) .

الرابعة : الذم في التذليل بقوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) فبعد إثبات صفة الكفر الذميمة بين انه بعيد عن طريقة الهداية بسبب ظلمه لنفسه "أي لا يلهمهم الحجّة والبيان في مقام المناظرة والبرهان بخلاف أوليائه المتقين" ^(٤) ، وردعاً لكل ظالم مغرور بنفسه تعريضاً بكفارة مكة بسوء العاقبة ، وفيه بلاغة تسلية للنبي ﷺ في دعوته ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

- (١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٦/١ ، خطاب الأنبياء / ١٨٣ .
- (٢) تفسير البغوي / ١٦٠ ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم / ٨٠ .
- (٣) مقاييس اللغة : ٣٠٧/١ .
- (٤) صفوة التفاسير : ١٣٦/١ .

المذموم النمروذ مع إبراهيم عليه
السلام



قارون

قال تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص / ٧٦] .

ومن الشخصيات الذميمة التي غرها المال (قارون) ويمكن أن نقف عند أساليب

الذم في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : مطلع الآية بالتوكيد بـ (ان) بقوله (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) مع إظهار اسم الشخصية "وافتحاح الجملة بحرف التوكيد يجوز أن يكون لإفادة تأكيد خبر (ان) وما عطف عليه وتعلق به مما اشتملت عليه القصة وهو سوء عاقبة الذين تغرهم أموالهم وتزدهيهم فلا يكثرثون بشكر النعمة ويستخفون بالدين ويكفرون بشرائع الله .. فمصب التأكيد هو ما بعد قوله (اذ قال له قومه لا تفرح) إلى آخر القصة المنتهية بالخسف .. ويجوز ان تكون (ان) لمجرد الاهتمام بالخبر" ^(١) ، وفي السياق نكتة أخرى هي العدول عن قوله كان من بني إسرائيل ، إلى قوله (كان من قوم موسى) وذلك لإثبات الحججة عليه انه قد بعث إليهم نبياً صاحب رسالة ليكون أدعى إلى الإيمان والاتباع له وكذلك "عدل عن ان يقال كان من بني إسرائيل لما في إضافة قوم إلى موسى من الإيحاء إلى أن لقارون اتصالاً خاصاً بموسى فهو اتصال القرابة" ^(٢) ، إلا أن أسوأ صفات الذم السلوكي لقارون هو البغي لذا أعقبها بعد التوكيد في مطلع الآية بقوله (فبغى عليهم) وذلك لكثرة ماله تكبر وعلا عليهم "أي تجبر وتكبر على قومه واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال" ^(٣) ، والبغي قسمان "أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والغرض إلى التطوع ، والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبهة .. فالبغي في أكثر المواضع مذموم.."^(٤) ، ومما رشح ذمه بلاغة الوصل بالفاء

(١) التحرير والتنوير : ١٧٥/٢-١٧٦ .

(٢) م . ن : ١٧٦/٢٠ .

(٣) صفوة التفاسير : ٣٨٥/٢ .

(٤) المفردات / ٥٥-٥٦ .

وهي للترتيب والتعقيب "أي لم يلبث ان بطر النعمة واجترأ على ذوي قرابته للتعجب من بغي أحد على قومه" (١) فقد "ظن قارون نفسه فوق البشر وتكبر على قومه واغتر بنفسه غروراً عظيماً وتوهم انه مخلد .." (٢) .

الثانية : بلاغة الوصل بقوله (و آتيناها من الكنوز ما ان مفاتحة لتنوء بالعصبة أولي القوة) ، وخص ذكر الكنوز ليبين سوء عاقبة قارون وليكشف عن "سلطان المال والعلم وكيف ينتهي بالبوار مع البغي والبطر والاستكبار على الخلق وجحود الخالق وتقرر حقيقة القيم فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح" (٣) ، فهو كناية لما عنده من كثرة المال والغنى حتى لينوء بها أولو القوة "أي ليثقل حملها الفئام من الناس لكثرتها" (٤) ، ومن بديع النظم ان يرشح السياق بلاغة الكناية "فتكون كثرة المفاتيح كناية عن كثرة الخزائن وتلك كناية عن وفرة المال فهو كناية بمرتبين مثل جبان الكلب مهزول الفصيل" (٥) ، وخص أولي القوة والشدة مناسبة مع الكناية فهي ان ثقلت عليهم فكيف بغيرهم؟ وفيه نكتة التعريض بزم قارون عبرة لغيره من المعرضين عن سبيل الدعوة فلستم "أيها المشركون بأكثر عدداً ومالاً من قارون وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده وأمواله ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه" (٦) .

الثالثة : ذم حالة الفرح لقارون في خطاب قومه له (اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) وفيه بلاغة الإيجاز بقوله (اذ) في خطاب النبي ﷺ بتقدير واذكر هذا المقول لقومك لعلهم يتذكرون فتكون له موعظة بليغة في سوء عاقبة المتكبرين ، وفي السياق نجد بلاغة الإضمار بذكر الشخصية المذمومة (له) إعراضاً عن التصريح باسمه لتأكيد الخبر في نفوس المخاطبين على الصفة الذميمة فيه والتي تمثلت في أسلوب النهي

(١) التحرير والتنوير : ١٧٦/٢٠ ، القصص القرآني تفسير اجتماعي / ١٢٥ .

(٢) الجدل في القرآن ، د. حسن / ٤١ .

(٣) في ظلال القرآن : ٣٧٢/٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤٠٣/٣ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٧٧/٢٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٣١٠/١٣ .

(لاتفرح) لنكته بلاغية وهي "انه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح" (١) .
فالنهي جاء "على سبيل النصح والإرشاد لا تفرح بما انت فيه يعنون لا تبطر بما انت فيه من المال" (٢) ، وهو يومئ إلى بلاغة الإيجاز بحذف "المتعلق بالفعل لدلالة المقام على أن المعنى لا تفرح بلذات الدنيا معرضاً عن الدين والعمل للآخرة" (٣) ، لأن الدنيا زائلة منتهية فكيف بمن يتعلق بها ؟ لذا ختم عاقبة الذين يحبون الحياة الدنيا ويتعلقون بها بقوله (ان الله لا يحب الفرحين) فقد "علل النهي ها هنا بكونه مانعاً عن محبة الله تعالى" (٤) ، وبين قوله (لا تفرح - الفرحين) جناس اشتقاق يبين غاية النهي والتوكيد بـ (ان) مناسبة لما قبلها فهي صفة تقريرية به ذميمة في قارون انه من "الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم" (٥) ، وجاء بصيغة الجمع تعريضاً بكل من غره ماله وسلطانه عن طاعة الله وعبادته ولشدة غرور قارون بزينة الحياة الدنيا - وكبره جاء بصيغة المبالغة (فعل) التي تناسب حاله، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

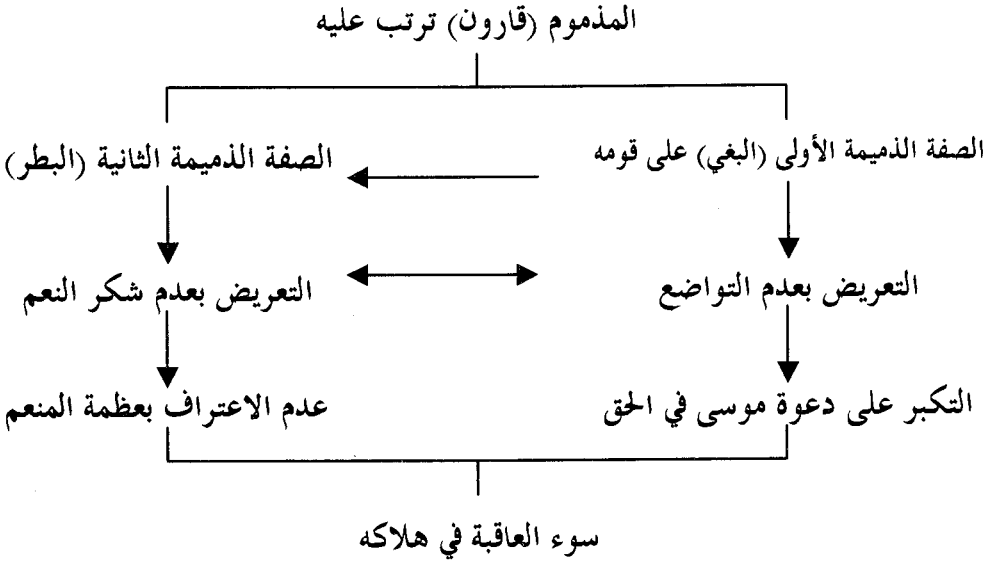
(١) الكشاف : ٤٦٦/٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٠٣/٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٧٨/٢٠ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٩٩/٢ .

(٥) تفسير البغوي / ٩٨٧ ، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم / ٢٠٠ .



فرعون

قال تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [سورة طه / ٧٩] .

ومن الآيات في الذم السلوكي للشخصيات الطاغية (فرعون) * وذلك في مشهد من مشاهد التسلط على بني إسرائيل حينما تبع فرعون وجنوده موسى ﷺ لينالوا منه وممن معه من بني إسرائيل كما في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [سورة طه / ٧٨] ، ثم جاء السياق في ذم فرعون في سوء عاقبته هو ومن تبعه ونجد ذلك في مسألتين :

الأولى : قوله تعالى : (وأضل فرعون قومه) فقد كان سبب هلاك قومه لذا صرح

* ان المصريين يسمون من يحكمهم من المصريين (فرعون) والملك غير المصري الأصل (الملك) ، ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل / ٧ .

باسمه ذماً له "لأنه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم" ^(١) ، وهو من سوء تصرفه وعدم إدراكه لعواقب الأمور فقد "أضلهم عن الرشد وما هداهم إلى خير ولا نجاة لأنه قدر ان موسى عليه السلام ومن معه لا يفوتونه لأن بين أيديهم البحر" ^(٢) ، غروراً من فرعون وتجبراً على بني إسرائيل ، وفيه نكتة بلاغية في ذم عقيدة فرعون "أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به" ^(٣) ، وهو يدل على معنى الذم اللغوي ايضاً لأن "الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه .. والضلال والضلالة بمعنى ، ورجل ضليل ومضلل إذا كان صاحب ضلال وباطل..." ^(٤) ، وفيه معنى يدل على ذم فرعون وهو ان "الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويزاده الهداية .. ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً.." ^(٥) ، لأن فرعون كان يخفي الحق عن قومه وهو "أن يكون الاضلال سبباً للضلال وهو ان يزين للإنسان الباطل ليضل.." ^(٦) ، وشخصية فرعون جامعة للصفات الذميمة في الآية وقد بين ابن عاشور هذه النكتة البلاغية بقوله : "ان فرعون أوقع قومه في الجهالة وسوء العاقبة بما بث من قلب الحقائق والجهل المركب فلم يصادفوا السداد في أعمالهم حتى كانت خاتمته وقوعهم غرقى في البحر بعناده في تكذيب دعوة موسى عليه السلام" ^(٧) ، وتضليل بني إسرائيل وصددهم عن التصديق به، إذ يرشح السياق انه لم يكن ذا صفة قيادية حسنة فقد "قاد فرعون قومه إلى الضلال في الحياة كما قادهم إلى الضلال والبحر وكلاهما ضلال يؤدي إلى البوار" ^(٨) ، لذا جاء بالأسلوب الخبري الابتدائي المعطوف لسوء فعله وسلوكه مع قومه الذي لا يحتاج إلى تأكيد بل إلى بيان وتوضيح .

(١) الكشاف : ١٥٧/٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٩/١١ ، صفوة التفاسير : ٢١٠/٢ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٤/٢ .

(٤) مقاييس اللغة : ٣٥٦/٣ .

(٥) المفردات / ٢٩٧ .

(٦) المفردات / ٢٩٨ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٧٢/١٦ .

(٨) في ظلال القرآن : ٤٨٧/٥ .

الثانية : بلاغة الوصل بقوله (وما هدى) وهذا يناسب حال المذموم لما سبقه "يعني ما ارشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله : ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [سورة غافر / ٢٩]"^(١)، وهو تلميح إلى الآية الكريمة تهكماً به وبتصرفه ، ونجد في السياق بلاغة الطباق بين (الضلال - الهدى) وهو يرشح بلاغة "عطف الاعم على الاخص لأن عدم الهدى يصدق بترك الإرشاد من دون اضلال"^(٢) ، وذكر القرطبي بلاغة الوصل بانه توكيد أي "تأكيد لا ضلالة ايهم .. وقال ابن عباس : (وما هوى) أي وما هدى نفسه بل أهلك نفسه وقومه"^(٣) ، وهذا يرشح الذم الذاتي للصفات فيه وما يتبعها من الأفعال الذميمة في التحكم بعقول قومه وإرادتهم، وقد جعل ابن كثير سوء عاقبة فرعون في الدنيا هو سوء عاقبته في الآخرة فهو ذم جامع له في الحياة الدنيا والآخرة فقط "تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فاضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد وكذلك يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود"^(٤) ، والسؤال البلاغي: لم قدم الضلال وعطف عليه نفي الهدى ؟

وذلك ليبين أشد حالات الذم لفرعون وهي وجود الضلال فيه وهو الاخطر في حياة قومه لأنه كان يعرف رسالة موسى عليه السلام في التوحيد إلا أن غروره وتسلطه على بني إسرائيل وخوفه زوال ملكه دفعه إلى تكذيب رسالته عليه السلام وعطف عليه نفي الهداية الذي كان يعتقد انه قادر عليها في تضليل بني إسرائيل عن الحق ، فنفى عنه الهداية وهو غاية الذم لفرعون عبرة لكل ظالم وطاغية إلى يوم القيامة ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

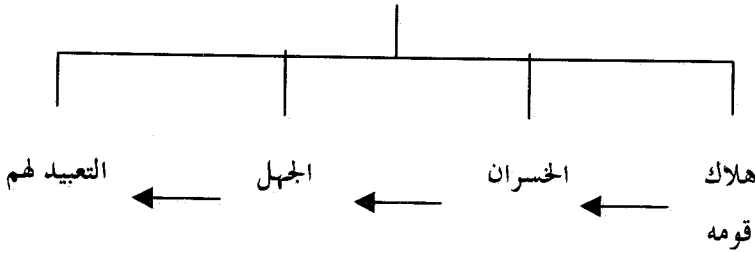
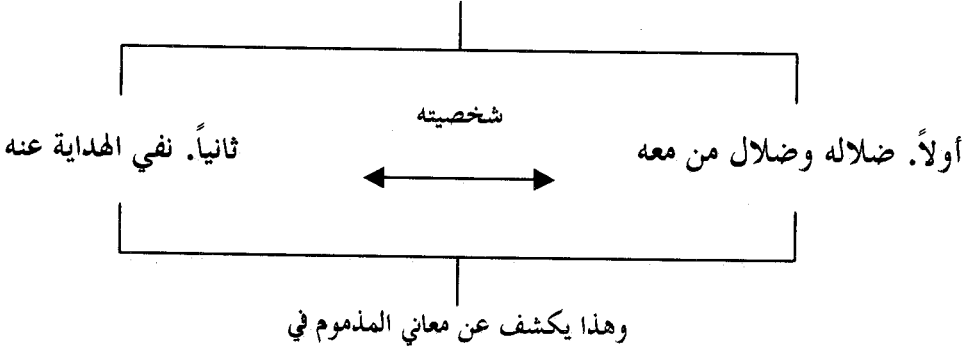
(١) تفسير البغوي / ٨٢٤٠ .

(٢) التحرير والتنوير / ٢٧٢/١٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٩/١١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ١٦٤/٣ .

المذموم (فرعون) يترتب عليه



ومن آيات الذم العام لفرعون قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [سورة النازعات / ٢١-٢٤] .

جاءت الآيات القرآنية بعد ان دعا موسى ﷺ فرعون إلى الإيمان والهداية وأراه المعجزات ، فجاء التعبير القرآني ليكشف لنا عن ذم جامع في الأفعال والأقوال والصفات ويمكن أن نتأمل ذلك في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : الذم في الاقتران الثنائي بقوله (فكذب وعصى) بدل التصديق والاتباع "أي فكذب الحق وخالف ما أمره به من الطاعة وحاصله انه كفر قلبه فلم يتفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بان ما جاء به حق لا يلزم منه انه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له" (١) ، فقد كذب موسى ﷺ في دعوته "وعصى الله تعالى بعدما علم صحة الأمر وان الطاعة قد وجبت عليه" (٢) ، لذا عطف العصيان ليجمع له الذم الظاهري والباطني .

الثانية : بلاغة العطف بعدها في ذم الحركة والقول بقوله (ثم ادبر يسعى فحشر فنادى) ففي الادبار صفة ذميمة "أي ولى مذبراً معرضاً عن الإيمان (يسعى) أي يعمل بالفساد في الأرض" (٣) . والمناسبة في العطف لما قبله فيه نكتة بلاغية وهي "انه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشد وهو الإدبار والسعي وادعاء الألوهية لنفسه أي بعد ان فكر ملياً لم يقتنع بالتكذيب والعصيان فخشي انه ان سكت ربما تروج دعوة موسى بين الناس" (٤) ، ومن بديع النظم ان بين الإدبار والسعي بلاغة الاستعارة فالإدبار "هنا مستعار للإعراض عن دعوة الداعي .. واما السعي فحقيقته شدة المشي وهو هنا مستعار للحرص والاجتهاد في أمر الناس بعدم الاصغاء لكلام موسى" (٥) ، ثم عطف

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٥٩/٤ .

(٢) الكشف : ٥٤٠/٤ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٦٦/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٢/١٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧٩/٣٠ .

(٥) م . ن : الضفحة نفسها .

بالباء التي تفيد التعقيب في بيان سوء تصرفه في قوله "فحشر فنأدى" لسبيين :

الأول : ذم عقائدي لفرعون لما يجول في داخله لإقناع قومه بأنه الرب الأعلى رداً لدعوة موسى عليه السلام في التوحيد لذا حشر قومه في دلالة الجماعة فهو "إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها .. ولا يقال الحشر إلا في الجماعة .." (١) .

الثاني : النداء والذي تمثل في الذم القولي وتحققت بلاغة العطف بالفاء "لإفادة أنه أعلن هذا القول لهم فور حضورهم لفرط حرصه على إبلاغ ذلك إليهم" (٢) .

وفي كلا الفعلين بلاغة إيجاز بحذف المفعول لدلالة السياق عليه أي فحشر قومه ونأدى بهم وهو يرمي إلى استخفاف فرعون بهم وتحقيرهم عنده لأنه وجد "في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان ما جرؤ به على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة (أنا ربكم الأعلى) .." (٣) ، وهو ذم تحقق في جملة مقول القول (فقال أنا ربكم الأعلى) في بلاغة الحصر (أنا ربكم) وكيف للإنسان المخلوق أن يقول هذا ؟ فهو من غرور فرعون في تعبيد بني إسرائيل وإذلالهم لهم فاعتقد أنه هو المعبود العظيم الذي لا رب فوقه تكبراً وعناداً (٤) .

الثالثة : ذم سوء عاقبة فرعون بقوله (فأخذ الله نكال الآخرة والاولى) حيث نجد بلاغة التقديم والتأخير مع إضمار ذكر فرعون ذماً له بياناً لسوء عاقبته فيما قال، فمقولته الأولى الادعاء في الألوهية في قوله تعالى : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص / ٣٨]، ومقولته الأخيرة في ادعاء الربوبية وفي السياق نكتان بلاغيتان : الأولى : تقديم الآخرة على الأولى "لأنه أشد وأبقى فهو النكال الحقيقي الذي يأخذ الطغاة والعصاة بشدته وبخلوده ولأنه الأنسب في هذا السياق الذي يتحدث عن

(١) المفردات / ١١٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٨٠/٣٠ .

(٣) في ظلال القرآن : ٤٤٤/٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٢/١٩ ، صفوة التفاسير : ٤٥٣/٣ .

الآخرة ويجعلها موضوعه الرئيسي.. " (١) .

الثانية : العدول في التعبير القرآني عن الثانية إلى لفظ الآخرة "لأن اقتضاء العدد في المعدود المجانسة أي ان تكون الثانية بعد ذكر الأولى ولكن في هذا العدول نكتة بلاغية فإن العبرة في التقديم لبيان عاقبة الظلم والطغيان في ادعاء الألوهية الذاتية لأنها أشد حالات الظلم .. ثم نادى بالربوبية له ، فقدم لفظ (الآخرة) وعدل عن (الثانية) لأنه ليس هناك معدود بل انتهى العد وان العبرة في خواتيم الأمور فهي الآخرة لفرعون ولا شيء بعدها يقال ليعد" (٢) ، لتكون سبب هلاكه وزوال ملكه وظلمه وجامع العقاب له في النكال وله دلالته في اللغة، قال ابن فارس "ومعناه انه فعل به ما يمنعه من المعاودة ويمنع غيره من إتيان مثل صنيعه" (٣) ، أي عبرة فيه ولغيره "وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطي ما يقضي إليه.." (٤) ، عبرة لمن أراد ان يعتبر ويتذكر ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط :

(١) في ظلال القرآن : ٤٤٥/٨ .

(٢) من بلاغة القرآن سورة النازعات ، معن (مجلة الرباط ، مجلة إسلامية تصدر في نيوى ، العدد ٣ ، ١٤٢٤هـ) - ٩ .

(٣) مقاييس اللغة : ٣٧٣/٥ .

(٤) تفسير أبي السعود : ٣٦٩/٦ .

المذموم (فرعون)

السياق في دعوة موسى عليه السلام إياه ، النتيجة القرآنية

ثالثاً. ذم الأقوال

ثانياً. الذم الحركي

أولاً. الذم العقائدي

يتبعه ذم بالاقتران الثنائي

يتبعه ذم بالاقتران الثنائي

يتبعه ذم بالاقتران الثنائي

النداء

الحشر

السعي

الإدبار

العصيان

الكذب

وهذا كله يبين ذم الشخصية في الجانب العقائدي

لذا قال (انا ربكم الأعلى) والذي ترتب عليه هلاكه بسبب

المقولة الثانية : الإقرار بالربوبية

المقولة الأولى : الإقرار بالألوهية

امرأة نوح وامرأة لوط

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [سورة التحريم / ١٠] .

كما ورد الذم لشخصيات الرجال فقد جاء النظم القرآني بدم النساء اللاتي لم يستقر الإيمان في قلوبهن فساءت منهن الأعمال وتبعها سوء الخاتمة والعقاب ومنهن امرأة نوح وامرأة لوط ، ويمكن أن نلاحظ أساليب الذم في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : براعة مطلع الآية في ضرب المثل ذماً لهما في الأسلوب الخبري الابتدائي (ضرب الله مثلاً للذين كفروا) مع إظهار لفظ الجلالة تعظيماً للأمر وتهويلاً له في نفوس المخاطبين فقد "مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة ولا يتفهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمية نسب أو صلة صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق .. بحال امرأة نوح وامرأة لوط.. " (١) ، تعريضاً بكفار مكة فهو ذم عام لكل كافر تمثل في صفات شخصية امرأة نوح وامرأة لوط وقد عطف بينهما ذماً لسوء حالهما ، ونكتة الخبر الابتدائي لأن "ضرب المثل من أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً ومآلاً" (٢) ، لذا جاء ببلاغة الاحتراس في التعبير بقوله (للذين كفروا) .

الثانية : لم خصهما في ضرب المثل ؟ قال ابن عاشور "ومناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح عليهما السلام لأن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدم وقد تقدم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح لتكون في ذكرهما فائدة مستمدة وليكون في ذكرهما عقب ما سبق ... تعريض لطيف .. " (٣) .
عبرة لهن لذا خصهما التعبير ذماً لهما .

ثم فصل التعبير القرآني في سوء عاقبتهم بدءاً بقوله (كانتا تحت عبيد من عبادنا

(١) الكشاف : ٤ / ٤٢٧ ، نساء في حياة الأنبياء ، مأمون / ١٦ .

(٢) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٨ / ٣٧٤ ، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين ، د. عفت الشرفاوي / ١٦٨ .

صالحين فخانتهما) ، فالثناء على نوح ولوط عليهما السلام بالعبودية والصلاح إكراماً لهما وهو تعريض لامرأتيهما في عدم الانتفاع من حالهما فهو "بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح أي كانتا في عصمة نبين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحياسة سعادتهما" ^(١) ، لكن هذه القرابة لم تؤثر في سلوكهما وانفعالهما فظهرت فيهما أشد الصفات الذميمة والتي أقرها القرآن تسجيلاً عليهما وهي (الخيانة) في الذم العقائدي لأنها خيانة العقيدة لا الفاحشة "أي في الإيمان لم يوافقهما على الإيمان ولا صدقهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهم محذوراً ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) أي لكفرهما" ^(٢) ، ولأن صفة الخيانة جامعة لمعاني عدم الوفاء والطاعة والولاء فخيانة امرأة نوح عليه السلام أنها كانت تخبر انه مجنون وأما خيانة امرأة لوط عليه السلام فكانت تدل قومها على الاضياف ^(٣) ، وجاء بالنكرة (شيئاً) تحقيراً لهما مع ان السياق ذكرهما بلفظ (تحت) "والتحتية هنا مجاز في معنى الصيانة والعصمة" ^(٤) ، التي لم ينتفعوا لهما .

الثالثة : ذم سوء العاقبة في النار بقوله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) فافتتح بالبناء للمجهول (قيل) تصغيراً لهما وتجاهلاً لذكرهما وذكر سوء المدخل (النار) مع سوء الداخلين فيها جمعاً فهو ذم جماعي لمن يرد فيها وفيه نكتة بلاغية بقوله (مع الداخلين) "إفادة مساواتهما في العذاب لغيرهما من الكفرة الخونة وذلك تأسيس لهما من ان ينتفعا بشيء من حظوة زوجيهما" ^(٥) ، مع كرامة نوح ولوط عليهما السلام عند الله عز وجل ، وتعريضاً بغيرهم "مع سائر الداخلين من النكرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام" ^(٦) ، لذا عدل في التغليب عن (الداخلات) ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط :

(١) تفسير أبي السعود : ٢٧٠/٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٨٤/٤ ، ألفاظ التمام والزيادة والنقصان في القرآن الكريم ، يونس (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩) / ٢٧١ .

(٣) تفسير البغوي / ١٣٣٠ ، في ظلال القرآن : ١٧٣/٨ .

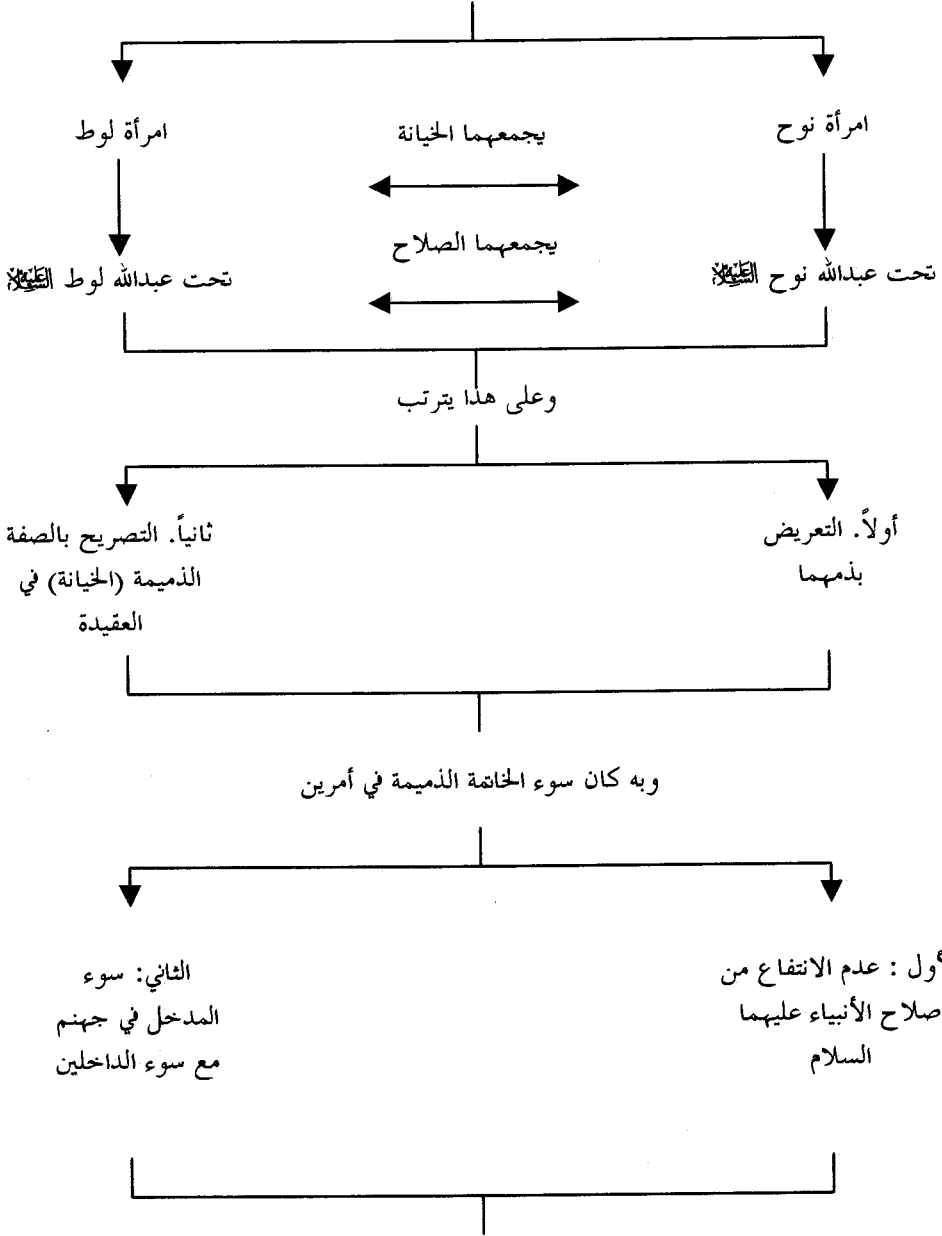
(٤) التحرير والتنوير : ٣٧٥/٢٨ ، الكناية في القرآن الكريم ، أحمد (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥) / ٩٨ .

(٥) التحرير والتنوير : ٣٧٦/٢٨ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٧/٢ ، معجم الأرقام في القرآن الكريم ، محمد / ٦٤ .

الفصل الرابع / بلاغية ذم الشخصيات

المذموم في سياق المثل هما



العبرة العامة من المثل لكل الكفار

سورة الفيل

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [سورة الفيل / ١-٥] .

من أساليب ذم الشخصيات ذم الفعل الجماعي في التعريض بذكر أصحاب الفيل في نية هدم الكعبة قبل ولادة المصطفى ﷺ ولعظم هذا الحدث سمي العام به ويمكن أن نجد بلاغة الوحدة الموضوعية في حسن المطمع وحسن الختام في ذم أصحاب الفيل في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : بلاغة مطلع الآية في الاستفهام المجازي (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ويرشح السياق بلاغة خطاب النبي ﷺ بقوله (ألم تر) "وهو سؤال للتعجب من الحادث والتنبية على دلالاته العظيمة" (١) ، وهو من أمارات إرهافات النبي ﷺ وخصه بالرؤية "وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها" (٢) ، وأعقبه بلاغة الاستفهام بـ (كيف) في تعليق الرؤية بفعل الله عز وجل وفيه بلاغة العدول عن قوله (ما فعل ربك) وذلك "لتحويل الحادثة والإيدان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى ، وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فإن ذلك من الإرهافات" (٣) ، وكذلك لنكتة أخرى فقد "أوثر لفظ (فعل ربك) دون غيره لأنه مدلول هذا الفعل يعم أعمالاً كثيرة ولا يدل عليها غيره" (٤) ، ليختتم في ذمهم بصحبة الحيوان (الفيل) وهذا تمهيد لما بعده من الأحداث في القصة فلم يقل أرباب الفيل أو ملاك الفيل ، ذلك "لأن الصاحب يكون من الجنس فقلوه (أصحاب الفيل) يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل في البهيمة وعدم الفهم والعقل.. فقلوه (أصحاب الفيل) يدل على أن أولئك الأقوام كانوا أقل حال

(١) في ظلال القرآن : ٦٧٢/٨ ، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم / ٤٠٩ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٢٣/٢ .

(٣) تفسير أبي السعود : ٤٧١/٦ ، الزمن في القرآن الكريم ، د. بكرى / ٣١٠ .

(٤) التحرير والتنوير : ٥٤٤/٣٠ .

وادون منزلة من الفيل" (١).

الثانية : مضمون ذم أفعالهم في قوله (ألم يجعل كيدهم في تضليل) في بلاغة تكرار أسلوب الاستفهام (بالهمزة) مع إضمار ذكرهم بياناً لعظمة الله عز وجل وقدرته وتقرراً لعاقبتهم فقد "سى حرمهم كيداً لأنه عمل ظاهره الغضب من فعل الكناي الذي قعد في القليس، أو أريد بكيدهم بناؤهم القليس مظهرين انهم بنو كنيسة وهم يريدون ان يطلوا الحج إلى الكعبة ويصرفوا العرب إلى صنعاء.. " (٢) ، وهذا يشير إلى ذم الإرادة في مكرهم وكيدهم و"الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون مذموماً وممدوحاً وان كان يستعمل في المذموم أكثر، قال بعضهم .. أراد بالكيد العذاب ، والصحيح انه هو الإملاء والإمهال المؤدي إلى العقاب.. " (٣) ، لما أرادوا من هدم الكعبة "ومحو اثارها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم واضل عملهم وردهم بشرخية.. " (٤) ، لذا جعل عاقبتهم في خسارة وضلال بتوظيف الحرف (في) الذي يرشح بلاغة الاستعارة "المعنى العاقبة أي ابطال كيدهم بتضليل لا يفارقه " (٥) ، ثم بين ذلك بقوله (فأرسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل) أي جماعة من الطير ، ولكن ماذا تفعل ؟ فجاء بالعقاب الدنيوي العاجل (ترميهم بحجارة من سجيل) أي "حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم" (٦) ، ذمًا لهم في سوء نيتهم وفعلهم .

الثالثة : حسن الختام في ذم حال أصحاب الفيل بقوله (فجعلهم كعصف مأكول) في بلاغة التشبيه المرسل فقد "شبهوا بورق الريح إذا أكل أي وقع فيه الأكال وهو ان يأكله الدود أو بتبن أكلته الدواب ورائته.. " (٧) ، وهذا يناسب براعة المطلع من التحول بعد القوة والاعتزاز بالنفس إلى سوء المنقلب وفيه تعريض لكل جبار عنيد "فقد حطم الله

(١) التفسير الكبير : ٩٧/٣٢ ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٥٦٦/٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٤٨/٣٠ .

(٣) المفردات / ٤٤٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٥٤٣/٤ .

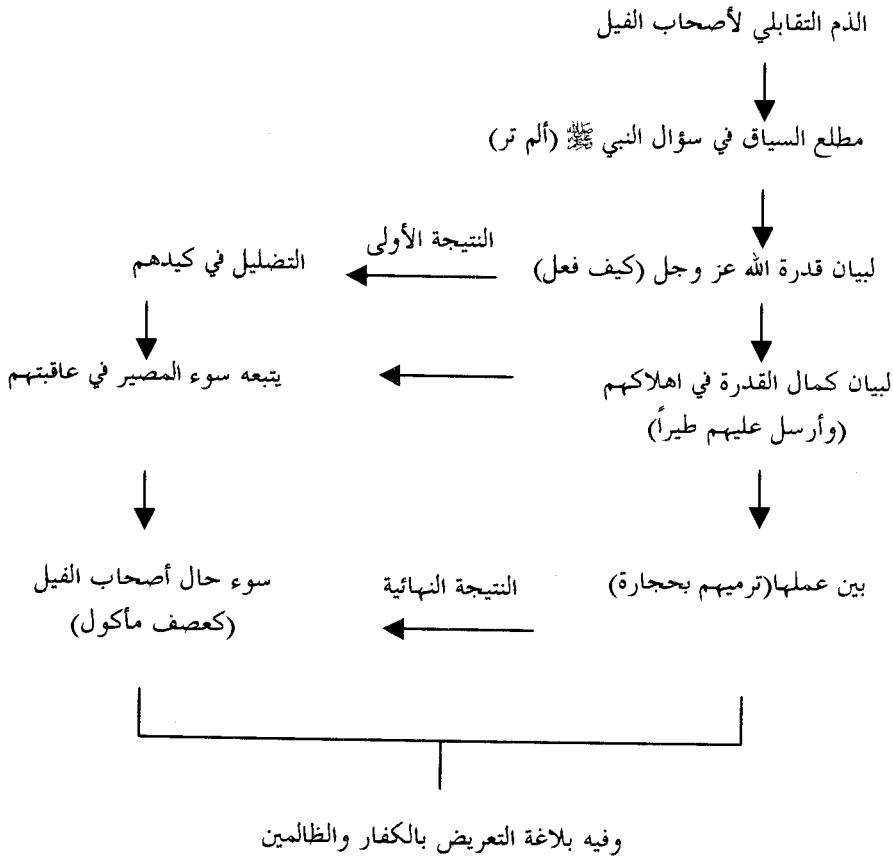
(٥) التحرير والتنوير : ٥٥٠/٣٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٩٨/٢٠ ، دراسات قرآنية ، عيد المتعال / ١٢٩ .

(٧) الكشف : ٦٣٤/٤ ، التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز / ٦٠١ .

الفصل الرابع / بلاغية ذم الشخصيات

الاقوياء حينما شاءوا الاعتداء على بيته وحرمة فلعله يحطم الأقوياء الذين يقضون لرسوله ودعوته" (١) ، وكما هو مبين في المخطط :



(١) في ظلال القرآن : ٦٧٢/٨ ، جماليات المفردة القرآنية / ١٣٠ .

ويمكن أن نقف عند الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [١-٤]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الاستفهام	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ)	١
الإضمار	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ)	
الإطناب	(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي)	
الإيجاز	(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي)	
الطباق	(يُحْيِي وَيُمِيتُ)	
الطباق والإدماج	(قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)	
التوكيد	(فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ)	
الأمر	(فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)	
الطباق	(فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)	
التذييل	(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)	
التوكيد	(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)	٢
العدول	(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)	
الوصل	(وَأْتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ)	
الكناية	(وَأْتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ)	
التعريض	(لَتَنْوَأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)	
الإيجاز	(إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ)	
النهي مع الإيجاز	(إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ)	
التوكيد	(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)	
جناس اشتقافي	(لَا تَفْرَحْ - الْفَرِحِينَ)	

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل والخبر الابتدائي التقديم اللفظي الطباق	(وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ) (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ) (وَمَا هَدَى)	٣
الوصل الوصل والاستعارة الإيجاز والوصل القصر التقديم اللفظي العدول	(فَكَذَّبَ وَعَصَى) (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) (فَحَشَرَ فَنَادَى) (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (نَكَالَ الْأَخْرَجَ وَالْأُولَى) (نَكَالَ الْأَخْرَجَ وَالْأُولَى)	٤
خبر ابتدائي الاحتراس الوصل المجاز الإضمار النكرة التذييل التعريض	(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) (امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ) (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا) (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا) (مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) (وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) (وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)	٥
حسن المطلع والاستفهام العدول الاستفهام والإضمار	(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ) (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ) (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ)	٦

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الاستعارة بالحرف الوصل والنكرة التشبيه المرسل حسن الختام	(فِي تَضَلِيلٍ) (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)	

المبحث الثاني

أساليب ذم شخصيات ضد الدعوة الإسلامية

ان أغلب الحديث في ذم صفات الشخصية المعارضة للدعوة الإسلامية هم من كفار مكة ويتبعها المنافقون وغيرهم في المدينة ، ولم يصرح القرآن الكريم بذكر شخصية إلا (أبي لهب) في سورة قرآنية إذ "ليس في القرآن منها غير : أبي لهب واسمه عبد العزى ولذلك لم يذكر اسمه لأنه حرام شرعاً والعزى اسم صنم .. وقيل : للإشارة إلى أنه جهنمي"^(١) ، وكل الصفات الذميمة التي وردت في القرآن وردت للتعريض بتلك الشخصيات ومنها بلاغة الإطناب ، كما في فاتحة سورة القلم في ذم الوليد بن المغيرة في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَمِيمٍ * مَنَاعٍ لِخَيْرٍ مُّعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾ [سورة القلم/ ١٠-١٦] ، ومن الشخصيات الذميمة التي نزلت آيات الذكر في وصفهم (النضر بن حارث) كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال/ ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [سورة لقمان/ ٦] ، وقوله تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [سورة المعارج/ ١]^(٢) ، وكذلك ذم (العاص بن وائل) بصفة (الكفر) قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [سورة مريم/ ٧٧] ، وذمه بصفة (الكذب) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر/ ٣]^(٣) ، ومن بديع النظم الذم الجماعي للشخصيات الكافرة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنْمَّةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [سورة التوبة/ ١٢] .

نزلت في ذم أفعال أبي سفيان وأبي جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو

(١) الوفا بتعريف أسماء المصطفى ﷺ / ٢٧ .

(٢) أسباب النزول / ١٣٥ ، ١٩٧ ، ٢٥٠ .

(٣) م . ن / ١٧٣ ، ٢٦٠ .

الذين نقضوا العهد وهما بإخراج الرسول ﷺ^(١) وغيرها من الآيات القرآنية ، ومن أساليب الذم براعة المطلع في سورة الهمة في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [سورة الهمة / ١-٣] ، قال ابن عاشور : "وأُتبع (الذي جمع مالا وعدده) لزيادة تشنيع صفتيه الذميتين بصفة الحرص على المال"^(٢) ، نزلت في ذم المشركين . ومن أساليب ذم الشخصية الذم الذاتي في أقوال (أبي الأشد) في قوله تعالى : ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ [سورة البلد / ٦] ، قال ابن عاشور "أعقبت مساوي نفسه بمذام أقواله وهو التفتخر الكاذب والتمدح بإتلاف المال"^(٣) ، ومنه ذم عاقبة أبي جهل في قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [سورة العلق / ١٥-١٦] ، وذم (طعمة بن ابيرق) لما سرق وحكم عليه النبي ﷺ هرب إلى مكة وارتد فنزل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء / ١١٥]^(٤) ، ومن أساليب الذم التشنيع بشخصية المذموم بتشبيهه بالشيطان كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران / ١٧٥] ، فقد نزلت في (نعيم بن مسعود الأشجعي)^(٥) ، ومن الشخصيات الذميمة التي عارضت الدعوة (كعب بن الأشرف) وأصحابه من اليهود في قوله تعالى : ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْت لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [سورة المائدة / ٨٠] ، "أي ترى كثيرا من اليهود يوالون المشركين بغضا

(١) أسباب النزول / ١٣٨ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٣٧/٣٠ .

* هناك أقوال فيمن نزلت ، لباب النقول في أسباب النزول / ٢٣٤ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٥٢/٣٠ .

(٤) صفوة التفاسير : ٢٥٥/١ .

(٥) م . ن : ٢٠٤/١ .

لرسول الله ﷺ والمؤمنين والمراد (كعب بن الأشرف) وأصحابه^(١)، وكما ورد ذم شخصيات رجالية فقد ورد ذم النساء كامرأة أبي لهب في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [سورة المسد/ ٤] ، في نموذج ذم الأسرة المتمثلة بـ (أبي لهب وامراته أم جميل) ، وذم فعل امرأة في مكة وهي (ريطة بنت سعد) في نكث غزلها من غير علة أو سبب فجعلها القرآن عبرةً ومثلاً في النهي عن التخلق بها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَصَّتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ﴾ [سورة النحل/ ٩٢] ، ومن هذا يتبين ان "ذم القرآن لمن ذمهم كريم في المقصد الذي يراد منه كريم في بعده عن القول البذيء واللفظ الفاحش .. وكريم في بعده عن قصد شخص معين بالذم"^(٢) ، ويمكن أن نقف عند أساليب الذم في النماذج التحليلية الآتية :

الأخنس بن شريق

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة البقرة/ ٢٠٤-٢٠٦] .

ان أسباب النزول يبين سوء فعل الشخصية المذمومة الذي أظهر إسلامه وقال : انما جئت أريد الإسلام والله يعلم اني لصادق ، فلما خرج من عند النبي ﷺ ومر بزرع لقوم من المسلمين وحمراً فأحرق وعقر الحمر فنزلت الآية الكريمة^(٣) ، ويمكن أن نقف عند أساليب ذم (الأخنس بن شريق) من خلال (خمس) نكت بلاغية :

الأولى : مطلع الآية في التعريض به دون التصريح باسمه ذماً له بقوله (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) في خطاب النبي ﷺ لخطورة الأمر والحضور مجلسه عليه الصلاة والسلام "أي يروقك ويعظم في قلبك وهو الأخنس بن شريق كان رجلاً حلو

(١) صفوة التفاسير : ٣٠١/١ .

(٢) دراسات قرآنية ، عبد المتعال / ٩٤ .

(٣) أسباب النزول / ٣٤ .

المنطق إذا لقي الرسول ﷺ ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم .. " (١) ، وخصه في النظم بقوله : (في الحياة الدنيا) لبيان تعلقه فيما يقول بالدنيا الزائلة لا بالآخرة لإثبات صفة النفاق فيه لذا عطف عليه قوله (ويشهد الله على ما في قلبه) بياناً لما سبق ، وجاء التعبير بالفعل المضارع (يشهد) الذي فيه معنى التجدد والاستمرار ذماً لما في داخله من إضمار الكفر والنفاق فقد أضر ذكره تعريضاً به وذماً لأفعاله وتأكيداً على الصفات فهو "يظهر للناس الإسلام وبيارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق" (٢) ، ويشهد الله بان الله يعلم انه صادق سبحانه الله .. ! فهو ذم ظاهري في أقواله أعقبه بالذم الباطني لما في داخله وما يبرز من سلوك ذميم .

الثانية : بلاغة الوصل بقوله (وهو ألد الخصام) ، والد له معناه اللغوي الذي يدل على صفة ذميمة لأن "الألد الخصيم الشديد التأبي وجمعه لدد .. وأصل الألد الشديد اللدد أي صفحة العنق وذلك إذا لم يمكن صرفه عما يريده" (٣) ، وهي صفة مشبهة تدل على ثبوتها فيها لذا صرح القرآن بها "والمعنى أشد المخاصمين خصومة أي هو ذو جدال إذا كلمك وراجعك رأيت لكلامه طلاوة وباطنه باطل" (٤) ، فهي صفة ذميمة في حب الخصام وتجنب الخير وهو يومي إلى ذم عاقبته بعد الشهادة لبيان سلوكه الشخصي السيء ومن بعدها أعقبه في ذكر أفعاله الذميمة بقوله (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) فافتتحت بـ (إذا) ليؤكد على حقيقة الأمر ووجود بواعث الخبث والفساد فيه وخبث نوايا الأختس وله مناسبتة مع ما سبق الحديث عنه في بلاغة الوصل "فذلك قوله وهذا فعله كلامه كذب واعتقاده فاسد وأفعال قبيحة .. فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما" (٥) ، وفي دلالة الأفعال (تولى - سعى) ما يرشح

(١) الكشاف : ٢٢٨/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٥٨/١ .

(٣) المفردات / ٤٤٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٦/٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٢٥٩/١ .

معنى إرادته وإصراره المذموم لأن كلا السعيتين فيه نية الفساد والعبث فالفعل (تولى) "بمعنى ضل وغضب وأنف في نفسه (وسعى) أي سعى بحيلته وإرادته ، وهذه عبارة عن إيقاع الفتنة والتخريب بين الناس"^(١) ، وفي السياق بلاغة التوكيد مع الإضمار (فيها) وقد سبق القول (في الأرض) وهو متعلق "(بسعى) لإفادة ان سعيه في أمر من أمور أهل أرضكم وبذلك تكون إعادة (فيها) من قوله (ليفسد فيها) بياناً لإجمال قوله (في الأرض) مع إفادة التأكيد"^(٢) ، لذا جاء بالفعل المضارع (يفسد) و (يهلك) في بلاغة عطف الخاص على العام لأن كل هلاك فيه افساد ، والهلاك هو كناية "عما يعتمل في كيان هذا المخلوق النكد من الحقد والشر والغدر والفساد وما كان يستره بذلاقة اللسان ونعومة الدهان والتظاهر بالخير والبر والسماحة والصلاح"^(٣) ، ولذا ختم بالصفة النافية للمحبة الإلهية تعريضاً بغيره من المشركين والكفار في قوله (والله لا يحب الفساد) ذمّاً لكل فعل فاسد "والآية بعمومها تعم كل فساد كان في أرض أو مال أو دين"^(٤) ، وجاء بلفظ الجلالة ظاهراً تعظيماً للأمر وتحذيراً من الصفة التي تخرج العبد عن محبة الخالق عز وجل وبياناً لمكانة وفضل الإصلاح في حياة الناس .

الثالثة : ذم عدم قبول النصيحة والذي تمثل في قوله (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم)، وهو ردع لأقواله وأفعاله وخص التقوى في فعل الأمر لأنها جامعة للإيمان والعمل الصالح ، وخير ما يقوم سلوك المرء هو التقوى والخوف من الله عز وجل ، وبدل الاستجابة والطاعة جاء التعبير القرآني في بيان سوء تصرفه بقوله (أخذته العزة بالإثم) "أي حملته العزة التي فيه ومحبة الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه"^(٥) ، وهي عزة مذمومة لأن فيها اندفاعاً جاهلياً وبعداً عن الحق ، ويرشح السياق بلاغة الاحتراس بقوله (بالإثم) لمعنى المصاحبة "أي أخذته العزة الملابس للإثم والظلم وهو احتراس لأن

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٧/٣ ، تفسير سورة البقرة / ٣٥٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٦٨/٢ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٩٥/١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/٣ .

(٥) الكشاف : ٢٢٨/١ - ٢٢٩ .

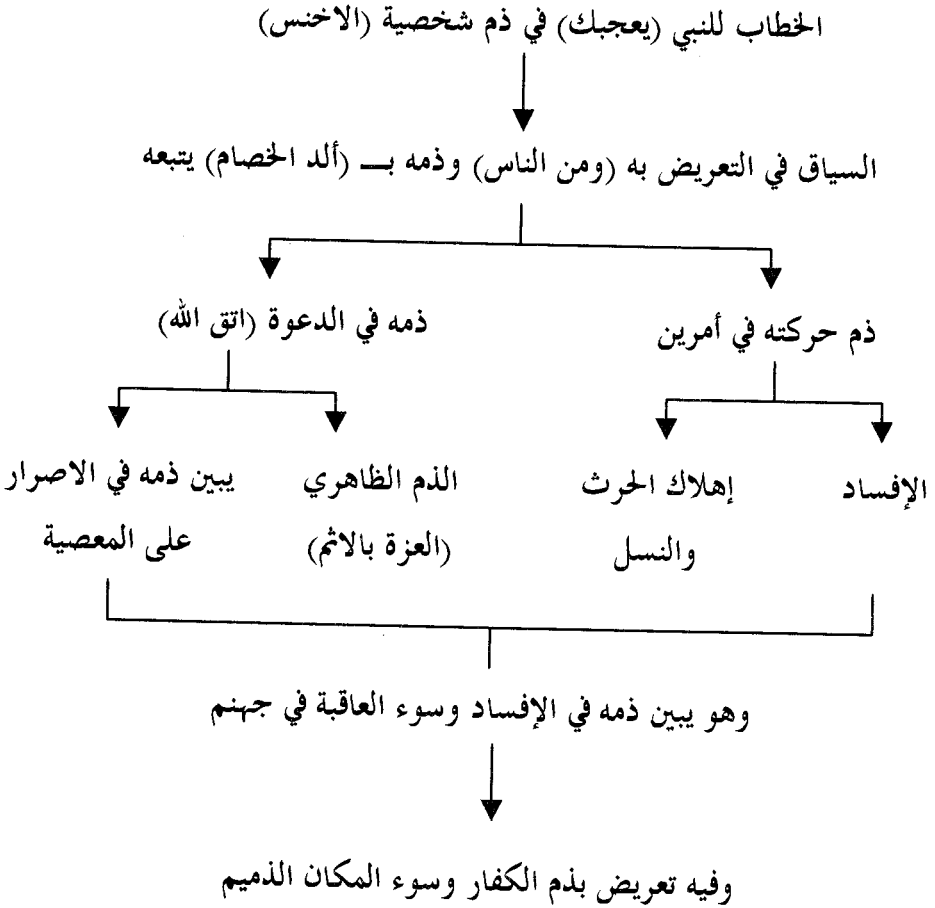
من العزة ما هو محمود .. أي منعه من قبول الموعظة وأبقته حليف الاثم الذي اعتاده لا يرعوي عنه وهما قرينان^(١)، وهذا كناية عن عدم قبوله الحق والخضوع له، وفي التقديم للضمير (أخذته) ما يكشف عن جاهليته وغروره بما يقول ويفعل تكبراً وعناداً فقد "أخذته العزة لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير لكن بالاثم فاستغرق بالاجرام والذنب والخطيئة"^(٢).

الرابعة : ذم سوء عاقبة الأحنس بقوله (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) وهو تفريع لما آل إليه الأحنس من الغرور والكبرياء والفساد لذا عطف عليه قوله (ولبئس المهاد) و"هذا من باب التهكم أي جعلت له جهنم غطاء ووظاء فاكرم بذلك كما تكرم الام بولدها بالغطاء والعطاء الينين"^(٣) وهو مصير مذموم ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

(١) في ظلال القرآن : ٢٩٦/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٧١/٢ .

(٣) صفوة التفاسير : ١١٠/١ .



الوليد بن المغيرة

قال تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَمِيمٍ * مَنَاعٍ لِخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُثْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾ [سورة القلم / ١٠-١٦] .

ان "معظم السورة نزلت في الوليد بن المغيرة" (١) ، فمن مطلع الآية في بيان الصفات الذميمة إلى ختامها في سوء العاقبة بالوسم "وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة" (٢) ، إذ يرشح السياق بلاغة الإطناب لذا جاءت "الآيات تدم الوليد بأشنع الذم وتحقره بأشنع تحقير" (٣) ، ويمكن أن نقف عند أساليب الذم في (أربع) نكت بلاغية :

الأولى : بلاغة أسلوب النهي في خطاب النبي ﷺ بقوله (ولا تطع) مما يدل على عظم الأمر وخطورته في حياة المكلفين حتى استدعى هذا الخطاب ولما له من أثر في أخلاق المؤمنين تحذيراً منها ليجتنبوها وفيه نكتة أخرى فقد "أجريت على المنهي عن الإطاعة هذه الصفات الذميمة لأن أصحابها ليسوا أهلاً لأن يطاعوا إذ لا ثقة بهم ولا يأمرهم إلا بسوء" (٤) ، وقد وردت الصفة الذميمة في صيغة المبالغة تشهيراً بها ولمن تمثل بها ، ونجد أسلوب الاقتران الثنائي في الصفات (حلاف مهين) أي كثرة الحلف وهي خلة مشينة للمرء "وذلك ان الكاذب لضعفه ومهانتة انما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجتري بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها" (٥) ، لذا جاء بلفظ (كل) "لإفادة الشمول والإحاطة .. فهي هنا تفيد النهي العام عن طاعة كل فرد من أفراد أصحاب هذه الصفات التي أضيف إليها (كل) بالمباشرة وبالنعوت" (٦) ، وهذا ينافي الصدق في الأقوال "والقرآن يصفه هنا بتسع صفات كلها ذميمة فهو حلاف كثير الحلف

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٩/١٨ .

(٢) م . ن : ٢٣٧/١٨ ، وهناك أقوال أخرى .

(٣) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني / ٢٨٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧١/٢٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٤/٤ .

(٦) التحرير والتنوير : ٧٠/٢٩ .

ولا يكثر الحلف إلا من إنسان غير صادق يدرك ان الناس يكذبونه ولا يثقون به فيحلف ويكثر من الحلف ليداري كذبه ويستجلب ثقة الناس" (١) ، فهي كناية عن عدم صدقه ، ثم أعقبه بصفة ذميمة في شخصيته فهو (مهين) على صيغة (فعليل) "من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز أو أراد الكذب لأنه حقير عند الناس" (٢) ، وملحظ ابتداء الذم فيما يصدر من آفة اللسان لأنها تعبر عما في داخل صاحبها من الشر .

الثانية : بلاغة الذم في أقواله وصفاته السلوكية (هماز مشاء بنميم) في الإيقاع بين الناس بالغبية والنميمة بينهم وهي من الطباع السيئة فهو "هماز يهمز الناس ويعيبهم بالقول والإشارة في حضورهم أو في غيبتهم .. ويمشي بين الناس بما يفسد قلوبهم ويقطع صلاتهم ويذهب بموداتهم وهو خلق ذميم كما انه خلق مهين" (٣) ، وهو ذم يتمثل في حركة المشي استعارة لما يتحملة من المشقة والكد من أجل الأذى ، وجاء بصيغة المبالغة (هماز) فهي " راجعة إلى قوة الصفة فاذا كان أذى شديداً فصاحبه هماز واذا تكرر الأذى فصاحبه هماز" (٤) ، وقوله (مناع للخير) و (معتد أثيم) و (عتل بعد ذلك زنيم) فهو بخيل لا يحب الخير إلا أن الذي هو أشد منه ذماً منعه الخير وهذا غاية الذم المتمثل في قوله (مناع للخير) فيما يقول ويفعل "أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير" (٥) ، وليس هذا فحسب بل (معتد) فتجاوز الحد فهو ظالم وفيه دلالة الشدة والقوة فـ "العدو التجاوز ومنافاة الائتنام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعادة ، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة في الاخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو.. " (٦) ، وفيه إثبات صفة العدوان فيه "على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل" (٧) ، وناسب جمع الصفات الذميمة بلاغة انتقاء الصيغة (أثيم) بدل (آثم) فهو "أثيم يرتكب المعاصي حتى

(١) في ظلال القرآن : ٢٣٠/٨ .

(٢) الكشاف : ٤٤٢/٤ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ٢٨٤ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٣٠/٨ .

(٤) التحرير والتنوير : ٧٢/٢٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٩٥ .

(٦) المفردات / ٣٢٦ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٢/١٨ .

يحق عليه الوصف الثابت (أثيم) بدون تحديد لنوع الآثام التي يرتكبها فاتجاه التعبير إلى إثبات الصفة وإلصاقها بالنفس كالطبع المقيم" ^(١) ، ونجد شدة الذم في الاقتران الثنائي في (معتد أثيم) فـ "هما مذمتان سادسة وسابعة قرن بينهما لمناسبة الخصوص والعموم" ^(٢) ، وبعد تعداد الصفات السيئة فهو (عتل) في وصف طباع الوليد بن المغيرة في قوة قلبه فهو "غليظ جاف من عتله إذا قاده بعنف وغلظه" ^(٣) ، دلالة على شدته وجفاء طبعه ، وفي السياق بلاغة ترتيب الصفات وصولاً إلى أشدها ذماً وأقبحها (زنيماً) لذا قال (بعد ذلك) "أي بعد تلك الأوصاف الذميمة التي تقدمت (زنيماً) أي ابن زنى وهذا أشد معانيه وأقبحها" ^(٤) ، وقد اشار ابن عاشور إلى نكتة أخرى بقوله "ومعنى (بعد ذلك) علاوة على ما عد له من الأوصاف هو سيئ المعاملة فالبعدي هنا بعدي في الارتقاء في درجات التوصيف المذكور" ^(٥) ، تشهيراً به وتهكماً به بين الناس لأنها تدل على "الذي عرف بلومه وخبثه وكثرة شروره المشهور بالشر وغالباً ما يكون دعياً ولد زناً" ^(٦) .

الثالثة : ذم قول الوليد بن المغيرة في قوله تعالى (إن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) ، وهو استئناف لبيان ما يلحق ما سبق من الصفات وليكشف عن موقفه من الدعوة الإسلامية عند تلاوة الآيات التي تريد المؤمنين خشوعاً وإيماناً إلا أن غرور الإنسان بالحياة الدنيا وزخرفها وأشد ما يكون فيها الاعتزاز بالمال والأولاد وهي من الفتنة التي تجعله ذميماً لذا قدمها في الآية في التذكير بالنعم واستحقاق الاعتراف بعظمة المنعم جل وعلا ولكن (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) فهو "استئناف جار مجرى التعليل للنهي .. وفيه انه يدل على معنى ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون سائر قبائحه دخل في ذلك" ^(٧) ، لذا أضمر ذكره (عليه)

(١) في ظلال القرآن : ٢٣١/٨ ، التعبير القرآني / ٥٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ٧٣/٢٩ .

(٣) الكشاف : ٤٤٢/٤ القول المبارك في تفسير جزء تبارك / ٨٦ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣٧٢ / ٣ .

(٥) التحرير والتنوير : ٧٤/٢٩ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٦/٤ .

(٧) تفسير أبي السعود : ٢٨٦/٦ .

وتدل كلمة (أساطير) على سوء مقولة الوليد في التهجم على كلمات الوحي والداعية إليها "فاما الأساطير فكانها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك اسماً لها مخصوصاً بها يقال سطر فلان علينا تسطيراً إذا جاء بالأباطيل" (١) .

الرابعة : ذم سوء عاقبة الوليد إذلالاً وتوبيخاً بقوله (سنسمه على الخرطوم) وهو استئناف آخر على تقدير جواب "لسؤال ينشأ عن الصفات الذميمة التي وصف بها ان يسأل سائل ما جزاء أصحاب هذه الأوصاف من الله على ما أتوه من القبائح والاجترأ على ربهم" (٢) ، وخص لفظ (الوسم) لأنه يعني "التأثير والسمة الأثر يقال رسمت الشيء وسمّاً إذا أثرت فيه بسمة .. وقال (سنسمه على الخرطوم) أي نعلمه بعلامة يعرف بها" (٣) ، والخرطوم كناية جاءت "على سبيل الاستخفاف به لأن الخرطوم للفيء ، والخنزير فاذا شبه أنف الإنسان به كان ذلك غاية في الإذلال والإهانة كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر" (٤) ، والأنف أكرم موضع في الوجه فاطلق الجزء وأراد الكل قال الزمخشري "الوجه اكرم موضع في الجسد والأنف اكرم موضع في الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان الغر والحمية واشتقوا منه الأنفة .. فعبّر بالوسم عن الخرطوم عن غاية الإذلال والاهانة لأن السمة على الوجه شين وإذلاله فكيف بها عن اكرم موضع منه ؟" (٥) ، فهذا غاية الذم للوليد بن المغيرة ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) مقاييس اللغة : ٧٢/٣ - ٧٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ٧٦/٢٩ .

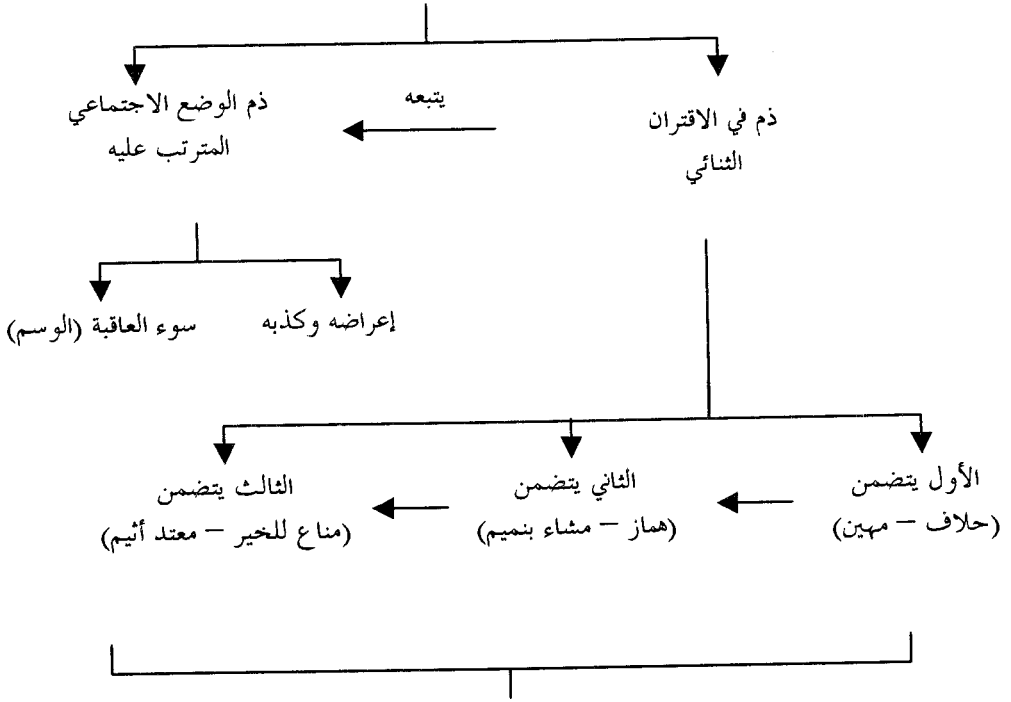
(٣) المفردات / ٥٢٤ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣٧٢/٣ ، نظرات حديثة في التفسير ، محمد عبد / ٨٩ .

(٥) الكشف : ٤٤٣/٤ .

الفصل الرابع / بلاغية ذم الشخصيات

السياق في خطاب النبي لذم شخصية (الوليد)



بعد كل هذا الذم أعقبه بالذم (العتل - الزنيم) لسوء حاله

أبو جهل

قال تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [سورة الدخان / ٤٩] .

نزلت الآية الكريمة رداً على مقولة أبي جهل حين لقي النبي ﷺ فقال: أيوعدني محمداً والله لانا أعز من بين جليلها وانا العزيز الكريم ، فأخذه الله عز وجل يوم بدر وأذله نزلت فيه الآية ^(١) ، ويمكن أن نجد أساليب الذم في نكتتين بلاغيتين :

الأولى : بلاغة الاستعارة بقوله (ذق) لأن الفعل يتعلق بحاسة معرفة للطعام والشراب فهو مستعار للإدراك لأنه يتعلق بالأجسام ويستعار للمعاني كما ورد في السياق ، قال ابن فارس : "الذال والواو والقاف أصل واحد وهو اختبار الشيء من جهة تطعم ثم يشتق منه مجازاً فيقال : ذقت المأكول أذوقه ذوقاً ، وذقت ما عند فلان : اختبرته" ^(٢) ، وقد ذكر ابن كثير نكتة بلاغية في الخطاب بأسلوب الأمر هي إيجاز الحذف والتقدير "أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ" ^(٣) ، فهو جزاء لما قال ان يخاطب "على سبيل الهزاء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه" ^(٤) ، ويرشح السياق بلاغة المناسبة لما قبله زيادة في الذم أي "خذوه أخذاً واعتلوه عتلاً وشدوه في إهانة وجفوة فلا كرامة ولا هودة وهناك صبوا فوق رأسه من ذلك الحميم المغلي مع الشد والجذب والدفع والعتل والكي" ^(٥) . ذمماً له يقال (ذق انك انت العزيز الكريم) ، وجاء ببلاغة الإضمار بذكر المخاطب مع التوكيد بـ (ان) مع الضمير المنفصل (انت) وهو توكيد للضمير في الفعل (ذق) وهذا يعاضد مطلع الآية في ذم أبي جهل لأنه "خبر مستعمل في التهكم بعلاقة الضدية والمقصود عكس مدلوله أي انت الذليل المهان والتأكيد للمعنى التهكمي" ^(٦) ، خلاف ما ادعى لنفسه تكبراً وعناداً "وهو قصر صوري

(١) أسباب النزول / ٢١٤-٢١٥ .

(٢) مقاييس اللغة : ٣٦٤/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١٤١/٤ ، تفسير أبي السعود : ٥٣/٦ .

(٤) الكشف : ١٨٣/٤ .

(٥) في ظلال القرآن : ٣٧٢/٧ .

(٦) التحرير والتنوير : ٣١٦/٢٥ .

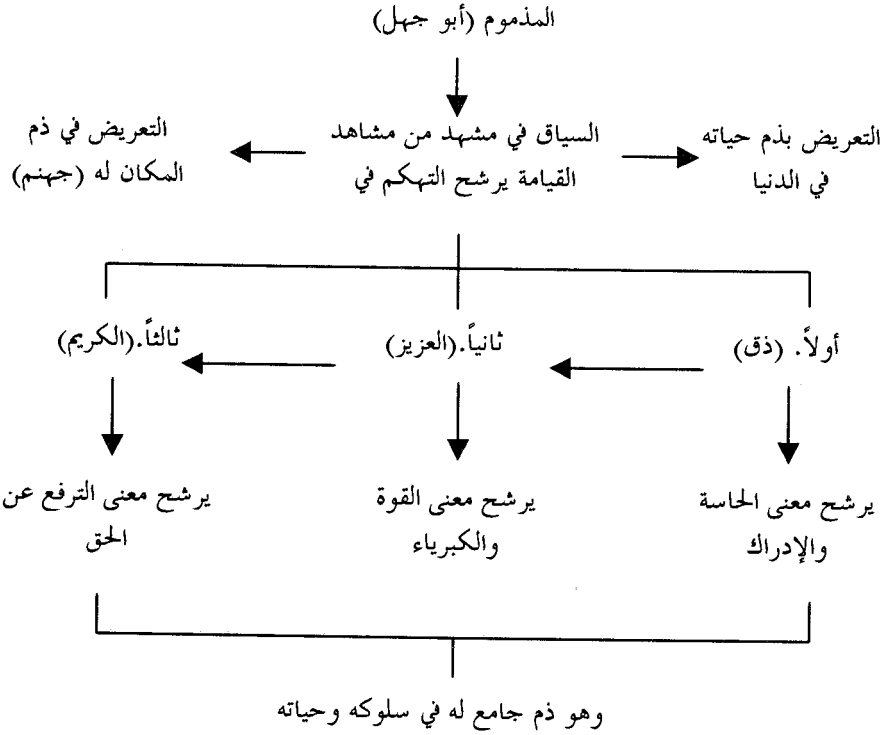
يقال لمن هو في دركات العذاب لتكامل السخرية والتحقير وتصل قمتها" (١) .
الثانية : الاستعارة التهكمية في لفظتي (العزير - الكريم) لما لهما من دلالة في اللغة، قال ابن فارس "العين والزاء أصل واحد يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر" (٢)، فهو يومئ إلى الذم الشخصي في أبي جهل من طباع وعادات سيئة فيه، اما (الكريم) فهو من الكرم "إذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه.." (٣) ، هذا إذا قصد به وجه الله تعالى فهو "على معنى الاستحقاق والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص أي قال له : إنك أنت الذليل المهان " (٤) ، فإين العزة والكرامة مع العذاب ؟ انها الصفات الجاهلية الذميمة التي يعتز بها وذلك لعدم وجود الإيمان والاستجابة لله ورسوله فهو مذموم لذا استحقق سوء العاقبة في نار جهنم لذا قال بعدها (ان هذا ما كنتم به تمترون) / ٥٠ ، تعليلاً لما قبله وبياناً لما يستحقه أبي جهل هو وغيره ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، د. صباح / ٤٦ .

(٢) مقاييس اللغة : ٣٨ / ٤ .

(٣) المفردات / ٤٢٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٥١ / ١٦ .



ذم بالتشبيه

قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ
أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة النحل / ٩٢] .

من الشخصيات التي جعل القرآن الكريم فيها عبرة في سبيل الموعظة والنصح
"هي ربيعة بنت سعد .. كانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن" (١) ، ومن بديع النظم القرآني اقتران التشبيه مع أسلوب النهي بقوله
(ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) في بيان خلة الوفاء والمحافظة على العهود والمواثيق

(١) الكشاف : ٦٠٠/٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٧١/١٠ .

والإيمان المؤكدة "فمثل من ينقض العهد مثل حماقة امرأة ملتائة ضعيفة العزم والرأي تقتل غزلها ثم تنقضه وتركه مرة أخرى قطعاً منكوثةً ومحلولةً وكل جزئية من جزئيات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجيب وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب وهو المقصود" ^(١) ، وذلك "ان كان ذماً كان مسه أوجع وميسمه ألدع ووقعه أشدد.." ^(٢) ، وفي السياق نكتة بلاغية في العدول عن الاسم إلى ذكر الاسم الموصول فقد "نهوا عن أن يكونوا مضرب مثل معروف في العرب بالاستهزاء وهو المرأة التي تنقض غزلها بعد شدة قتله .. وعبر عنها بطريق الموصولية لاشتهارها بمضمون الصلة ولأن مضمون الصلة هو الحالة المشبه بها في هذا التمثيل" ^(٣) ، وبعد بيان حال المرأة الذميمة في نقض غزلها ليس لعلة أو سبب لذا قال (من بعد قوة) ببلاغة الإطناب لأن "القوة إحكام الغزل أي نقضته مع كونه محكم القتل لا موجب لنقضه فانه لو كان قتله غير محكم لكان عذراً لنقضه" ^(٤) ، وفيه تعريض بكل من يتمثل بهذه الصفة الذميمة من أجل الخديعة والكذب فقال تعالى (تخذون أيمانكم دخلاً بينكم) "أي تتخذون أيمانكم خديعةً ومكراً تتخذون بها الناس" ^(٥) ، ولا يغر الإنسان قوته أو المال في التعالي والتكبر عن الناس لتكون داعية إلى المراوغة والمكر لذلك قال بعدها (ان تكون أمةً هي أربى من أمة) وهي ايضاً صفة ذميمة "أي تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه فلأن ينهى عنه مع التمكين والقدرة بطريق اولي" ^(٦) ، فهو خبر مستعمل للتحذير ثم استأنف في بيان التعليل لذلك عبرة لهم بقوله (انما ييلوكم الله به) وهو من بلاغة "قصر موصوف إلى صفة والتقدير ما ذلك الربو إلا بلوى لكم .. ومعنى إسناده إلى الله الكناية

(١) في ظلال القرآن : ٢٧٦/٥ .

(٢) أسرار البلاغة ، الجرجاني / ٩٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٦٤/١٤ .

(٤) م . ن : ٢٦٥/١٤ .

(٥) صفوة التفاسير : ١٢٥/٢ ، من بديع لغة التنزيل / ١٩٣ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٥٨٠/٢ .

عن إظهار حال المسلمين" (١) ، وبه يتميز المطيع من العاصي والذي يوفي بالعهد من غيره "لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكلتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ ، أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم" (٢) ، ولخطورة الإيمان ومكانته في تكويم سلوك المؤمن جاء السياق بالتوكيدات (القسم ونون التوكيد) لبيان "ذلك ايضاً في ترتب آثاره إذ يكون النعيم أثر الإيمان ويكون العذاب أثر الشرك وكل ذلك بيان لما كانوا مختلفين فيه في الدنيا" (٣) ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) التحرير والتنوير : ٢٦٦/١٤ .

(٢) الكشاف : ٦٠٠/٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٦٧/١٤ .

المذموم امرأة مكة وخصها بالفعل
الذميم لأجل

ثانياً. العبرة بعد التشبه به

أولاً. ذم الفعل في نقض الغزل

تضمن المدح للعزيمة والإرادة
تعريضاً للخديعة والمكر

تضمن المدح بالوفاء
تعريضاً بالعدو

تحفيزاً للإيمان والعمل الصالح

سورة الذهب

قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد / ١-٥] .

من أساليب ذم الشخصيات المعارضة للدعوة الإسلامية ذم الفعل المشترك بين الرجل وامرأته كما صرح القرآن الكريم في سورة ذات معانٍ فريدة وذلك حين دعا النبي ﷺ وهو على الصفا قريشاً فقال لهم "أرأيتم لو اني إخبارتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون ؟ قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً، فأنزل الله عز وجل - تبَّتْ يدا أبي لهب وتب - إلى آخرها" ^(١) ، ويمكن أن تتأمل أساليب ذم (أبي لهب وامرأته) في (ثلاث) نكت بلاغية :

الأولى : ذم أبي لهب في مطلع السورة في قوله تعالى (تبَّتْ يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب) ، فمطلع الآية يشرح ذم الأعضاء في ذكر الجزء (تبَّتْ يدا) وفي ذكر الكل (وتب) و "افتتاح السورة بالتباب مشعر بانها نزلت لتوبيخ ووعيد فذلك براعة استهلال مثل ما تفتح إشعار الهجاء بما يؤذن بالذم والشتم" ^(٢) ، وهو دعاء عليه بالهلاك في قوله (تبَّتْ) "وخص اليدين بالتباب لأن العمل أكثر ما يكون بهما، أي خسرتا وخسر هو وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر عن النفس باليد" ^(٣) ، فقد أطلق الجزء وأراد الكل من باب المجاز المرسل ، وهذا يومئ إلى ضلال أعماله وسعيه الناشئ عن الفساد الفكري في عبادة الأصنام والدفاع عنها ، واسمه (عبد العزى) وعدل عن الاسم الذميمة إلى الكنية (أبي لهب) ذمّاً له في سوء عاقبته في النار التي هي ذات لهب وكناهها لمعانٍ أربعة:

- ان اسمه عبد العزى والعزى هو الصنم ، ولم يضيف الله تعالى في كتابه العبودية

إلى صنم لأنه أمر ذميم .

(١) أسباب النزول : ٢٦١-٢٦٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٠٠/٣٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٥/٢٠ .

- انه كان يشتهر بالكنية أكثر من الاسم فصرح بها لتكون أوقع في نفوس المخاطبين.

- ان الاسم أشرف من الكنية فجعل الله عز وجل له الكنية تنزيلاً عن الأشرف إلى الأنقص .

- ان العاقبة له هي النار فأراد الله عز وجل ان يحقق نسبته بان يجعل مصيره النار فتكون أبأ له ^(١) .

وعطف عليها تكراراً (وتب) فقد أعيد "الدعاء على جميعه إغلاظاً له في الشتم والتفريع وتفيد بذلك تأكيداً لجملة (تبت يدا أبي لهب) لأنها بمعناها وإنما اختلفا بالكلية والجزئية... فيكون الكلام قبله مستعملاً في الذم والشماتة به أو لطلب الازدياد" ^(٢) ، ثم جاء بأسلوب الفصل وهو استئناف لبيان سوء حاله في الآخرة بعد بيان سوء حاله في الدنيا بقوله (ما أغنى عنه وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب) و (ما) في السياق اما (إستفهامية أو نافية) وتؤدي كلا المعنيين ، وقد ذكر ابن عاشور نكتة الفصل لما قبله بقوله "هو استئناف ابتدائي للانتقال من إنشاء الشتم والتوبيخ إلى الاعلام بانه آيس من النجاة من هذا التباب ولا يغنيه ماله ولا كسبه" ^(٣). على تقدير (ما) نافية وهذا يناسب قوة السياق في تقرير مصيره واعتزازه بحطام الدنيا ضد الدعوة الإسلامية فلم ينفعه المال الذي جمعه ولا ما حصله وكسبه من الجاه والأولاد لأن مصيره النار ، لذا قال (سيصلى ناراً) "والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته" ^(٤) ، وجاء بالنكرة (ناراً) تعظيماً لها وتخويفاً لها والسؤال البلاغي الذي يكشف عنه بديع التعبير هو لما وصف النار بـ (ذات لهب) ؟ وذلك لنكتة بلاغية وهي "الزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب .. وفي وصف النار بذلك زيادة كشف لحقيقة النار وهو مثل

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/٢٠ ، من بلاغة القرآن / ١٣٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٠٣/٣٠ .

(٣) م . ن : الصفحة نفسها .

(٤) الكشف : ٦٤٨/٤ ، تفسير السراج المنير ، الشريبي : ٦٠٦/٤ .

التوكيد" (١) ، وفيه معنى التهويل وهذا يرشح بلاغة الجناس التام بين (هلب) و (لهب) فقد ابتداء بزم أعضاء أبي هلب ثم أعقبه بزم سلوكه الإجتماعي فيما ذكر من المال والجاه ثم ختم له بسوء العاقبة في النار في حياته وهذا من دلائل النبوة الصادقة لبعثة النبي ﷺ بسوء خاتمته وعدم إسلامه أبداً .

الثانية : ذم امرأته أم جميل في أسلوب الوصل والمقابلة بقوله (وامرأته حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد) فقد ابتداء بزم صفتها بما كانت تفعل في محاربة النبي ﷺ والذي أوصلها إلى الجزاء على صنيعها وما تستحق من العذاب النازل بها ولأنها كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها في الليل في طريق النبي ﷺ ولتصدده عن دعوته ، وقيل لأنها كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنميمة ويفسد بين الناس بحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النار وهي استعارة لطيفة لذا عطفها على ما سبقها (٢) ، وذكر ابن عاشور نكتة بلاغية في الوصل بقوله "فلما حصل لأبي هلب وعيد مقتبس من كنيته جعل لامرأته وعيد مقتبس لفظه من فعلها وهو حمل الحطب في الدنيا فانذرت بانها تحمل الحطب في جهنم ليقود به على زوجها وذلك خزي لها ولزوجها إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه وجعلها سبباً لعذاب أعز الناس عليها" (٣) ، وفي السياق مبالغة في صفة (حمالة) والتي تدل على سوء نيتها ضد دعوة النبي ﷺ وكانها تحمل الحطب مرة بعد مرة حتى أصبحت فيها صفة أكدها القرآن الكريم وجاء بالنصب على الدم كانها اشتهرت بذلك وجاءت الصفة للدم لا للتخصيص" (٤) ، ثم زاد لها في سوء الحال تشبيهاً لها في قوله (في جيدها جبل من مسد) "والمعنى في عنقها جبل من مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً لحالها وتحقيراً وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلمها

(١) التحرير والتنوير : ٦٠٥/٣٠ .

(٢) الكشف : ٦٤٨/٤ ، أسلوب السخرية في القرآن الكريم / ١٥٤ .

(٣) التحرير والتنوير : ٦٠٥/٣٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٠/٢٠ ، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم / ٤٢١ .

وهما في بيت العز والشرف" (١) ، جزاء عملها في الدنيا ذله ومهانة تنتظرها ، وقدم الجار والمحرور (في جيدها) على (حبل) لنكتة بلاغية وهي "الاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها بحبل في جيدها عن العقد الذي كانت تحلي به جيدها في الدنيا فتربط به إذ قد كانت هي وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء" (٢) ، وفي السياق نكتة الفاصلة والمنفردة (الدال) إذ "تحققت بذلك نكتة بلاغية من خلال هذا الانفراد والتغيير في إيقاع السورة الكريمة إذ يعمل على احداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجأة وذلك يظهر شيئاً جديداً يثير الاهتمام على نحو مؤكد" (٣) ، وبه تتحقق جماليات الوحدة الموضوعية في "تناسق الجرس الموسيقي مع حركة العمل الصوتية لتناسق الصور في جزئياتها المتناسبة بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير ويتسق مع جو السورة وسبب نزولها" (٤).

الثالثة : الذم الاقتراني للرجل والمرأة كأنموذج لذم الأسرة تمثل في أبي هب وامراته لبيان عاقبة الصفات الذميمة فقد "أحبر عنهما في الشقاء وعدم الإيمان ولم يقيض لهما ان يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً ولا سراً ولا معلناً فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة" (٥) ، للنبي ﷺ في دعوته إلى الحق فضلاً عن "ان الصورة المزرية المثيرة للسخرية التي شاعت في آياتها قد سجلت في الكتاب الخالد وسجلتها صفات الوجود ايضاً تنطق بغضب الله وحربه لأبي هب وامراته جزاء الكيد في دعوة الله ورسوله" (٦) ، عبرة لكل من أراد ان يتذكر ويعتبر "وفي الآيات تصوير حسي لأبي هب وزوجته على ما كان منهما من ذميم الأفعال حيال النبي ودعوته" (٧) ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

(١) الكشف : ٦٤٩/٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٠٧/٣٠ .

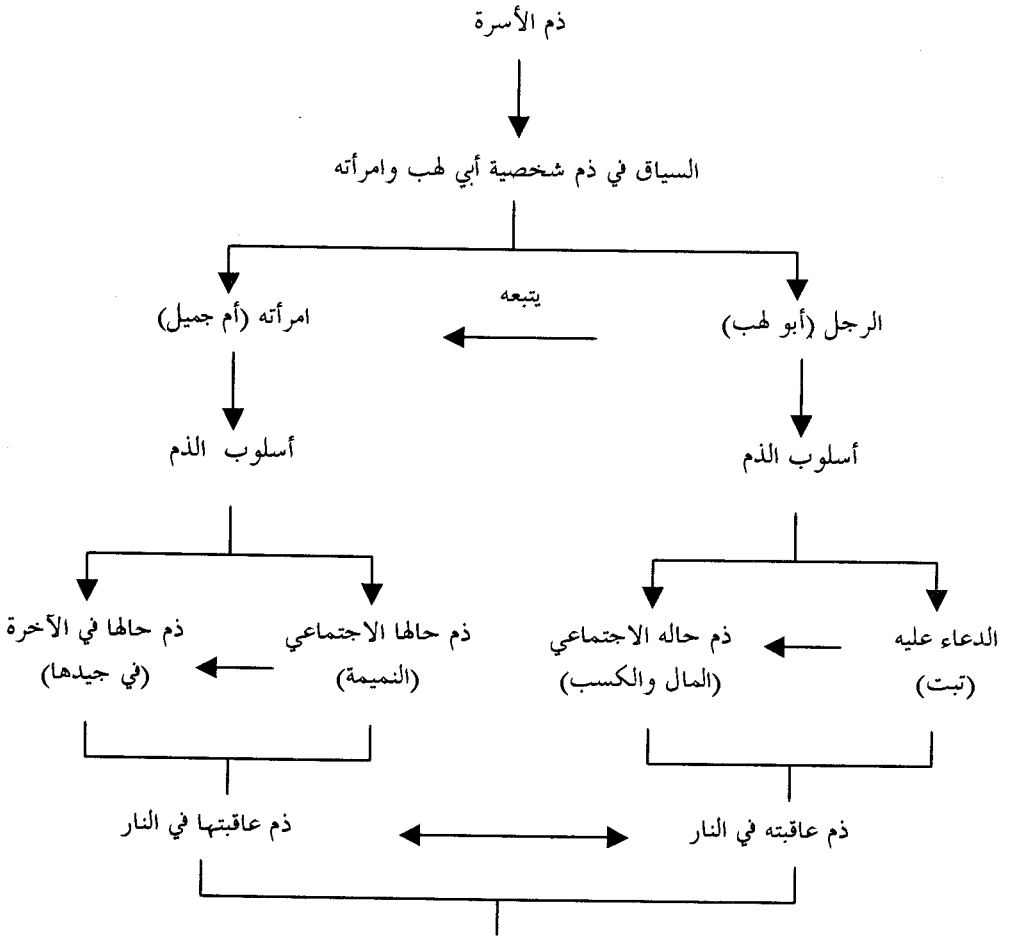
(٣) سورة اللهب ، د. أحمد (مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، العدد ٣١ ، ١٩٩٨) / ٢٠٧ .

(٤) مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب / ٥٥ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٥٦٢/٤ .

(٦) في ظلال القرآن : ٦٩٩/٨ .

(٧) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني / ٢٨٥ .



وهذا يبين مصير كل من يحارب الدعوة الإسلامية

ويمكن أن نقف عند الأساليب البلاغية في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٢-٤]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الوصل والتعريض الإطناب الوصل الوصل والمبالغة الإضمار الوصل والكناية الوصل والتعريض الإضمار الأمر الكناية الاحتراس التذليل	(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ) (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) (لِيُفْسِدَ فِيهَا) (وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) (فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)	١
الوصل والنهي المبالغة المبالغة الاستعارة الفصل والمبالغة الفصل والوصل الإضمار	(وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) (مَّنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) (أَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا)	٢

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الكناية التذييل	(سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ) (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ)	
الأمر الاستعارة التهكمية التوكيد والإضمار الاستعارة التهكمية	(ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ) (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ) (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ) (الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)	٣
النهي التشبيه والعدول الإطناب الفصل أسلوب خبري ابتدائي القصر	(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ) (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ) (مَنْ بَعْدَ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا) (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) (إِنَّمَا يَبْتُلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ)	٤
براعة المطلع مجاز مرسل التكرار الوصل والفصل التكرار جناس تام الوصل المبالغة	(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (سَيَصَلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) (أَبِي لَهَبٍ - ذَاتَ لَهَبٍ) (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)	٥

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
<p>الاستعارة التقديم والتأخير والكناية براعة الختام</p>	<p>(وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ) (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ)</p>	

المبحث الثالث

أساليب الذم العام

كما ورد ذم شخصيات لأجل الاعتبار والموعظة والتنفير من الصفات السيئة في سلوكها سواء بالتصريح أو التعريض وكما نزلت آيات فيهم إلا أن هناك ذماً عاماً في القرآن العظيم يكشف عن الصفات العامة والمواقف التعليمية لبيان فضل الإيمان الراسخ والعمل الصالح ، ويمكن أن نجعلها في (خمس) مسائل :

الأولى : الذم العام في جانب العبادة لكل من عبد إلهاً من دون الله ، ومنه ذم الأصنام والأوثان في قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان/ ٣] ، في إقرار ضعفها وهوانها ، ومنه ذم لكل أهل الملل والطوائف المنحرفة عن اتباع الإسلام بينها قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران/ ٨٥] ، وكذلك ذم عام في سوء المخالفة والعصيان بالعذاب الاليم كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [سورة النساء/ ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [سورة الإسراء/ ٣٢] ، فقد جاءت الآية بعد الحديث عن الكبائر تعريضاً بمن يفعلها ، قال ابن عاشور "أي هو مذموم عند الله .. أي مكروهاً فعله من فاعله وفيه تعريض بان فاعله مكروه عند الله" (١) ، لذا كان المكان والمصير مذموماً لكل من عصى وتجبر ، كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران/ ١٩٧] ، وهذا من ذم المكان الذي يعني في الحقيقة ذماً لأهلها .

الثانية : ذم للصفات العامة كنفى المحبة الإلهية لمن تعلق بالصفات الذميمة التي توجب البعد عن الله عز وجل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة المائدة/ ٨٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران/ ٥٧] ، في

(١) التحرير والتنوير : ١٥/١٠٥ ، كتاب تفصيل موضوعات القرآن ، محمد / ١١٥ ، ١٥٥ ،

بلاغة الأسلوب الخبري وقد يكون بدم الاقتران الثنائي بين الصفات كقوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة البقرة/ 276] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [سورة النساء/ 107] ، وكل ذلك منظور فيه السياق ، ومنها ذكر الصفات مع الإنسان كدم صفتي الظلم والكفر في قوله تعالى : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم/ 34] ، وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [سورة الكهف/ 54] ، قال ابن عاشور "والجدال خلق منه ذميم يصدر عنه تأديب الإسلام ويبقى في خلق المشركين" (١) ، ومن بديع الذم بلاغة التكرار في وعيد المكذبين كما في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة المرسلات/ 15] ، فقد وردت في (عشرة) مواضع في السورة تشنيعاً بصفة الكذب وبمن تخلق بها ، وفي آية أخرى يصرح القرآن بصفة التكبر الذميمة مع ذكر المكان السيئ المذموم في قوله تعالى : ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [سورة غافر/ 76] ، ومن أساليب الذم في ذكر الصفات ذكر علة الاقتران الثنائي لها كما في قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ * نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة الشعراء/ 221-222] ، فهو ذم عام بدليل ذكر (كل) في السياق ، ومن اللفظ الذم العام (الأرباب) وهي "لم تطلق في القرآن الكريم إلا على من لم يستحق الربوبية كالرهبان والأحبار والملائكة والنبیین فالرب هو الله تعالى وحده" (٢) ، وهذا من بديع النظم القرآني وأساراه ، وقد ترد ألفاظها مدلولها البلاغي في معنى الذم العام مثل (كتاب الفجار) في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [سورة المطففين/ 7-9] ، على خلاف مدح (كتاب الأبرار) ، أو ذكر (أعداء الله) كما في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

(١) التحرير والتنوير : ٣٤٧/١٥ .

(٢) ألفاظ التمام والزيادة والنقصان في القرآن الكريم ، يونس (رسالة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩) / ٦٣ .

[سورة فصلت/ ١٩]، على خلاف مدح (أولياء الله) ، وكذلك لفظ العبيد فقد ورد في (خمسة) مواضع كلها تبين ظلم أنفسهم وسوء عملهم كقوله تعالى : ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق/ ٢٩]، فالآيات "كلها تدل على انهم عصاة لله عز وجل يستحقون عذابه ونقمته.. لأنهم أعرضوا عن عبادة الله في الدنيا وعبدوا أهواءهم وشهواتهم فكانهم كانوا عبيد المال وعبيد الجسد وعبيد الشهرة والجاه والمناصب .. وان (العبيد) مصطلح قرآني جديد كذلك يعني الناس الذين يعرضون عن طاعة الله وعبادته" ^(١) ، على خلاف مدح (العباد) ومن ألفاظ الذم العام الجبت والطاغوت كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [سورة النساء/ ٥١]، وان كان يقصد بالجبت حيي بن أخطب اليهودي إلا أن لفظ "الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك" ^(٢) ، مما يفيد الذم العام وكذلك لفظ (الطاغوت) وهو "كل معبود من حجر أو مدر أو صورة أو شيطان فهو جبت وطاغوت" ^(٣) ، وكذلك لفظ (خلف) بسكون اللام في السياق القرآني التي تدل على الذم الجماعي كما في قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾ [سورة الأعراف/ ١٦٩]، و "الخلف ضد القدام .. وخلف ضد تقدم وسلف والمتأخر لقصور منزلته يقال له خلف ولهذا قيل الخلف الرديء والمتأخر .. قال تعالى (وخلف من بعدهم خلف)، وقيل : سكت الفأ ونطق خلفاً رديئاً من الكلام .. ويعبر عن الرديء بخلف نحو (فحلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة" ^(٤) ، [سورة مريم/ ٥٩] ، فهو الذي يخلف في الشر ، ومن بديع مقابلة الألفاظ (الجحف) في الذم مع (الحنف) في المدح ، كما في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة/

(١) التطور الدلالي / ١٤٤-١٤٦ .

(٢) م . ن / ٣٢٨ .

(٣) مجاز القرآن : ١٢٩/١ .

(٤) المفردات / ١٥٥ .

[١٨٢] ، قال الراغب "الحنف هو ميل عن الضلالة إلى الاستقامة والحنف ميل عن الاستقامة إلى الضلال"^(١) ، وكذلك صفة الجهل والجاهلين عموماً في القرآن الكريم بألفاظ متنوعة تقع غالباً في الفاصلة القرآنية بـ (لعلمهم يتفكرون) و (لعلمهم يعقلون) و (لعلمهم يفقهون)، تعريضاً بهم، ومن بلاغة الذم العام ذكر (الشجرة) في قوله تعالى : ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء / ٦٠] ، قال ابن عاشور "الملعونة أي المذمومة في القرآن"^(٢) ، ويتبعه "ذم الحياة الدنيا وبيان حقيقتها لينزع من القلوب التعلق بها ، والحرص الشديد عليها وكذلك ذم أهلها ونفي تصوراتهم الباطلة نحوها كقوله : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية / ٢٤] ،..."^(٣).

الثالثة : ذم الشيطان وإبليس في آيات القرآن الكريم وكان أكثر الألفاظ تكراراً لفظ (الشيطان) ، فقد ورد في (ثمان وستين) آية^(٤) ، تبين عداؤه لبني ادم ومكره وحيله وأشد هذه الصفات الذميمة (الرجيم) كما في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة النحل / ٩٨] ، "فجميع هذه الأوصاف انما أتت لذم الموصوف وتحقيره وإبرازه في سورة الساقط.." ^(٥) ، ومن الآيات في ذم أساليبه وطرقه قوله تعالى : ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة النساء / ١٢٠] ، والذم الجماعي له ولمن تبعه في بلاغة الإظهار ، كما في قوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة / ١٩] ، وقد ترشح بلاغة الاستعارة في سياق آخر خطورة أساليب الشيطان ومكره ، كما في قوله تعالى : ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

(١) م . ن / ١٣٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٤٨ .

(٣) لغة القرآن الكريم / ٢٧٤ .

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٤٦٩ .

(٥) فن البلاغة ، د. عبد القادر / ٢١٠ .

الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿ [سورة النور/ ٢١] ، ومن بديع النظم بلاغة التقديم والتأخير في قوله تعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ ٢٦٨] ، قال ابن عاشور "وقدم اسم الشيطان مسند إليه لأن تقديمه مؤذن بدم الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم .. ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوية الحكم وتحقيقه" (١) ، واما (إبليس) فقد ورد في (إحدى عشر) آية ، كان أغلب الآيات في الحديث عن قصة آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له وامتناع إبليس اللعين عن الطاعة لأمر الله عز وجل والصفة الذميمة الغالبة في السياق الإيذاء والاستكبار ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/ ٣٤] ، "وصورة الاستكبار بأقبح حالاته هي تلك الواردة في القرآن الكريم وفيها بيان التطرف السيئ الاهوج الذي صدر عنه إبليس" (٢) ، فقد جمع له المخالفة في الطاعة لصفات (الإيذاء - والاستكبار - والكفر) لذا كان مبلس من رحمة الله عز وجل (٣) ، ومن بديع الأساليب (الذم الذاتي) كما في قوله تعالى : ﴿وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [سورة إبراهيم/ ٢٢] ، ويصور السياق جمالية الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [سورة الإسراء/ ٦٤] ، فقد "مثلت حال الشيطان في تسلطه على من يغويه بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الاعداء لاستئصالهم" (٤) ، ومن الباحثين من فرق بين (الشيطان وإبليس) ، فقال "إبليس في القرآن الكريم هو الشيطان ولكن الشيطان في القرآن الكريم ليس مقتصراً على إبليس وذلك ان إبليس هو الاسم العلم على ذلك المخلوق الذي هبط

(١) التحرير والتنوير : ٥٩/٣ .

(٢) حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني ، شاکر / ٢٧ .

(٣) قضايا اللغة في كتب التفسير ، د. هادي / ٤٦٨ ، عظمة القرآن ، عبد القادر / ١٤١ .

(٤) صفوة التفاسير : ١٤٨/٢ .

على الأرض بعد ان عصى ربه والشيطان في استعمال القرآن ورد صفة لذلك المخلوق وصفة ايضاً لكل من يقوم بعمله سواء أكان من الجن أم من الانس والآيات الكريمة والواردة في قصة إبليس تدل دلالة قاطعة على انه هو الشيطان ^(١) .

الخامسة : ذم عام وقع في السور القرآنية كما في ذم صفة التطفيف في الكيل في فاتحة سور المطففين ، في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِّنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة المطففين/ ١-٣] ، فافتتح بالوعيد ثم بين صفتهم الذميمة بقوله (الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون) وهي "إدماج مسوقة لكشف عادة ذميمة فيهم هي الحرص على توفير مقدار ما يتاعونه بدون حق لهم فيه ، والمقصود الجملة المعطوفة عليها وهي جملة (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) "فهم مذمومون بمجموع ضمن الجملتين" ^(٢) ، ومن السور سورة الفلق وردت في الذم العام لأنها "كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر والأحوال التي يستر أفعال الشر من ورائها لئلا يرمي فاعلوها بتبعاتها فعلم الله نبيه هذه المعوذة ليتعوذ بها" ^(٣) ، وكذلك سورة الناس وردت في الذم العام كسورة الفلق فقد "شابهت فاتحتها فاتحة سورة الفلق إلا أن سورة الفلق تعوذ من شرور المخلوقات من حيوان وناس وسورة الناس تعوذ من شرور مخلوقات خفية وهي الشياطين" ^(٤) ، وغيرها من السور القرآنية ، ويمكن أن نجد أساليب الذم العام في الأمثلة التحليلية الآتية :

أعداء الله

قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُخْسِرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة فصلت/ ١٩-٢٠] .

(١) التطور الدلالي / ٤٧٥ ، حوار مع إبليس ، محمد / ١١ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٩٠/٣٠ .

(٣) م . ن . : ٦٢٥/٣٠ .

(٤) م . ن . : ٦٤٢/٣٠ .

ان من أعظم المشاهد تخويفاً في المصير هو يوم القيامة وقد جاء سياق الآية الكريمة بعد الانتهاء "من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة من قبلهم وانذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا كما حل بأولئك ليكون لهم ذلك عبرةً فإن لاستحضار المثل والنظائر أثراً في النفس تعتبر به .. انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة" (١) ، فهو ذم جامع لسوء العاقبة في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة ، ومن بلاغة السياق الفعل (يحشرون) في دلالاته على عظمة المتكلم عز وجل وهو كناية عن الكثرة مع معنى السوق ، لأن "الحشر الجمع مع سوق ولكل جمع حشر، والعرب تقول حشرت مال بني فلان السنة كأنها جمعتة ذهبت به وأتت عليه" (٢) ، وهو يدل على قدرة الله عز وجل على جمع الكافرين المعادين للدعوة وصاحبها ﷺ ، وهو خبر ابتدائي يفيد الوعيد والتخويف أي "يوم يحشرون إلى النار يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم" (٣) ، لاشتراكهم في الذم العقائدي ، وخص المحشورين في السياق بصفة هي أشد ذمًا لهم بقوله (اعداء الله) لبيان ما ينتظرهم من الحساب فهم "الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره" (٤) ، وعده الزمخشري من الذم العام بقوله "الكفار من الأولين والآخرين" (٥) ، لذا ذكر الغاية بقوله (الى النار) تهويلاً للموقف وليكون أوقع في نفوس المخاطبين انه ليس أسوأ حالاً إلا من كان هذا مصيره فالنار تنتظره يساق إليها ذليلاً مهاناً ، ثم ختم ببلاغة الوصل مع الإضمار بذكرهم ذمًا لهم وما صاروا إليه بقوله (فهم يوزعون) لكثرتهم يوم القيامة "أي يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهو عبارة عن كثرة أهل النار" (٦) ، لذا وظف السياق الفعل المضارع (يوزعون) "ونلاحظ في عبارته الأخيرة انها دلالة ثانية تشير إليها الجملة الاسمية التي خبرها فعل مضارع يفيد التجدد والحدوث فكلما

(١) م . ن : ٢٤ / ٢٦٤ .

(٢) مقاييس اللغة : ١ / ٦٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٩٢ .

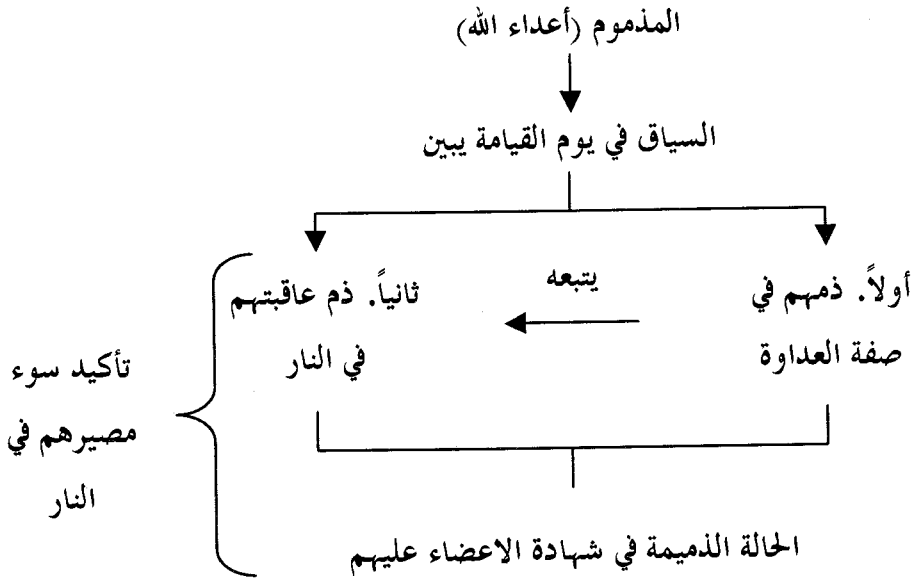
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٣٥٠ .

(٥) الكشف : ٤ / ١١٠ ، المضاف إلى لفظ الجلالة الله في القرآن الكريم ، لقاء (رسالة ماجستير

مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٨) / ٣١ .

(٦) الكشف : ٤ / ١١٠ .

فرغ من طائفة استوقفت طائفة أخرى من أهل النار" (١) ، وهل بعد هذا الذل والمهان شيء يقال ؟ ، لقد أكد القرآن الكريم سوء نيتهم وفعلهم في الصفات الذميمة التي ارتضوها لأنفسهم وكانوا أعداء الله ثم أعقب السياق في بيان ذم سلوكهم في حياتهم وذلك بشهادة الاعضاء عليهم والتي تمثلت في بلاغة الإيجاز بقوله (حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) والتقدير فيها "وسئلوا عما كانوا يفعلون فأنكروا فشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم يعني سألمهم خزنة النار" (٢) ، والسؤال لم هذه الشهادة بعد سوء المصير في النار ؟ وذلك لنكتة بلاغية "فما كانت شهادة جوارحهم إلا زيادة حزي لهم وتحسيراً وتندبماً على سوء اعتقادهم في سعة علم الله" (٣) ، فقد كان معهم أعظم وسائل التدبر والإيمان للاستجابة لله ولرسوله ﷺ ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :



(١) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني / ٧٥ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٦٦/٢٤ .

(٣) م . ن : ٢٧٦/٢٤ .

الشعراء

قال تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الشعراء / ٢٢٤-٢٢٦] .

من أساليب الذم العام (الذم الجماعي) لمن اتصف بخلة سيئة فيها تضليل الناس عن الحق وتبديل الحقائق وخلط المفاهيم كذباً وزوراً وهم الشعراء الكاذبون ومن يتبعهم ويوافقهم على "قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرام والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاؤون والسفهاء" ^(١) ، وفي الآية نكتة بلاغية في تركية النبي ﷺ من أن يكون شاعراً تعريضاً بالكفار "فكانت هذه الآية نقياً للشعر أن يكون من خلق النبي ﷺ وذماً للشعراء الذي تصدوا لهجائه" ^(٢) ، لذا افتتح الآية ببلاغة الخبر الابتدائي، ولبيان سوء حالهم ومقاوم اتبعه بقوله (يتبعهم الغاؤون) وهو "ذم لاتباعهم وهو يقتضي ذم المتبوعين بالأحرى .. أي يتبعهم أهل الضلالة والبطالة الراغبون في الفسق والأذى" ^(٣) ، ومن بديع النظم إثبات الغواية للشعراء فقد "دل بهذا ان الشعراء ايضاً غاؤون لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان اتباعهم كذلك.." ^(٤) ، في اشتراكهما في هذه الصفة لأن معنى "الغي جهل من اعتقاد فاسد وذلك ان الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقداً اعتقاداً لا صالحاً ولا فاسداً وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا النحو الثاني يقال له غي" ^(٥) ، ثم جاءت جمالية الإطناب والتفصيل والفصل لتقدير سائل ان يسأل لماذا؟ وذلك لنكتتين بلاغيتين :

الأولى : الاستفهام بقوله (ألم تر انهم في كل واد يهيمون) في إثارة نفوس المخاطبين وتحريك عقولهم إلى سوء فعل الشعراء بما يقولون فإن "ذكر الوادي والهيوم فيه

(١) الكشاف : ٣٨٧/٣ ، النص القرآني من الجملة إلى العالم / ١٣٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٨/١٩ .

(٣) التحرير والتنوير : الصفحة نفسها .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٤٥/١٣ .

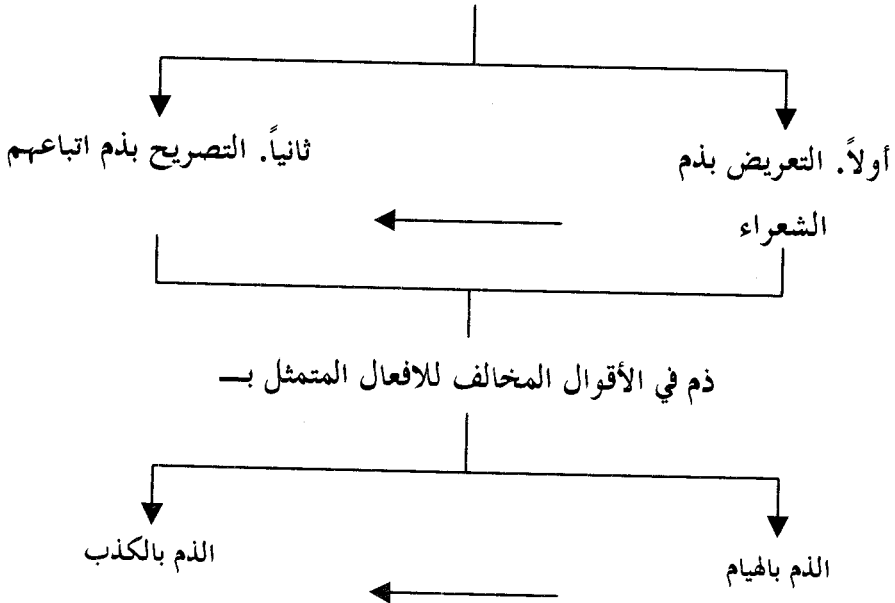
(٥) المفردات / ٣٦٩ .

تمثيل لذهابهم في كل شعب من القبول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجازة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم" (١) ، وتتجلى فيه جمالية المجاز لأنهم "يهيمون في كل وإد من وديان الشعور والتصور والقول وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات" (٢) ، فهم مفرطون في أقوالهم لذا أكد بـ (ان) مع دلالة الكلية في التعبير القرآني فهو حالهم في كل مكان وهذا تصرفهم حيث ما نزلوا وهذا ما يعاضده ورود الفعل المضارع (يهيمون) من دلالة الاستمرار والتجدد إذا وجدوا بواعث الهيام من الكذب ولا سبيل لاتباع الحق فهو ذم إجتماعي "ووصف الشعراء بالهيام فيه فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطارها والابعاد في غاياتها" (٣) .

الثانية : بلاغة الوصل مع التوكيد بقوله (وانهم يقولون مالا يفعلون) فبعد ان ذمهم وذم الاتباع لهم "شفع مذمتهم هذه بمذمة الكذب .. والعرب يتمادحون بالصدق ويعيرون بالكذب" (٤) ، وهذا يؤكد الذم الباطني لما يدور في خلجات أنفسهم "لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها" (٥) ، فقد ذمهم في سلوكهم الخارج على الناس وأعقبه بدم باطنهم لما يدور في أنفسهم من المخادعة وهذا يكشف عن بلاغية الوصل مع التوكيد ، ولدلالة الجمع في الأفعال الخمسة (يقولون) (يفعلون) بيان ايضاً للذم الجماعي أي ذم لأقوالهم وذم لأفعالهم في إبراز صفة الكذب وانهم ثرثارون بغير فائدة وان "أكثرهم يكذبون أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه" (٦) ، واستثنى القرآن الكريم شعراء النبي ﷺ لما ملأت قلوبهم العقيدة والإيمان ، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المخطط الآتي :

- (١) الكشف : ٣٨٧/٣ ، المباحث البيانية بين ابن الأثير والعلوي ، د. محمد / ٧٣ .
- (٢) في ظلال القرآن : ٢٤٦/٦ .
- (٣) المشاهد في القرآن الكريم ، د. حامد / ٣٦٠ .
- (٤) التحرير والتنوير : ٢٠٩/١٩ .
- (٥) في ظلال القرآن : ٢٤٦/٦ .
- (٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٥٢/١٣ .

المذموم في السياق (الغاوون) وذلك



كتاب الفجار

قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [سورة المطففين / ٧-٩] .

ومن أساليب الذم العام ذم حالهم في يوم الوعيد لمن كانت فيهم صفات الجاهلية ، ومن بديع النظم الإطناب في إلزام الخصم الحجة ذمًا له في ذكر (كتاب الفجار) وقد افتتحت الآية بحرف الردع والزرع (كلا) ^(١) ، لعلاقته مع ما قبله في ذم فعل التطفيف "والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبيهم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم" ^(٢) ، وافتتح بدمهم بالتوكيد بـ (ان) و (اللام) في قوله (ان - لفي) لتقرير الحكم عليهم وتمهيداً لما يترتب عليه من سوء العاقبة عبرة

(١) معاني الحروف في القرآن الكريم ، الشريف / ٧٧ .

(٢) الكشاف : ٤ / ٥٦١ ، متشابه القرآن : ٢ / ٦٨٢ .

لما أراد ان يتجنب هذه الخلة السيئة التي استحقوا أسوأ العذاب " والتعريف في (الفجار للجنس مراد به الاستغراق أي جميع المشركين فيعم المطففين وغير المطففين" (١) ، وجاء بلفظ المضاف (كتاب) فهو "كناية عن إحصاء أعمالهم وتوقيفهم عليها" (٢) ، فهو سجل أعمالهم الفاضح لهم وزاد لهم في الذم بقوله (لقي سجين) لأن "سجين كتاب جامع وهو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطر بين الكتابة .. فالمعنى ان ما كتب فيه من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان" (٣) ، وهو ذم موقعي لمكان كتاب الفجار يوم القيامة لأن "كتابهم في حبس جعل ذلك دليلاً على خساسة منزلتهم أو لأنه يحل من الإعراض عنه الإبعاد له محل الزجر والهوان" (٤) ، وهو ذم مآلهم لأن سجين "اسم لجهنم بإزاء عليين وزيد لفظه تبيهاً على زيادة معناه" (٥) ، ولتأكيد هذا الذم جاء بأسلوب الاستفهام بقوله (وما أدراك ما سجين) ليرشح نكته بلاغية تلقي "ظلال التفخيم ويشعر المخاطب ان الأمر اكبر من إدراكه وأضحى من ان يحيط به علمه" (٦) ، وهو يرمي إلى ذم الفجار ليرشح في النظم القرآني بلاغة الكناية عنهم "وقد قيل ان كل شيء ذكره الله تعالى بقوله (وما أدراك) فسره وكل ما ذكر بقوله (وما يدريك) تركه مبهماً" (٧) ، ومن بلاغة النظم وقوع الجملة معترضة لما قبلها وما بعدها لنكته بلاغية وهي "تهويل لأمر السجين تهويل تفضيح لحال الواقعين فيه" (٨) ، ثم جاء ببلاغة البيان والتوضيح إطناباً بعد السؤال (كتاب مرقوم) ، فهو "تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا

(١) التحرير والتنوير : ١٩٤/٣٠ .

(٢) م . ن : الصفحة نفسها .

(٣) الكشف : ٥٦١/٤ ، درة التنزيل ودرة التأويل / ٢٩٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٨/١٩ .

(٥) المفردات / ٢٢٥ .

(٦) في ظلال القرآن : ٥٠٤/٨ .

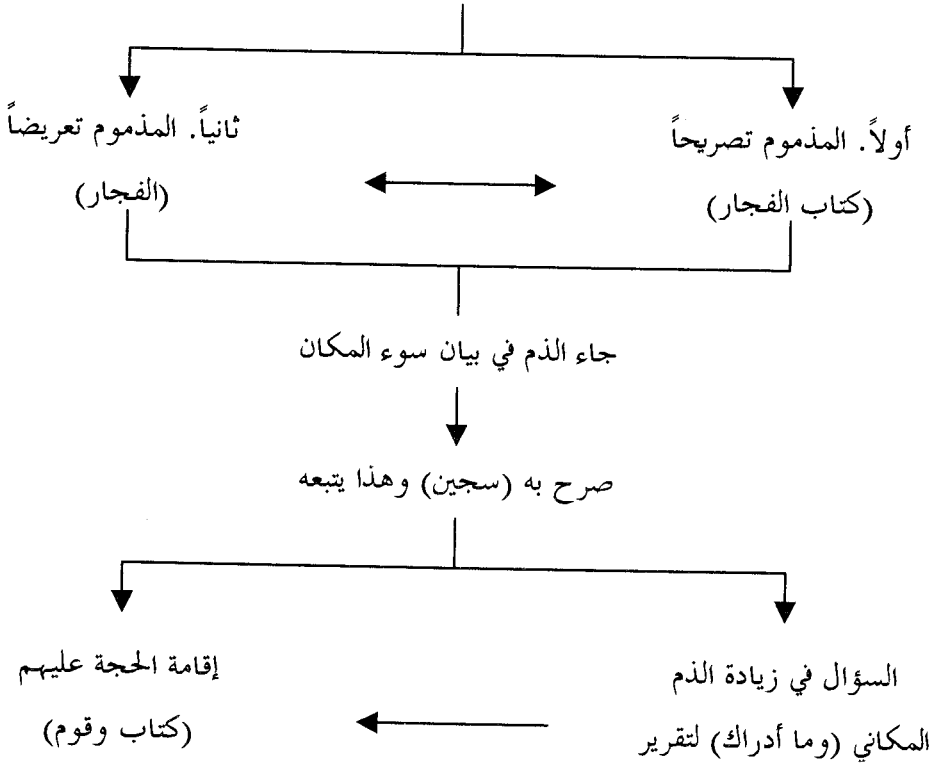
(٧) المفردات / ٢٢٥ .

(٨) التحرير والتنوير : ١٩٤/٣٠ .

الفصل الرابع / بلاغية ذم الشخصيات

ينقص أحد^(١) ، وفيه تعريض بدم الفجار عن طريق ذكر الكتاب فهو "مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لا خير"^(٢) ، يرتجى نجاتهم ومساعدتهم وفيه بلاغة الإطناب لكتاب أي يكون مكتوباً ، ولذا أعقبه بأقبح الصفات السيئة وهي (الكذب) بقوله (الذين يكذبون) لأنه "مما وصف به للذم لا للبيان كقوله فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث"^(٣) ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

السياق في الذم ليقرر



(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٦/٤ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٧٨/٢ .

(٣) الكشف : ٥٦١/٤ .

ذم بالاقتران الثنائي

قال تعالى : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم / ٣٤] .

ومن الصفات الذميمة في الإنسان (الكفر) لأنها أصل (الذم العقائدي) والتفكيري عنده ومنها تنشأ الأخلاق والصفات الذميمة ، ومن ألوان الذم العام اقتران الكفر مع (الظلم) في سياق المنة من الله عز وجل على خلقه في ذكر ما سخر لعباده من النعم والعطايا فافتتح ببلاغة الوصل في عموم العطاء والكرم بقوله (واتاكم من كل ما سألتموه) لأنه "تعميم بعد خصوص فهو بمنزلة التذييل لما قبلها لحكم يعلمها الله ولا يعلمونها.. وان الأنعام والامتنان يكون بمقدار البدل لا بمقدار الحرمان" (١) ، وفي السياق بلاغة الإيجاز بالحذف "والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه ومن كل ما لم تسألوه فحذف فلم نسأله شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعمه التي ابتدأنا بها" (٢) ، وهذا يعني ان ما سيأتي بعده أمر عظيم وخطب جليل "ويكون بذلك أنشط في تلقيه وأكثر قدرة على التأثير به والانتفاع بمعناه" (٣) ، لذا عطف عليه قوله (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) في إظهار العجز البشري أمام كمال إنعام الله عز وجل فقد أضافها إلى اسم الجلالة تعظيماً لها وحرمتها ، ومما لا يقدر العقل عليه احصاؤها إذا فكر الإنسان في عدها ، لأن القرآن الكريم أظهر العجز في أسلوب النفي (لا تحصوها) أي "لا تحصوها ولا تطبقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا ان يعدوها على الإجمال ، أما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله" (٤) ، فهو بيان لعموم النعم وتأکید لما سبق ، وقد ذكر ابن كثير نكتة بلاغية في تضمين السياق معنى الشكر لعدم إحصاء النعم ، حيث "يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلاً عن القيام بشكرها" (٥) ، وقد ختمت بالتوكيد بـ (ان) و (اللام) مع إظهار اللفظ

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٦/١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٧/٩ .

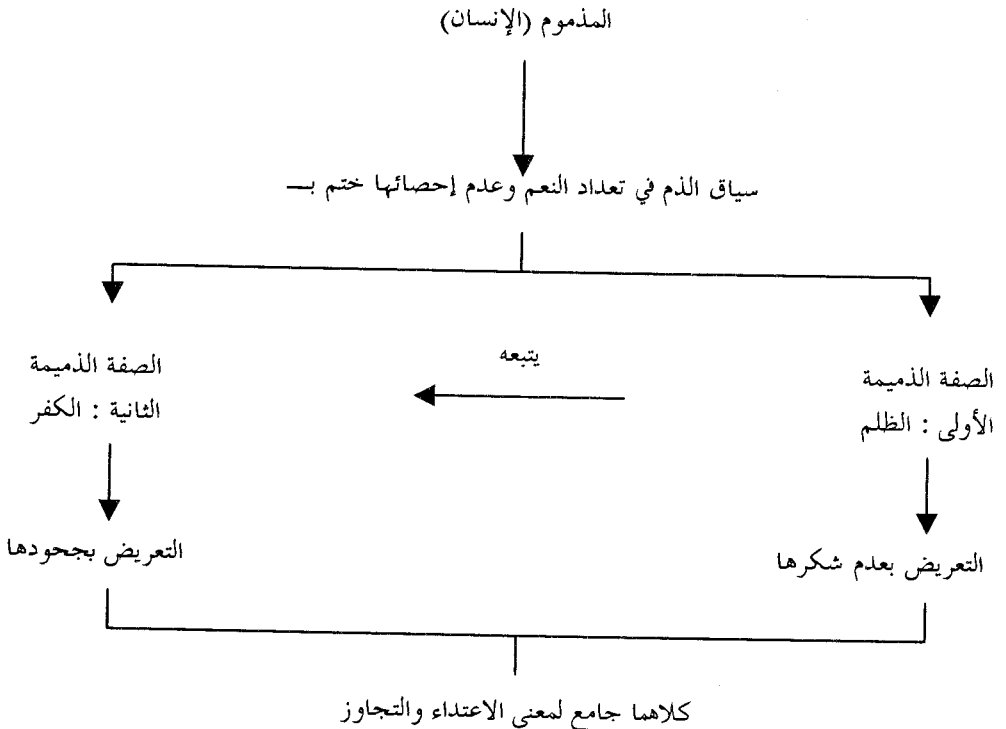
(٣) نحو المعاني ، د. أحمد / ٧٥ .

(٤) الكشف : ٥٤٠/٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٥٣٦/٢ .

الفصل الرابع / بلاغية ذم الشخصيات

المقصود أي (الإنسان) الدال على كل مكلف مغمور بنعم الله عز وجل لأن "المراد بالإنسان صنف منه وهو المتصف بمضمون الجملة المؤكدة فالإنسان هو المشرك" (١)، حتى لا يغفل جميع الناس عن شكر النعم ، فقد أثبت الذم في الاقتران الثنائي بين (الظلم والكفر) ان كلاهما جامع لمعنى الاعتداء والتجاوز ، فبعد ان ذكر الله عز وجل كثرة النعم وعجز العباد عن إحصائها وعددها ناسب ختام الآية بصيغة المبالغة (ظلوم - كفار) فهو "يظلم النعمة بإغفال شكرها أو يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان" (٢) ، فالظلم ذم لتصرفات الإنسان مع النعم والكفر ذم باطني لما يعتقدده الإنسان ، فالاقتران الثنائي بين (الظلم والكفر) ذم عام يناسب تعداد النعم المطلقة الكثيرة للإنسان . وكما هو مبين في المخطط الآتي :



(١) التحرير والتنوير: ٢٣٧/١٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٢٠/١ .

الشیطان

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور/ ٢١] .

من مطلع الآية الكريمة بالنداء المؤكد للمؤمنين — (أيها) تنبيه وبيان لسلوك المؤمنين في حياتهم إلى أخطر الأعداء المتربص بهم ألا وهو الشيطان ، وجاء الأمر المنادي من أجله بأسلوب النهي بقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) ليكون أوقع في نفوس المخاطبين وليحرك فيهم بواعث الخير بعد النهي عن اتباع خطواته وليس للشيطان اللعين خطوات ولكنه "تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى ينهوا عن اتباعها" (١) ، وفيه نكتة بلاغية وهي تعريض بمن اتبعه "أي ان من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث ان يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر" (٢) ، ومن بلاغة السياق إظهار اسمه (الشيطان) ذماً له لأنه في أصل المعنى اللغوي من (شطن) فهو "يدل على البعد يقال شطنت الدار تشطن شطوناً إذا غربت .. وأما الشيطان .. فسمي بذلك لبعده عن الحق وتمرده، وذلك ان كل عاتٍ متمرد من الجن والانس والدواب شيطان" (٣) ، أي له ولكل من تمثل بهذه الصفة الذميمة وهو يبين بلاغية الذم العام ، ثم جاء البيان القرآني في تفصيل الأمر المحذور منه والذي تمثل في بلاغة الوصل بقوله (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) وهذا غاية الذم له بما يأمر به و "هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح العبارة وابلغها واوزها وأحسنها" (٤) ، وعدل عن الإضمار إلى الإظهار بقوله (خطوات الشيطان) لنكتتين :

الأولى : تأكيد الأمر الذي استدعى نداء المؤمنين في حياتهم فهي "صورة مستنكرة ان يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه وهم أجدر الناس ان ينفروا من الشيطان

(١) التحرير والتنوير : ١٨٦/١٨ .

(٢) نداءات الرحمن لأهل الإيمان ، أبي بكر / ١٥٠ .

(٣) مقاييس اللغة : ١٨٣/٣ - ١٨٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٢٨٠/٣ .

وان يسلكوا طريقاً غير طريقه المشؤوم صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن ويرتجف لها وجدانه"^(١) ، وهذا يرشح بلاغة "تقديم المسند إليه للتحذير منه ومن عواقبه"^(٢) ، على المسند الخبري (يأمر).

الثانية : بيان أقيح صفاته وأظهرها بما خصه النظم بـ (الفحشاء والمنكر) لأن "الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه .. والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه"^(٣) ، لذا جاء بالفعل المضارع (يأمر) ليتجدد هذا الأمر في الخيـث اللعين ، وفي السياق بلاغة الوصل بين الصفات الذميمة والتخلق بالفحشاء والمنكر تحذيراً منها لأن "المعنى ومن يتبع خطوات الشيطان يفعل الفحشاء والمنكر لأن الشيطان يأمر الناس بالفحشاء والمنكر أي بفعلهما، فمن يتبع خطوات الشيطان يقع في الفحشاء والمنكر لأنه من أفراد العموم"^(٤) ، لذا ختمت الآية الكريمة في التزكية لعباده لأن فتنة الشيطان عظيمة فلولا فضل الله ورحمته بالتوبة وقبول عباده هلك الإنسان و "لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها"^(٥) ، من هذا يتبين الذم العام لتلك الصفات في الشيطان ولمن تمثل بها في حب الفاحشة والمنكر ، وكما هو مبين في المخطط الآتي :

(١) في ظلال القرآن : ٨٢/٦ - ٨٣.

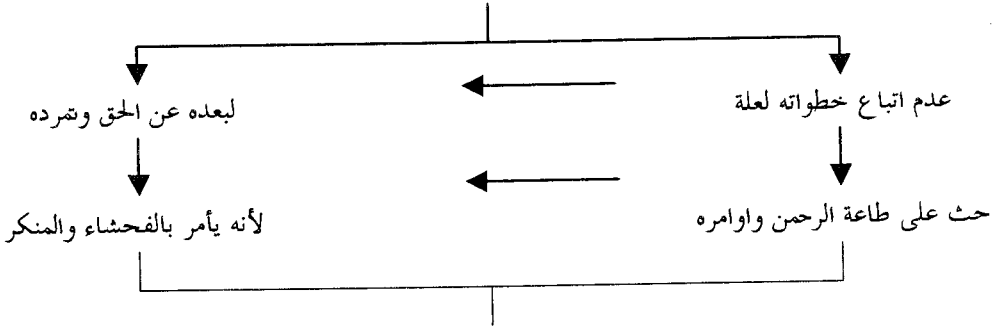
(٢) التقديم والتأخير في القرآن الكريم / ٦٢ .

(٣) الكشاف : ٢٧٩/٣ ، قيسات من سورة النور ، د. محمود / ١٤٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٨٧/١٨ .

(٥) الكشاف : ٢٧٩/٣ .

المذموم (الشیطان) في سياق نداء المؤمنین تحذيراً منه



وذلك كله بفضل الله عز وجل ورحمته

إبليس

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/ ٣٤] .

جاء الذم العام في تنوع اللفظ فبعد ذم (الشیطان) ورد ذم إبليس في سياق القصة القرآنية تكريماً لادم ﷺ لما حباه الله عز وجل من العلم والمعرفة ، وسجود الملائكة وامتناع إبليس ، وافتتحت الآية ببلاغة الإيجاز بقوله (وإذ) في خطاب النبي ﷺ أي واذكر يا محمد هذا الأمر الجليل وجاء بالفعل المسند إلى المتكلم سبحانه وتعالى (قلنا) في بلاغة العدول عن "قلت لأن الجبار العظيم يخبر عن نفسه بفعل الجماعة تفخيماً وإشادةً بذكره" (١) ، تكريماً لادم ﷺ لذا جاء بفعل الأمر (اسجدوا) و "السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم ﷺ" (٢) ، فتحقق الأمر على جناح السرعة الاستجابة للأمر والتي عبر عنها النظم ببلاغة الوصل بـ (الفاء) الذي يفيد العطف والتعقيب في سرعة الأمر ، ثم ورد الاستثناء ليرشح معنى المخالفة والصفات الشيطانية "وهنا تبدأ خليقة الشر مجسمة في عصيان الجليل سبحانه والاستكبار

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/٣ .

(٢) الكشاف: ١٢٠/١ .

عن معرفة الفضل لأهله والعزة بالإثم والاستغلاق في الفهم ويوحى السياق ان إبليس لم يكن من جنس الملائكة وإنما كان معهم ، فلو كان منهم ما عصى^(١) ، وخص السياق في الذم (إبليس) وله دلالة على الإبلاس "فالأصل اليأس يقال أبلس إذا يئس ، قال تعالى : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام / ٤٤] ، قالوا ومن ذلك اشتق اسم إبليس كأنه يئس من رحمة الله ، ومن هذا الباب أبلس الرجل سكت^(٢) ، والذي يئس من رحمة الله فماذا ينتظر ؟ ينتظر سوء المصير في النار وهذا لسوء فعله الذي ارتضاه "فلما ابى إبليس ان يسجد أبلسه الله أي آيسه من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبةً لمعصيته"^(٣) .

وذكر ابن عاشور نكتة أخرى بقوله "وإبليس اسم الشيطان الأول الذي هو مولد الشياطين ، فكان إبليس لنوع الشياطين والجن بمنزلة ادم لنوع الإنسان"^(٤) ، وقد رشح السياق أشد الصفات الذميمة لمخالفة أمر الله عز وجل في (الإباء والاستكبار والكفر) فقد أبى عن فعل ما أمر به من الامتثال طاعةً لله عز وجل و "الاستكبار الاستعظام وكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم فكان ترك السجود لادم تسفيهاً لأمر الله وحكمته.." ^(٥) ، فقد جاء بصيغة (المبالغة) في (أستكبر) تعظيماً لمخالفة إبليس أمر الله عز وجل وزيادة في ذمه لذا ختم بقوله (وكان من الكافرين) ليعين سبب الإباء والتكبر عنده فهو "من جنس كفره الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر"^(٦) ، وفيه تقرير لعللة الامتناع كما بينها النظم في أسوأ الصفات الذميمة وهي الكفر قال البيضاوي كونه كافراً "أي في علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله تعالى اياه بالسجود لادم اعتقاداً بأنه أفضل منه والأفضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به"^(٧) ، وفي السياق نكتة العدول عن مقتضى الظاهر ان يقول (وكفر) كما سبق في الذم (أبى واستكبر) وذلك

(١) في ظلال القرآن : ٦٨/١ .

(٢) مقاييس اللغة : ٣٠٠/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٩١/١ .

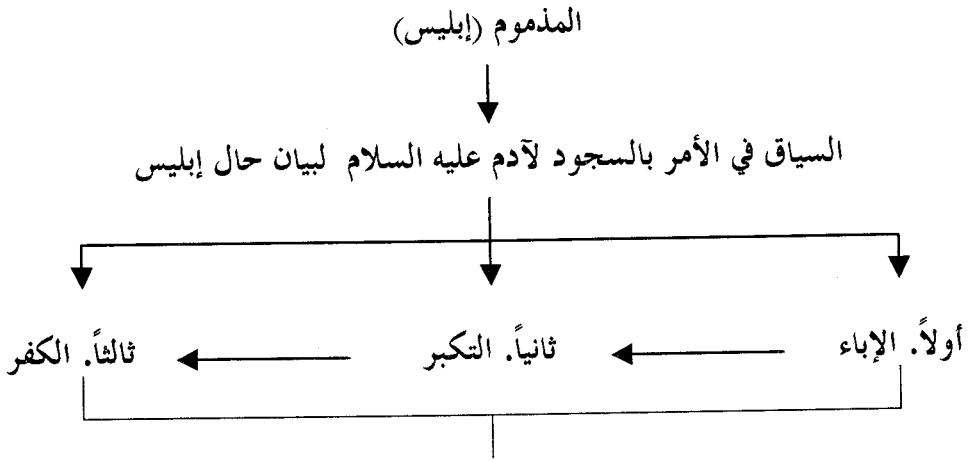
(٤) التحرير والتنوير : ٤٢٤/١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٦/٣ .

(٦) الكشاف : ١٢٠/١ .

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٣/١ .

للدلالة على رسوخ معنى الخبر في اسم كان أي انه ابي واستكبر وكفر كفراً عميقاً^(١)، وهذا ما يشرح استخدام الخبر (من الكافرين) في دلالة الجمع زيادة في الذم "دون ان يقول وكان كافراً فلان إثبات الوصف للموصوف بعنوان كون الموصوف واحداً من جماعة تثبت لهم ذلك الوصف ادل على شدة تمكن الوصف منه مما لو أثبت له الوصف وحده بناء على أن الواحد يزداد تمسكاً بفعله إذا كان قد شاركه فيه جماعة"^(٢)، وفيه تعريض لكل معاند أو جاحد وكفور يخالف أوامر الشرعية، وكما هو مبين في المخطط الآتي :



وهذا يوجب الطرد من رحمة الله عز وجل تحذيراً منه

(١) التحرير والتنوير : ٤٢٧/١ .

(٢) م . ن : الصفحة نفسها .

ويمكن أن نجد أساليب الذم العام في الجدول الآتي :

ملحق رقم [٣-٤]

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الخبر الابتدائي الوصل الإطناب التذييل الإيجاز الوصل	(وَيَوْمَ يُخْشِرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ) (وَيَوْمَ يُخْشِرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ) (إِلَى النَّارِ) (فَهُمْ يُوزَعُونَ) (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا) (سَمِعَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ)	١
خبر ابتدائي الاستفهام التوكيد والإضمار الاستعارة المجاز التوكيد والإضمار التذييل	(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)	٢
التوكيد الكناية المبالغة الاستفهام الإظهار والكناية	(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي) (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ) (سَجِينَ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ)	٣

الشاهد البلاغي	الآيات القرآنية	ت
الجملة التعريضية الفصل والإضمار	(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنِ) (كِتَابٍ مَّرْقُومٍ)	
الوصل الإيجاز الوصل التوكيد المبالغة	٤ (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ)	
النداء والنهي الاستعارة التمثيلية الإظهار التوكيد الوصل الوصل حسن الختام	٥ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا) (خُطُوتَ الشَّيْطَانِ) (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ) (فَأِنَّهُ يُأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (فَأِنَّهُ يُأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (وَكُلُوا فَمِنْ لَدُنْهِ) (مَا زَكَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا)	
الإيجاز العدول الأمر الوصل تناسق الصفات	٦ (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) (أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)	

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي تتم بفضلته الصالحات
الحمد لله الذي ينجي العبد من السيئات
الحمد لله الذي بعونه نبلغ اقصى الغايات

ولله الفضل وحده في إكمال مسيرة البحث حتى آخر الورقات في رحاب الكلمة القرآنية والمعاني الإيمانية التربوية العظيمة ، ويمكن أن نسجل أهم مطالع غرس هذا الزرع فنوجزها فيما يأتي:

أولاً. من خلال تأصيل مفهوم (المدح والذم في العربية) تبين ان النحاة القدماء قد بحثوه من خلال بيان القاعدة الثلاثية (أفعال المدح-الفاعل-المخصوص بالمدح) ، وفصلوا القول فيها وتركوا نكتاً نحوية تضيء البحث البلاغي ، أما عند البلاغيين فقد نال الموضوع تحديد المصطلح لأنه يعد من الأساليب الانشائية غير الطلبية دون التحليل في النصوص التي تعمق مفهوم العنوان ، أما (المدح والذم) قرآنيا فكانت البلاغة السياقية جلية في إبراز المعاني في الأفعال القياسية (نعم وبئس) وما يلحقهما لتتشكل الثنائيات في التقابل البديع بين أساليب المدح وأساليب الذم وكذلك دلالة السياق في الكشف عن دقة أداء المعنى من خلال الحركة التي هي فيصل بين المدح والذم كما بين (خلف-خلف) ، أو تنوع الحرف كما بين (حنف-جنف) أو دلالة الصيغة في بنية الكلمة كما بين (المقسطين-القاسطين) وكما في مدح المؤمنين في العبادة (أقاموا الصلاة) مقابل ذم المنافقين (قاموا إلى الصلاة) أو كما في بلاغة الطباق السلب في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف/ ١٤٦] ، وفي الصفات الخيرية (والله يحب) وفي التقابل يأتي السياق بقوله (والله لا يحب) ، وغيرها من الألفاظ السياقية أو في التقابل القرآني في مدح عاقبة المؤمنين كقوله (أولياء الله) أو (كتاب الأبرار) وسوء عاقبة الكافرين بقوله (أعداء الله) أو (كتاب الفجار) .

ثانياً. كان لنظرية النظم أثرها في الجانب التحليلي في النص القرآني ومما تشكلت الفنون البلاغية وهي تتعاقد في رؤية فنية لتكون لوحة من الأغراض التربوية والتهديبية تضمنت التراث البلاغي من المصطلحات والتقسيمات التي كانت مفتاحاً اتخذها البحث وسيلة لبيان الإعجاز البلاغي في الوحدة الموضوعية .

ثالثاً. من بديع النظم القرآني انتقاء أسماء السور للدلالة من عنوانها على المدح أو الذم وليس هذا فحسب بل ان مطالع السور وحسن ختامها كان دليلاً على ذلك وما تضمنته من آيات الذكر الحكيم ليشكل رؤية بلاغية كاملة على وحدة الموضوع في القرآن الكريم والهدف الأسمى المقصود منه في تقويم الإنسان فكرياً وأخلاقياً وسلوكياً ترغيباً في فضيلة الإيمان والعمل الصالح وتنفيراً من الكفر والأخلاق الذميمة .

رابعاً. ان أجل الثناء والتمجيد هو للخالق عز وجل ، فكشف السياق عن تواضع مطالع السور (بالحمدلة) مع حسن الختام (بالحمدلة) في القرآن الكريم ولذلك لبيان أمرين :

١. المدح المطلق لكمال قدرته عز وجل على كل شيء .
٢. المدح على النعم العظيمة أعظمها بعد الخلق لإرسال الرسل مبلغين مبشرين وهذا جامع ما جاءت به مطالع وحسن الختام بالحمدلة لتكون مطالع حياة المؤمنين وحسن ختام حياتهم في الدنيا والآخرة .

أما المدح بكلمة التوحيد فقد رشح السياق بلاغة أسلوب القصر (لا إله إلا الله) وذلك لقوة العقيدة وأثرها في نفوس المخاطبين تحريكا لهم تمثل في أسلوب النفسي وتثبيتاً لهم تمثل في الاستثناء وذلك في مطلع آية كريمة جمعت المدح في مطلعها وفي مضمونها وحسن ختامها وهي آية (الكرسي) ، ولم يقتصر الثناء الجليل على كلمة التوحيد بل عاضده النظم القرآني في الوحدة الموضوعية في (سورة الإخلاص) وهي بجمع الصفات الإلهية إذ تعد نسيجاً بلاغياً متكاملماً في إبراز المعاني الدالة على الوحدانية لله عز وجل تمثلت في بلاغة الإظهار والتقديم والتأخير والجناس اللفظي .

ومن بديع أسرار الكلمة القرآنية ان بنية الكلمة في صيغتها تدل على الثناء والتجميد لله عز وجل وهي الأسماء الحسنى إذ وقعت غالبا في الفاصلة القرآنية لتبرز أهمية الموضوع ومكاته عند المكلفين ليتطلعوا إليه ، وكذلك المغايرة في الاقتران الثنائي بين الصفات كما بين (غفور حلیم) ، (حكيم شكور) ، وغيرها مما يلفت النظر إلى حسن وقعها في الاذن وإعمال الفكر فيها لم قدم وأخر حيناً ولم جمع بينهما في سياق واحد حيناً آخر؟ وكل هذا يكشف عنه السياق في مقتضى المقام تمثل في بلاغة الأسلوب الخبري مع المبالغة وحسن التذييل ، وكلها أساليب لها بلاغتها في كل سياق لإثارة المتلقي وشد ذهنه إلى النص المعجز لأجل الاعتبار والتأمل .

خامسا. أما ما يرشحه التعبير القرآني من صفات في مدح الأنبياء والمرسلين إذ نجد جمالية انتقاء الألفاظ ودقة توزيعها تكريما للأنبياء والمرسلين وتشريفا لهم ، وذلك مما له الأثر البليغ في دعوتهم وسلوكهم .

فمع نوح عليه السلام يرشح السياق مدحه بالعبودية والشكر (عبداً شكورا) التي تكشف عن الامتداد الزمني في دعوته على مر الاجيال وبيان أخلاقه في الدعوة وصبره لأنه من المرسلين تمثل في بلاغة الأسلوب الخبري الابتدائي مرة والطلبي مرة أخرى مع بلاغة التعريض لمن أنكر وجحد ، فقد خصه السياق بهاتين الخلتين بيانا لأخلاق كل داعية لأن يتحلى بهما ، وتكون طاغية على سلوكه .

أما الخليل إبراهيم عليه السلام فنجد بلاغة الأسلوب الخبري الابتدائي في مدحه بالوفاء وهي خلة جامعة لحسن سيرته في الدعوة إلى الله عز وجل وصبره وجهاده مع قومه ، ومن بديع المدح له عليه السلام تناسق الصفات فيه بين الاقتران الثنائي (أواه حلیم) وبين الاقتران الثلاثي (حلیم أواه منيب) في المقابلة القرآنية التي تكشف عن خلجات ومشاعر الأنبياء والمرسلين حرصا على دعوتهم وتبليغها للناس وذلك حسب ما يقتضيه السياق .

أما الكلیم موسى عليه السلام فقد وردت آيات المدح بـ(الكرم والأمانة) التي سبقها المدح بصفة الرسالة تعريضا ببني إسرائيل بصفتي البخل والخيانة فناسب

حال المخاطبين في الصفات الذميمة وذلك للاقتداء بالخلق النبيل في أصحاب حملة الرسالة ، وكذلك مدحه في الأسلوب الخبري المؤكد بصفة (الأعلى) تعريضاً بمن ادعى لنفسه انه أعلى وهو فرعون وبيانا ان الثناء والمدح القرآني يكون لأولياء الله وعباده لا لأعدائه المفسدين .

أما المسيح عيسى عليه السلام فقد جاء أسلوب القصر غالباً على آيات الثناء له إقراراً لبعثته ورسالته وانه مرسل من الحق عز وجل بيانا لبشريته ، ومن بديع المدح له عليه السلام (المدح الذاتي) على لسانه في أول مانطق (قال إني عبد الله) تمثل في بلاغة الإطناب لأنها رسالة خالدة جمعت الجانب التعبدي وجانب المعاملات في حسن الخلق.

أما من اصطفاه الله عز وجل خاتماً للأنبياء والمرسلين سيدنا المصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم فلا يخفى ما في السياق من ترشيح بلاغة الإطناب في مدحه في آيات الذكر الحكيم ولم يخل السياق من بلاغة الإيجاز في تضمين معاني الثناء كما في المقابلة البليغة بين (الخلق العظيم) و(الأسوة الحسنة) التي تتضمن المعاني الجليلة والدروس البليغة التي تحتاج إلى تأمل ومتعلم منها ، وأجل آيات الثناء والمدح تمثل في الاقتران الثنائي لما يناسب حال دعوته لقومه وأخلاقه في أداء الأمانة جمعاً بين (رؤوف رحيم) وهما من الأسماء الحسنى وهذه خصلة جليلة كانت للمصطفى صلى الله عليه وسلم تحققت في بلاغة التقديم والتأخير والتذييل .

ومن دقة التعبير القرآني نجد مفهوم (المدح الذي يوهم الذم) في سياق مع الأنبياء والمرسلين تكشف عن سوء المعاملة وجفاء الأقوام لهم واتهامهم بالأباطيل والافتراء عليهم أو لبيان أفضليتهم وكان للجانب التحليلي أثره في بيان النكت البلاغية التي يرشحها السياق حسب ما يقتضيه مقام المدح لهم في مواطن متفرقة .

تعد سورة يوسف نموذجاً متكاملأً في مدح شخصية يوسف عليه السلام تبين الصفات الخيرية فيه مع تنوع المادح له فيها بين الأب والأخوة وعزيز مصر وأصحاب السجن والنساء في المدينة والمدح الذاتي ، وكفى المادح له هو الله عز

وجل .

سادساً. بلاغة الاستعارة والكناية الغالبة في مدح الكتب السماوية تخصيصاً (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) التي يجمعها مدحاً (الهداية) مع تنوع الألفاظ الدالة على الاقتران الثنائي لها، كالاقتران مدحاً بين (التوراة والإنجيل) وبين الاقتران بين (هدى ونور) و (الإمام والرحمة) حسب ما يقتضيه السياق لترشح الصفات الحسنة في المتبعين لها. وذلك لأهميتها في حياة المكلفين فهي مصدر النور والهداية والإرشاد إلى الصراط المستقيم وكان للقرآن الكريم جانب كبير في آيات الثناء والمدح مع دلالة تنوع الألفاظ بين (الكتاب - القرآن - الذكر - الفرقان) وغيرها لتكشف بلاغة السياق في حسن مطلع السور مع الأسلوب الخبري الذي يبين خلاصة منهجية القرآن الكريم في حياة الأمة لأنه الكتاب الذي يقرأ ليذكر ما فيه من الحق والباطل فيكون فيصلاً للعمل والاتباع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي ألفاظ جامعة لكل معاني المدح لكتاب الله عز وجل ، فمن بديع التعبير ان كتاب الله عز وجل الخالد هو القرآن المكتوب ، وهو المكتوب الذي يقرأ ، أي ان هناك ما يقرأ ليكتب ، وما هو مكتوب يقرأ وان ما يذكر فيه ليفرق بين الحق والباطل وما كان فارقاً فهو مذكور يذكر .

سابعاً. أساليب مدح خلائق في عالم غيب واجب الإيمان بهم وهم (الملائكة) لبيان أهمية سلوك العبودية فيهم والصفات الإيمانية التي تخلقوا بها ، جاء المدح العام والمدح الخاص ليكشف عنها لتثبيت المؤمنين على أجل الصفات وهي (الطاعة والعبادة والأقوال والأفعال) والتي تمثلت في بلاغة تنسيق الصفات في ذكر الخاص قبل العام والتفصيل بعد الإجمال ، ومع أمين وحي السماء جبريل عليه السلام جاءت بلاغة الإضمار بدل الإظهار لبيان خصائصه الإيمانية والتكليف الأعلى له في إنزال القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، لذا خصه بـ (روح القدس) في سياق (الروح الأمين) في سياق آخر لإثبات انه الحق من الله عز وجل وانه رسالة السماء إلى أهل الأرض .

ثامناً. اما أساليب المدح في الفصل الثاني الذي تمثل في إبراز الجانب القصصي مع (بلاغة

مدح الشخصيات) لإبراز المعاني التربوية والإرشادية وغرس الصفات الخيرية التي كشف عنها السياق في الأسلوب القصصي من أجل تحريك مشاعر المخاطبين والتأثير البالغ فيهم لبيان عظمة الإيمان وان النجاة تكون فيه هذا أولاً ، وليثبت الأخلاق القرآنية الجامعة في الأمم كلها في الأمة المحمدية حملت القرآن ثانياً ، والغالب في مدح الشخصيات التضمين في ذكرها إلا أن هذا لم يمنع من التصريح بذكر الشخصيات الحميدة والتي يجمعها (مدح شخصيات في الأمم الماضية ومدح شخصيات من أهل الكتاب ومدح الأمة المحمدية) .

أما أساليب مدح الأمم الماضية فقد تميزت بالمدح الجماعي تمثل في (أصحاب الكهف) في بلاغة الإطناب التي ترشح صفات القيادة البشرية في أخلاق الفتية مع فنون سياقية تركز على الجانب الشخصي فيهم لبيان سلوكهم الاجتماعي وأهمية الثبات على العقيدة والمبدأ الراسخ في قلوبهم ، وهم كانوا نموذجاً للقوة الجسدية (فتية) والقوة الإيمانية (آمنوا) .

وكذلك المدح الجماعي في (قرية يونس) عليه السلام في بلاغة ذكر الخاص بعد العام وبلاغة التعريض بغيرهم تأسياً بفضيلة الإيمان والتصديق العملي لهم في الاتباع وذلك عبرة في النجاة لكل الأمم إلى يوم القيامة ، نموذجاً لكل قرية أو مدينة أو أي مجتمع فاضل، وان الطاعة فيها أمارات النجاة وان المعاصي من أمارات الهلاك والبوار .

ومن الشخصيات الممتدحة في النص القرآني (العبد الصالح) الذي يرشح السياق بلاغة النكرة والمعرفة بياناً لمكانته عند الله عز وجل وما حباه من آثار العبودية الخالصة (من عبادنا) وبلاغة التقديم والتأخير في إيثار خير الصفات التربوية القيادية فيه (الرحمة) ثم عطف عليها (العلم) وفيها عبرة عظيمة لكل عالم ومتعلم لأن يجعلها نبراساً .

ولم يقتصر التعبير القرآني على مدح الرجال بل صرح القرآن الكريم باسم امرأة وهي (مريم) عليها السلام في آيات الثناء والتكريم ، إلا أن جامع المدح لها هو ذكرها في سياق من مقامات التشريف للأنبياء والمرسلين في خصوصية التعبير

القرآني بقوله (واذكر في الكتاب مريم) لأنها تحمل رسالة سماوية وتحمل نبياً من أنبياء أولي العزم وذلك لصبرها وقوة عزميتها وبقينها بما أراد الله عز وجل ، بياناً لصدق نيتها وبياناً لفضيلة الطاعة والاستقامة .

وكذلك التضمين في (امرأة فرعون) مثلاً للمؤمنين تمثل في بلاغة ذكر الخاص قبل العام وبلاغة التكرار ليرشح معنى قوة العقيدة في نفس المرأة وهي تعيش مع قوة الظلم والطغيان، إلا أن الحق جعلها في قوة اليقين وان الباطل جعل فرعون في ضعف الهوان والذل ، ولعبرة خالدة خلدها القرآن الكريم فالإنسان أشد ما يهلكه أما السيادة والسلطان أو الوضع الاجتماعي أو الوضع الاقتصادي وكانت كلها محيطة بهذه المرأة إلا أن الإيمان كان سبباً في تركها لكل هذه المغريات، لذا جعلها الله عز وجل مثلاً للمؤمنين الصادقين إلى يوم القيامة .

تاسعاً. ومن بديع آيات الإنصاف في أسلوب المدح ذكر صفات أهل الكتاب في بلاغية الإطناب وهي تعدد الصفات الخيرية الجامعة لمعاني العبودية وحسن المعاملة ، فقد مدحهم بالأمانة وأدائها في بلاغة تقديم المسند ، ومن أسرار النظم القرآني تنوع الألفاظ الدالة على الثناء بين المدح الجماعي (قوم موسى) عليه السلام في إثبات صفة العدل فيهم والأمر بها والتي يرشحها السياق في بلاغة التقديم والتأخير ، ومدح النصارى في التوكيد لأنهم أقرب مودةً من غير أهل الملل والطوائف التي تعاضد بلاغية الإطناب ، ولم يقتصر التعبير على ذلك ، بل جاء المدح لاتباع المسيح عليه السلام وهم (الحواريون) في سياق التشبيه التمثيلي مع بلاغة الاستفهام وأسلوب القصر وكلها أساليب تعمل على تحريك المخاطب وتشويقه للتطلع إلى مضمون الخطاب القرآني والتخلق به .

عاشراً. أما أكثر الأمم مدحاً وثناءً فهي الأمة المحمدية والذي تمثل في بلاغة الإطناب في إظهار فضيلة الاتباع والتصديق لهم وبيان فضيلة الأخلاق في التكريم والشرف الأعلى في قوله (عباد الرحمن) في بلاغة الوصل والفصل جمعاً بين الصفات التعبدية والتعاملية لأجل الاقتداء والاتباع وأجل ما جاء به التعبير القرآني في مدح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرهم بالصفات العليا في الكتب السالفة (التوراة

والإنجيل) مع بديع النظم في مطلع الآية (محمد رسول الله والذين معه) تمثلت في تعاضد بلاغة التشبيه مع الإطناب ، وكذلك بلاغة التضمين في مدح شخصيات ايمانية قيادية تمثلت في شخصية المهاجر صهيب والمرأة المؤمنة التي وهبت نفسها للنبي .

الحادي عشر . بلاغية مدح الصفات القرآنية التي يجمعها (أساليب المدح العام) والغالب عليها الأسلوب الخبري وذلك لإثبات الصفات التي توجب المحبة الإلهية من أجل المسارعة إلى التخلق بها وهي من أجل ما صرح به القرآن الكريم ولكونها قريبة من النفوس سجية في فطرتها جاءت بالأسلوب الخبري ، وكذلك المدح المكاني وبيان أفضلية البقاع وهي مكة ومقام إبراهيم لما لها من أثر ايماني في نفوس المخاطبين ، والتضمين في مدح الأبرار في بلاغة مدح (كتاب الأبرار) في مقابل ذم (كتاب الفجار) ومدح الأولياء في الصفات التي نالوا بها هذا الثناء والتكريم الإلهي عبرة لغيرهم في بلاغة التوكيد ليكون طريق الاستقامة إليهم جلياً واضحاً بقوله (أولياء الله) مقابل ذم (أعداء الله) وكذلك مدح نساء الآخرة والذي تمثل في بلاغة التشبيه مع المقابلة القرآنية بين نساء جنة ونساء جنة أخرى .

الثاني عشر . وكما ورد مدح في الجانب العقائدي لمن آمن وصدق ورد في بلاغية التقابل (الذم العقائدي) على مر الأزمان كما فصل القرآن الكريم وقد رشح السياق ذم الكفار والمشركين وذم المنافقين وذم أهل الكتاب لاتخاذهم منهجاً غير منهج الإسلام أوردهم المهالك ويمكن أن نجمع ذمهم في مسألتين :

الأولى : العقيدة وما يتبعه من الاضطراب الفكري .
الثانية : السلوك والتفاعل الإجتماعي والذي يتبعه الاضطراب العملي ، ويكشف عن الصفات والاضطراب الأخلاقي .

ومن بلاغية ذم الكفار والمشركين والتي تمثلت في الذم الاقتراضي في بلاغة الوصل بين الصفات الذميمة (الكذب والكفر) وغيرها والذم بأسلوب المشاكلة في ذكر أفعالهم الذميمة عند البيت الحرام من التصفيق والتصفيق في الصلاة ، وذم أفعال الجاهلية تعريضاً لمن اتصف بها وتعلق باحكامها فكان جاهلياً مذموماً ومن

بديع التعبير القرآني فاعلية أسلوب التشبيه في بيان عاقبة الكافر في سياق وعاقبة المشرك في سياق آخر تهويلاً وتخويفاً من عاقبة الضلال والشرك وهو يبين فضيلة الإيمان والاتباع وكذلك تمثل ذم الكافرين في سياق الوحدة الموضوعية كما في سورة الكافرون ، ونجد التصوير القرآني ودقة التعبير في ذمهم تستوحي هذه الصورة من البيئة العربية ، وجامع الذم في الأقوال والأفعال والصفات وذم الأعضاء وذم حالات شعورية ما سوء عاقبتهم .

وكذلك ذم أساليب المنافقين في الآيات القرآنية كما فصلت سور القرآن الكريم تميزت منها سورة التوبة في بلاغة الإطناب والتي لخصت ذمهم في الجانب العقائدي والجانب السلوكي في تعاملهم مع النبي ﷺ وأصحابه ، وذم أعراب ومن أهل المدينة للكشف عن أساليبهم الذميمة وطباعهم المكروهة ، اما سورة المنافقون فمن مطلعها جاءت لتجمع ذم المنافقين في ثلاث مسائل . الذم العقائدي وذم الأعضاء وذم الصفات السلوكية ، وقد تنوعت الفنون البلاغية فيها، إذ كان الغالب عليها الأسلوب الخبري المؤكد وبلاغة الإضمار تعريضاً بذكرهم كما جاء أسلوب الوصل والفصل والذي له أثره في المخاطبين ترغيباً وترهيباً .

اما أساليب ذم أهل الكتاب فقد تنوعت الألفاظ الدالة على سوء فعلهم ونيتهم بين الذم العام (أهل الكتاب) وذم علماء اليهود (الذين أوتوا الكتاب) أو (الذين أورثوا الكتاب) أو (من الذين هادوا) ، حسب ما يقتضيه السياق ونجد بلاغة الإطناب في تعداد الصفات السيئة تنفيراً منها مع بلاغة الاستعارة الكاشفة عن أساليب حيلهم ومكرهم وبلاغة التشبيه بالحمار في سوء الفعل وتضييع الحق ، وكذلك ذم النصارى .

ومن بديع أساليب الذم مفهوم (الذم الذي يوهم المدح) لما يرشحه السياق ، هذا إلى جانب الأسلوب القصصي الذي يكشف عن سوء معاملة الأقوام مع أنبيائهم تخصيصاً مع موسى ﷺ .

الثالث عشر . كشف البحث عن بلاغية مدح الشخصيات فإن التقابل الثنائي في القرآن

يرشح بلاغية ذم الشخصيات بين الأمم الماضية كالصريح بالذم (فرعون وقارون) وبين التعريض بذكر الشخصيات كشخصية النمرود وامرأة نوح وامرأة لوط والذم الجماعي لفعل أصحاب الفيل ، تمثل في الوحدة الموضوعية لسورة الفيل . لتكشف عن الحصال الذميمة في كل شيء كان مدار الهلاك في التكبر وظلم النفس بعدم اتباع الحق كل ذلك ورد في سياق فنون بلاغية تنوعت بين الإطناب والإيجاز حسب ما يقتضيه المقام مع بلاغية الطباق والجناس وكذلك بلاغية التشبيه والمجاز والكناية التي تعمل على رسم الصورة البيانية تحريكاً للأذهان وحضاً لها لاستجلاء الدروس والعبر ومجمع ذم الشخصيات ينبع من الذم العقائدي الذي ينبع منه كل عمل سيء وخلق ذمي .

ونجد كذلك شخصيات وقفت ضد الدعوة الإسلامية للنيل منها ومن رسولها محمد ﷺ فجاء الدفاع القرآني للرد عليهم وترتب على ذلك وعيدهم في نار جهنم والغالب على آيات الذم التعريض في ذكر أسمائهم فلم يصرح القرآن الكريم إلا بشخصية أبي لهب وامرأته والتي تعد سورة اللهب نموذجاً في ذم الأسرة لسوء فعلهما ، وقد يرشح السياق بلاغية الإطناب في ذكر الصفات مع ترتيبها ترتيباً بديعاً يكشف عن التدرج في الفعل الذميمة كما في ذم الأخنس ابن شريق وذم الوليد بن المغيرة واما في بلاغة التشبيه فقد يترك المجال الذهني يتأمل في النص القرآني ليكشف عن أسرار البلاغية وكذلك بلاغة حسن المطلع وحسن الختام في الوحدة الموضوعية في سورة اللهب .

أما أساليب المدح العام فهي متنوعة بين الألفاظ القرآنية الدالة على ذلك منها (الطاغوت) و(الجبت) و (الأرباب) و (العبيد) ، أو في نفي المحبة الإلهية في الأسلوب الخبري لمن اتصف بها أو كانت به خلعةً منها في أسلوب (والله لا يحب) . أو في بلاغية الذم بالاقتران الثنائي بين الصفات كما بين (ظلوم كفار) أو (كفار أئيم) وغيرها ، أو الذم في بلاغية التكرار كما في قوله (ويل يومئذ للمكذابين) تشنيعاً لسوء الكذب وذم عاقبته .

ومن بديع النظم القرآني أسلوب المقابلة كذم (كتاب الفجار) وقد سبقه مدح

- (كتاب الأبرار) وكذلك ذم (أعداء الله) وقد سبقه مدح (أولياء الله) .
- ◀ و ذم العبيد فقد سبقه مدح (العباد) وكذلك بلاغة التعريض في تذييل الآيات الكريمة لكل من لم ينتفع من عقله وفكره في ألفاظ متنوعة (لعلمهم يتذكرون) (لعلمهم يتفكرون) ، رفعة لأصحاب العقول والبصيرة وإكراماً لهم في حياتهم ، ومن بلاغة الذم العام ، الإطناب في ذم الشعراء ومن يتبعهم لقولهم ما لا يفعلون .
- ◀ وقد يرشح السياق في الذم العام ذم (الشیطان وإبليس) فقد جاءت الفنون البلاغية لتكشف عنها في التقديم والتأخير وتعداد الصفات التي جمعها القرآن في (الإباء والتكبر والكفر) تحذيراً لبني آدم منها ولمن تخلق بها .
- ◀ ولم تخل السور القرآنية من بيان الذم العام مثل سورة المطففين وسورتي الفلق والناس وغيرها من السور .

هذا أهم ما توصل إليه البحث نرجو ان نكون

قد وقفنا في بيانه

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. آية الكرسي معانيها وفضائلها، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار التربية للطباعة والنشر، بغداد، (د. ت).
٢. أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم، د. عيادة بن أيوب الكبيسي، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، ط/١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣. ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٤. اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت ٦١٤هـ)، تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار، عمان، ط/١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٥. الإتقان، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان ١٩٧٣م.
٦. إثبات وجود الله ووحدانيته، محمد متولي الشعراوي، دار الكتب العلمية للطباعة، بغداد، ط/١، ١٩٨٨م.
٧. أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.
٨. أخلاق حملة القرآن لأبي بكر محمد بن الحسين البغدادي، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري، دار الانبار، بغداد، ط/١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٩. أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٠. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط/٣، ٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١١. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد درازه، مطبعة الأمانة، مصر، ط/١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٢. أساليب القسم في اللغة العربية ، كاظم فتحي الراوي ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ط/١ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
١٣. أسباب النزول ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ -) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
١٤. أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تعليق: محمد رشيد الرضا، دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان ، (د. ت) .
١٥. أسرار ترتيب القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٦م .
١٦. أسرار التكرار في القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس ، ط/١ ، ١٩٨٣م .
١٧. أسرار النحو ، لشمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ -)، تحقيق: د. أحمد حسن حامد، منشورات دار الفكر عمان ، (د. ت) .
١٨. الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت، لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٩. الإسلام عقيدة وشريعة ، لمحمود شلتوت ، دار القلم، القاهرة، ط/٢ ، (د.ت).
٢٠. الإسلام وبناء المجتمع ، د.أحمد محمد العسال ، دار القلم ، الكويت ، ط/٥ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢١. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
٢٢. أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .
٢٣. أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني، مطابع الهيئة المصرية العامة ، ط/٢ ، ١٩٨٥م .

٢٤. الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط/٣ ، (د.ت) .
٢٥. أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، نجوى عبد الغفور، قدم له وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الصفا، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٢٦. أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته، شاعر عبد الجبار، مطبعة اسعد، بغداد، ط/١، ١٩٨٤م .
٢٧. إسناد الأعلام إلى حضرة سيد الأنام ﷺ ، تأليف : عبد الكريم محمد المدرس ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٢٨. أسياد الدنيا وأسياد الآخرة (بيان - دراسة - تحليل) ، ماهر أحمد الصوفي ، دار الرضوان، سوريا ، (د.ت).
٢٩. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، لبديع سعيد النورسي ، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ط/١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٣٠. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، لعز الدين عبد العزيز السلمي (ت ٦٦٠هـ) ، قدم له : رمزي سعد الدين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
٣١. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) ، تحقيق: عبدالله محمود شحاتة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٣٢. الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن السري السراج (ت ٣١٦هـ) تحقيق: أجمد صالح التكريتي، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٧٣م .
٣٣. الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، (د.ت) .
٣٤. اشتقاق أسماء الله ، لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
٣٥. أصول البلاغة ، للإمام كمال الدين ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، تحقيق: د.

- عبد القادر حسين، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط/١، ١٤٠٦هـ-
١٩٨٦م.
٣٦. أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، د. محمد حسين علي، دار الشؤون
الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
٣٧. أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، منشورات الجامعة اللبنانية،
١٩٧٣م.
٣٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار
الشنقيطي، (ت ١٣٩٣هـ) وتممه تلميذه: عطية محمد سالم، اعتنى به:
الشيخ صلاح الدين العلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان،
ط/١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣٩. إطلالة على سورة يس، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
٤٠. أطلس القرآن (أماكن - أقوام - أعلام)، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر،
بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط/٢، ١٤٢٣هـ-
٢٠٠٣م.
٤١. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن بنت
الشاطيء، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
٤٢. الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم
عبد الله، (د.ت).
٤٣. الإعجاز في دراسات السابقين (دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية
ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط/١، ١٩٧٤م.
٤٤. إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد
صقر، دار المعارف، مصر، ط/٣، ١٩٧١م.
٤٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: عبد الله
المنشاوي، مكتبة الإيمان، القاهرة ط/١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٤٦. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير

- للطباعة دمشق، بيروت، ط/٩، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٧. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للشيخ حافظ بن أحمد الحكيمي (ت ١٣٧٧هـ-)، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث، السعودية، ط/٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٤٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ-)، اعتنى بطبعه: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٤٩. إلى القرآن الكريم، محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، (د.ت).
٥٠. أم القرآن دراسة وتحليل، د. مصعب الراوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/١، ٢٠٠١م.
٥١. الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفيض، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/١، ١٩٨٨م.
٥٢. أمثال القرآن، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ-)، تحقيق: د. موسى علوان، مطبعة الزمان، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥٣. أمراض المجتمع في القرآن الكريم، علاء الدين المدرس، مطبعة المدينة، بغداد، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٥٤. الأنبياء أولئك الكاملون، لحازم نايف أبو غزالة، دار الإمام النووي، عمان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٥٥. الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن التوراة والآثار، د. رعد شمس الدين الكيلاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط/١، ٢٠٠١م.
٥٦. الأنبياء في القرآن، د. محمد الطيب النجار (مجموعة بحوث في كتاب القرآن نظرة عصرية جديدة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٧٢م.
٥٧. انشراح الصدر بتحقيق ليلة القدر، ذاكر زكي علي العثمان، المطبعة العصرية، الموصل، ط/١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٥٨. الإنصاف في مسائل الخلاف في النحو بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، (ت ٥٧٧هـ).
٥٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى (تفسير البيضاوي)، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٦٠. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، للخطيب القزويني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت).
٦١. الإيمان (أركانه - حقيقته - نواقضه)، د. محمد ياسين، دار الفرقان، عمان، ط/٦، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٦٢. الإيمان في القرآن، د. مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٦٣. البحث النحوي عند الأصوليين، د. مصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
٦٤. البحر المحيظ، لأثير الدين أبي عبد الله بن حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض (د.ت).
٦٥. بحوث المطابقة لمقتضى الحال، د. علي البدري، مطبعة الساعدة، مصر، ط/٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٦٦. بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، المشتهر بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، عني بتصحيحه: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٦٧. السبديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المصارف، مصر، ط/١، ١٩٧١م.
٦٨. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة احياء التراث، ١٩٦٥م.
٧٠. البلاغة الاصلاحية، د. عبده عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٧١. البلاغة التطبيقية (دراسة تحليلية لعلم البيان)، د. محمد رمضان الجري، منشورات جامعة ناصر، ط/١، ١٩٩٥م.
٧٢. البلاغة العربية تأصيل وتجديد، د. مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٨٥م.
٧٣. البلاغة العربية (قراءة أخرى)، د. محمد عبد المطلب، درا نومار للطباعة، القاهرة ط/١، ١٩٩٧م.
٧٤. بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، د. عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
٧٥. البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)، د. أحمد مطلوب، دار الكتب، بغداد، ط/١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٧٦. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان الاردن ط/٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٧٧. بلاغة القرآن، محمد خضر حسين، تحقيق: علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٣١٩هـ-١٩٧١م.
٧٨. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/١، ٢٠٠٠م.
٧٩. بلاغة الكلمة والجمل والجملة، د. منير سلطان، منشأة المعارف بالاسكندرية، (د.ت).
٨٠. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، ط/٢، ١٩٩٩م.

٨١. بلوغ المرمى باستعمال أسماء الله الحسنى، خالد محمد حفظ الله ، راجعه الشيخ : محمد ياسين عبد الله ، دار الكتاب للطباعة، الموصل ، ط/١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨٢. البنى النحوية ، نعوم جومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية، العراق ، ١٩٨٧م.
٨٣. البناء القرآني للأخلاق ، شاعر عبد الجبار، مطبعة السعدون، بغداد ، ط/١، ١٩٨٦م.
٨٤. بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، محمد سيد طنطاوي ، دار مكتبة الاندلس ، ليبيا، ط/٢ ، ١٩٧٣م .
٨٥. بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم ، صابر طعمة ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان، ط/١ ، ١٩٧٥م .
٨٦. البهجة المرضية، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تعليق : مصطفى الحسيني، دار التفسير، ط/١، ١٤٢٠هـ.
٨٧. البيان في إعجاز القرآن ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان ، الأردن، ١٩٨٩م.
٨٨. البيان القصصي في القرآن الكريم ، د. إبراهيم عوضين سلسلة البيان القرآني مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط/١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٨٩. تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، الكويت ، (د.ت) .
٩٠. تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم ، بيروت ، ط/٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٩١. تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ، محمد طاهر عبد القادر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ط/٢ ، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م .
٩٢. تأملات في سورة نوح عليه السلام ، د. أحمد محمد هليل ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الأردن ، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

٩٣. تأملات في قميص يوسف ، فرحان عزيز مجيد ، منشورات جمعية الأدباء الإسلامية، نينوى ، ٢٠٠١م.
٩٤. التأويل النحوي في القرآن الكريم ، د. عبد الفتاح الحموز ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط/١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
٩٥. التعبير في التذكير شرح أسماء الله الحسنى، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ-) ، تقديم: محمد امين عبد الهادي، دار البيروتي، سوريا ، دمشق ، ط/٢ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
٩٦. التعبير في علم التفسير ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ-) ، تحقيق : زهير عثمان علي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، قطر ، ط/١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
٩٧. التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، ١٩٩٧م.
٩٨. تحصيل نظائر القرآن، للحكيم للترميذي ، تحقيق : حسني نصر زيدان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .
٩٩. التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة مجيد الأطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد ، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨م.
١٠٠. التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
١٠١. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار ، الأردن ، ط/١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
١٠٢. التعبير الفني في القرآن، د. بكري الشيخ أمين، دار الشروق ، بيروت ، ط/٣ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٠٣. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م.
١٠٤. التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦هـ-) ، تقديم د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية ، بغداد (د.ت).

١٠٥. تفسير آيات الاحكام ، أشرف على تنقيحها وتصحيحها ، الشيخ محمد علي السائس ، مطبعة محمد علي صبيح ، (د.ت) .
١٠٦. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، لعبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩هـ) ، جمع وترتيب وتعليق : محمد الصالح رمضان ، توفيق محمد شاهين ، دار الفكر ، ط/٢ ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م .
١٠٧. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، لأبي السعود محمد بن محمد الحنفي (ت ٩٨٢هـ) ، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١-١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
١٠٨. تفسير البغوي ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، دار ابن حزم للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
١٠٩. التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عاشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، دار المعارف ، مصر ، ط/٢ ، ١٩٧٣م .
١١٠. تفسير جزء الأحقاف ، عفيف عبد الفتاح طيارة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م .
١١١. تفسير جزء عمّ ، نعمة الله محمود (ت ٩٢٠هـ) ، تحقيق: محمود شلبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦١م .
١١٢. تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ) ، و لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، مطبوعات مكتبة محمد هاشم الكنتي ، دمشق ، (د.ت) .
١١٣. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، لعلاء الدين محمد بن إبراهيم (ت ٧٤١هـ) ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) .
١١٤. تفسير السراج المنير ، للإمام الخطيب الشربيني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط/٢ ، (د.ت) .
١١٥. تفسير السمرقندي ، المسمى بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ محمد علي والشيخ عادل أحمد والدكتور زكريا عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ،

- ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١١٦. تفسير سور المفصل من القرآن الكريم، عبد الله كنون، مطبعة النجاح الجديدة،
الدار البيضاء، ١٩٨١م.
١١٧. تفسير سورة آل عمران ، د. مصطفى الشكعة ، دار النهضة العربية، بيروت،
لبنان ، ١٩٧٢م.
١١٨. تفسير سورة الإخلاص ، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تمیمة
(ت ٧٢٨هـ) ، تعليق: د. عبد العلي عبد الحميد، دار السلفية، بومباي، الهند،
ط/١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١٩. تفسير سورة الإسراء ، د. عبد الله محمود شحاته ، مطابع الهيئة المصرية،
القاهرة، ١٩٧٥م.
١٢٠. تفسير سورة البقرة ، د. أمير عبد العزيز، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط/١،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٢١. تفسير سورة النحل ، د. محمد البهي ، دار غريب للطباعة، القاهرة ، ط/٢،
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٢٢. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن محمد بن حسين النيسابوري
(ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط/١، ١٤١٦هـ -
١٩٩٦م.
١٢٣. تفسير غريب القرآن ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ،
تحقيق: أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ -
١٩٧٨م .
١٢٤. تفسير القرآن العظيم ، للإمام عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير
(ت ٧٧٤هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث
العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦م .
١٢٥. تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) ، لمحمود شلتوت ، دار الشروق،
بيروت ، ط/١٠، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٢٦. التفسير القرآني لسورة الفاتحة، بابا علي الشيخ عمر القرداغي، سلسلة الدراسات القرآنية، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٢٧. التفسير القيم، للإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ)، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، لجنة التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
١٢٨. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط/٢، (د.ت).
١٢٩. تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).
١٣٠. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط/٢، (د.ت).
١٣١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للإمام عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٣٢. التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز، أسامة عبد الكريم الرفاعي، دار الفيحاء، دمشق، ط/٤، ١٣٢١هـ-٢٠٠١م.
١٣٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم (تفسير سورتي الفاتحة والبقرة)، د. محمد سيد طنطاوي، منشورات جامعة بنغازي، ط/١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
١٣٤. التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د. فايز عارف القرعان، دار المركز الجامعي، اربد ط/١، ١٤٥١هـ-١٩٩٤م.
١٣٥. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط/١، ١٩٩٦م.
١٣٦. التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين محمد عبد الصمد القزويني، ضبطه وشرحه الأستاذ: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١٩٠٤م.
١٣٧. تنزيه القرآن عن المطاعن، لأبي الحسن عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥هـ)، دار

- النهضة الحديثة، بيروت، لبنان ، (د.ت).
١٣٨. التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، سمير إبراهيم وحيد العزاوي ، دار الضياء، عمان، الأردن ط/١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٣٩. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل البروسوي، اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط/١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
١٤٠. توحيد الرحمن في آيات القرآن، للشيخ محسن الشيخ حسن، مطبعة النعمان، النجف، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٤١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت٦٧١هـ) ، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
١٤٢. الجامع لأسماء الله الحسنى، (لابن قيم الجوزية - القرطبي - ابن كثير- العلامة السعدي)، دراسة وإعداد : حامد أحمد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٤٣. جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى غلاييني ، راجعه : د. عبد المنعم خفاجي، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان، ط/ ٢١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
١٤٤. الجدل في القرآن، د. حسن الشرقاوي، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، مطبعة التقدم ، (د.ت).
١٤٥. جماليات المفردة القرآنية ، د. أحمد ياسوف، تقديم: د. نور الدين، دار المكتبي للطباعة، سورية ، ط/٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٤٦. الجمال في تشبيهات القرآن، لابن نايقا البغدادى (ت ٥٤٨هـ) ، د. مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف الاسكندرية ، (د.ت).
١٤٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، (د.ت) .
١٤٨. حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية بن مالك، لمحمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، دار إحياء الكتب العلمية، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ،

(د.ت).

١٤٩. الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين ، هادي عطية مطر الهلالي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
١٥٠. حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، شهاب الدين محمود الجليبي (ت ٧٢٥هـ) ، تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة ، العراق ، ١٩٨٠م .
١٥١. حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني ، شاعر عبد الجبار ، مطبعة اليرموك ، بغداد ، ١٩٨٤م .
١٥٢. حوار مع إبليس ، محمد عبدة المغاوري ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
١٥٣. الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار ، ط/٢ ، دار الهدى ، بيروت ، ١٣٣١هـ - ١٩١٣م .
١٥٤. خصائص الأمة المحمدية ، السيد محمد بن علوي المالكي ، المدينة المنورة ، ردمك ، ط/٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
١٥٥. خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) ، د. محمد أبو موسى ، دار التضامن ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٨٠م .
١٥٦. خطاب الأنبياء ، د. عبد الصمد عبد الله محمد ، مكتبة الزهراء للنشر ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
١٥٧. دراسات عن سور القرآن ، للشيخ محمد جواد السعدي ، مطبعة الآداب ، النجف ، (د.ت) .
١٥٨. دراسات في الإسلام (الإيمان بالنبى والنبوة) ، للأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى ، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
١٥٩. دراسات في الإسلام (عقيدتنا توحيد وبناء) ، الأستاذ : أنور الجندى ، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
١٦٠. دراسات في التفسير (سورة الفاتحة ومن: البقرة ولقمان) ، د. حسيب السامرائي ،

- دار الرسالة للطباعة، بغداد ، ط/١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
١٦١. دراسات قرآنية، عبد المتعال الصعيدي ، دار الفكر العربي، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.
١٦٢. دراسات قرآنية ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط/٥ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٦٣. دراسات قرآنية ، د. محمد إبراهيم الجيوشي ، مطبعة الدار المصرية ، القاهرة ، ط/١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٦٤. دراسات قرآنية في جزء عمّ، د. محمود أحمد نحلة ، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٦٥. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عزيمة ، دار الحديث، القاهرة.
١٦٦. درة التنزيل وغرّ التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط/١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٦٧. دروس التصريف، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط/٣، ١٩٥٨م.
١٦٨. دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، قدم له د. ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
١٦٩. الدلالة الزمنية في الجملة العربية ، د. علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة، بغداد ط/١، ١٩٨٤م.
١٧٠. دلالات التراكيب، د. محمد أبو موسى، مكتبة موهبة، القاهرة ، ط/١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٧١. الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، د.محمد عبد الله دراز، مطابع دار الكتب، بيروت ، ط/٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
١٧٢. ديوان النابغة الذبياني ، حققه : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للطباعة والنشر

- بيروت، لبنان، ١٩٦٩ م .
١٧٣. رجال ذكرهم القرآن ، عبد العزيز الشناوي ، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٧ م.
١٧٤. الرحمن الرحيم ، عبد الرزاق نوفل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط/٢ ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
١٧٥. رسالة التوحيد ، محمد عبده ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط/٤ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
١٧٦. الرسول ﷺ سخات من حياته ونفحات من هديه ، د. عبد الحليم محمود، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
١٧٧. الرسول في القرآن، د. محمود بن الشريف، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، لبنان، ط/٣ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م .
١٧٨. روائع الإعجاز في القصص القرآني - دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز ، محمود السيد حسين ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م .
١٧٩. روائع البيان في تفسير آيات الاحكام في القرآن لمحمد علي الصابوني ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
١٨٠. روح الدين الإسلامي ، عفيف عبد الفتاح طباره ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط/٢ ، (د.ت) .
١٨١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق : محمد أحمد الامد، عمر عبد السلام، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان ط/١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
١٨٢. زاد المسير في علوم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ط/١ ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
١٨٣. الزمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه)، د. بكري عبد

- السلام، دار الفجر، القاهرة ، ط / ٢ ، ١٩٩٩ م.
١٨٤. الزمن في النحو العربي، د. كمال إبراهيم بدري، دار أمية للنشر، الرياض ، ط / ١ ، ١٤٠٤ هـ.
١٨٥. سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، د. عودة الله منيع القيسي، موسعة الرسالة ، دار البشير، عمان ، الاردن ، ط / ١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
١٨٦. السور المدنية (دراسة بلاغية أسلوبية) ، د. عهد عبد الواحد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، ط / ١ ، ١٩٩٩ .
١٨٧. السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، محمد إبراهيم ، مطبعة التاج، عمان، ط / ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
١٨٨. سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤ م.
١٨٩. الشامل في علوم اللغة ومصطلحاتها، محمد سعيد، بلال جنيدي، دار العودة بيروت، ط / ١ ، ١٩٨١ م.
١٩٠. الشخصية الإسلامية، دراسة قرآنية، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار العلم، بيروت، لبنان ، ط / ٢ ، ١٩٧٧ م.
١٩١. شرح ابن عقيل ، لقاضي القضاة مهاء الدين عبد الله (ت ٧٦٩ هـ)، مطابع المختار، مصر، ط / ٢٠ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٩٢. شرح التلخيص، للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرقي (ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى رمضان، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ط / ١ ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٨٣ م.
١٩٣. شرح ديوان المتنبلي، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د.ت).
١٩٤. شرح المفصل ، لابن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ) ، علم الكتب بيروت.

١٩٥. شرح الكافية، لرضى الدين محمد بن الحسن الاستربادي (ت ٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
١٩٦. شذا العرف في فن الصرف، للشيخ أحمد محمد بن أحمد الحملاوي (ت ١٣١٥هـ)، شرحه د. عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/٤، ١٤٤٢هـ-٢٠٠١م.
١٩٧. شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن عبد الله ابن هشام الأنصاري (ت ٧١٦هـ)، دار الفكر، (د.ت).
١٩٨. شمس العرفان بلغة القرآن، عباس أبو السعود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
١٩٩. شواهد وفوائد القرآن الكريم شاهد، د. حمزة أبو النصر، مكتبة الإيمان، المنصورة ط/١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٠٠. الصبر في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، الدار المتحدة للطباعة والنشر، سوريا ط/١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٢٠١. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، رتبته: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، واعتنى به: محمود بن جميل، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٠٢. صراع المذهب والعقيدة في القرآن، عبد الكريم غلاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط/١، ١٩٧٣م.
٢٠٣. صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، (د.ت).
٢٠٤. صفوة الأقوال في تفسير سورة الفاتحة، عبد الرحمن خضر، مطبعة النجاح، بغداد (د.ت).
٢٠٥. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٠٦. صورة الرسول في القرآن بين الملك والإنسان، سامي أحمد الموصلي، طبع في نينوى، ٢٠٠٢م.

٢٠٧. الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
٢٠٨. الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، د. لطفي بركات، دار المريخ، الرياض، ط/١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٠٩. الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزبيدي، منشورات وزارة الاعلام، العراق، ١٩٨٠م.
٢١٠. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت ٧٤٥هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.
٢١١. ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم، د. طالب محمد الزوبعي، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط/١، ١٩٩٥م.
٢١٢. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة، جدة، السعودية، ط/١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢١٣. عبد القاهر والبلاغة العربية، محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنبرية، القاهرة ط/١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
٢١٤. عظمة القرآن، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، (د.ت).
٢١٥. العقائد الإسلامية، سيد سابق، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط/١، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.
٢١٦. العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي، د. محسن عبد الحميد، بغداد، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢١٧. العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢١٨. العقيدة الإسلامية (سفينة النجاة)، د. كمال محمد عيسى، دار العلم للملايين، ط/١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢١٩. عقيدة السلف الصالح، د. محمد عادل عزيز، راجعه: الشيخ عيسى بن عبد الله،

- دار البشائر ، دمشق ، ط/١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٢٠. عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، الشيخ عبد الله نعمة، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٢١. علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٢٢. علم البيان، د. بدوي طبانة، المطبعة الفنية الحديثة، ط/٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٢٣. علم المعاني، د. درويش الجندي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، (د.ت).
٢٢٤. العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مطبوعات الجامعة الكويتية، ١٩٨٤م.
٢٢٥. علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٨٤م.
٢٢٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ -)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط/٤، ١٩٧٢م.
٢٢٧. الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، ط/٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٢٨. الفاصلة القرآنية، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٢م.
٢٢٩. فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين (ت ١٣٠٧هـ -)، عني بطبعه وقدم له: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٢٣٠. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٣١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي

- الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ -)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ -
١٩٨١ م.
٢٣٢. فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، لسلامة القضاعي الغرامي،
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
٢٣٣. الفصل والوصل في القرآن الكريم، د. منير سلطان، منشأة المعارف
بالإسكندرية، مصر، ط/٢، ١٩٩٧م.
٢٣٤. فضائل النبي في القرآن أو دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين،
لأبي الفضل عبد الله بن محمد الغماري، الناشر مكتبة القاهرة، مصر، (د.ت).
٢٣٥. فضائل النبي وشأنه، للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ -)، من
كتاب (شرح السنة)، تقديم: علي عبد العال الطهطاوي، مكتبة الصفا،
القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٣٦. فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/٢،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٢٣٧. فنون بلاغية (البيان والبديع)، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية،
الكويت، ط/١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٢٣٨. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر
المعروف بابن القيم (ت ٧٥١هـ -)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
(د.ت).
٢٣٩. في التحليل اللغوي (منهج وصفي تحليلي)، د. خليل أحمد عمارة، تقديم: د.
سلمان حسن العاني، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، (د.ت).
٢٤٠. في التذوق الجمالي من آي القرآن الكريم، محمد علي أبو حمدة، دار الجيل،
بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٤١. في ظلال السيرة النبوية (غزوة احد)، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار
الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط/٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٤٢. في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/

- ٧ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٢٤٣ . في نور القرآن، د. عبد الله محمود شحاته ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
- ٢٤٤ . القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الجليل، بيروت، (د.ت).
- ٢٤٥ . قبسات من سورة النور، د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
- ٢٤٦ . القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، أحمد عمران ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان، ط/١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢٤٧ . القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تقديم : عبد المنعم شمس ، (د.ت).
- ٢٤٨ . القرآن دعوة الحق مقدمة في علم التفصيل القرآني، محمد العفيفي ، (د.ت).
- ٢٤٩ . القرآن الكريم يقول (في الإيمان والمؤمنين - في المادية والماديين - في السلوك والمواقف) ، د. محمد البهي ، ط/١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٥٠ . القرآن وقضايا الإنسان ، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط/١ ، ١٩٧٢م .
- ٢٥١ . القرآن والمجتمع ، د. محمد البهي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٢٥٢ . القرآن والمجتمع الحديث، عبد الرزاق نوفل ، دار الجليل للطباعة، القاهرة ، ط/١ ، (د.ت).
- ٢٥٣ . القرآن والنظر العقلي، فاطمة اسماعيل محمد اسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا ، ط/١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ٢٥٤ . قصص الأنبياء ، للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، خرج أحاديثه: طالب عواد ، دار الفيحاء للطباعة والنشر ، سوريا ، ط/١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٥٥. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط/٣ ، (د.ت).
٢٥٦. قصص الرحمن في ظلال القرآن ، أحمد فائز الحمصي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط/١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
٢٥٧. قصص القرآن ، عبد الحميد كشك ، إعداد : عادل الجنزوي ، يوسف كمال ، دار البشير ، القاهرة ، (د.ت) .
٢٥٨. قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ، أحمد موسى سالم ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان، ١٩٧٧م .
٢٥٩. قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للطباعة والنشر ، عمان، الاردن ط/١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٦٠. القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٢٦١. القصص القرآني تفسير إجتماعي، د. راشد البراوي، دار النهضة العربية، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٧٨م.
٢٦٢. قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، د. عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت ، لبنان ، ط/٢ ، ١٩٨٠م.
٢٦٣. قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج-التأويل-الإعجاز)، د. هادي الجطلالوي ، نشر كلية الآداب ، مؤسسة ، تونس ، ط/١ ، ١٩٩٨م.
٢٦٤. قطر الندى وبل الصدى ، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، (د.ط) (د.ت).
٢٦٥. قطف الأزهار في كشف الأسرار ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : أحمد بن محمد الحمادي ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، قطر ، ط/١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
٢٦٦. القواعد الأساسية للغة العربية، أحمد الهاشي، دار الكتاب، بيروت، لبنان ، (د.ت).

٢٦٧. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، د. سناء حميد البياتي، دار وائل ، عمان، الأردن ، ط/١ ، ٢٠٠٣م.
٢٦٨. القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، جمع وترتيب: محمود المصري، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٦٩. القول المبارك في تفسير جزء تبارك، محمد الشيخ طه الباليستاني، مطبعة شفيق ، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢٧٠. الكافية في النحو، لأبي عمر وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ-) ، شرحه : الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ-)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٧١. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ سيويه (١٨٠هـ-) ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٢٧٢. كتاب الأمالي النحوية، لأبي عمرو وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ-) ، تحقيق: د. عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة ، قطر ، ط/١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٧٣. كتاب البديع، لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ-)، اعتنى بنشره والتعليق عليه : اغناطيوس كراتشكوفسكي أعادت طبعه بالافيسيت ، مكتبة المثني، بغداد، ط/٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٧٤. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، للشيخ محمد بن أحمد بن جزي ، مطبعة مصطفى ، مصر ، ط/١ ، ١٣٥٥هـ .
٢٧٥. كتاب تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة ، محمد عبدالله الجزار ، مصر، القاهرة ، (د.ت) .
٢٧٦. كتاب حجج القرآن، لأبي الفضائل أحمد بن المظفر الرازي، مطبعة منير ، بغداد ١٩٩٠م.
٢٧٧. كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حامد أحمد بن حمدان الرازي

- (ت ٣٢٢هـ) علق عليه : حسين فيض الله الهمداني ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٨م.
٢٧٨. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ط/١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
٢٧٩. كتاب الفصول في العربية، للإمام أبي محمد سعيد بن المبارك (ت ٥٦٩هـ) ، تحقيق: د. فائز فارس، دار الأمل ، الاردن ط/١ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٢٨٠. كتاب اللمع في العربية ، لأبي الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢هـ) ، حققه : فائز فارس، دار الأمل ، الأردن ط/١ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٢٨١. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
٢٨٢. كتاب الواضح، لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) ، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الاردنية ، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.
٢٨٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، طبعه ورجعه : يوسف الحمادي ، دار مصر للطباعة ، (د.ت) .
٢٨٤. كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، لابن العماد (ت ٨٨٧هـ) ، تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، تقديم : د. محمد سليمان داود ، طبع بمطابع جريدة السفير ، الاسكندرية ، (د.ت) .
٢٨٥. الكلبيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، ترتيب د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٩٨م.
٢٨٦. لباب النقول في أسباب النزول ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط/٤ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٨٧. لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ) ،
دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط/٦ ، ١٤١٧هـ-١٩١٧م.
٢٨٨. لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن ، د. فضل حسن
عباس، دار النور ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
٢٨٩. لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة ،
الأردن، عمان، ط/١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٩٠. لغة المنافقين في القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي ، بيروت ،
لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٩١. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الشؤون
الثقافية ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٩٩م.
٢٩٢. المباحث البيانية بين ابن الأثير والعلوي، د. محمد مصطفى صوفية، المنشأة
العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا ، ط/١ ، ١٣٩٣هـ-١٩٨٤م.
٢٩٣. مباحث في علم التفسير، د. عبد الستار حامد، مطبعة دار الرسالة ، بغداد،
١٩٨٤م.
٢٩٤. مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون
الثقافية، بغداد ط/١ ، ٢٠٠٢م.
٢٩٥. مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي صالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ،
لبنان ، ط/١ ، ١٩٧٧م .
٢٩٦. منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن ، لابن الجوزي (ت
٥٩٧هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد الطنطاوي ، د. عبد المنعم أحمد ، منشأة
المعارف، الاسكندرية ، (د.ت) .
٢٩٧. متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ) ، تحقيق: د.
عدنان محمد زرزور، دار التراث ، القاهرة (د.ت).
٢٩٨. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، علق عليه : د. محمد
فؤاد، مكتبة الخانجي، دار الفكر ، ط/٢ ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٢٩٩. محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت ٥٤١ هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣٠٠. مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني، مؤسسة دار الفكر، إيران، (د.ت).
٣٠١. المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، د. السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.
٣٠٢. مذكرات في البلاغة، د. فخري أمين الخضراوي، مطبعة زهران، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
٣٠٣. المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، تأليف: علي رضا، دار الفكر، (د.ت).
٣٠٤. المسلك الوديع إلى علم البديع، د. عبد الرزاق السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، بغداد، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٠٥. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، مصر، ط/١، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
٣٠٦. المشاهد في القرآن الكريم، د. حامد صادق قنبي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط/١، ١٩٨٤م.
٣٠٧. مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الكتاب الإسلامي، إيران، (د.ت).
٣٠٨. مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، لأحمد بن الحسن، قدم له: د. محمد عبد السلام طبع في دار الاحد، بيروت، ١٩٧١م.
٣٠٩. مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طيارة، مطبعة دار الكتب، بيروت، لبنان، (د.ت).
٣١٠. مع القرآن الكريم، د. أحمد محمد الحوفي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٩٤-١٩٧٤م.
٣١١. معاني الأنبياء في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط/١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣١٢. المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د. فتحي أحمد عامر، الناشر منشأة المعارف

- الاسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
٣١٣. معاني الحروف في القرآن الكريم ، للشريف قصار ، طبع المؤسسة الوطنية ، الجزائر، ١٩٨٤ م .
٣١٤. المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح الاشين، دار المعارف، القاهرة ، ط/٣، ١٩٧٨ م.
٣١٥. معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان، ط/٢، ١٩٨٠ م .
٣١٦. معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١ م .
٣١٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ضبطه : أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .
٣١٨. المعجزة القرآنية ، سعيد النورسي ، ترجمة : إحسان قاسم الصالحي ، مطبعة الرشيد ، بغداد ، ط/١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م .
٣١٩. معجم الأرقام في القرآن الكريم، محمد السيد الداودي، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
٣٢٠. معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة ، منشورات جامعة طرابلس ، ط/١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م .
٣٢١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
٣٢٢. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤ م .
٣٢٣. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه ونشره : ونسك ، مطبعة بريل، ١٩٦٧ م .
٣٢٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث ،

- القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٣٢٥ . معركة النبوة مع المشركين كما تعرضها سورة الأنعام وبينها القرآن الكريم ، د. إبراهيم زيد الكيلاني ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، (د.ت) .
- ٣٢٦ . معني لا إله إلا الله ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق: علي محي الدين علي ، دار الاعتصام، القاهرة ط/٣ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٣٢٧ . مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، لأبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧١٦هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت) .
- ٣٢٨ . مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط/١ ، ١٣٠٦هـ - ١٩٣٧م .
- ٣٢٩ . مفحمت الأقران في مبهمات القرآن ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ضبطه وعلق عليه : د. مصطفى ديب البغا ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م .
- ٣٣٠ . المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، (د.ت) .
- ٣٣١ . المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، دار الجليل ، بيروت، لبنان، ط/٢ ، (د.ت) .
- ٣٣٢ . مقالات في الأسلوبية، د. منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، ١٩٩٠م .
- ٣٣٣ . مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٣٩٩هـ - ١٨٧٩م .
- ٣٣٤ . المقتضب، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت) .

٣٣٥. المقتطف في النحو والصرف، عثمان محمد منصور، دار عمار، للنشر والتوزيع، (د.ت).
٣٣٦. المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، مصر، (د.ت).
٣٣٧. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، مصر، ط/٢، ١٩٦٥ م.
٣٣٨. الملائكة وبقاء الروح وحياة الآخرة، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة الزهراء، الموصل، ط/١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م.
٣٣٩. من أدب القرآن، د. أحمد الشرباصي، دار المعارف، مصر، ١٨٣٨هـ-١٩٧٦ م.
٣٤٠. من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام نهاد جرار، سلسلة الدراسات القرآنية، فلسطين، ط/١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م.
٣٤١. من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د. محمد أبو موسى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦ م.
٣٤٢. من الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، عبد العزيز سيد الأهل، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠ م.
٣٤٣. المنافقون في القرآن الكريم، السيد حسين الصدر، مطبعة السعد، بغداد، ١٩٧٦ م.
٣٤٤. مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض، ط/٢، ١٤٠٠هـ.
٣٤٥. مناهج وراء في لغة القرآن، د. محمد بركات حمدي، دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٨٤ م.
٣٤٦. من بديع لغة التنزيل، د. إبراهيم السامرائي، دار الفرقان، عمان، ط/١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م.
٣٤٧. من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، دار النهضة للطباعة، مصر، ١٩٧٧ م.
٣٤٨. من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عبد المعطي، عالم الكتب، بيروت،

- ط/٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
٣٤٩. المنتخب من مدونات التراث، الماوردي، عزيز العظمة، دار الرياض للنشر، بيروت ط/١، ٢٠٠٠م.
٣٥٠. المنجد في الإعراب والبلاغة والإملاء، محمد خير الحلواني، بدر الدين الحاضري مكتبة الشرق، حلب، ط/٢، ١٩٦٦.
٣٥١. من فلسفة التشريع الإسلامي، فتحي رضوان، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط/٢، ١٩٧٥م.
٣٥٢. من قضايا الاعلام في القرآن، رمضان لاوند، مطابع الهدف، (د.ت).
٣٥٣. منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، د. محمد فاطمة، تقديم: الشيخ أحمد، دار الخير، دمشق، ط/١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٥٤. منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني (قصص أولي العزم من الرسل)، د. منى بنت عبدالله حسن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٥٥. منهج القرآن في تربية الرجال، د. عبد الرحمن عميرة، شركة مكنتات عكاظ، الرياض، ط/١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٥٦. من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، منشورات اللجنة الوطنية، بغداد، مؤسسة الطباعة العربية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٥٧. الموسوعة الأغنى في معرفة أسماء الله الحسنى، مختار فوزي النعال، دار الرضوان سوريا، ط/١، ٢٠٠٠م.
٣٥٨. النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، د. محمد عبد الله دراز، مطابع دار الكتب، بيروت، ط/٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
٣٥٩. النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعة، مصر، ط/١، ١٩٨٩م.
٣٦٠. النحو القرآني قواعد وشواهد، تأليف: د. جميل أحمد مظفر، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ط/٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٦١. نحو المعاني ، د. أحمد عبد الستار الجوارى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٣٦٢. النحو الوافي ، تأليف : عباس حسن ، دار المعارف، بمصر ، ط/٢، ١٩٦٤م.
٣٦٣. نداءات الرحمن لأهل الإيمان، لأبي بكر الجزائري، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٦٤. نساء أنزل الله فيهن قرآناً ، د. عبد الرحمن عميرة ، منشورات دار اللواء ، الرياض، ط/١ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
٣٦٥. نساء في حياة الأنبياء، ميسون غريب، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
٣٦٦. النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ط/١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٦٧. نظرات حديثة في التفسير (سورة الملك والقلم والحاقة)، محمد عبد الرحمن الجديلي، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٦٥م.
٣٦٨. نظرات في سورة الرحمن، عبد الكريم الخطيب، يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
٣٦٩. نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن، محمد مصطفى نابلسي، دار الفرقان، عمان ، الأردن ، ط/١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٣٧٠. نظرات قرآنية، د. محمود رجب البيومي، تصدر عن وزارة الأوقاف، مصر مطابع الأهرام التجارية ، (د.ت).
٣٧١. نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني (عن كتابيه: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، محمد حنيف فقيهي، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا، بيروت ، ط/١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٧٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٥٤١ هـ) ، توزيع مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .
٣٧٣. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق:

- د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات حمدي، دار الفكر، عمان، الأردن،
١٩٨٥م.
٣٧٤. نيل الأمانى بشرح جواهر البيان والبدیع والمعاني، لأحمد بن محمد الأمين بن
أحمد المختار مطابع الصفا، مكة، ط/١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٧٥. هذا القرآن - فأين منه المسلمون؟، لمحمد زكي الدين محمد، دار البحوث
العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
٣٧٦. هو الله، السيد محمد بن علوي الملكي، طبع في مكة المكرمة، (د.ت).
٣٧٧. وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن،
ط/٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٧٨. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى، تحقيق: د. حاتم صالح
الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، دار إحياء التراث، دار الحرية للطباعة،
بغداد، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٣٧٩. الوصف في القرآن الكريم، يونس جاسم، تقديم: د. وهبة الزحيلي، دار
المكتبي، سوريا، ط/٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٨٠. الوفا بتعريف أسماء المصطفى محمد ﷺ، تأليف: طه عبد الرؤوف سعد وسعد
حسن محمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٨١. اليهود في القرآن، عفيف عبد الفتاح طيارة، دار العلم، بيروت، لبنان،
ط/٦، (د.ت).
٣٨٢. اليهود في القرآن الكريم، الشيخ صلاح أبو اسماعيل، مطابع دار البلاغ،
الكويت، (د.ت).

الرسائل الجامعية

١. اختلاف صيغ الفعل المشتقة من جذر واحد في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدم بها: هلال علي محمود إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف أ. د. : محيي الدين توفيق إبراهيم ، ٢٠٠٠م) .
٢. الأساليب الإنشائية غير الطلبة في أحاديث رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦هـ) ، (رسالة ماجستير تقدم بها الطالب : أحمد محمد أمين إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل بإشراف : أ.م.د. أحمد فتحي رمضان ، ٢٠٠٢م) .
٣. أساليب منكري النبوات في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدم بها : عبد الجبار عبد الستار إلى : كلية الإمام الأعظم لإعداد الأئمة والدعاة والخطباء ، بغداد ، بإشراف : أ.م. د. عبد الرزاق الحربي ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) .
٤. أسماء الإشارة في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه تقدم بها : عمر محمد عوني إلى : كلية التربية ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدواني ، ٢٠٠٣م) .
٥. أسماء الأنبياء وصفاتهم في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدم بها : صالح مطر عبد الله إلى : كلية التربية ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. م. د. خزعل فتحي زيدان ، ٢٠٠١م) .
٦. أسماء سور القرآن الكريم ، دراسة لغوية تحليلية (رسالة ماجستير تقدم بها ، باسل خلف حمود إلى : كلية التربية ، جامعة الموصل ، بإشراف أ. م. د. : عماد عبد يحيى ، ١٩٩٩م) .
٧. أسماء القرآن الكريم وصفاته (رسالة ماجستير تقدم بها ، زهير حسين ويس إلى : كلية التربية ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. م. د. سناء طاهر محمد ، ٢٠٠٠م) .
٨. الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ألفاظه ودلالاته (رسالة ماجستير تقدم بها : فخري أحمد سليمان إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدواني ، ١٩٩٨م) .

٩. ألفاظ التمام والزيادة والنقصان في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة دكتوراه تقدم بها يونس حمش خلف محمد إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.د. محيي الدين توفيق ، ١٩٩٩م).
١٠. ألفاظ الثواب في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدم بها : عماد عبد يحيى إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدواني ، ١٩٨٧).
١١. ألفاظ الطريق وما يتعلق بها في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدم بها : عمار إساعيل أحمد إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.د. محيي الدين توفيق ، ٢٠٠١م).
١٢. الألفاظ العقلية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدمت بها : روعة محمود إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.م. د. : كاصد ياسر الزبيدي ، ١٩٩٦م).
١٣. ألفاظ المدح والذم في القرآن الكريم ، دراسة دلالية (رسالة ماجستير تقدم بها : أحمد خضير عبد محسن إلى : كلية التربية ، جامعة بغداد ، بإشراف : أ.م. د. : نعمة رحيم الغزاوي ، ٢٠٠٢م).
١٤. البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ، دراسة فنية (رسالة دكتوراه تقدم بها : عماد عبد يحيى إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدواني ، ١٩٩٢م).
١٥. تعاقب الظاهر والمضمرة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدمت بها : عائشة خضر إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.م. د. طلال يحيى الطوبجي ، ٢٠٠٠).
١٦. تقسيمات أهل الكتاب في القرآن الكريم (رسالة ماجستير مقدمة إلى : كلية الإمام الأعظم لإعداد الأئمة والدعاة والخطباء ، بغداد ، بإشراف : أ.م. د. عبد الرزاق محمود الحربي ، ٢٠٠١م).
١٧. الجناس في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدمت بها : أسماء سعود خطاب

- إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. م. د. أحمد فتحي رمضان
 (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
١٨. حسن الابتداء والانتهاء في سور القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدمت بها :
 وفاء فيصل إسكندر إلى : كلية الآداب، جامعة الموصل ، بإشراف أ. د. : مناهل
 فخر الدين فليح ، ١٩٩٨م).
١٩. دلالة الأنماط التركيبية لجملة الاحرف الناسخة (المشبهة بالفعل) في القرآن
 الكريم ، (رسالة دكتوراه تقدم بها : فراس عبد العزيز عبد القادر إلى : كلية
 الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. م. د. عماد عبد يحيى ، ٢٠٠٣م).
٢٠. سور الحواميم (رسالة دكتوراه تقدم بها : عبد القادر عبد الله فتحي إلى : كلية
 الآداب، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. م. د. أحمد فتحي رمضان ، ٢٠٠٣م).
٢١. سورة الكهف ، دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير تقدمت بها : سوسن عبد الغني
 مال الله إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. د. بشرى البستاني،
 ٢٠٠٠م).
٢٢. شخصيات قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية (رسالة
 دكتوراه تقدم بها : نبهان حسون عبد الله أحمد إلى : كلية الآداب ، جامعة
 الموصل ، بإشراف أ. د. : إبراهيم جمعة جنداري ، ٢٠٠٣م).
٢٣. الشكل القصصي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدم بها : نبهان حسون
 عبد الله إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. د. إبراهيم جنداري
 جمعة ، ١٩٩٩م).
٢٤. ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة (رسالة دكتوراه تقدم بها :
 عبد العزيز عبد الله محمد إلى : كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. م.
 د. أحمد فتحي رمضان ، ١٩٩٩م).
٢٥. الكناية في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه تقدم بها : أحمد فتحي رمضان إلى :
 كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ. د. مناهل فخر الدين فليح ،
 ١٩٩٥م).

٢٦. المضاف إلى لفظ الجلالة الله في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدمت بها : لقاء حازم أحمد إلى : كلية التربية ، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.م. د. خزعل فتحي زيدان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
٢٧. النداء في القرآن الكريم (رسالة ماجستير تقدمت بها : معن توفيق دحام إلى : كلية الآداب، جامعة الموصل ، بإشراف : أ.م. د. أحمد فتحي رمضان ، ١٩٩٩م).

البحوث المنشورة في الدوريات والكتب الجامعة والانترنت

- ١ . أفراد كلمات القرآن الكريم لأحمد بن فارس (مجلة الحكمة ، تصدر في لندن، العدد ١٢٢٠-١٤٢٢هـ).
- ٢ . الأنبياء في القرآن د. محمد الطيب النجار (مجموعة بحوث في كتاب (القرآن نظرة عصرية جديدة) ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط/١، ١٩٧٢م).
- ٣ . بيان إعجاز ، القرآن للخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق : محمد خلف الله ، د. محمد زغلول ، دار المعارف، بمصر ، ط/٣، (د.ت).
- ٤ . حاشية الدسوقي على مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) ، (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، (د.ت).
- ٥ . التفكير بين الانحياز والانحياز ، بحث على شبكة الانترنت : www.belady.shina.net/halqa.html
- ٦ . الحذف والإضمار في العربية ، آمال الزين ، بحث على شبكة الانترنت : www.mogat.com
- ٧ . خطاب القرآن للأمم الماضية وتوجيهه للمعاصرين ، أ.د. محمد عثمان صالح ، (مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان ، العدد الثالث ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- ٨ . خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. محمد رجب البيومي (سلسلة البحوث الإسلامية ، المطابع المصرية ، الكتاب الثاني والأربعون ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م).

٩. دراسات في سورة الإخلاص ، د. خليل إبراهيم السامرائي (مجلة كلية العلوم الإسلامية، بغداد ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، ١٩٩٧م).
١٠. دراسة عن القرآن الكريم ، إسماعيل كشميري ، مجلة منبر الإسلام ، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، السنة ٢٥ ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م .
١١. دلالة الألوان في آيات القرآن ، د. أحمد عطية السعودي (مجلة الحكمة ، تصدر في لندن ، العدد ٢٠ ، ١٤٢٠هـ).
١٢. سورة البقرة ، للاستاذ أحمد حسين (مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، العدد ٩ ، السنة ٣١-١٣٩٣هـ).
١٣. سورة الذهب ، د. أحمد فتحي رمضان (مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل، العدد ٣١-١٩٩٨م).
١٤. صورة اليهود كما رسمها القرآن الكريم ، الشيخ أحمد عبد الحافظ (مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ١١ ، السنة ٣١-١٣٩٣هـ).
١٥. صيغة فعل في العربية ، الشيخ محمد حسين آل ياسين (مجلة المجمع العراقي ، العدد ٣١ ، الجزء ٤ ، ١٩٨٠م).
١٦. عروس الأفراح على شرح تلخيص المفتاح ، لأحمد بن علي عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٣ هـ) ، (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، (د.ت) .
١٧. في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية) ، د. حسين جمعة (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق-٢٠٠٢ (شبكة الانترنت) ، ٢٠٠٣-Januray Upaded Sturday, [Mailto :aru@net.sy](mailto:aru@net.sy)).
١٨. القرآن آية النبي ومعجزته ، الشيخ أحمد حسن الباقوري (مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ١١ ، لسنة ٣١-١٣٩٣هـ).
١٩. قبسات مشرقا في حديث القرآن عن الملائكة ، الشيخ عبد اللطيف السبكي

(مجلة منبر الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ١٢ ، السنة ٢٦-١٣٨٨هـ).

٢٠. كتاب مدح الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ (بحث على شبكة الإنترنت
(www.rafed.net/book/spara/alsahaba/mh.html).

٢١. المرأة في رحاب القرآن ، الشيخ عبد اللطيف (مجلة منبر الإسلام ، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ١٥ ، السنة ٢٧-١٣٨٩هـ).

٢٢. مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، الشيخ محمد هلال عبد الرسول (مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، العدد ٢٢ ، السنة ٣١-١٣٩٣هـ).

٢٣. معاني التقديم والتأخير ، قاسم محمد عبد الرزاق (مجلة الحكمة ، تصدر في لندن، العدد الرابع، ١٤١٥هـ).

٢٤. الملائكة والرسول صلوات الله عليهم ، أحمد رجب محمد (مجلة منبر الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ٧ ، السنة ٣١-١٣٩٣هـ).

٢٥. من أسماء الله الحسنى (غافر-غفار-غفور) مقاماتها ودلالاتها في القرآن الكريم ، سعيد جمعة (شبكة التفسير والدراسات القرآنية ، شبكة الإنترنت ،
(www.tafsir.net).

٢٦. من بلاغة سورة النازعات ، معن توفيق دحام (مجلة الرباط ، مجلة إسلامية تصدر في نينوى ، العدد ٣ ، ١٤٢٤هـ).

٢٧. من حديث القرآن عن بني إسرائيل ، الشيخ عبد اللطيف السبكي (مجلة منبر الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ٥ ، السنة ٢٥-١٣٨٧هـ).

٢٨. من قراءات في سورة الرحمن ، د. إبراهيم السامرائي (مجلة الحكمة تصدر في لندن ، العدد ١٦ ، ١٤١٩هـ).

٢٩. من النساء المذكورات في القرآن الكريم (نساء النبي ﷺ) ، الشيخ عبد اللطيف السبكي (مجلة منبر الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة،

العدد ٢٨ ، السنة ٢٦).

٣٠. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، لأبي يعقوب المغربي (ت ٦٥٣هـ) ، (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ، (د.ت).
٣١. السنكت في إعجاز القرآن ، للرماني (ت ٣٨٦هـ) ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله ، د. محمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط/٣ ، (د.ت).
٣٢. الهدى ومعناه في القرآن الكريم ، د. أحمد الحرفي (مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، العدد ٩ ، لسنة ٣١ ، ١٣٩٣هـ).
٣٣. وضع الظاهر موضع المضمرة وتطبيقاته في القرآن الكريم ، د. طلال يحيى الطويجي، (مجلة آداب الرافيدين ، جامعة الموصل ، العدد ٢٩ ، ١٩٩٧م).

Abstract

The concept of praising and dispraising is widely used in the Glorious Qura'n in order to highlight the importance of faith and good deeds in human beings' life.

The study falls into an introduction and four chapters. The introduction tackles the concept of praising and dispraising according to some Arabic dictionaries authors, grammarians, and rhetoricians, in addition to their concepts in the Glorious Qura'n with reference to the accuracy their terms besides the secrets of An Nudhum (invention) theory.

Chapter one is entitled "the rhetoric of doctrinal praising". It includes four sections. The first investigates the style of praising Allah via the term (all praising is for Allah), his most gracious names, the word of monotheism, and via the Surah of unity to highlight the rhetorical meanings and styles of praising in the Glorious Qura'n. The second shows styles of praising prophets and Apostles like Noah, Ibraheem, Moses, Jesus, and Mohammed (PBUT). The third includes praising the divine Books (Torah, Gospel, Qura'n). The last one shows praising Angels in general, and the Angel Gabriel in particular, then we have a table includes rhetorical techniques shown via context.

The second chapter is under the title "the rhetoric of praising characters". It contains four sections. The first tackles praising of past nations and some characters like Taaloot, the good servant, sleepers of the cave, the wife of Pharoo, etc. the second section investigates the concept of praising people of the Book in a fair judgment. The third section shows the praising of the nation of Mohammed and their good characteristics, the deeds of Mohammed's followers, and the people came later. The fourth section includes praising in general, praising some places, and the record of righteous.

Chapter three introduces brilliant comparisons of praising and dispraising in the Glorious Qura'n. this chapter is entitled "the rhetoric of doctrinal dispraising". It contains three section. The first tackles dispraising the unbelievers and idolaters via different styles. The second section shows dispraising the hypocrites in Repentance

Abstract

and Hypocrites Surahs. The third tackles dispraising of Jews and Christians via various terms.

Chapter four investigates dispraising characters. It is entitled "the rhetoric of dispraising characters". It includes three sections. The first is about dispraising characters of past nations who reacted badly against their prophets. The second investigates dispraising characters who stood against the call of Islam like Al-Walled, Abu-Jahl, and others. The third section includes dispraising bad characteristics in general, places like the hell, some bad poets, etc.

Every section in this study includes a table to show the rhetorical techniques in context with a histogram for each Aya to show the interpretation of the Aya. The study ends with essential conclusions and bibliography.



فهرس المحتويات

٩٢	مدح إبراهيم ﷺ	٣	المقدمة
٩٤	الوفاء	٩	التمهيد
٩٥	أواه حلیم - حلیم أواه منیب	٩	المدح والذم في العربية
٩٩	مدح موسى ﷺ	١١	المدح والذم في القرآن الكريم
١٠٠	الكرم والأمانة	١١	الأسلوب (لغة-اصطلاحاً)
١٠٣	الأعلى	١١	توطئة
١٠٤	مدح عيسى ﷺ	١٣	المدح لغة
١٠٥	الرسالة	١٣	المدح اصطلاحاً
١٠٨	المدح الذاتي	١٥	الذم لغة
١١١	مدح المصطفى ﷺ	١٦	الذم اصطلاحاً
١١٣	الرسالة	١٧	المدح والذم عند النحويين
١١٥	رؤوف رحيم	٢١	المدح والذم عند البلاغيين
١١٧	الاسوة والخلق العظيم	٢٦	المدح والذم في القرآن الكريم
١٢١	ملحق رقم [١ - ٢]		
١٢٥	المبحث الثالث: مدح الكتب السماوية		
١٢٦	مدح التوراة		
١٢٨	هدى ونور		
١٢٩	الإمام والرحمة		
١٣١	الالواح		
١٣٣	مدح الإنجيل		
١٣٤	هدى ونور		
١٣٨	المدح مع الكتب السماوية		
١٤١	مدح القرآن الكريم		
١٤٥	الكتاب والقرآن		
١٥٠	الذكر		
١٥٢	الفرقان		
١٥٥	ملحق رقم [١-٣]		
١٥٨	المبحث الرابع: أساليب مدح الملائكة		
١٦٠	المدح العام		
١٦٠	العبادة		
١٦٣	الطاعة		
١٦٦	الأقوال والأفعال		
١٦٨	المدح الخاص		
		٤١	توطئة
		٤٣	المبحث الأول: أساليب الثناء على الله عز وجل
		٤٤	المدح بـ(الحمدلة)
		٤٩	حسن الختام
		٥٣	المدح بـ(كلمة التوحيد)
		٥٤	آية الكرسي
		٥٦	لا إله إلا الله
		٥٨	سورة الإخلاص
		٦٢	المدح بـ(الأسماء الحسنى) في الفاصلة القرآنية
		٦٦	المدح بصفات مغايرة
		٧٠	حكيم علم
		٧٢	شكور حلیم
		٧٤	ملحق رقم [١-١]
		٧٨	المبحث الثاني: أساليب مدح الأنبياء والمرسلين
		٧٨	توطئة
		٨٧	مدح نوح ﷺ
		٨٨	العبودية والشكر
		٩٠	الدعوة

٢٦٤	-----	الخور العين
٢٦٨	-----	ملحق رقم [٢-٤]
		الفصل الثالث
		بلاغية الذم العقائدي
٢٧٣	-----	توطئة
٢٧٥	-----	المبحث الأول: أساليب ذم الكفار والمشركين
٢٧٥	-----	ذم الكفار
٢٨١	-----	ذم المشركين
٢٨٥	-----	الكفر والكذب
٢٨٨	-----	الأفعال
٢٩١	-----	الجاهلية
٢٩٤	-----	الإشراك
٢٩٨	-----	أعمال الكفار
٣٠١	-----	ذم يوهم المدح
٣٠٤	-----	سورة الكافرون
٣٠٨	-----	ملحق رقم [١-٣]
٣١٠	-----	المبحث الثاني: أساليب ذم المنافقين
٣١٤	-----	المنافقون كما عرضتهم سورة التوبة
٣٢٣	-----	(سورة المنافقون)
٣٢٣	-----	الذم العقائدي
٣٢٦	-----	ذم الأعضاء
٣٢٨	-----	ذم صفاتهم السلوكية
٣٣٣	-----	ملحق رقم [٢-٣]
٣٣٦	-----	المبحث الثالث: أساليب ذم أهل الكتاب
٣٤١	-----	بنو إسرائيل
٣٤٥	-----	الذين أوتوا الكتاب
٣٤٨	-----	الذين أوتوا نصيباً من الكتاب
٣٥١	-----	الذم بالتشبيه
٣٥٤	-----	أهل الكتاب
٣٥٧	-----	النصارى
٣٦٠	-----	تأكيد الذم بما يشبه المدح
٣٦٣	-----	ملحق رقم [٣-٣]
		الفصل الرابع
		بلاغية ذم الشخصيات
٣٦٩	-----	توطئة

١٦٨	-----	الروح الأمين
١٧٠	-----	روح القدس
١٧١	-----	المدح بشدة القوة
١٧٣	-----	ملحق رقم [٤-١]
		الفصل الثاني
		بلاغية مدح الشخصيات
١٧٩	-----	توطئة
		المبحث الأول: أساليب مدح شخصيات
١٨٣	-----	في الأمم الماضية
١٨٦	-----	أصحاب الكهف
١٩٠	-----	قوم يونس <small>عليه السلام</small>
١٩٢	-----	العبد الصالح
١٩٥	-----	مدح مريم عليها السلام
١٩٨	-----	امرأة فرعون
٢٠١	-----	ملحق رقم [١-٢]
		المبحث الثاني: مدح شخصيات من أهل
٢٠٣	-----	الكتاب
٢٠٤	-----	تأدية الأمانة
٢٠٦	-----	تعداد الصفات
٢٠٨	-----	قوم موسى <small>عليه السلام</small>
٢١١	-----	النصارى
٢١٤	-----	الحواريون
٢١٧	-----	ملحق رقم [٢-٢]
٢١٩	-----	المبحث الثالث: مدح الأمة المحمدية
٢٢٤	-----	المهاجرون والأنصار والتابعون
٢٢٨	-----	عباد الرحمن
٢٣٢	-----	الصحابة في الثوراة والإنجيل
٢٣٨	-----	الصحابي صهيب
٢٤١	-----	ملحق رقم [٢-٣]
٢٤٣	-----	المبحث الرابع: المدح العام
٢٤٧	-----	بكرة - مقام إبراهيم <small>عليه السلام</small>
٢٥١	-----	أولياء الله
٢٥٤	-----	المدح الذاتي
٢٥٨	-----	كتاب الأبرار
٢٦٢	-----	مدح الخلة

فهرس المحتويات

<p>٤٢٥ --- المبحث الثالث: أساليب الدم العام</p> <p>٤٣٠ --- أعداء الله</p> <p>٤٣٣ --- الشعراء</p> <p>٤٣٥ --- كتاب الفجار</p> <p>٤٣٨ --- ذم بالاقتران الثنائي</p> <p>٤٤٠ --- الشيطان</p> <p>٤٤٢ --- إبليس</p> <p>٤٤٥ --- ملحق رقم [٣-٤]</p> <p>٤٤٧ --- الخاتمة والنتائج</p> <p>٤٥٧ --- وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين</p> <p>٤٥٨ --- المصادر والمراجع</p> <p>٤٩١ --- الرسائل الجامعية</p> <p style="padding-left: 20px;">البحوث المنشورة في الدوريات والكتب</p> <p>٤٩٥ --- الجامعة والانترنت</p> <p>٥٠١ --- فهرس المحتويات</p>	<p>المبحث الأول: أساليب ذم شخصيات في</p> <p>٣٧١ --- الأمم الماضية</p> <p>٣٧٤ --- النمرود</p> <p>٣٧٩ --- قارون</p> <p>٣٨٢ --- فرعون</p> <p>٣٩٠ --- امرأة نوح وامرأة لوط</p> <p>٣٩٣ --- سورة الفيل</p> <p>٣٩٦ --- ملحق رقم [١-٤]</p> <p>المبحث الثاني: أساليب ذم شخصيات ضد</p> <p>٣٩٩ --- الدعوة الإسلامية</p> <p>٤٠١ --- الأحنس بن شريق</p> <p>٤٠٦ --- الوليد بن المغيرة</p> <p>٤١١ --- أبو جهل</p> <p>٤١٣ --- ذم بالتشبيه</p> <p>٤١٧ --- سورة اللهب</p> <p>٤٢٢ --- ملحق رقم [٢-٤]</p>
--	---

**AL-MADHĪ WAL-ḌAMM
FĪ AL-QUR'ĀN AL-KARĪM**
(Praising and dispraising
used in the Holy Qur'ān)

by

Dr. Ma'n Tawfīq Daḥām Al-Ḥayāli